

الأكف ابن فمغنازي رُسُولَ اللَّهِ وَالثَّلَاثَةِ الْخُلَفَاءِ لهذا عام أبي البرقع سليمان بن موسى الكندي على الأندلس

٥٦٥ - ٦٣٤ هـ

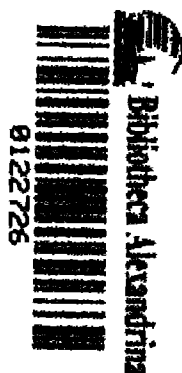
تتقيق

الدكتور مصطفى عبد الواحد

بنشر لاول مرة على نيبه حتى " طلعت " و " التهورنة "

الجزء الثاني

الناشر
مكتبة المطابع بالقاهرة



الكنف^{النبين} س

فَمَعَا زِي رَسُولَ اللَّهِ وَالثَّلَاثَةِ الْخُلَفَاءِ

لِلْإِمَامِ أَبِي الْبَرَّاجِ سُلَيْمَانَ بْنِ مُوسَى الْكَلْبَلَاغِيِّ الْأَنْدَلُسِيِّ

٥٦٥ — ٦٣٤ هـ

بتحقيق

الدكتور مصطفى عبد الواحد

ينشر لأول مرة على نسختي « طبعات » و « التيمورية »

الجزء الثاني

الناشر
مكتبة الخديوي بالقاهرة
ومكتبة الهلال ببيروت

١٣٨٩ هـ — ١٩٧٠ م

مطبعة السنة المجددية
١٧ في شريف باقا الكبير - مابدين
٩٠٦٠١٧

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

شروع رسول الله صلى الله عليه وسلم

في حرب المشركين ، وذكر مغازيه التي أعز الله بها الإيمان والمؤمنين

قال ابن إسحق : ثم إن رسول الله صلى الله عليه وسلم تهيأ لحربه فجا
أمره الله تبارك وتعالى به من جهاد عدوه وقتال من أمره الله بقتاله ^(١) يمين يليه
من مشركي العرب ^(٢) .

وخرج غازياً في صفر على رأس اثني عشر شهراً من مقدمه المدينة .

[غزوة ودان]

حتى بلغ ودان وهي غزوة الأبنواء ، يريد قريشاً وبنو ضمرة بن بكر
ابن عبد مناة بن إلهانة ، فوادعته فيها بنو ضمرة ، وكان الذي وادعه
[منهم] ^(٣) عليهم نخش بن عمرو الضمري ، وكان سيدهم في زمانه ذلك .
ثم رجع رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى المدينة ولم يبق كيداً ،
فأقام بها .

[سرية عبيدة بن الحارث]

وبعث في مقامه ذلك عبيدة بن الحارث بن عبد المطلب بن عبد مناف
ابن قصي في سبعين أو ثمانين راكباً من المهاجرين ، ليس فيهم من الأنصار أحد .
فسار حتى بلغ ماء الحجاز بأسفل ثنية المرأة ، فلقى بها جماعة عظماء من

(١) ابن هشام : به .

(٢) ابن هشام : من الكفرة ، مشركي العرب .

(٣) من ابن هشام .

قريش ، فلم يكن بينهم قتال ، إلا أن سعد بن أبي وقاص قد رُى يومئذٍ بسهم ، فكان أول سهم رُى به [في سبيل الله]^(١) في الإسلام .

وقال سعد في رَمِيته تلك فيما يذكرون :

أَلَا هَلْ أَنِي رَسُولَ اللَّهِ أَنِي حَتَيْتُ نَحَابَتِي بِصَدُورِ نَبِيٍّ
أَزْدُ بِهَا أَوَانَهُمْ ذِيَادًا بِكُلِّ حُزُونَةٍ وَبِكُلِّ سَهْلٍ
فَمَا يَمْتَدُّ رَأْيِي فِي عَدُوِّ بَسْتِهِمْ يَا رَسُولَ اللَّهِ قَبْلِي
فِي آيَاتِ ذِكْرِهَا ابْنُ إِسْحَقَ ، وَذَكَرَ ابْنُ هِشَامٍ أَنَّ أَكْثَرَ أَهْلِ الْعَالَمِ
يَفْكُرُهَا لِسَعْدٍ .

ثم انصرف القوم عن القوم والمسلمين حامية .
وفرَّ من المشركين إلى المسلمين المِقْدَادُ بْنُ عَمْرِو بْنِ الرَّحْمَنِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا ،
وَعُتْبَةُ بْنُ غَزْوَانَ وَكَانَا مُسْلِمِينَ وَلَكِنَّمَا خَرَجَا لِيَتَوَصَّلَا^(٢) .

ويقال إن أبا بكر الصديق رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ فِي غَزْوَةِ غُبَيْدَةَ هَذِهِ^(٣) :
أَمِنْ طَيْفٍ سَلَمَى بِالْبَطَاحِ الدَّمَائِثِ
أَرَفَتِ وَأَمْرٍ فِي الْعَشِيرَةِ حَادِثٍ
تَرَى مِنْ لُؤْيَى فِرْقَةً لَا يَصُدُّهَا
عَنِ الْكُفْرِ تَذَكِيرٌ وَلَا تَغْنُ بَاعِثٌ
رَسُولٌ أَنَامَ صَادِقٌ فَتَسْكُدُّوْا
عَلَيْهِ وَقَالُوا لَسْتَ فِيمَا بِمَاكَتِ

(١) ليست في ابن هشام .

(٢) ابن هشام : ليتوصلا بالكفار . أى اتخذوا خروجهما مع الكفار وسيلة للوصول
للمسلمين .

(٣) الدمائث : الرمال اللينة .

— ٥ —

إذا مَدْعُونَاهُمْ إِلَى الْخَلْقِ أَذْبَرُوا
وَهَرُوا هَرِيرَ الْمُخَجَّرَاتِ الْلاوَاهِ^(١)
فَكَمْ قَدْ مَنَعْنَا فِيهِمْ بِقِرَابَةٍ
وَتَرَكُ التُّتْقَى شَيْءٌ لَمْ غَيْرُ كَارِثِ^(٢)
فَإِنْ يَرْجِعُوا عَنْ كُفْرِهِمْ وَعَقُوبِهِمْ
فَإِذَا طَيِّبَاتِ الْحِلِّ مِثْلُ الْخَبَائِثِ
وَأَنْ يَرْكَبُوا طُغْيَانَهُمْ وَضَلَالَهُمْ
فَلَيْسَ هَذَا اللَّهُ عَمَّهُمْ يَلَايِثِ
وَنَحْنُ أَمْسٌ مِنْ ذُرَابٍ غَالِبِ
أَسَا الْعِرْ مِنْهَا فِي الْفُرُوعِ الْأَنْثَاثِ^(٣)
فَأُولَى رَبِّ الرَاقِصَاتِ عَشِيَّةً
حَرَّاجِبِ نَجْرِي فِي السَّرْبِجِ الرَّثَاثِ^(٤)
كَأَذَمِ طَيِّبَاءِ حَوْلِ مَكَّةَ عُنْكَفِ
بَرْدَنْ حِيَاضَ الْبُيْرِ ذَاتِ التَّبَسَاثِ^(٥)
أَنْ لَمْ يُفْقِعُوا عَاجِلًا مِنْ ضَلَالِهِمْ
وَاسْتُ إِذَا آلَيْتُ قَوْلًا بِمَاسِثِ

(١) الْمُخَجَّرَاتِ : الْخَبَابِ الَّتِي أُلْجِئَتْ إِلَى مَوَاضِعِهَا .

(٢) الْكَارِثُ : الْهَمُّ .

(٣) الْأَنْثَاثُ : الْهَيْئَةُ .

(٤) أُولَى : أَحَدٌ . وَالْحَرَّاجِبُ : الضَّوَالِ . السَّرْبِجُ : الْخَلْدُ . بَرْدَنْ : أَعْدَادُ الْإِبِلِ .

وَالرَّثَاثُ : الْهَيْئَةُ .

(٥) التَّبَسَاثُ : الْمَذَابُ يَمْرُجُ مِنَ الْبُيْرِ إِذَا تَفَيَّتْ .

لَتَقْبَلَنَّ مِنْهُمْ غَارَةً ذَاتُ مَصْدَقٍ
تَحْرِمُ أَطْهَارَ النِّسَاءِ الطَّوَامِثِ^(١)

وكانت راية عبيدة أول راية عقدها رسول الله صلى الله عليه وسلم
في الإسلام .

وبعض العلماء يزعم أنه بعثه حين أقبل من غزوة الأبواء قبل أن يصل
للمدينة ، وأنه بعث^(٢) في مقامه بالمدينة حمزة بن عبد المطلب إلى سيف البحر
من ناحية العيص في ثلاثين راكباً من المهاجرين ، فلقى أبا جهل بذلك
الساحل في ثلاثمائة راكب من أهل مكة ، فحجز بينهم بجدي بن عمرو الجهني ،
وكان مَوَادَعاً للفريقين .

فأنصرف بعض القوم عن بعض ، ولم يك بينهم قتال .

وبعض الناس يقول كانت راية حمزة أول راية عقدها رسول الله
صلى الله عليه وسلم لأحد من المسلمين ، وذلك أن بعثه وبعث عبيدة كالأ
معا ، فشبّه ذلك على الناس .

وقد زعموا أن حمزة قال في ذلك شعراً يذكر فيه أن رايته أول راية
عقدها رسول الله صلى الله عليه وسلم .

فإن كان حمزة قال ذلك فقد صدق إن شاء الله ، لم يكن يقول إلا حقاً
فالله أعلم أي ذلك كان .

وأما ما سمعنا من أهل العلم عندنا : فعبيدة بن الحارث أول من عقده .

(١) أكملها ابن هشام وذكر لإحابة عبد الله بن الزبير يشرح .

(٢) ابن هشام : وبث في موافقة ذلك حمزة .

والشعرُ المنسوب لحزرة رضى الله عنه :
ألا يا أقوى للتحكم والجهد
وللنقص من رأي الرجال وللمعقل
وللرا كيدنا بالمظالم لم نطأ
لم حُرُماتٍ من سَوَامٍ ولا أهْلٍ^(١)
كأنّا تَبَلَنَامُ ولا تَبَلَّ عَفْدًا^(٢)
لم غيرُ أمرٍ بالمغافِ والمذل
وأمرٍ بإسلامٍ فلا يَقْبَلُونَهُ
ويَنزِلُ منهم مثلُ منزلةِ الهَزْلِ
فما بَرَحُوا حتى انتدبتُ لفارقة
لم حيث حلُّوا أبتغى راحة الفضل
بأمرِ رسولِ الله أولَ خافِي
عليه لو لم يكن لاحَ من قبيل
لونه لديه النصرُ من ذى كرامةٍ
إليه عزيزُ فعله أفضَلُ للفعل
عشيةً ساروا حاشدين وكُنُسا
مَرَّاجِلُهُ من غَيْلِ أصحابِهِ تَغْلِي
فلَمَّا تَرَّاعَيْنَا أَنَاخُوا فَمَقَلُوا
مطايا وعَمَانَا مَدَى عَرْضِ الثُّبُلِ

(١) السوام : الإبل الرابعة .

(٢) تَبَلَنَامُ : دعينا ، فقولهم أو عاتبنام . والتبيل : العداوة .

فقلنا لم جيلُ الإله نصيرُنا
وليس لكم إلا الضلالة من حبل
فتار أبو جهل هناك باغيًا
نخاب وردُّ الله كيدَ أبي جهل
وما نحن إلا في ثلاثين راكبا
وهم مثنان بعد واحدة فنزل
فيالِ لؤمى لا تعلّموا غوانكم
وفيثوا إلى الإسلام والتسليم
فإني أخاف أن يُصبَّ عليكم
عذابٌ فتدعوا بالندامة والنكال

[غزوة بواط]

ثم غزا رسولُ الله صلى الله عليه وسلم في ربيع الأول بريد قريشاً حتى
بلغ بواط من ناحية رضى ، ثم رجع إلى المدينة ولم يبق كيداً .

[غزوة المشيرة]

ثم غزاهم فسلك على نقب بنى دينار ثم على فيفاء الحبار فنزل تحت شجرة
يطلقها ابن أزمهر ، يقال لها ذات الساق ، فعلى عندها ، فثم مسجد رسول الله
عليه وسلم ، وصنع له عندها طعام فأكل منه وأكل الناس معه ، فوضع أنى
للبرمة معلوم هناك ، واستقى له من ماء يقال له المُشْتَرِب .

ثم ارتحل حتى هبط بئيل ، ثم سلك فرش مائل حتى أتى الطريق بصنابير
الحيام ، ثم اعتدل به الطريق حتى نزل المشيرة من بطن ينبع ، فطام بها
جهدى الأولى وإيالى من جهادى الآخرة . وودع فيها بنى مذاهج وحلفاءهم من
بنى ضرة ثم رجع إلى المدينة ولم يبق كيداً .

وبعث سرية فيما بين ذلك من غزوة سعد بن أبي وقاص في ثمانية رهط
من المهاجرين ، فبلغ الخرار من أرض الحجاز ثم رجع ولم يبق كيداً .
[غزوة بدر الأولى]

ولم يُقم رسول الله صلى الله عليه وسلم بالمدينة حين قدم من غزوة العشرة
إلا ليالي قلائل لا تبلغ العشر ، حتى أغار كُرُز بن جابر الفهري على سرح^(١)
المدينة .

نفج صلى الله عليه وسلم في طلبه حتى بلغ وادياً يقال له سَئوان من
ناحية بدر ، وفاته كُرُز فلم يدركه .
وهي غزوة بدر الأولى .
ثم رجع إلى المدينة .

وبعث عبد الله بن جحش بن رثاب الأسدي في رجب مقفلة من تلك
الغزاة . وبعث معه ثمانية رهط من المهاجرين ، وهم : أبو حذيفة بن عتبة ،
وسعد بن أبي وقاص ، وعُتْكاشة بن مِخَصَن ، وعُتْبَةُ بن غَزْوان ، وعامر بن
ربيعة ، وواقد بن عبد الله التيمي ، وخالد بن البكير ، وسهيل بن بيضاء .
وكتب له كتاباً وأمره أن لا يظفر فيه حتى يسير يومين ثم يظفر فيه فيمضي لما
أمره به ، ولا يستكره من أصحابه أحداً .

فلما سار عبد الله يومين فتح السكتاب فإذا فيه : « إذا نظرت في كتابي
هذا فامض حتى تنزل نخلة بين مكة والطائف ، فترصد بها قريشاً وتعلم لها
من أحبارهم »

فقل عبد الله : سمعاً وطاعة . ثم قال لأصحابه : قد أمرني رسول الله صلى
الله عليه وسلم أن أمضي إلى نخلة أرصد فيها قريشاً حتى آتية منهم بخبر ، وقد

نهاني أن أستكره أحداً منكم ، فمن كان منكم يريد الشهادة ويرغب فيها ، فليطلق ، ومن كره ذلك فليرجع ، فأما أنا فإني لأمر رسول الله صلى الله عليه وسلم .

فمضى ومضى معه أصحابه ، لم يتخلف عنه منهم أحد ، وسلك هلى الحجاز حتى إذا كان بمكان فوق الفرع يقال له بجران أضل سعد بن أبي وقاص وعتبة بن غزوان بعيراً لهما كانا يعتقانه ، فتخلعا في طلبه .

ومضى عبد الله في بقية أصحابه^(١) حتى نزل بطنخة ، فمرت به عير قريش تحمل زبيبا ، وأدما ، وتجارة من تجارة قريش ، فيها عمرو بن الحضرمي وعثمان بن عبد الله بن النخيلة الخزومي وأخوه نوفل ، والحكم بن كيسان ، فلما رأهم القوم هابوهم وقالوا : عمار لا بأس عليكم منهم ، وتشاور القوم فيهم وذلك في آخر يوم من رجب . فقالوا : والله إن تركتموهم هذه الليلة ليدخلن الحرم فليقتلن منكم به ، ولئن قتلتموهم لانتقلنهم في الشهر الحرام .

فتردد القوم وهابوا ثم شجعوا أنفسهم وأجمعوا قتل من قدروا عليه منهم ، وأخذ ما معهم .

فرمى واقد بن عبد الله عمرو بن الحضرمي بسهم فقتله ، واستأمر عثمان بن عبد الله ، والحكم ، وأفلت القوم نوفل فأنجزهم . وأقبل عبد الله بن جحش وأصحابه بالعير والأسيرين حتى قدموا على رسول الله صلى الله عليه وسلم المدينة .

وعزل عبد الله بن جحش لرسول الله صلى الله عليه وسلم الخمس تلك الغنيمة وقسم سائرهما بين أصحابه ، وذلك قبل أن يفرض الله الخمس من الغنائم

(١) ابن هشام وبقية : أصحابه .

فلما أحلَّ الله الفداء بعد ذلك وأمر بقسمه وفرض الخُلس فيه ، وقع على ما كان
عبدُ الله صدمع في تلك العير .

فلما قدموا على رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : ما أمرتكم بقتال في
الشهر الحرام . فوقف العير والأسيرين وأبى أن يأخذ من ذلك شيئاً .

فلما قال ذلك رسول الله صلى الله عليه وسلم سُقطَ في أيدي القوم وظنوا
أنهم قد هلكوا ، وعنههم إخوانهم من المسلمين فيما صنعوا ، وقالت قريش :
قد استحلَّ محمدٌ ، وأسماءه الشهر الحرام ، وسفكوا فيه الدم وأخذوا فيه
الأموال ، وأسرُوا فيه الرجال !

فقال من يرُدُّ عليهم من المسلمين ممن كان بمكة : إنما أصابوا ما أصابوا
في شعبان . وقالت يهود ، تفاؤُّ بذلك على رسول الله صلى الله عليه وسلم :
عمرو بن الحضرمي قتله واقد بن عبد الله : عمرو : عميت الحرب ، والحضرمي
حضرت الحرب ، وواقد بن عبد الله : وقدت الحرب . فجعل الله تبارك وتعالى
ذلك عليهم لالهم .

فلما ذكر الناس في ذلك ، أنزل الله على رسوله : « يا أيُّها الذين آمنوا
الحرام قتال فيه . قل : قتال فيه كبير وصدَّ عن سبيل الله وكُفِّر به ،
والمسجد الحرام وإخراج أهله منه أكبرُ عند الله ^(١) » .

أي إن كنتم قتلتُم في الشهر الحرام فقد صدوكم عن سبيل الله مع الكافر
به ، وعن المسجد الحرام ، وإخراجكم منه وأنتم أهله أكبرُ عند الله من قتل
من قتلتُم منهم ، والقتل أكبر من القتل ، أي قد كانوا يفتنون المسلم في دينه
حتى يردَّوه إلى الكفر بعد إيمانه ، فذلك أكبرُ عند الله من القتل .

فلما نزل القرآن بهذا من الأمر وفرّج الله عن المسلمين ما كانوا فيه من الشَّقِّ ، قبض رسول الله صلى الله عليه وسلم العير والأسيرين ، وبعثت قريش في قداشهما ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم « لا ، حتى يقدم صاحبانا ، بنى سعد بن أبي وقاص وعتبة بن غزوان ، فإننا نخشاكم عليهما ، فإن تقتلوهما ، فإننا نقتل صاحبكم » . فقدم سعد وعتبة ، فأفدى الأسيرين عند ذلك منهم .

فأما الحكم فأسلم فحسن إسلامه ، وأقام عند رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى استشهد يوم بدر معونة ، وأما عثمان فالتحق بمكة فأتى بها كافراً .

فلما تجلّى عن عبد الله بن جحش وأصحابه ما كانوا فيه حين نزل القرآن طمعوا في الأجر ، فقالوا : يا رسول الله أنطمع أن تكون لنا غزوة نعلم فيها أجر المجاهدين ؟ فأنزل الله تبارك وتعالى فيهم : « إن الذين آمنوا ولدين هاجروا وجاهدوا في سبيل الله أولئك يرجون رحمة الله ، والله سفور رحيم ^(١) » فوضعهم الله من ذلك على أعظم الرجاء .

وقال أبو بكر الصديق رضي الله عنه في تلك الغزوة أحياناً ، ويقول بل عبد الله بن جحش ، قالما حين قالت قريش : أحلّ محمد وأصحابه للشهر الحرام ، فسفكوا فيه الدم وأخذوا المال وأسروا الرجال :

تعدّون قتيلاً في الحرام عظيمة

وأعظم منه لو برى الرشد أرشد

صدودكم عما يقول محمد

وكفر به والله راء وشاهد

— ١٣ —

وإخراجكم من مسجد الله أهله
أشلاء يرى في البيتِ لله ساجدُ
فإننا وإن عيرتونا بقتله
وأرجفَ بالإسلام باغٍ وحاسدُ
سَقَيْنَا من ابن الحضرمي رماحنا
بدخلة لما أوقد الحربَ واقسدُ
دماً وابنُ عبد الله عثمان يندنا
بنازعه غُلٌّ من القيد عائدُ

غزوة بدر الكبرى

قال ابن إسحق : ثم إن رسول الله صلى الله عليه وسلم سمع بأبي سفيان ابن حرب مُقبلاً من الشام في غير اقريش عظيمة .

فدبّ المسلمين إليهم وقال : هذه غير قريش ، فيها أموالهم ، فاخرجوا إليها لعل الله يُنفلكمها^(١) .

فانتدب الناس خفت بعضهم وثقل بعضهم ، وذلك أنهم لم يظنوا أن رسول الله صلى الله عليه وسلم يلتقى حرباً .

وكان أبو سفيان حين دنا من الحجاز يتجسس^(٢) الأخبار ، ويسأل من لقي من الرُكبان ، تخوّفاً ، حتى أصاب من بعضهم خبراً باستنفار^(٣) رسول الله صلى الله عليه وسلم له ولعيره ، فحذّر عند ذلك ، واستأجر ضمضم بن عمرو الغفاري ، فبعثه إلى مكة ليخبر قريشاً بذلك ، ويستنفرهم إلى أموالهم . فخرج ضمضم سريماً .

[رؤيا عاتكة]

وكانت عاتكة بنت عبد المطلب قد رأت قبل قدوم ضمضم مكة بثلاث رؤيا أفزعنها ، فقالت لأخيها العباس : يا أخى لقد رأيت الليلة رؤيا لقد أفظمتني^(٤) وتخوّفتُ أن يدخل على قومك منها شر ومصيبة ، فآكنتم عني ما أحدثك .

(١) ينفلكمها : يهبها غنيمة لكم .

(٢) ابن هشام : يتجسس .

(٣) ابن هشام : أن عمداً قد استنفر أصحابه .

(٤) أفظمتني : اشتدت علي .

فقال لما : وما رأيت ؟

قالت : رأيت راكباً أقبل على بعير له حتى وقف بالأبطح ثم صرخ بأعلى صوته : ألا انفروا يا أَقْدَرُ^(١) لمصارعكم في ثلاث . فأرى الناس اجتمعوا إليه ، ثم دخل المسجد والناس يتبعونه ، فبقيدهم حوله ، مثل به بعيره على ظهر السكبية ، ثم صرخ بمثلها ، ألا انفروا يا أَقْدَرُ إلى مصارعكم في ثلاث ، ثم مثل به بعيره على رأس أبي قبيس فصرخ بمثلها ، ثم أخذ صخرة فأرسلها فأقبات تهوى ، حتى إذا كانت بأسفل الجبل ارفضت فما بقي بيت من بيوت مكة ولا دار إلا دحلتها منها فاقعة .

قال العباس : والله إن هذه لرؤيا ، وأنت فانتقمها ولا تأخذ كريها لأحد . ثم خرج العباس فاقى الوليد بن عتبة بن ربيعة ، وكان له صديقاً ، فذكرها له واستكتمه إياها ، فذكرها الوليد لأبيه عتبة .

ففسح الحديث^(٢) حتى تحدثت به قريش^(٣) .

قال العباس : فمعدت لأطراف بانيات وأبر جهل في رهط من قريش فمؤد يتحدثون رؤيا عائكة .

فلما رآني قال : يا أبا الفضل إذا فرغت من طوافك فأقبل إلينا .

فلما فرغت أقبات حتى جاست مهمم ، فقال لي أبو جهل : يا بني عبد المطلب متى حدثت فيكم هذه النبئية^(٤) ؟ قلت وما ذلك ؟ قال : الرؤيا التي رأت عائكة فقلت : وما رأت ؟

(١) إذا بالأسفل والعلوي وغدر : غادر ووالجهم : ما آل بدر . وقد قال السهيلي : هو ضم الفين والدال ، مع غدر . وذلك تحريصاً لهم ، أي إن يغفروا فأتهم بدر افوقكم .

(٢) ابن هشام : وهذا الحديث عفا .

(٣) زاد ابن هشام : في أميتها .

(٤) ابن هشام والطبري : النبئية .

قال : يا بني عبد المطلب ، أما رضيتم أن يقبأ رجالكم حتى نقبأ أسامكم ؟
قد زعمت عائكة في رؤياها أنه قال : انفروا في ثلاث . فاستقر بينكم هذه
الثلاث ، فإن بك حقاً ما تقول فسيكون ، وإن تمض ولم يكن من ذلك شيء
فكذب عليكم كتاباً أنكم أكذب أهل بيت في العرب .
قال العباس : فو الله ما كان مني إليه كبير ، إلا أني جعدهت ذلك
وأنكرت أن تكون رأيت شيئاً ، ثم تفرقنا .

فلما أمسيت لم تبق امرأة من بني عبد المطلب إلا أتتني ، فقالت : أفر نرى
لهذا الفاسق الخبيث أن يقع في رجالكم ، ثم قد تناول النساء وأنت تسمع ،
ثم لم يكن عندك غيرة لشيء مما سمعت ؟ فقلت : قد والله فمات ،
وما كان مني إليه من كبير ، وإيم الله لأتعرضن له فإن عاد لأكفيتهن كفته^(١) .
قال : فغدوت في اليوم الثالث من رؤيا عائكة وأنا حديد مضرب ،
أرى أنه قد فانتني امرأ أحب أن أدركه منه ، فدخلت المسجد فابته ، وكان
رجلاً خفيفاً حديد الوجه حديد اللسان حديد النظر ، فو الله إنني لأعشى نحوه
أترضه ليعود لبعض ما قال ، فأقنع به ، إذ خرج نحو باب المسجد بشد ،
فقلت في نفسي : ماله ، لعنه الله ؟ أكل هذا قرصاً^(٢) مني أن أشاتمته ؟ وإذا هو
قد سمع ما لم أسمع ، صوت ضمضم بن عمرو الغماري^(٣) وهو يعرش بطن
الوادي واقفاً على بعبره قد جدعه وحول رجليه وشق قميصه وهو يقول :
يا معشر قريش ، اللطيمة اللطيمة ، أموالكم مع أبي سفيان قد عرض لها محمد
في أصحابه ، لا أرى أن تدركوها ، للفوت الفوت .

قال : فشغلني عنه ، وشغله عني ما جاء من الأمر .

(١) ابن هشام : فرق . (٢) الطبري : لا كفيتهن كفه .

(٣) من ابن هشام والطبري .

[خروج قريش]

فَتَجَهَّزَ النَّاسُ سِرَاعًا وَقَالُوا : أَبْطَلَنَ مُحَمَّدٌ وَأَصْحَابَهُ أَنْ تَسْكُونَ كَعِيرِ ابْنِ لَهْزَرَى ؟ إِنْ أَلَّا وَاللَّهِ إِيْمَلَنَ عَيْدَ ذَلِكَ .

فَسَكَنُوا بَيْنَ جَابِنَ ، إِمَّا خَارِجٌ وَإِمَّا بَاعِثٌ مَكَانَهُ رَجُلًا وَأَوْعَيْتَ^(١) قَرِيْشٌ فَلَمْ يَتَخَذَفْ مِنْ أَشْرَافِهَا أَحَدٌ ، إِلَّا أَنْ أَبَا لَهْبٍ تَخَلَّفَ بِمِثْلِ مَكَانِهِ لِلْعَاسِمِيِّ بْنِ هِشَامِ بْنِ الْغَفِيرَةِ ، وَكَانَتْ عَلَيْهِ لِأَبِي لَهْبٍ أَرْبَعَةُ آلَافٍ دِرْهَمٍ ، فَاسْتَأْجَرَهُ بِهَا عَلَى أَنْ يُجْزِيَ عَنْهُ بَعَثُهُ .

وَأَجْمَعَ أَمِيَّةُ بْنُ حَافِظِ الْقَعْوَدِ وَكَانَ شَيْئًا جَمِيلًا جَسَدًا ثَقِيلًا ، فَأَنَاهُ عَقِيْبَةُ ابْنِ أَبِي مُعَيْطٍ وَهُوَ جَالِسٌ فِي الْمَسْجِدِ بَيْنَ ظَهْرَى^(٢) قَوْمِهِ بِجَعْمَرَةٍ فِيهَا مَارُ وَنَجْمٌ^(٣) حَتَّى وَضَعَهَا بَيْنَ يَدَيْهِ ، ثُمَّ قَالَ : يَا أَبَا عَلِيٍّ اسْتَجْمِرْ فَإِنَّمَا أَنْتَ مِنَ النِّسَاءِ فَقَالَ : فَيُحْكَمُ اللَّهُ وَفَيُجِيعُ مَا جُمِعَتْ لَهُ . ثُمَّ تَجَهَّزَ وَخَرَجَ مَعَ النَّاسِ .

وَمَا فَرَّغُوا مِنْ جِهَازِهِمْ وَأَجْمَعُوا السَّيْرَ ذُرُوعًا خَرِبًا أَتَانَتْ بَيْنَهُمْ وَبَيْنَ بَنِي بَكْرِ بْنِ عَبْدِ مَنَافَةَ بْنِ كُفَّانَةَ ، وَقَالُوا : إِنَّمَا نَخْشَى أَنْ يَأْتُونَنَا مِنْ خَلْقِنَا ، فَكَادَ ذَلِكَ يَنْقِذَهُمْ ، فَتَبَدَّى لَهُمْ إِبْلِيسُ فِي صُورَةِ سُرَّاقَةٍ بَنَ جَعْمَرَةَ الْمَذَلِجِيَّ ، وَأَنَّ مِنْ أَشْرَافِ بَنِي كُفَّانَةَ ، فَقَالَ : أَنَا لَكُمْ جَارٌ مِنْ أَنْ تَأْتِيَكُمْ كُفَّانَةُ مِنْ خَلْفِكُمْ بِشَيْءٍ تَسْكُرُ هَوْنَهُ .

فَخَرَجُوا سِرَاعًا .

[خروج الرسول والمسلمين]

وَخَرَجَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فِي أَيْلٍ مَضَتْ مِنْ شَهْرِ رَمَضَانَ

(١) أَوْعَيْتَ : ابْتَعَيْتَ .

(٢) ابْنُ هِشَامٍ : ظَهْرَانِي قَوْمِهِ .

(٣) الْمَجْمَرُ : الْبُودُ .

في أصحابه ، ودفع اللواء إلى مُصَنَّب بن عمير بن هاشم بن عبد مناف بن عبد الدار ، وكان أبيض ، وكان أمام رسول الله صلى الله عليه وسلم رايتان سوداوان ، إحداهما مع علي بن أبي طالب رضى الله عنه ، والأخرى مع بعض الأنصار ، وجعل على الساقة قيس بن أبي صَاصمة أخا بني مازن بن النجار ، وكانت راية الأنصار مع سعد بن معاذ فيما قال ابن هشام .

فسلك رسول الله صلى الله عليه وسلم طريقه من المدينة إلى مكة حتى إذا كان قريباً من الصفراء بعث بِسَبْسَ بن عمرو^(١) ، وَعَدِي بن أبي الزغباء الجُهَنِيِّين إلى بدر بهجستان له الأخبار عن أبي سفيان وغيره .

ففضيا حتى نزلا بدرأ ، فأناخا إلى تلّ قريب من الماء فسمعا جاريّتين من جوارى الحاضر تتلازمان على الماء ، والمزومة تقول لصاحبتها : إنما تردّ العيرُ غداً أو بعده فأعمل لهم ثم أفضيك . فقال مجدي بن عمرو ، وكان على الماء : صدقت ، ثم خلص بينهما .

فلما سمع بذلك عدِي وبَسْبَس ، انطلقا حتى أتيا رسول الله صلى الله عليه وسلم فأخبراه .

ثم تقدم أبو سفيان العير حذراً حتى ورد الماء ، فقال لجدي : هل أحسست أحداً ؟ قال : لا ، إلا أني قد رايت راكبين أناخا إلى هذا التلّ ، ثم استقيما في شئ لهما ، ثم انطلقا .

فأتى أبو سفيان مفاخهما ، فأخذ من أبعار بعيريهما فقهقه وإذ فيه التؤوى ، فقال : هذه والله علائف يثرب ! فأسرع إلى أصحابه فحسب وجهه هيرة عن الطريق فساحل بها ، وترك بدرأ يساره .

(١) هو بسبس بن عمرو بن ثعلبة بن خرشة بن عمرو بن سعد بن دبيان .

[الرسول يستشير أصحابه]

ثم ارتحل رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى أتى وادياً يقال له « ذِفْران » فجزع^(١) فيه ، ثم نزل .

وأناه الخبير عن قريش بمسيرهم ليمعوا عيرهم ، فأخبر الناس واستشارهم .

فقام أبو بكر الصديق فقال وأحسن ، ثم قام عمر بن الخطاب فقال وأحسن ، ثم قام اليعقوب بن عمر . وقال : يا رسول الله امض لما أراك الله فنعن معك ، والله لا نقول لك كما قالت بنو إسرائيل لموسى عليه السلام : « اذهب أنت وربك فقاتل إنا ههنا خاعدون » واسكن اذهب أنت وربك فقاتل إنا ههنا خاعدون ، فوالذي بعثك بالحق لو سرت بنا إلى بَرْكِ النِّمَادِ^(٢) لجألدنا معك من دونه حتى نبلغه . فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم خيراً ودعنا له ، ثم قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : أشيروا علي أيها الناس . وإنما يريد الأنصار ، وذلك أنهم عدد للناس ، وأنهم حين يأتعوه بالبيعة قالوا : يا رسول الله إنا برآء من ذمامك حتى تهمل إلى ديارنا ، فإذا وصلت إلينا فأنت في ذمتنا ، نمنعك مما تمنع منه أبناءنا ونساءنا . فسكان رسول الله صلى الله عليه وسلم يتخوف ألا تكون الأنصار ترى عليها نصره إلا بمن دهمه بالمدينة من عدوه ، وأن ليس عليهم أن يسير بهم من بلادهم إلى عدو^(٣) ، فلما قال ذلك رسول الله صلى الله عليه وسلم قال له سعيدين معاذ : والله لكأنك تريدنا يا رسول الله ؟ قال : أجل ، قال : فقد آمنا بك وصدقك ؛ وشهدنا أن ما جئت به هو الحق ، وأعطيناك على ذلك عهدنا ومواثيقنا على السمع والطاعة ، فامض يا رسول الله لما أردت فنعن معك ، فوالذي بعثك بالحق

(١) جزع الراحى : اطمه .

(٢) برك النجاد : أقصى موضع بناحية اليمن .

(٣) ابن هشام : يسير بهم إلى عدو من بلادهم . وما هنا أوضح .

لو استعرجت بنا هذا البحر فغضمته تلصقناه معك، ما يتخاف^(١) منا رجل واحد، وما نكره أن تلقى بنا عدونا غداً إنا أصبر في الحرب صدق عند الله، لعل الله يربك منا ما تقر به عينك، فسير بنا على بركة الله.

فسر رسول الله صلى الله عليه وسلم بقول سعد وشطه ذلك، ثم قال: سيروا وأبشروا فإن الله تبارك وتعالى قد وعدني إحدى الطائفتين، والله لكأني الآن أنظر إلى مصارع القوم.

ثم ارتحل رسول الله صلى الله عليه وسلم من «ذفران» حتى نزل قريباً من بذرفرك هو ورجل من أصحابه، قيل هو أبو بكر الصديق، حتى وقف على شيخ من العرب فسأله عن قريش، وعن محمد وأصحابه، وما بأمة عنهم، فقال الشيخ: لا أخبرك حتى تخبرني عن أمتنا؟ فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم: إذا أخبرتنا أخبرناك. قال أو ذلك بك، قال: نعم، قال الشيخ: فإنه بأخفى أن محمداً وأصحابه خرجوا يوم كذا وكذا، فإن كان صدق لدى أخبرني فهم اليوم بمكان كذا وكذا، المكان الذي به رسول الله صلى الله عليه وسلم، وبلغني أن قريشاً خرجوا يوم كذا وكذا، فإن صدق لدى أخبرني فهم اليوم بمكان كذا وكذا، المكان الذي به قريش. فلما فرغ من حديثه، قال: من أمتنا؟ فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم نحن من ماء. ثم انصرف عنه رسول الله صلى الله عليه وسلم.

قال: يقول الشيخ: ما من ماء آمن ماء العراق؟

ثم رجع رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى أصحابه، فلما أتمى بيت علي بن أبي طالب والزبير بن العوام، وسعد بن أبي وقاص، وفر من أصحابه إلى ماء بدر، يلتمسون الخبر له عليه، فأصابوا رواية^(٢) أقرش فيها علامة إبهامهم، فأتوا

(١) ابن هشام: ما تخلف.

(٢) الراوية: البعير ونحوه يستق عليه.

بهما فسألوهما ، ورسول الله صلى الله عليه وسلم قائم يصلي ، فقالا : نحن سقاء
قريش بعثونا نلقيهم من الماء ، فسكره القوم خبرهما ، ورجوا أن يكونا لأبي
سفیان ، فضر بهما ، فلما أذاقوهما^(١) قالا : نحن لأبي سفیان . فتركوهما .

ورآهم رسول الله صلى الله عليه وسلم وسجد سجدتيه ، ثم سلم وقال :
إذا صدقاكم خبريتهم ، وإذا كذباكم تركتهم . إذا صدقا والله إنهما
أقريش ، أخبراني عن قريش . فقالا : هم وراء هذا الكعيب الذي ترى .
قال : كم القوم ؟ قال : كثير . قال : ما عدتهم ؟ قال : ما عدري . قال :
كم ينقضون كل يوم ؟ قال : يوماً تسماً ويوماً عشراً . قال رسول الله صلى الله
عليه وسلم : القوم ما بين التسمئة والآلاف .

ثم قال لهما : من فيهم من أشرف قريش ؟ قال : عتبة بن ربيعة ،
وشيبة بن ربيعة ، وأبو الهيثم بن هشام ، وحكيم بن جرام ، ونوفل بن
خويلد ، والحارث بن عامر ، وطهميمة بن عدي ، والنضر بن الحارث ، وزمنة
ابن الأسود ، وأبو جهل بن هشام ، وأمية بن خلف ، وبيبه ومثبه
ابدا الحجاج ، وشميل بن عمرو ، وعمر بن عبدود .

فقبل رسول الله صلى الله عليه وسلم على الناس فقال : هذه مكة قد ألقت
إليكم أفلاذ أبدها .

وأقبلت قريش ، فلما نزلوا الجحفة رأى جهم بن الصلت بن نخرمة
ابن المطاب بن عبد مناف رؤيا ، فقال : إني أرى فيما يرى النائم ، وإني أبين
النائم واليقظان ، إذ نظرت إلى رجل أقبل على فرس حتى وقف ومعه بعير له ،
ثم قل : قتل عتبة بن ربيعة وشيبة بن ربيعة ، وأبو الهيثم بن هشام ،

(١) أذاقوهما : أوجعوهما .

وأمية بن خلف وفلان وفلان ، فعدّد رجالاً ممن قُتل يوم بدرٍ من أشرف قريش ، ثم رأيتُه ضرب في لَبّةٍ بعيره ثم أرسله في العسكر فما بقي خباء من أخبية العسكر إلا أصابه نَضْحٌ من دمه .

فبلغت أبا جهل فقال : وهذا أيضاً نبي آخر من بني عبد المطلب ! سيء لم غداً من القتل إن نحن التقينا .

[الذين تخلفوا من قريش]

قال : ولما رأى أبو سفيان أنه قد أحرز عيره أرسل إلى قريش : إنكم خرجتم لتمدوا عيكم ورجالكم وأموالكم فقد نجاها الله ، فارجموا .

قال أبو جهل : والله لا نرجع حتى نردّ بدرًا ، وكان موسماً للعرب لهم به سوق كل عام ، فقيم عليه ثلاثاً ، فتنجر الجزر ، ونطعم الطعام ، ونسقى الخمر ، وتعزف علينا القيان ونسمع بدا العرب وبمسيرنا وجمعنا ، فلا يزالون يهابوننا أبداً بعدها ، فامضوا .

وقال الأخنس بن شريق الثقفي : يا بني زُهرة ، وكان حليفاً لهم : قد نجى الله أموالكم وخاصّسكم أصحابكم تخزّمة بن نوفل ، وإنما نفرّمهم لنهموه وماله ، فاجعلوا بي جُبْنَهَا وارجموها ، فإنه لا حاجة لكم بأن تخرجوا في غير ضئيمة ، لا ما يقول هذا .

فرجموا فلم يشهدوا زُهريّاً واحداً ، أطاعوه وكان فيهم مطاعاً .

ولم يكن بقي من قريش بطن إلا وقد نفرّمهم ناس إلا بدو عدي بن كعب ، لم يخرج منهم رجل واحد ، فرجعت بدو زهرة مع الأخنس ، فلم يشهد بدرًا من هذين القبيلتين أحد .

وكان بين طالب بن أبي طالب وكان في القوم ، وبين بعض قريش

مخاورة ، فقالوا : والله لقد عرفنا يا بنى هاشم وإن خرجتم معنا أن هَوَاكم لمع محمد . فرجع طالب إلى مكة مع من رجع وقال :

لَا هُمْ إِلَّا يَفْزُونَ طالب في عُصْبَةٍ مَخَالِفًا مُحَارِبًا
في مَقْعَدٍ من هذه المقادير^(١) فليكن المطلوب غير الطالب^(٢)

وليكن المغلوب غير الغالب

ومضت قريش حتى نزلوا بالأمدة القصوى من الوادي خلف الدقة نقل
والقالب بيد في العدة الدنيا إلى المدينة .

وبعث الله عز وجل السماء ، وكان الوادي دَهْشًا ، فأصاب رسول الله
صلى الله عليه وسلم وأصحابه منها ما لبث لهم الأرض ولم ينفهم من السير ،
وأصاب قريشًا ما لم يقدروا أن يرتحلوا معه .

| نزول المسلمين بيد |

تفرج رسول الله صلى الله عليه وسلم يبادرهم إلى الماء ، حتى إذا جاءوا
أدنى ماء من بيد نزلوا به .

فذكروا أن الحباب بن المذير بن الجهم الأنصاري قال : يا رسول الله
أرايت هذا المنزل ، أُنزِلَ أنزلكه الله ليس لنا أن نتقدمه ولا نتأخر عنه ؟
أم هو الرأي والحرب والمكيدة ؟

فقال : بل هو الرأي والحرب والمكيدة . قال : يا رسول الله فإن هذا
ليس بمنزل ، فاسمع بنا حتى تأتي أدنى ماء من القوم فننزله ثم نغور
ما وراءه من القالب ثم نبني عليه حوضًا فندله ماءً ثم نقاتل القوم ، فنشرب
ولا يشربون .

(١) القالب : الخامة من الخيل .

(٢) ت : فليكن المطلوب غير الغالب .

فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : لقد أشرتَ بالرأى . فنهض رسول الله صلى الله عليه وسلم ومن معه من الناس ، فساروا حتى إذا أتى أدنى ماء إلى القوم نزل عليه ، ثم أمر بالقلب فغُورَت وبني حوضاً على القليب الذى نزل عليه فلى ماء ثم قذفوا فيه الآنية .

وقال سعد بن معاذ : يا نبي الله ألا نَبْنِي لك عريشاً تكون فيه ، وأعدُّ عندك ركائبك ، ثم نلقى عدونا ، فإن أعزنا الله وأظهرنا على عدونا ، كان ذلك ما أحببنا ، وإن كانت الأخرى جلست على ركائبك فاجعت بمن وراءنا من قوما ، فقد تخلف عنك أقوام يا نبي الله ما نحن أشدُّ حباً لك منهم ، ولم ظنوا أنك تلتقى حرباً ما تخلفوا عنك ، يهلكك الله عز وجل بهم يناسحونك ويجاهدون معك .

فأثنى عليه رسول الله صلى الله عليه وسلم خيراً ودعاه بخير ، ثم بنى لرسول الله صلى الله عليه وسلم عريش كان فيه .

[نزول قريش بيذر]

وارتملت قريش حين أصبحت فأقبلت ، فلما رآها رسول الله صلى الله عليه وسلم تعصّب من الكَيْبِيب الذى جاءوا منه ، قال : اللهم هذه قريش قد أقبلت بخيلائها ونفخها مُخَادَك وتكذّب رسولك ، اللهم فتعزّك الذى وسدنى اللهم أجنهم^(١) القداة .

وقد كان خُفَاف بن أَيْمَاء بن رَحْضَةَ الغِفَارِي أو أبوه يمشى إلى قريش حين مروا به أيناك له بمجزائر أهداها لهم ، وقال : إن أحببتم أن أمدكم بسلاح ورجال فعلنا . فأجابوه : أن وصلّتك رَحِيمٌ قد قضيت الذى عليك ، فلم يردى

(١) أجنهم : أهلكهم .

لئن كننا إنما نقاتل الناس ما بنا ضعف عنهم ، واثن كننا إنما نقاتل الله كما
يزعم محمد ما لأحد بالله من طاقة !

فلما نزل الناس أقبل نفر من قريش فيهم حَكِيم بن حزام حتى وردوا
حوض رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فقال : دَعُوهم . فسا شرب منه يومئذ
رجل إلا قتل ، إلا ما كان من حَكِيم بن حزام فإنه لم يقتل ، ثم أسلم بدمه
فحسن إسلامه ، وكان إذا اجتهد في بيته قال : لا ، والذي نتجاني من
يوم بدر .

ولما اطمان القوم بعثوا عُثَيْر بن وهب الجَمَحِي فقالوا : احزرو^(١) لنا
أصحاب محمد . فدار بفرسه حول المسكر ثم رجع إليهم ، فقال : ثلاثمائة رجل
يزيدون قليلا أو ينقصونه ، ولكن أمهلوني حتى أنظر القوم كين أو مدد ،
فضرب في الوادي حتى أبعد فلم ير شيئا ، فرجع إليهم فقال : ما رأيت شيئا ،
ولكن رأيت يا معشر قريش البلاء يا تحمل المايا ، نواضح يثرب تحمل الموت
النافع ، قوم ليس لهم متعة ولا ما جاء إلا سيوفهم ، والله ما أرى أن يقتل
رجل منهم حتى يقتل رجلا منكم ، فإذا أصابوا منكم أعدادهم فما خير العيش
بعد ذلك ، فزوارا رأيكم .

فلما سمع حَكِيم بن حزام ذلك مشى في الناس فأتى عُتَيْبَةَ بن ربيعة فقال :
يا أبا الوائد إنك كبير قريش وسيدها والطاع فيها ، هل لك إلى أن لا تزال
تذكر منها بخير إلى آخر الدهر ؟ فقال : وما ذلك يا حَكِيم ؟ قال : ترجع
بالناس ، ونعمل أمر حايك عمرو بن الحضرمي . قال : قد فمات ، أنت على
بذلك إنما هو حايقي فعلى عقله وما أصيب من ماله ، فأنت ابن الخنظالية ، يعني
أبا جهل ، فإني لا أخشى أن يشجر أمر الناس غيره .

(١) احزر : قهر .

ثم قام عتبة خطيباً فقال :

يا معشر قريش إنكم والله ما تصنعون بأن تلقوا محمداً وأصحابه شيئاً ، والله
لئن أصبتموه لا يزال الرجل ينظر في وجه رجل يكره النظر إليه ، قتل ابن عمه
أو ابن خاله أو رجلاً من عشيرته ، فارجعوا وخلوا بين محمد وبين سائر العرب ،
فإن أصابوه فذاك الذي أردتم ، وإن كان غير ذلك ألماكم ، ولم تهملوا
منه ما تريدون .

وقد كان رسول الله صلى الله عليه وسلم رأى عتبة في القوم على جمال له
أحمر فقال : إن بك عند أحد من القوم خير فمدد صاحب الجمل الأحمر ،
إن يطيعوه يرشدوا .

قال حكيم : فانطلقت حتى جئت أبا جهل فوجدته قد نزل^(١) دبراً له
من جرابها فهو يهينها^(٢) ، فقلت له : يا أبا الحكم إن عتبة أراي إنك إنك
وكذا ، للذي قال . فقال : انتفخ والله سخره^(٣) حين رأى محمداً وأصحابه ،
كلا والله لا ترجع حتى يحكم الله بيننا وبين محمد وما بؤتبه ما قبل ، والله قد
رأى أن محمداً وأصحابه أكله جزور وفيهم ابنة ، فقد نخوفكم عليه .

ثم بعث إلى عامر بن الحضرمي ، فقال : هذا حايك يريد أن يرحم
بالناس ، وقد رأيت نارك بعينك ، فقم فانشد خُفرك ، ومقتل أخيك .

فقام عامر بن الحضرمي فاكتشف ثم صرخ : وأعمراه ، وأعمراه !
فخيمت الحرب وخُقب^(٤) أمرُ الناس واستوتوا على ما هم عليه من الشر
وأفسد على الناس الرأي الذي دعاهم إليه عتبة .

(١) نزل : أخرج .

(٢) يهينها : يطليها .

(٣) السخر : الرقة ، وهو كناية عن الجلب .

(٤) خُقب : اشتد .

فلما بلغ عتبة قول أبي جهل : انتفخ والله سخره ، قال : سيلم مُصَفَّرٌ
استته من انتفخ سحره أنا أم هو ؟
ثم النمس عتبة بيضة ليدخلها في رأسه فما وجد في الجيش بيضة آسعه من
عظم هامته ، فلما رأى ذلك استعجر^(١) على رأسه ببرد له .

المبارزة |

وخرج الأسود بن عبد الأسد المخزومي وكان رجلاً شرساً سيئ الخلق
فقال : أعاهد الله لأشربن من حوضهم أو لأهدمته أو لأموتن دونه .
فخرج إليه حمزة بن عبد المطلب ففتربه فأطن^(٢) قدمه بدهف ساقه وهو
دون الحوض ، فوقع على ظهره تشخب^(٣) رجله دماً ، ثم حبا إلى الحوض حتى
اقتحم فيه يريد زعم أن تبرئ يديه ، وأنبمه حمزة ففتربه حتى قتله في الحوض .
ثم خرج بعده عتبة بن ربيعة بين أخيه شيبه وابنه الوليد بن عتبة حتى إذا
نصل^(٤) من الصف دعا إلى المبارزة ، فخرج إليه فتية من الأنصار ثلاثة وهم
عوف ومعوذ ابنا الحارث وأمهما عقراء ، وعبد الله بن رواحة^(٥) فقالوا : من
أنتم ؟ قالوا : رهط من الأنصار . قالوا : ما لنا بكم من حاجة ، ثم نادى
مفاديههم : يا محمد أخرج إلينا أكفأنا من قومنا . فقال رسول الله صلى الله
عليه وسلم : قم يا عبيدة بن الحارث ، وقم يا حمزة وقم يا علي . فلما قاموا ودنوا
منهم ، قالوا : من أنتم ، فقال عبيدة : عبيدة ، وقال حمزة : حمزة ، وقال
علي : علي . قالوا : أكفأنا كرام .

(١) اعتجر : نسيم .

(٢) أطن : أطار .

(٣) تشخب : تسيل .

(٤) نصل : خرج . وفي ابن هشام : فصل .

(٥) ابن هشام : ورجل آخر يقال : هو عبد الله بن رواحة .

فبارز عبيدة ، وكان أسن القوم ، عتبة ، وبارز حمزة شيبية ، وبارز
على الوليد .

فأما حمزة فلم يُمهل شيبية أن قتله . وأما على فلم يهل الوليد أن قتله ،
واختلف عبيدة وعتبة بينهما ضربتين كلاهما أثبت صاحبه ، وأر حمزة وعلى
بأسياقهما على عتبة فذققا^(١) عليه ، واحتملا صاحبهما فجازاه إلى أصحابه .

وذكر ابن عتبة ، أنه لما طلب القوم للبارزة فقام إليهم ثلاثة نفر من
الأنصار ، استحميا النبي صلى الله عليه وسلم من ذلك لأنه كان أول قتيل النبي
فيه للمسلمون والمشركون ورسول الله صلى الله عليه وسلم شاهد معهم ، فأحب
النبي صلى الله عليه وسلم أن تكون الشوكة بيني عمه ، فإدام أن أرجعوا
إلى مصافسكم ، وليقم إليهم بنو عمهم . فعند ذلك قام حمزة وعلى وعبيدة .

* * *

ثم تراخف الناس ودنا بعضهم من بعض ، وأمر رسول الله صلى الله
عليه وسلم أصحابه أن لا يجمعوا حتى يأمرهم ، وقال : إن اكتنفكم القوم
فانضحوم^(٢) عنكم بالنبل .

ورسول الله صلى الله عليه وسلم في العريش معه أبو بكر الصديق ، وكان
شعار أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم : أحد ، أحد .

وعدل رسول الله صلى الله عليه وسلم يومئذ الصفوف ، صفوف أصحابه
وفي يده قدح^(٣) يعدل به القوم ، فمر بسواد بن غزيرة حليف بني عدي
ابن النجار وهو مستفصل من الصف ، أى بارز ، فطعن في بطنه بالقدح

(١) ذققا : أجهزا .

(٢) انضحوم : ادفعهم .

(٣) القدح : السهم .

وقال : استأر يا سواد . فقال : يا رسول الله أوجعتني ، وقد بعثك الله بالحق والعدل فأقذني^(١) . فكشف رسول الله صلى الله عليه وسلم عن بطنه وقال : استأر ، فاعتقه فقتل بطنه ، فقال له : ما جئت على هذا يا سواد ؟ قال : يا رسول الله حصر ما ترى ، فأردت أن يكون آخر العهد بك أن يمس جلدى جلديك ، فدعا له بنير ، وقاله له .

ثم عدل رسول الله صلى الله عليه وسلم الصفوف ورجع إلى العريش ، فدخله ومعه أبو بكر ، ليس فيه غيره ، ورسول الله صلى الله عليه وسلم يناشد ربه ما وعده من النصر ويقول فيما يقول : اللهم إن تلك هذه المصيبة اليوم لا نميد . وأبو بكر يقول : يا نبي الله بعض ما شئت ربك فإن الله منجز لك ما وعدهك .

وحقق^(٢) رسول الله صلى الله عليه وسلم حقيقة وهو في العريش ، ثم انقبه فقال : أبشر يا أبا بكر أنك نصر الله ! هذا جبريل أحد بعثان فرسه يقوده على ثناباه النقع . يريد الغبار .

ورمى منهجج مولى عمر بن الخطاب بهم فقتله^(٣) ، فكان أول قتيل من المسلمين .

ثم رمى حارثة بن سراقة ، أحد بني عدى بن النجار ، وهو يشرب من الخوض بهم فأصاب محره فقتله .

ثم خرج رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى الناس فخرهم ، ثم قال : والذي نفس محمد بيده لا يقاتلهم اليوم رجل فيقتل صابراً محسباً مقبلاً غير مذبر إلا أدخله الله الجنة .

(١) أقذنى : أفتس ل .

(٢) ابن هشام : وقد خوى .

(٣) ابن هشام : قتل .

فقال عُمر بن الخطاب ، أخو بنى سُلَمة وفي يده تمرات يأكلهن : أَخْرِجْ أَوْ
أَفَايِنِي وَبَيْنَ أَنْ أُدْخَلَ الْجَنَّةَ إِلَّا أَنْ يَقْتُلُونِي هَؤُلَاءِ ! ثُمَّ قَذَفَ التَّمَرَاتِ مِنْ
يَدِهِ وَأَخَذَ سَيْفَهُ فَقَاتَلَ حَتَّى قُتِلَ .

وقال بومئذ عوف بن الحارث وهو ابن عَمْرٍاء : يَا رَسُولَ اللَّهِ مَا يُضْحِكُكَ
الرَّبُّ مِنْ عَبْدِهِ ؟ فَقَالَ غَمَسَ يَدَهُ فِي الْعَدُوِّ حَاسِرًا أَفَنَزَعَ دَرْعًا كَانَتْ عَلَيْهِ
فَقَذَفَهَا ثُمَّ أَخَذَ سَيْفَهُ فَقَاتَلَ الْقَوْمَ حَتَّى قُتِلَ .

وقَاتَلَ عُكَّاشَةُ بْنُ مِحْصَنٍ الْأَسَدِيُّ حَالِيفَ بَنِي عَبْدِ شَمْسٍ يَوْمَ بَدْرٍ
بِسَيْفِهِ حَتَّى انْقَطَعَ فِي يَدِهِ ، فَأَنَّى رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَأَعْطَاهُ جِذْلًا
مِنْ حَطَبٍ ، فَقَالَ : قَاتِلْ بِهَذَا يَا عُكَّاشَةُ فَلَمَّا أَخَذَهُ هَزَّهُ فَعَادَ فِي يَدِهِ سَيْفًا
طَوِيلَ الْقَامَةِ شَدِيدَ الْمَتْنِ أَيْبَضَ الْخَلْدِيدَةَ ، فَقَاتَلَ بِهِ حَتَّى فَتَحَ اللَّهُ عَلَى الْمُسْلِمِينَ
وَكَانَ ذَلِكَ السَّيْفُ يُسَمَّى الْعَوْنُ ، ثُمَّ لَمْ يَزَلْ عِنْدَهُ يُشْهَدُ بِهِ لِلشَّاهِدِ مَعَ
رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ حَتَّى قُتِلَ فِي الرَّدَّةِ وَهُوَ عِنْدَهُ ، قَتَلَهُ طَالِيحَةُ
الْأَسَدِيُّ ^(١) .

[هَزِيمَةُ الْكُفَّارِ]

ثُمَّ إِنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَخَذَ حَفَظَةً مِنَ الْحَصْبَاءِ فَاسْتَقْبَلَ بِهَا
قَرِيشًا ثُمَّ قَالَ : شَاهَتِ الْوُجُوهُ شَاهَتِ الْوُجُوهُ . ثُمَّ نَفَضَهُمْ بِهَا ثُمَّ أَمَرَ أَصْحَابَهُ
فَقَالَ : شُدُّوا ، فَسَكَتَتِ الْهَزِيمَةُ عَلَيْهِمْ .

وَجَعَلَ اللَّهُ تِلْكَ الْحَصْبَاءَ عَظِيمًا شَأْنُهَا لَمْ تَتْرَكْ مِنَ الْمُشْرِكِينَ رَجُلًا
إِلَّا مَلَأَتْ عَيْنَهُ .

وَاسْتَوْلَى عَلَيْهِمُ الْمُسْلِمُونَ مَعَهُمُ اللَّهُ وَمَلَائِكَتُهُ يَقْتُلُونَهُمْ وَيَأْسِرُونَهُمْ

(١) ذكر ابن هشام بعد هذا الخبر شعرا طليحة في ذلك ٢/٦٣٧ .

ويجدون النفر كل رجل منهم مُنْكَبَّ عَلَى وَجْهِهِ لَا يَدْرِي أَيْنَ يَتَوَجَّهُ ،
يعالج التراب ينزعه من عينيه .

فقتل الله من قتل من صناديد قريش ، وأسّر من أسّر من أشرفهم .

فلما وضع القوم أيديهم بأسرون وسعد بن معاذ قائم على باب العريش
الذي فيه رسول الله صلى الله عليه وسلم متوشّح السيف في نفر من الأنصار
يحرّسون رسول الله صلى الله عليه وسلم خوف كَرَّةِ المَدَوِّ عليه^(١) ، رأى
رسول الله صلى الله عليه وسلم في وجه سعد الكراهية لما يصنع الناس ،
فقال له : لكأنك والله يا سعد تسكره ما يصنع القوم ؟ فقال : أجل والله
يا رسول الله ، كانت أول وقعة أوقعها الله بأهل الشرك ، فسكان الإثخان
في القتل أحب إلي من استقبال^(٢) الرجال .

وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم يومئذ لأصحابه : إني قد عرفت
أن رجلاً من بني هاشم وغيرهم أخرجوا كُرْهاً ، لا حاجة لهم بقتالنا ، فمن اتقى
ممن أحدكم من بني هاشم فلا يقتله ، ومن اتقى أبا البختريّ بن هشام فلا يقتله ،
ومن اتقى العباس عم رسول الله فلا يقتله ، فإنه إنما خرج مستكرّها . فقال
أبو حذيفة : أقتل آباءنا وأبناءنا وعشيرتنا وترك العباس والله لن وجدته
لأجلته^(٣) السيف . فبانت رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال لعمر بن الخطاب :
يا أبا حفص . قال عمر : والله إنه لأول يوم كنتاني فيه رسول الله صلى الله
عليه وسلم بأبي حفص . أبخزب وجه عم رسول الله صلى الله عليه وسلم
بالسيف ؟ فقال عمر : يا رسول الله دعني فلا أضرب عنقه بالسيف ، فوالله
لقد نأق

(١) ابن هشام : يحاذون عليه كرة المدو .

(٢) ابن هشام : استبقاء .

(٣) الجله : أجمله لجله .

وكان أبو حذيفة يقول : ما أنا بأمنٍ من تلك السكامة التي نالت يومئذٍ ولا أزال منها خائفاً إلا أن تسكفها غنى الشهادة ، فقتل يومَ اليمامة شهيداً رحمه الله .

وإنما نهى رسول الله صلى الله عليه وسلم عن قتل أبي البختري لأنه كان أكفَّ القوم عنه بمكة ، وكان لا يؤذيه ولا يباغضه عنه شيء ، بكرهه ، وكان ممن قام في نقض الصحيفة التي كتبت قريش على بني هاشم وبني المطلب .

فلقبه الجذر بن زياد البلوي حليف الأنصار ، يوم بدر ، فقال له : إن رسول الله صلى الله عليه وسلم قد نهانا عن قتلك ، ومع أبي البختري زميل له ^(١) خرج معه من مكة ، قال : وزميلي ؟ قال الجذر : لا والله ما نحن بتاركي زميلك ، ما أمرنا رسول الله صلى الله عليه وسلم إلا بك وحدك .

قال : إذا والله لأموتن أنا وهو جميعاً ، لا نتحدث عنى نساء مكة إنى تركت زميلي حرصاً على الحياة وقال :

لن يُسلم ابنُ حُرّةٍ زميلَه حتى يموت أو يرى سيبلَه
ثم اقتتلا فقتله الجذر ، ثم أتى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال :
والذي بمثك بالحق لقد جهدت عليه أن يستأسر فأنيك به فأبى إلا أن يقاتلنى ،
فقاتلته فقتلته .

هذا الذى ذكر ابن إسحاق في قتل أبي البختري .

وقال موسى بن عقبة : يزعم ناس أن أبا اليسر قتل أبا البختري وبأبى أعظم الناس إلا أن الجذر هو الذى قتله .

ثم أضرب ابن عقبة عن القولين ، وقال : بل قتله غير شك أبو داود

(١) هو جنادة بن أبي العيص بنت زهير بن المارث بن أسد ، من بني ليث .

المازني وسلبه سيقه فكان عدد بنيه حتى باعه بعضهم من بعض بني أبي البختري .

وكان الجذر قد ماشده أن يستأمر ، وأخبره بنو رسول الله صلى الله عليه وسلم عن قتله ، فأبى أبو البختري أن يستأمر وشده عليه الجذر بالسيف وطعمه الأنصاري ، يعني أبا داود المازني ، بين تديبه فأجهز عليه فقتله .

ويومئذ قال الجذر فيما ذكروا :

إِذَا جَهِلْتَ أَوْ نَسِيتَ نَسِيَّ فَأَثْبِتِ النَّسْبَةَ أُنَى مِنْ بَنِي
الطَّاعِنِينَ بِرِمَاحِ الْبَزْتِ وَالضَّارِبِينَ السَّكْبَشَ حَتَّى يَدْعِي^(١)
بَشْرٌ بَيْتَهُمْ مِنْ أَبَوَيْ الْبَخْتَرِيِّ أَوْ بَشَرْتُ بِمِثْلِهَا مَتَى بَنَى
أَنَا الَّذِي يُقَالُ أَصْلِي مِنْ بَنِي أَطْمَنَ بِالصُّعْدَةِ حَتَّى تَنْذِي^(٢)
وَأَعْبَطَ الْقِرْنَ بِمَعْضَبٍ مَشْرِفٍ أُرْزِمَ لِلْمَوْتِ كِلَازَامَ التَّمْرِ^(٣)
فَلَا تَرَى مُجْدِرًا يَقْرَى قَرَى^(٤)

وقال عبد الرحمن بن عوف رضى الله عنه : كان أمية بن خلف لي صديقاً بمكة ، وكان اسمي عبد عمرو ، فلما أسلمتُ تسميتُ عبدَ الرحمن ، فكان يلقاني فيقول : يا عبد عمرو أَرَعَيْتَ عَنْ اسْمِي مِمَّا كِهَ أَبُوكَ ؟ فَأَقُولُ نَعَمْ . فيقول : فأبى^(٥) لا أعرفَ الرحمن ، فأجملُ بيني وبينك شيئاً أدعوك به ،

(١) البزني : النسوبة إلى سيرة ، بن دي بزني والاكبش : سيد القوم .

(٢) الصعدة : الرمح .

(٣) أعبط : أقتل . والمعضب : السيف . والمشر : السوط إلى المشارف ، وهي قرى بالشام . وأرزم : أحن . والمرى : الناقة التي يستنزل منها على عسر .

(٤) يقري قري : يهضم مثل صنعي : يدال : يبرى : القري : يأتي بأعجب من عمله .

(٥) ما : كأي .

أَمَا أَنْتِ فَلَا تَجِيبِينِي بِاسْمِكَ الْأَوَّلِ ، وَأَمَّا أَنَا فَلَا أَدْعُوكِ بِمَا لَا أَعْرِفُ . فَقُلْتَ لَهُ : يَا أَبَا عَلِيٍّ : اجْعَلْ مَا شِئْتَ . قَالَ : فَأَنْتِ عَبْدُ الْإِلَهِ . فَقُلْتَ : نَعَمْ .
حَتَّى إِذَا كَانَ يَوْمٌ بِدَرْ مَرَرْتُ بِهِ وَهُوَ وَقَفْتُ مَعَ ابْنِهِ عَلِيٍّ أَخَذَ بِيَدِهِ وَمَعِيَ أَدْرَاعٌ لِي قَدْ اسْتَلْبَيْتُهَا فَأَنَا أَحْلَمُهَا ، فَلَمَّا رَأَيْتِي قَالَ : يَا عَبْدُ عَمْرُو . فَلَمْ أَجِبْهُ فَقَالَ : يَا عَبْدَ الْإِلَهِ . فَقُلْتَ : نَعَمْ . قَالَ : هَلْ لَكَ فِيَّ فَأَنَا خَيْرٌ لَكَ مِنْ هَذِهِ الْأَدْرَاعِ ؟ قُلْتَ : نَعَمْ .

فَطَرَحْتُ الْأَدْرَاعَ مِنْ يَدِي وَأَخَذْتُ بِيَدِهِ وَبَدَأَ بِهِ ، وَهُوَ يَقُولُ : مَا رَأَيْتُ كَالْيَوْمِ قَطُّ أَمَا لَكُمْ حَاجَةٌ فِي الْإِبْنِ ؟ يَرِيدُ الْغَدَاءَ .
وَقَالَ عَبْدُ الرَّحْمَنِ : قَالَ لِي أُمِّيَّةٌ وَأَنَا بَيْنَهُ وَبَيْنَ ابْنِهِ أَخَذَ بِأَيْدِيهِمَا : مَنْ الرَّجُلُ مِنْكُمْ اللَّعَلَّكُمْ بَرِيضَةٌ نَعَامَةٌ فِي صَدْرِهِ ؟ قَالَتْ : ذَلِكَ حَمْزَةُ بْنُ عَبْدِ الْمُطَّلِبِ . قَالَ ذَلِكَ الَّذِي فَعَلَ بِنَا الْأَفَاعِيلُ .

قَالَ عَبْدُ الرَّحْمَنِ : فَوَاللَّهِ إِنِّي لَأَقُودُهُمَا إِذَا رَأَى بِلَالَ ، وَكَانَ هُوَ الَّذِي يَمُذَّبُهُ بِمَكَّةَ عَلَى تَرْكِ الْإِسْلَامِ ، فَيُخْرِجُهُ إِلَى رَمَضَانَ مَكَّةَ إِذَا حَاجَتْ فَيُضْجِعُهُ عَلَى ظَهْرِهِ ثُمَّ بِأَمْرِ بِالْمُخَيَّرَةِ الْعَظِيمَةِ فَيَتَوَضَّعُ عَلَى صَدْرِهِ ثُمَّ يَقُولُ : لَا تَزَالُ هَكَذَا أَوْ تَفَارِقُ دِينَ مُحَمَّدٍ . فَيَقُولُ بِلَالَ : أَحَدٌ أَحَدٌ . فَلَمَّا رَأَى قَالَ : رَأْسُ الْكَفَرِ أُمِّيَّةُ بْنُ خَلْفٍ لَا نَجْوَتْ إِنْ نَجْوَتْ ، قَالَ : قُلْتُ أُنَى بِلَالَ أَسِيرِي ؟

قَالَ : لَا نَجْوَتْ إِنْ نَجَا . قُلْتَ : أَسْمَعُ يَا بَنَ السُّودَاءِ ؟ قَالَ : لَا نَجْوَتْ إِنْ نَجَا . ثُمَّ صَرَخَ بِأَعْلَى صَوْتِهِ : يَا أَنْصَارَ اللَّهِ ، رَأْسُ الْكَفَرِ أُمِّيَّةُ بْنُ خَلْفٍ ، لَا نَجْوَتْ إِنْ نَجَا .

فَأَحَاطُوا بِنَا حَتَّى جَعَلُونَا فِي مِثْلِ الْمُسْكَةِ^(١) ، وَأَنَا أَذْبُ عَنْهُ ، فَأَحَافَ

(١) المسكة : الحلقة كالسوار .

رجل السيف فضرب رجل ابنة فوق ، وصاح أمية صبيحة ما سمعت منها قط ،
فقلت : ايج بنفسك ، ولا نجاء به ، فوالله ما أغنى عنك شيئاً ، فهبروها
بأسيا فهم حتى فرغوا منها ، فكان عبد الرحمن يقول : رحم الله بلالاً ،
ذهبت أذراعى ونجفى في ^(١) أسيرى .

[الملائكة تقاتل مع المؤمنين]

وقالت الملائكة يوم بدر . قال ابن عباس : ولم تقاتل في يوم سواء ،
وكانوا يكونون فيما سواء من الأيام عدداً أو مدداً لا يضربون ، وكانت
سيام يوم بدر عمام بيضاء ، قد أرسلوها في ظهورهم ، ويوم حنين عمام حمرًا .

وذكر ابن هشام عن علي رضي الله عنه في سيام يوم بدر مثل ما قال
ابن عباس ، إلا جبريل ، فإن في حديث علي أنه كانت عليه عمام صفراء .

وقال ابن عباس : حدثني رجل من غفار قال : أقبلت أنا وابن عمي
حتى أقمنا في جبل أشرف منه ^(٢) على بدر ، ونحن مشركان ، فنظر لمن تكون
الدائرة فنهب مع من يسب : فبينما نحن في الجبل إذ دنت منا سحابة فسمعنا
فيها تحجمة الخليل ، فسمعت قائلاً يقول : أقدم حيزوم . فأنا ابن عمي
فانكشف قناع قلبه فأت مكانه ، وأنا أنا فكذت أهلك ثم تمالك .

وقال أبو أسيد الساعدي بعد أن ذهب بعمره ، وكان شهيد بدر :
لو كنت اليوم ببدر ومعى بهري لأريتكم الشعب الذي خرجت منه
الملائكة ، لا أشك ولا أنماري .

وقال أبو داود اللاتني : إني لأتبع رجلاً من المشركين يوم بدر لأضربه
إذ وقع رأسه قبل أن يصل إليه سفي ، فعرفت أنه قد قتل غيره .

• • •

(٢) ابن هشام : يشرف بنا .

(١) ابن هشام : بأسيرى .

[مصرع أبي جهل]

فلما فرغ رسول الله صلى الله عليه وسلم من عدوه أمر بأبي جهل أن يلتبس في القتلى، وقال لهم : انظروا إن خَفِيَ عليكم في القتلى إلى أثرٍ جرح في ركبته ، فإني ازدحمْتُ يوماً أنا وهو على ماديةٍ لعبد الله بن جُدعان ونحن فلامان وكنت أشف^(١) منه يبسير ، فدفعته فوق على ركبتيه فجيش^(٢) في إحداهما جحشاً لم يزل أثره به .

وكان من حديث عدو الله يوم بدرٍ أنه لما التقى الناس ودنا بعضهم من بعض قال : اللهم أقطعنا للرحم وآنانا بما لا يُعرف فأجده^(٣) الغداة . فكان هو المستفتح ، وأقبل يرتجز وهو يقول :

ما تنقِمُ الحربُ العَوَانُ مِنِّي بازلُ طامِرٍ حديثٌ سِي^(٤)
لمثل هذا ولدتني أُمي

وكان أوّل من لقيه فيما ذكر مُعَاذ بن عمرو بن الجوح أخو بني سلمة ، قال : سميتُ القوم وأبو جهل في مثل الحرجة^(٥) يقولون : أبو الحكم لا يُخلص^(٦) إليه .

فلما سمعتها جعلتُ من شأنى ، فصعدتُ نحوه ، فلما أمكنتني حملت عليه

(١) أشف : أنحل .

(٢) الجش : سجع الجلد وقشره من شيء يصيبه .

(٣) أحنه : أهلكه .

(٤) العوان : الشديدة . والبازل : الذى خرج نابه من الإبل .

(٥) الحرجة : الشجر اللث . وفي الحديث من عمر بن الخطاب أنه سأل أعراباً

عن الحرجة فقال : هى شجرة لا يوصل إليها .

(٦) ابن هشام : لا يخلص .

فضربته ضربةً أظنّت^(١) قدمه بنصف ساقه ، فضربني ابنة عكرمة على طائي فطرح يدي فتملّقت بحلدة من جدي ، وأجهضني^(٢) القتال عنه ، فلقد قانت عامة يومي وإني لأسحبها خلفي ، فلما آذنتني وضعت عليها قدمي ثم تمطّيت بها حتى طرحتها . وعاش بعد ذلك معاذ هذا رحمه الله ، إلى زمان عثمان رضي الله عنه .

ثم مرّ بأبي جهل ، وهو عقيبر ، معوذ بن عفاء فضربه حتى أثبتته فتركه وبه رمق ، وقال معوذ حتى قتل .

فرّ عبد الله بن مسعود بأبي جهل حين أمر رسول الله صلى الله عليه وسلم بالنماسة في القتلى . قال عبد الله : وقد كان ضبّ^(٣) بي مرة بمكة فأذاني ولسكتزني ، فوجدته بأحر رمق فعرفته فوضعت رجلي على عنقه ثم قالت له : أخزأك الله يا عدو الله ا قال : وماذا أخزاني ؟ أعد^(٤) من رجل قتائمه ، أخبرني لمن الدائرة اليوم ؟ قالت : لله ولرسوله .

ثم احتزرت رأسه ، ثم جئت به رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فقالت : يا رسول الله هذا رأس عدو الله أبي جهل . فقال : الله الذي لا إله غيره ؟ وكانت يمين رسول الله صلى الله عليه وسلم ، قلت : نعم ، والله الذي لا إله غيره . ثم ألقيت رأسه بين يديه ، فحمد الله .

وحرج مسلم في صحبته عن عبد الرحمن بن عوف ، قال : بيّنا أنا واقف في الصف يوم بدرٍ نظرتُ عن يميني وشمالِي ، فإذا أنا بين علامين من الأنصار حديثاً أسفأتهما ، فتمنّيت لو كنت بين أضلع^(٥) منهما فممرني أحدهما ،

(١) أظنّت : أظنّ .

(٢) أجهضني : عابني .

(٣) ضبّ : قبس عليه ونمّه ، قال ضابئ بن المارث البرجمي :

فأصبحتُ مما كان يبغي وبينكم من الودّ مثل الغائب الماء باليد

(٤) أي ما هو إلا رجل قتله قومه يريد أنه ليس عليه عارٍ ذلك .

(٥) أضلع : أقرى .

فقال : يا عم ، هل تعرف أبا جهل ؟ قلت : نعم وما حاجتك إليه يا بن أخي ؟ قال : أخبرنا أنه يسبُّ رسولَ الله صلى الله عليه وسلم ، والذي نفسي بيده لئن رأيتُه لا يفارق سِوادي سواده حتى يَمُوتَ الأعْجَلُ مِنَّا . قال : فتمجّبت لذلك ، فغمزني الآخر فقال مثلها .

قال : فلم أنشب أن نظرت إلى أبي جهل يَجُولُ في الدّاس ، فقلت : ألا تريان ؟ هذا صاحبكما الذي تسألان عنه .

فابتدراه ، فضرباه بسيفيهما حتى قتلاه ، ثم انصرفا إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم فأخبراه ، فقال : أيكما قتله ؟ فقال كل واحدٍ منهما : أنا قتلتُه . فقال هل مسحتما سيفيكما ؟ قال لا ، ففطر في السيفين ، فقال : كِلَا كُما قتله . وقضى بسكّته لعاذ بن عمرو بن الجموح . والرجلان : معاذ بن عمرو بن الجموح ، ومعاذ ابن عفراء .

وذكر ابن عُقبة أن رسول الله صلى الله عليه وسلم وقف يوم بدر على القتلى ، فالتس أبا جهل فلم يجدّه ، حتى عُرِفَ ذلك في وجه رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال : اللهم لا يُعْجِزَنَّكَ فرعونُ هذه الأُمّة .

فسعى له الرجال حتى وجده عبد الله بن مسعود مصروعاً ، بينه وبين الحركة غير كبير ، مقتعاً في الحديد واضعاً سيفه على نَحْذيه ، ليس به جرح ولا يستطيع أن يحرّك منه عضواً ، وهو مكبّ ينظر إلى الأرض ، فلما رآه ابن مسعود طاف حوله ليقتله وهو خائف أن يدو^(١) إليه ، فلما دنا منه وأبصره لا يتحرك ظنّ أنه أثبت جراحاً ، فلما أراد أن يضربه بسيفه ، خاف أن لا يفتي شيئاً فأناء من ورائه ، فتناول قائم سيف أبي جهل فاستلّه وهو مكبّ لا يتحرك ، ثم رفع سابعة التبيضة عن قفاه ، فضربه فوق رأسه بين يديه ، ثم سلّبه ،

(١) ينوء : ينهض بجهد ومشقة .

فلما نظر إليه إذا هو ليس به جراح وأبصر في عنقه حذراً^(١) وفي يديه وكفه
مثل آثار السياط .

وأنى ابنُ مسعود النبي صلى الله عليه وسلم فأخبره بقتله ، والذي رأى به ،
فقال النبي صلى الله عليه وسلم ، زعموا : ذلك ضرب الملائكة .

| في القليب |

وأمر رسول الله صلى الله عليه وسلم بالقتل أن يُطرحوا في القليب فطرحوا
فيه إلا ما كان من أمية بن خلف ، فإنه انتفخ في درعه فلاها ، فذهبوا
ليجروه فتزابل ، فأقروه وألقوا عليه ما غييه من التراب والحجارة .

وبقال أنهم لما ألقوا في القليب وقف عليهم رسول الله صلى الله عليه
وسلم فقال : يا أهل القليب بئس عشيرة الذي كنتم لبيكم ، كذبتوني
وصدقني الناس ، وأخرجتموني وآواني الناس ، وقاتلتوني ونصرني الناس .
يا أهل القليب ، هل وجدتم ما وعدكم ربكم حقاً ، فإني وجدت ما وعدني
ربي حقاً .

فقال له أصحابه : يا رسول الله أتسلكم قوماً موتى ؟

فقال لهم : لقد علموا أن ما وعدهم ربهم حق .

والناس يقولون : لقد سمعوا ما قلت لهم ، وإنما قال رسول الله صلى الله
عليه وسلم : لقد علموا .

وفي حديث أنس أن المسلمين قالوا لرسول الله صلى الله عليه وسلم حين
نادى أصحاب القليب : يا رسول الله أتنادى قوماً قد جئفوا . فقال : ما أنتم
بأسمع لما أقول منهم ، ولا كنهم لا يستطيعون أن يجيبوني .

وذكر ابن عقبة نحواً من ذلك عن نافع عن عبد الله بن عمر .

(١) المدر : ورم الجلد وقاطعه من الضرب .

وقال حسان بن ثابت :

عرفت ديارَ زنبَ بالكثيب
 كخط الوخى في الورق القشيب^(١)
 تداولها الرياح وكلُّ جَوْنٍ
 من الوسمى^(٢) منهمرٍ سَكوبٍ^(٣)
 فأَمسى رَثمها خَلَقًا وأمست
 يبابًا بعد ساكها الحبيب
 فدَغَ عنك التذَكُّرُ كلُّ يومٍ
 ورُدَّ حرارة الصَّدرِ الكثيبِ
 وخيَّرَ بالذى لا عيبَ فيه
 بصدقٍ غير أخبار الكذوب
 بما صنَّع للمليك غداة بدرٍ
 لنا في المشركين من الذهب
 غداة كان جمهم حِرَّالاً
 بدت أركانه جَنَحَ الغروبِ
 فلا قَيْنَاهُمُ منَّا بجمع
 كاسد الغاب مُردانٍ وشيب

(١) الكثيب : الرمل المكسد . والقشيب : الجديد .
 قال السهلي : أراد حسان بالقشيب هنا : الذى خالطه ما يفسده ، إما من دنس واد
 من قدم .
 (٢) الجون : الأبيض ، والوسمى : مطر الربيع الأول .

— ٤١ —

أمامَ محمدٍ قد آزروه
على الأعداء في لفتح الحروبِ
بأيديهم صوارمُ مُرَقَّعات
وكل مجرب خائلي الكعوب^(١)
بنو الأوس الغطارفِ آزرتهَا^(٢)
بنو النجَّار في الدين الصَّليبِ^(٣)
فما أدركنا أبا جهلٍ صريعاً
وغتبه قد تركنا بالجُوبِ^(٤)
وشدية قد تركنا في رجال
ذوي حَسَبٍ إذا نُسبوا حسيب
بناديهم رسولُ الله أتما
قدفناهم ككتابٍ في القليبِ^(٥)
ألم نجدوا كلامي كان حقاً
وأمرُ الله يأخذ بالقلوبِ
فما نطقوا ، واو نطقوا لقالوا
صدقتَ وكنتَ ذا رأيٍ مُصيب

* * *

- (١) الصوارم : السيوف البوار . والمناطى : مكنت الكعوب لويها .
(٢) ابن هشام : وآزرتهَا .
(٣) الصليب : الشديدة .
(٤) الجوب : وجه الأرض .
(٥) لبا ك : جماعات .

ولما أمر رسول الله صلى الله عليه وسلم أن يلتقوا في القليب أخذ عتبة ابن ربيعة فسحب إلى القليب ، فنظر رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فيما ذكر ، في وجه أبي حذيفة بن عتبة فإذا هو كثيب قد تغير فقال : يا أبا حذيفة لعلك دخلك من شأن أبيك شيء ؟ أو كما قال صلى الله عليه وسلم .

قال ^(١) : لا والله يا رسول الله ، ما شككت في أبي ولا في مضرعه ، ولكني كنت أعرف من أبي رأياً وحكاماً وفضلاً ، فكنت أرجو أن يهديه ذلك للإسلام ^(٢) ، فلما رأيت ما أصابه وذكرت ما مات عليه من الكفر بعد الذي كنت أرجو له ، أحزنتني ذلك .

فدعاه رسول الله صلى الله عليه وسلم بخير وقال له خيراً .

[الذين ظلموا أنفسهم]

وكان في قريش فتية أسلموا ورسول الله صلى الله عليه وسلم بمكة ، فلما هاجر إلى المدينة حبسهم آباؤهم وعشائرم بمكة ، وقتلهم فافتنوا ، ثم ساروا مع قومهم إلى بدر فأصيبوا به جميعاً ، فنزل فيهم من القرآن فيما ذكر « إن الذين توفاهم الملائكة ظالمى أنفسهم قالوا فيم كذبتم ؟ قالوا : كنا مستضعفين في الأرض ، قالوا ألم تكن أرض الله واسعة فتهاجروا فيها ؟ فأولئك مأواهم جهنم وساءت مصيراً ^(٣) » .

وأولئك الفتية : الحارث بن زمة بن الأسود ، وأبو قيس بن الفاركة وأبو قيس بن الوليد بن المغيرة ، وعلي بن أمية بن خلف ، والعاص بن مغيبة ابن الحجاج .

(١) ابن هشام : فقام .

(٢) ابن هشام : إلى الإسلام .

(٤) سورة النساء ٩٧ .

[قسمة الغنائم]

ثم إن رسول الله صلى الله عليه وسلم أمر بما في العسكر مما جمع للناس فجمع .

فاختلف فيه المسلمون ، فقال من جمعه : هو لنا . وقال الذين كانوا يقاتلون العدو ويطلبونه : والله لولا نحن ما أصبتموه ، لأنحن شغلنا عنكم القوم حتى أصبتم ما أصبتم .

وقال الذين كانوا يمحسون رسول الله صلى الله عليه وسلم بخافة أن يخالف إليه العدو :

والله ما أنتم بأحق به منا ، لقد رأينا أن تقتل العدو إذا مدحنا الله أكتافهم^(١) ، ولقد رأينا أن نأخذ التساع حين لم يكن دونه من يمهه ، ولـكـنـا خـفـنا على رسول الله صلى الله عليه وسلم كـرّة للعدو فقمنا دونه ، فما أنتم بأحق به منا .

فـسـكـان عـبـادـة بن الصامت إذا سُئل عن الأنفال ، قال : فيما معاشر أصحاب بدر أنزلت حين اختلافنا في النفل وساءت فيه أخلاقنا ، فنزعه الله من أيدينا ، فجعله إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم قسمة بيننا على بؤاه .
يقول : على السواء .

فـسـكـان في ذلك تقوى الله وطاعته وطاعة رسوله ، وصلاح ذات البين .

[بشير النضر]

ثم بعث رسول الله صلى الله عليه وسلم عبد الله بن رزاحة بشيراً إلى أهل العالية بما فتح الله على رسوله وعلى المسلمين ، وبعث زيد بن حارثة إلى أهل

(١) ابن هشام : أكتافهم .

للساقلة ، قال أسامة بن زيد : فأنا الخبير - حين سويدها على رُقِيَّة بنت رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم خافئى عليها مع زوجها عثمان - أن زيد بن حارثة قد قديم .

قال : فجننته وهو واقف بالمصلى وقد غشيه الناس وهو يقول : قتل عُتْبَةُ ابن ربيعة ، وشَيْبَةُ بن ربيعة وأبو جهل بن هشام ، وزُئْمَةُ بن الأسود ، وأبو البَخْتَرِىُّ بن هشام ، وأمِيَّة بن خلف ، ونُبَيْة ومُنْبِه ابنا الجماع . قلت : يا أبتِ أحقُّ هذا ؟ قال : نعم يا بني ^(١) .

[رجوع الرسول إلى المدينة]

ثم أقبل رسول الله صلى الله عليه وسلم قافلاً إلى المدينة ومعه الأسارى من المشركين ، وفيهم عُتْبَةُ بن أبى مُعَيْط والنُّضْر بن الحارث ، حتى إذا خرج رسول الله صلى الله عليه وسلم من مَضِيق الصفرَاء ، نزل على كَثِيب يقال له سَيْرٌ إلى سَرَحَةٍ به ، ففَسَمَ هَذَاكَ التَّهْلَ الَّذِى أَفَاءَ اللَّهُ عَلَى الْمُسْلِمِينَ من المشركين على السواء .

ثم ارتحل حتى إذا كان بالرَّوْحَاء ، لقيه المسلمون يهتفون به بما فتح الله عليه ومن معه من المسلمين ، فقال لهم سَلَمَةُ بن سلامة بن وقش : ما الذى تهتفون بها به ؟ فوالله إن ألقينا إلاَّ عجائز صُلَمَّا كَالْبُذْنِ الْمُعَقَّلَةِ فنحرنها . فنبسّم رسول الله صلى الله عليه وسلم ثم قال : أى ابن أخى ؟ أو أهلك الله ^(٢) .

حتى إذا كان رسول الله صلى الله عليه وسلم بالصَّوْرَاء ، قُتِلَ النُّضْر ابن الحارث ، قتله علي بن أبى طالب رضى الله عنه ، ثم خرج حتى إذا كان

(١) ابن هشام : نعم والله يا بني .

(٢) للأنصار والأشراف والرؤساء .

بِعَرَقِ الظُّبَيْةِ ، قُتِلَ عُقْبَةُ بْنُ أَبِي مُعَيْطٍ ، فَقَالَ عُقْبَةُ حِينَ أُمِرَ بِقَتْلِهِ : فَنِ
لِلصَّبِيَّةِ يَا مُحَمَّدُ ؟ قَالَ : النَّارُ !

فَقَتْلُهُ عَاصِمُ بْنُ ثَابِتٍ بْنُ أَبِي الْأَفْلَحِ ، فِي قَوْلِ ابْنِ عُقْبَةَ وَابْنِ إِسْحَاقَ .
وَقَالَ ابْنُ هِشَامٍ ^(١) : قَتَلَهُ عَلَى بْنِ أَبِي طَالِبٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ .

وَقَالَتْ قَتِيلَةُ أُخْتِ النَّضْرِ ^(٢) بِنُ الْحَرِثِ لَمَّا بَلَغَهَا مَقْتَلُ أَخِيهَا :

يَا رَاكِبًا إِنِّ الْأَثِيلَ ^(٣) مَظَنَّةٌ

مِنْ صُنْبَعٍ خَامِسَةٍ وَأَنْتَ مُوَفَّقٌ

أَبْلَغُ بِهَا مَيِّتًا بِأَنْ نَحْمِيَةَ

مَا إِنْ تَزَالَ بِهَا الرِّكَابُ تَخْفُقُ

مَنْى إِلَيْكَ وَعَظْمَةٌ مَسْفُوحَةٌ

جَادَتْ بِوَاكِفِهَا وَأُخْرَى تَخْفُقُ ^(٤)

هَلْ يَسْمَعُنِي النَّضْرُ إِنْ نَادَيْتُهُ

أَمْ سَتَسْمَعُ مَيِّتٌ لَا يَنْطِقُ

أَعْمَدُ يَا حَيْرُ حِينَ كَرِيمَةٍ

فِي قَوْمِهَا وَالْفَحْلُ فَيَنْجِلُ مَعْرِقُ ^(٥)

(١) ذَكَرَ ابْنُ هِشَامٍ الْقَوْلَ الْأَوَّلَ ثُمَّ قَالَ : وَيَمَالُ : قَتَلَهُ عَلَى بْنِ أَبِي طَالِبٍ وَيَا دُرَّ لُ
ابْنَ شِهَابٍ الزُّهْرِيُّ وَعَبِيدُ مِنْ أَهْلِ الْعِلْمِ .

(٢) قَالَ السَّهْبِيُّ : الصَّحِيحُ أَنَّهَا بِنْتُ النَّضْرِ لَا أُخْتُهُ ، لِذَلِكَ قَالَ الزُّبَيْرِيُّ وَغَيْرُهُ ، وَكَذَلِكَ
وَقَعَ فِي كِتَابِ الدَّلَائِلِ : انْزَوْسُ ٢ / ١١٩ .

(٣) الْأَثِيلُ : مَوْضِعُ بَيْنِ بَدْرٍ وَوَادِي الصَّفَاءِ .

(٤) الْوَاكِفُ : التَّهْمَرُ . وَفِي سِيرَةِ ابْنِ كَثِيرٍ ٢ / ٤٧٤ : بِوَابِلِهَا .

(٥) الْفَحْلُ : الْأَصْلُ . وَرَوَى : صَيْ : وَهُوَ الْأَصْلُ وَالْوَلَدُ . وَالْمَعْرِقُ : الْمَرْبِيُّ السَّكْرِيُّ .

— ٤٦ —

ما كان ضرك لو مننت وربما
 من الفتى وهو المفيظ المحقق
 والنضر أقرب من أسررت قرابة
 وأحقهم إن كان عتيق بعتق
 ظلت سيوف بني أبيه تنوشه
 لله أرحام هلاك تشقق ا

قال ابن هشام : فيقال والله أعلم ، إن رسول الله صلى الله عليه وسلم
 لما بلغه هذا الشعر قال : لو بلغني هذا الشعر قبل مقتله ، لمنت عليه .

ثم مضى رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى قدم المدينة قبل الأسارى بيوم ،
 وقد كان فرقتهم بين أصحابه ، وقال : استوصوا بالأسارى خيراً .

وكان أبو عزيز بن عمير أخو مصعب بن عمير لأبيه وأمه في الأسارى ،
 قال : وكنت في رهط من الأنصار حين أقبلوا بي من بدر وكانوا إذا قدموا
 غداءهم وعشاءهم خصوني بالخبز ، وأكلوا النمر ، أوصية رسول الله صلى الله
 عليه وسلم إياهم بنا ، ما تقع في يد رجل منهم كسرة من الخبز إلا نفحني
 بها ، قال : فأستحي فأردّها عليه فيردها عليّ ما يستها ا

قال : ومرّ بي أخى مصعب ورجل من الأنصار يأسرنى ، فقال له :
 شدّ يدك به ، فإن أمه ذات متاع لعلها تمّديه منك فقال له أبو عزيز - فيما
 ذكر ابن هشام - يا أخى هذه وصانك بي ا فقال له مصعب : إنه أخى
 دونك ، فسألت أمه عن أغلى ما قدّيت به قرشيّ ، فقيل لها : أربعة آلاف
 درهم ، فبعثت بأربعة آلاف درهم فقصدته بها .

* * *

وذكر قاسم بن ثابت في دلائله ، أن قريشاً لما توجهت إلى بدر مرّ
هاتف من الجن على مكة في اليوم الذي أوقع بهم المسلمون وهو يندشد بأبعد
صوت ولا يرى شخصه :

أَزَارَ الحَنَفِيُّونَ بِدْرًا وَقِيَمَةً
سَيَقْنُضُ مِنْهَا رَكْنُ كِشْرَى وَقِيَمَةً
أَبَادَتْ رَجَالًا مِنْ لُؤَيٍّ وَأَبْرَزَتْ
خَرَانِدَ بَضْرَيْنَ التَّرَائِبِ حُسْرًا
فِيَا وَبَحْ مِنْ أَمْسَى عَدُوِّ مُحَمَّدٍ
لَقَدْ حَادَّ عَنْ قَصْدِ الْهَدَى وَنَحْوَرَا

فقال قائلهم : من الحنفيون ؟ فقالوا : هو محمدٌ وأصحابه ، يزعمون أنهم
على دين إبراهيم الحنيف ، ثم لم يثبتوا أن جاءهم الخبر اليقين^(١) .
وكان أول من قدم مكة بمصاحب قريش : الحنيمان بن عبد الله الخزاعي .
فقاتلوا ما وراك ؟ قال : قتل عتبة بن ربيعة وشيبة بن ربيعة ، وأبو الحكم
ابن هشام وأمية بن خلف ، وزمعة بن الأسود ، ونبيه ومُقبه ابنا الحجاج ،
وأبو الليثنترى بن هشام ، فلما جعل يمدد أشراف قريش ، قال صفوان
ابن أمية وهو قاعد في الحِجْر والله إن يَمُتِلَ هذا ، فسَلَوْهُ عَنِ . قالوا :
ما فعل صفوان بن أمية ؟ قال : ها هو ذلك جالس في الحِجْر ، وقد والله
رايت أباه وأخاه حين قُتِلَا .

[موت أبي لهب]

وقال أبو رافع مولى رسول الله صلى الله عليه وسلم : كدت غلاماً للعباس
ابن عبد المطلب ، وكان الإسلام قد دَخَلْنَا أَهْلَ الْبَيْتِ فَأَسْلَمَ الْعَبَّاسُ ،

(١) الروس الأت ٨٥/٢ .

وَأُمُّ الْفَضْل ، وَأَسْلَمَتْ ، وَكَانَ الْعَبَّاسُ يَهَابُ قَوْمَهُ ، وَيَكْبِرُهُ خِلَافَتَهُمْ ، فَسَكَانَ يَكْتُمُ إِسْلَامَهُ ، وَكَانَ ذَا مَالٍ كَثِيرٍ مَتَفَرِّقٍ فِي قَوْمِهِ ، وَكَانَ أَبُو لَهَبٍ قَدْ تَخَافُفَ عَنْ بَدْرِ فَلَمَّا جَاءَهُ الْخَبَرُ عَنْ مَصَابِ أَصْحَابِ بَدْرِ مِنْ قَرِيشٍ كَيْفَهُ اللَّهُ وَأَخْزَاهُ ، وَوَجَدْنَا فِي أَنْفُسِنَا قُوَّةً وَعِزَّةً ، وَكَفْتُ أَعْمَلَ الْأَفْدَاحَ فِي حُجْرَةِ زَمْزَمَ ، فَوَاللَّهِ إِنِّي لَجَالِسٌ فِيهَا أَنْتَحْتُ أَفْدَاحِي وَعَلَيْدِي أُمُّ الْفَضْلُ جَالِسَةٌ ، وَقَدْ سَرَّنا مَا جَاءَنَا مِنَ الْخَبَرِ ، إِذَا أَقْبَلَ أَبُو لَهَبٍ يَمْجُرُ رَجُلِيهِ بَشَرَةً حَتَّى جَلَسَ إِلَى طُنْبُ^(١) الْحِجْرَةِ ظَهَرَهُ إِلَى ظَهْرِي .

فَبَيْنَمَا هُوَ جَالِسٌ إِذَا قَالَ النَّاسُ : هَذَا أَبُو سَفِيَّانِ بْنِ الْحَارِثِ بْنِ عَبْدِ الْمُطَّلِبِ قَدْ قَدِمَ . فَقَالَ أَبُو لَهَبٍ هَلُمُّ إِلَيْهِ فَمَعْنَاهُ أَمْرِي الْخَبَرُ ، فَجَلَسَ إِلَيْهِ النَّاسُ قِيَامَ عَلَيْهِ ، فَقَالَ يَا بَنَ أَخِي أَخْبِرْنِي كَيْفَ كَانَ أَمْرُ النَّاسِ ؟ قَالَ : وَاللَّهِ مَا هُوَ إِلَّا أَنْ لَقِينَا الْقَوْمَ فَنَجَّحْنَاهُمْ أَكْثَافًا يَقْتُلُونَنَا^(٢) كَيْفَ شَاءُوا وَيَأْمُرُونَنَا كَيْفَ شَاءُوا وَأَيُّمُ اللَّهِ مَعَ ذَلِكَ مَا لُئِمْتُ النَّاسَ ، لَقِينَا رَجُلًا بَيْضًا هَلِي خَيْلٌ بَلَقَ بَيْنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ ، وَاللَّهِ مَا تَلَيَّقُ^(٣) شَيْئًا ، وَلَا يَقُومُ لَهَا شَيْءٌ .

قَالَ أَبُو رَافِعٍ : فَرَفَعْتُ طُنْبُ الْحِجْرَةِ بِيَدِي ثُمَّ قَاتَ : تَلَاكَ وَاللَّهِ لِلْمَلَأْسِكَةِ أَفْرَعَ أَبُو لَهَبٍ يَدَهُ فَضْرَبَ وَحْمِي ضَرْبَةً شَدِيدَةً ، وَتَأَوَّرْتُهُ فَاحْتَمَلَنِي وَضْرَبَ بِي الْأَرْضَ ، ثُمَّ بَرَكَ عَلَيَّ فَضْرَبَنِي وَكَفْتُ رَجُلًا ضَعِيفًا ، فَقَامَتْ أُمُّ الْفَضْلِ إِلَى عُمُودٍ مِنْ عُمُدِ الْحِجْرَةِ فَضْرَبَتْهُ بِهِ ضَرْبَةً قَاتَلَتْ^(٤) فِي رَأْسِهِ شَجَّةً

(١) الطنب : جبل طويل يشد به بسراقد البيت أو الوند . وامله يريد : الطارب .

(٢) ابن هشام : يقدوننا كيف شاءوا . وما هنا أصبح وأوضح .

(٣) ماتليق : ماتليق .

(٤) قاتلت : كذا بالأصل ، والطبري ١٣٣٠ ط أوربا و، ابن هشام : قاتلت .

ومعناها : شقت .

منكرة . وقالت : استضعفه^(١) أن غاب عنه سيده ا فقام مولياً ذليلاً ،
فوالله ما غاب إلا سبع ليالٍ حتى رماه الله بالمدسة فقتله .
وذكر محمد بن جرير الطبري في تاريخه أن المدسة قرحة كانت العرب
تشام بها ويرَوْنَ أنها تُمدى أشد المدوى .

فلما أصابت أبا لمب تباعد عنه بلوه ، وبقي بعد موته ثلاثاً لا تُقرب
جنازته ، ولا يحاول دفنه ، فلما خافوا الشبهة في تركه حفروا له ثم دفعوه يعوِد
في حُفْرته ، وقذفوه بالحجارة من بعيد ، حتى وارَّوه^(٢) .

وقال ابن إسحاق في رواية يونس بن بُكَيْر عنه : إنهم لم يحفروا
له ولكن أسندوه إلى حائطٍ وقذفوا عليه الحجارة من خلف الحائط ،
حتى وارَّوه .

ويُروى أن عائشة رضي الله عنها كانت إذا مرَّت بموضع ذلك غطَّت
وجهها .

وخرَّج البخاري في صحيحه أن أبا لمب رآه بعضُ أهله في المنام بشراً خبيثاً ،
أى حالة ، فقال : ما لقيتُ بمدكم راحةً ، غير أنني سُقيت في مثل هذه - وأشار
إلى النقرة بين السبابة والإبهام - بعمق ثوبية .

وثوبية هذه أرضعت رسول الله صلى الله عليه وسلم وأرضعت عمه حمزة
وأبا سلمة بن عبد الأسد .

ورَوَى غير البخاري أن الذي رأى أبا لمب من أهله هو أخوه العباس ،
قال : فسكنتُ حولاً بعد موت أبي لمب لا أراه في نوم ، ثم رابته في شرِّ

(١) ابن هشام : استضعفه وما هنا موافق لرواية الطبري في تاريخه .

(٢) تاريخ الطبري ١٣٣٠ ط أوروبا .

(م ، ٤ الاكتفاء ج ٢)

حال ، فقال : ما لقيتُ بعدكم راحة ، إلا أن العذاب يُخَفَّفُ عَنِّي كُلَّ يومِ اثنين .

وذلك أن رسول الله صلى الله عليه وسلم ولد يوم الاثنين ، فبُشِّرَتْ أبا لهب بمولده ثُوْبِيَّةُ مولاته فقالت له : أشعرت أن آمنة ولدت غلاماً لأحيك عبد الله ؟ فقال لها : اذهبي فأنت حرّة ، فنفعه ذلك وهو في النار ، كما نفع أخاه أبا طالب ذبّه عن رسول الله صلى الله عليه وسلم واجتهاده في مدّعه ونصرته ، فهو أهنأ أهل النار عذاباً .

وفعل الله ما يشاء مما يطابق سابق تقديره ، وقد قضى الله سبحانه إحباط عمل الكافرين ، فحال أن يقيم لهم يوم القيامة وزناً ، أو يدالوا عنده بشيء قدموه مما يتصور بصورة الأعمال الصالحة نبيّاً ، إلا أنه رباً جعل التفاوت بين جاهلهم وبين من شاء منهم بمقدار العذاب ، فيضاعفه على قوم أضاعوا ، ويضع من شدّة أيّده عن آخرين تخفيفاً .

وكل عذاب الله شديد ، فلهذا برضا مولانا الكريم من سخطه ، وبمخافاته من عقوبته .

[قريش تبيكي قتلاها]

وحدّث محمد بن إسحاق بن يسار عن يحيى بن عباد ، عن أبيه عباد ابن عبد الله بن الزبير ، قال : ناحت قريش على قتلام^(١) ، ثم قالوا : لا تمحلوا فيبلغ محمد وأصحابه فيشمتوا^(٢) بكم ، ولا تبعثوا في أسراكم حتى تستأنوا بهم لا يتأرب^(٣) عليكم محمد وأصحابه في الفداء .

قال : وكان الأسود بن المطلب قد أصيب له ثلاثة من ولده : زمنة وعقيل

(١) الطبرى : فيشمت .

(٢) يتأرب : يتشدّد وينلو .

ابناءه ، والحارث بن زمة وهو ابن ابنة ، وكان يحب أن يبكي عليهم ، فسمع
نائحة من الليل فقال لأملاك له وقد ذهب بصره ، انظر هل أحلّ النعيب ؟ هل
بكت قريش على قتلاها ؟ ألمّا أبكى على أبي حكيمه يعني زمة ، فإن جوف
قد احترق !

فلما رجع إليه الغلام ، قال : إنما هي امرأة تبكي على بعير لها أضلته .
قال : فذاك حين يقول الأسود :

أَتَبْكِي أَنْ يَحِلَّ لِمَا بَعِيرٌ وَيَمْنَعُهَا مِنَ الذَّوْمِ السُّهْدُ
فَلَا تَبْكِي عَلَى بَسْكَرٍ وَلَكِنْ عَلَى بَذْرِ تَقَاعَسَتْ الْجُدُودُ
فِي آيَاتِ ذِكْرِهَا ابْنَ إِسْحَاقِ .

وقد تقدم دعاء رسول الله صلى الله عليه وسلم على الأسود بن عبد المطلب
هذا بأن يُعفى الله بصره وبُشْكَلَه ولده ، فاستجيب له وفق دعائه ، سبق
العمى أولاً إلى بصره ، ثم أصيب يوم بدر بمن نُئِمَى آنفاً من ولده ، فتمت
إجابة الله سبحانه رسوله فيه .

وكان في الأسارى أبو وداعة السهمي ، فقال رسول الله صلى الله عليه
وسلم : إن له بمكة ابناً كَيْسًا تاجرًا ذا مالٍ ، وكأسكم به قد جاءكم في طلب
فداء أبيه فلما قالت قريش : لا تمجلو بفداء أسراكم لا يتأرب عايكم محمد
وأصحابه ، قال المطلب بن أبي وداعة ، وهو الذي كان رسول الله صلى الله عليه
وسلم عني : صدقتم لا تمجلوا . وانسل من الليل فقدم المدينة وأخذ أباه
بأربعة آلاف درهم .

ثم بعثت قريش في فداء الأسارى ، فقدم مكرز بن حنظل بن الأخيف في

فداء سهيل بن عمرو وكان الذي أسره مالك بن النخشم أخو بني سالم بن عوف ،
فلما قالوا لم فيه مكرزواته إلى رضاهم قالوا : هات الذي لنا ، قال : اجعلوا
رجلي مكان رجله ، واخلوا سبيله حتى يبعث إليكم بفدائه . فخلوا سبيل
سهيل ، وحبسوا مكرزاً مكانه عندهم ، فقال مكرز :

فَدَيْتُ بِأَذْوَادِ ثَمَانِ سَبَاً فَتَى
بِقَالِ الصِّمِّمِ غَرْمُهَا لَا التَّوَالِيَا
رَهْنَتْ يَدِي وَالْمَالُ أَيْسَرُ مِنْ يَدِي
هَلْ وَلَسْكَفَى خَشِيْتُ الْخِزَابَا
وَقُلْتُ سُهَيْلٌ خَيْرُنَا فَادْهَبُوا بِهِ

لأبنائنا حتى نذبر الأمانيا
وكان سهيل قد قام في قريش خطيباً عندما استفزهم أبو سفيان ،
فقال : يا ثعلبة أثاركون أنتم عمداً وللعصابة من أهل يثرب يأخذون غير أنكم
وأموالكم ، من أراد مالاً فهذا مالي ، ومن أراد قوة فهذه قوة .

فَبَرَزَ أَنْ عُمَرُ بْنُ الْخَطَّابِ ، رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ لِرَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ
عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لَمَّا أُسِرَ سُهَيْلُ يَوْمَ بَدْرٍ : يَا رَسُولَ اللَّهِ انْزِعْ^(١) ثَنِيَّتِي سُهَيْلُ بْنُ
عُمَرُو يَدْلُعُ^(٢) لِسَانَهُ ، فَلَا يَقُومُ عَلَيْكَ خُطْبِيَا فِي مَوْطِنٍ أَبَدًا .

فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : لَا أُثَلُّ بِهِ ، فَيُمَثِّلُ اللَّهُ بِي ، وَإِنْ
كَفَتُ نَبِيًّا إِنْهُ عَمَى أَنْ يَقُومَ مَقَامًا لَا تَذْمُهُ .

(١) الطبري : انزع . ولى ابن هشام : دعني انزع .

(٢) يدلج : يخرج .

فصدق اللهُ رسولَه ، وكان اسمُ هيل بعد وفاته صلى الله عليه وسلم في تثبيت أهل مكة على الإيمان مقام سيأتي ذكر حديثه في موضعه إن شاء الله .

وكان عمرو بن أبي سفيان بن حرب^(١) أسيراً في يدي رسول الله صلى الله عليه وسلم من أسارى بدر ، فقبل لأبي سفيان بن حرب : فِدَ عمراً ابنك . فقال : أجمع على دَبي ومالي ، قتلوا حفلة وأفدى عمراً ؛ دعوه في أيديهم يسكونه ما بدا لهم ا

فَبَيَّنَا هو كذلك محبوس بالمدينة عند رسول الله صلى الله عليه وسلم إذ خرج سعدُ بن النعمان بن أَسَالٍ أخو بني عمرو بن عوف معتمراً ، ومعه مَرِيَّةُ^(٢) له ، وكان شيخاً مسلماً في غنم له بالبيعة ، فخرج من هناك معتمراً ولا يخشى الذي صُنِعَ به ، لم يظن أن يُحبس بمكة ، إنما جاء معتمراً وقد كان عهد قريشاً لا يمرّ ضون لأحد^(٣) جاء حاكباً أو معتمراً إلا بخير ، فعدا عليه أبو سفيان بن حرب بمكة فحبسه بابه عمرو . ثم قال أبو سفيان :

أَرْهَطَ ابْنِ أَسَالٍ أَجِيبُوا دَعَاءَهُ

تَمَاقِدُنْمْ لَا تُسَلِّمُوا السَّيِّدَ السَّكْبَلَا

فَإِنْ بَنَى عَمْرٍو إِثْمًا أَذَلَّ

لَنْ لَمْ يَفْسَكُوا عَنْ أَسِيرِهِمُ السَّكْبَلَا

فأجابه حسان بن ثابت فقال :

(١) في ابن هشام والطبري وكان لابنة عقبة بن أبي معيط .

(٢) مريّة : تصغير امرأة .

(٣) الطبري : لا تفرس لأحد .

لو كان سعدٌ يوم مكة مُطلقاً
لأكثرَ فيكم قبل أن يُوسرَ القتلاً
بعضِ حُسامٍ أو بصفرَاءِ تَبَعَةٍ
نَحْنُ إذا ما أُنْبِضَتْ تَحْفِزُ النِّبَلِ^(٢)

ومشى بنو عمرو بن عوفٍ إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم فأخبروه
خبره ، وسألوه أن يعطيهم عمرو بن أبي سفيان ، فيفكوا به صاحبهم ، ففعل
رسولُ الله صلى الله عليه وسلم فبعثوا به إلى أبي سفيان ، ففعل سبيل سعد .
وكان في الأسارى أيضاً أبو العاص بن الربيع بن عبد العزى بن عبد
شمس ، ختن رسول الله صلى الله عليه وسلم وزوج ابنته زينب ، وكان صلى الله
عليه وسلم يثني عليه في صِهره خيراً ، وكان من رجال مكة المدودين مالا
وأمانةً وتجارة ، وهو ابن أخت خديجة رضى الله عنها وهى سألت رسول الله
صلى الله عليه وسلم قبل أن ينزل عليه الوحي أن يزوجه ، وكان لا يخالفها ،
فزوجه ، وكانت تعدُّه بمنزلة ولدها .

فلما أكرم الله رسوله صلى الله عليه وسلم بنبوته ، آمنت به خديجة وبذاته ،
فصدَّقته ودنَّ بدينه ، وشهدن أن الذى جاء به هو الحق ، وثبت أبو العاص
على شركه .

فلما بادى رسولُ الله صلى الله عليه وسلم قريشاً بأمر الله تبارك وتعالى
وبالداوة ، قالوا : إنكم فرغتم محمداً من همه ، فردُّوا عليه بقاته فاشغلوه بهن .
فمشوا إلى أبي العاص فقالوا له : فارق صاحبك ونحن نزوجك أى امرأة شئت .
قال : لا ها الله ، إنا لا أفارق صاحبتى ، وما أحبُّ أن لى بها امرأة
من قريش .

(٢) النبع : شجر القسي والسهم . وأنبضت : حركت . وتحفز : تفلذب .

ثم مشوا إلى عتبة بن أبي لهب وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم قد زوجه رقية وأخاه أم كلثوم ، فقالوا له طلق ابنة محمد ونحن نكحك أى امرأة من قريش شئت ، فقال : إن زوجتموني ابنة أبان بن سعيد بن العاص ، أو ابنة سعيد بن العاص فارقتها . فزوجوه بنت سعيد بن العاص وفارقها ، ولم يكن دخل بها فأخرجها الله من يده كرامة أمها وهوانا له . وخلف عليها عثمان ابن عفان بعده .

وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم لا يحمل بمكة ولا بحرم ، مغلوبا على أمره ، وكان الإسلام قد فرّق بين زينب ابنته وبين أبي العاص ، إلا أنه كان لا يقدر أن يفرق بينهما ، فأقامت معه على إسلامها وهو على شركه ، حتى هاجر رسول الله صلى الله عليه وسلم .

فلما سارت قريش إلى بدر سار فيهم أبو العاص فأصيب في الأسارى ، فكان بالمدينة عند رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فلما بعث أهل مكة في فداء أسراهم بعثت زينب بنت رسول الله صلى الله عليه وسلم في فداء أبي العاص بمال وبعثت فيه بقلادة لما كانت خديجة أدخلتها بها على أبي العاص حين بنى بها ، فلما رآها رسول الله صلى الله عليه وسلم رق لها رقّة شديدة ، وقال : إن رأيتم أن تطلقوا لها أسيرها ، وتردّوا عليها الذى لها فافعلوا . قالوا : نعم يا رسول الله . فأطلقوه وردّوا عليها مالها .

وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم قد أخذ عليه أن يحمل سبيل زينب إليه ، وعده أبو العاص بذلك ، أو شرطه عليه رسول الله صلى الله عليه وسلم في إطلاقه ، ولم يظهر ذلك منه ولا من رسول الله صلى الله عليه وسلم خيما ما هو .

إلا أنه لما خرج أبو العاص إلى مكة وخلى سبيله ، بعث رسول الله صلى الله

عليه وسلم مكانه زيد بن حارثة ، ورجلا من الأنصار ، فقال كونا ببطن
يا أجيح حتى تمر بكما زينب فتصحباهما ، حتى تأتيا بيها . فخرجا وذلك بمسد
بذر بشهر أو جمعة ، فلما قدم أبو العاص مكة أمرها بالأحقق بأبيها ، فخرجت
تجهز .

قالت زينب : بيئنا أنا أنجهز بمكة لقيتني هند ابنة عتبة ، فقالت : يا ابنة
محمد ألم يبلغني أنك تريدن الأحقق بأبيك ؟ قلت : ما أردت ذلك . قالت :
أي ابنة عم لا تفعل ، إن كانت لك حاجة بمقاع مما يرفق بك في سفرك
أو مال تبغين به إلى أبيك ، فإن عندي حاجتك ، فلا تضطلي مني ^(١)
فإنه لا يدخل بين النساء ما [يدخل] ^(٢) بين الرجال . قالت زينب : فوالله
ما أراها قالت ذلك إلا لتفعل ، واسكني خوفها فأنسكرت أن أكون أريد
ذلك ، وتجهزت .

ولما قرعت بنت رسول الله صلى الله عليه وسلم من جهازها قدم إليها
كيسان بن الربيع أخو زوجها بغيراً فركبته ، وأخذ قوسه وكمانته ثم خرج
بها نهاراً يقودها وهي في هودج لها ، ونحدث بذلك رجال قريش ، فخرجوا
في طلبها حتى أدركوها بذي طوى ، فسكان أول من سبق إليها هبار بن
الأسود القهري ، فروعها هبار بالرمح وهي في هودج لها ، وكانت حاملاً
فيما يزعمون ، فلما ريمت طرحت ذا بطنها ، وبزك حوها كيسان ونثر كيسانته
ثم قال : والله لا بدنو مني رجل إلا وضعت فيه سهماً . فتسكزكر
العاص عنه ، وأتى أبو سفيان بن حرب في جلة من قريش فقال : أيها الرجل
كف عفا نبك حتى نكلمك . فسكف ، فأقبل أبو سفيان حتى وقف

(١) اضطلي : تستحي أو تتعيبني . ون الطبرى : اضطلي بالمعنى على الأصل .

(٢) من الطبرى .

عليه ، فقال : إنك لم تُصِيبْ ، خرجتَ بالمرأة على رؤوس الناس علانيةً ، وقد عرفتَ مُصِيبَتَنَا ونَكِبَتَنَا ، وما دخل علينا من محمد ، فيفانَّ الناسُ إذا خرجتُ إليه ابتغته علانية على رؤوس الناس من بين أظهرنا أن ذلك عن ذلِّ أصابنا عن مصيبتنا التي كانت ، وأن ذلك منا ضعفٌ ووهنٌ ، لعمري ! ما لنا بتجسسها عن أبيها من حاجة ، وما لنا في ذلك من ثورة ، ولكن أُرْجِعِ المرأة ، حتى إذا هدأت الأصوات وتحدث الناسُ أن قد ردَدْنَاهَا ، فسَلَّمْهَا سرّاً والحَقُّ بِأبيها . ففعل ، فأقامت كَيْتَالِي حتى إذا هدأت الأصوات خرج بها ليلاً حتى أسَلَّمَهَا إلى زيد بن حارثة وصاحبه ، فقدمَ بها على رسول الله صلى الله عليه وسلم .

ولما انصرف الذين خرجوا إلى زينب أقيمتهم عند بنت عتبة فقالت لهم :
أَيُّ السَّلَامِ أَغْيَارٌ جَفَاءٌ وَغِلْظَةٌ

وفي الحرب أشباهُ للنساءِ المَوارِكِ^(١)

وأمر رسول الله صلى الله عليه وسلم سريةً بعثها بتعريق هَبَّار بن الأسود والرجل الذي سبق معه إلى زينب إن ظفروا بهما ، ثم بعث إليهم فقال : إني كدت قد أمرتكم بتعريق هذين الرجلين إن أخذتموهما ، ثم رأيتُ أنه لا ينبغي أن يمدَّبَ بالسار إلا الله عز وجل ، فإن ظفرتُم بهما فاقتلوهما .

[إسلام أبي العاص]

وأقام أبو العاص بمكة وأقامت زينب عند رسول الله صلى الله عليه وسلم حين فرَّقَ بينهما الإسلام ، حتى إذا كان قبلَ الفتح خرج أبو العاص تاجراً إلى

(١) الأعيار : جمع عير ، وهو الحمار . والموارك : الميوس .

الشام ، وكان رجلاً مأموناً ، بمال له وأموالٍ لرجال من قريش أبغضوها^(١) معه ، فلما فرغ من تجارته وأقبل قافلاً لقيته سرية رسول الله صلى الله عليه وسلم فأصابوا ماله وأعجزهم هارباً ، فلما قدمت السرية بما أصابوا من ماله أقبل أبو العاص تحت الليل حتى دخل على زينب بنت رسول الله صلى الله عليه وسلم فاستجار بها فأجارتها ، وجاء في طلب ماله ، فلما خرج رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى الصبح فكبر وكبر الناس معه صرخت زينب من صفة النساء : أيها الناس : إني قد أجرت أبا العاص بن الربيع . فلما سلم رسول الله صلى الله عليه وسلم من الصلاة أقبل على الناس فقال : أيها الناس هل سمعتم ما سمعت ؟ قالوا : نعم . قال : أما والذي نفس محمد بيده ما علمت بشيء حتى سمعت ما سمعتم ، إنه يجير على المسلمين أذنهم .

ثم انصرف ، فدخل على ابنته فقال : أي بنتية أكرمي مثواه ولا يخلصن إليك ، فإنك لا تجلين له . وبعث إلى السرية الذين أصابوا مال أبي العاص فقال لهم : إن هذا الرجل منا حيث قد علمتم ، وقد أصبتم له مالا ، فإن تحمسوا وتردوا عليه الذي له فإننا نحب ذلك ، وإن أبيتم فهو قىء الله الذي أفاء عليكم ، فأنتم أحق به . قالوا : يا رسول الله بل نرده عليه ، فردوه عليه ، حتى إن الرجل ليأتى بالدلو ويأني بالشنّة والإداوة ، حتى إن الرجل ليأتى بالشظاظ^(٢) حتى ردوا عليه ماله بأمره لا يفقد منه شيئاً ، ثم احتمل إلى مكة فأدّى إلى كل ذي مالٍ من قريش ماله ثم قال : يا معشر قريش ، هل بقي لأحدٍ منكم عندي مال لم يأخذه ؟ قالوا : لا ، فجزاك الله خيراً فقد وجدناك وفياً كريماً . قال : فإني أشهد أن لا إله إلا الله ،

(١) ط : انضموها

(٢) الشنة : القرية الخلق . والمظاظ : خشبة عفاء تجعل في عروق الجوارق .

وأن محمداً عبده ورسوله ، والله ما منعني من الإسلام عنده إلا تخوفُ
أن تظلموا أني إنما أردت أن آكل أموالكم ، فلما أداها الله إليكم وفرغتُ
منها ، أسلمتُ . ثم خرج حتى قدم على رسول الله صلى الله عليه وسلم .

وحكى ابن هشام عن أبي عبيدة ، أن الماص لما قدم من الشام ومعه
أموال المشركين قيل له : هل لك أن تسلم وتأخذ هذه الأموال ، فإنها
للمشركين ؟ فقال : بئس ما أبدأ به إسلامي أن أخون أمانتي !
[أمر أبي عزة]

ومن رسول الله صلى الله عليه وسلم على نفرٍ من الأسارى من قريش بغير
فداء ، منهم أبو عزة عمرو بن عبد الله الجعفي ، كان محتاجاً ذابداً ، فكلم
رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال : يا رسول الله : لقد عرفتُ مالي من مالٍ
وإني لذو حاجةٍ وذو عيالٍ فأمّنْ عليّ . فمّنّ عليه رسول الله صلى الله عليه
وسلم وأخذ عليه أن لا يظاهرَ عليه أحداً ، فقال أبو عزة في ذلك يمدح
رسول الله صلى الله عليه وسلم ويذكر فضله على قومه :

مَنْ مُبْلِغٌ عَنِّي الرَّسُولَ مُحَمَّدًا
بِأَمْرِكَ حَقٌّ وَلِلَّيْلِ تَحِيَّةٌ
بِأَمْرِكَ^(١) امْرُؤٌ تَدْعُو إِلَى الْحَقِّ وَالْهُدَى
عَلَيْكَ مِنْ اللَّهِ الْعَظِيمِ شَهِيدٌ
فَإِنَّكَ مِنْ حَارِبِهِ أَمْعَارِبٌ
شَقِيٌّ وَمِنْ سَالَمَتِهِ أَسْعِيدُ
فَأَنْتَ امْرُؤٌ نَوَّيْتَ فِينَا مَبَايَاً
لَهَا دَرَجَاتٌ سَهْلَةٌ وَصَعُودُ

ولسكن إذا ذُكِّرْتُ بِذُرَاكُمُ وَأَهْلِهِ تَأْوَبَ مَا بِي حَسْرَةً ووقعود
وذكر موسى بن عقبة أن المسلمين جهدوا على أبي عزة هذا عندما أُسِرَ بدر
فقال : لا حتى أضرب في الخزرجية يوماً إلى الليل .

وما وقع في شعره ومحاورته رسول الله صلى الله عليه وسلم مما يقتضي
التصریح برسالة فلا أعلم له مخرجاً ، إن صحَّ ، إلا أن يكون ذلك من جهة
ما قصد به أبو عزة أن يخذع رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فعاد على عدو الله
ما اتهم ، ولم يخذع إلا نفسه وما شعر ، وذلك أنه لما أخذت قريش قبل أحد
في الإعداد لحرب رسول الله صلى الله عليه وسلم طلباً بشأهم في يوم بدر قال
صفوان بن أمية لأبي عزة هذا : يا أبا عزة إنك امرؤ شاعر ، فأعنا بلسانك ،
فاخرج معنا . فقال : إن سمحاً قد منَّ عليَّ فلا أريد أن أظهر عليه . قال :
بلى ، فأعنا بنفسك ، فلك الله عليَّ إن رجعت أن أعيدك ، وإن أصبت
أن أجعل بداتك مع بني ، يُعصِبُنَّ ما أصابنَّ من عزٍّ وبُسرٍ . فخرج
أبو عزة يسير في تهامة ويدعو بني كدانة ويقول :

أيا بني عبد مناة الرزائم^(١) أنتم حُجَّاءُ وأبوكم حاتم
لا تَعْدُمُونِي نَهْرَكُمْ بعد العام لا تُسَلُّونِي لا يحلَّ إسلام

ثم كان من الأمر يوم أحد ما كان ، وخرج رسول الله صلى الله عليه وسلم
بعد الوقعة مُرهَباً لعدوه حتى انتهى إلى حمراء الأسد ، فأخذ رسول الله
صلى الله عليه وسلم في جهه ذلك أبا عزة الجعفي ، فقال : يا رسول الله أنفاني
فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « والله لا تمسح عارضيك بمكة ، تقول :
خَدَعْتُ مُحَمَّدًا مرتين ! أضرب عنقه يا زبير » . فضرب عنقه .

وذكر ابن هشام فيما بلغه عن سعيد بن المسيب أن رسول الله صلى الله

(١) الرزائم : الرجل الشديد الصعب .

عليه وسلم قال له : « إن المؤمن لا يُلدغ من جُحُرِ صرّتين ، اضرب عنقه ،
يا عاصم بن ثابت » فاضرب عنقه .

[إسلام عمير بن وهب]

وكان عُمر بن وهب شيطاناً من شياطين قريش ، ومن كان يؤذى
رسول الله صلى الله عليه وسلم وأصحابه بمكة ويلتقون منه عتكا ، وكان ابنه
وَهْب بن عمير في أسارى بدر ، فجلس عمير مع صفوان بن أمية في الجُبُر بعد
مُصَاب أهل بدر ببسير ، فذكر أصحاب القليب ومُصاهم ، فقال له صفوان :
فوالله إن في العيش خيرٌ بعدكم . فقال له عمير : صدقت والله ، أما والله لولا دين
علىّ لبس له عددي قصالا وعيال أخشى عليهم الضيعة بعدى لركبتُ إلى محمد
حتى أقتله ، فإن لي فيهم علة^(١) ، ابني أسير في أيديهم . فاعتقها صفوان فقال :
علىّ ذبتك أنا أفضيه عنك ، وعيالك مع عيالي أو أسبهم ما بقوا لا يسمي شيء
وبتمجيز عنهم ، قال عمير : فاكتم عني^(٢) شأني وشأنك ، قال : أفعل . ثم أسرا
عمير بسيفه فشجّذله وسُم ، ثم انطلق حتى قدم المدينة . فقبّذا عمر بن الخطاب
في نفر من المسلمين يتحدثون عن يوم بدر وبذكرون ما أكرمهم الله به
وما أراهم من عدوهم ، إذ نظر عمر إلى عُمر بن وهب حين أناخ على باب المسجد
متوشحاً السيف ، فقال : هذا لا يكذب عدو الله عُمر بن وهب ما جاء إلا اشتر ،
وهذا الذي حرّش بيننا وحزرا^(٣) للقوم يوم بدر .

ثم دخل عمر على رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال : يا نبي الله هذا
عدو الله عمير بن وهب ، قد جاء متوشحاً سيفه . قال : فأدخله علي . فأقبل

(١) العلوى : قباهم علة .

(٢) العلوى : على .

(٣) حزرا : قدر عددنا .

عمر حتى أخذ بحمالة سيفه في عنقه فلبّيته بها^(١) وقال لرجال من الأنصار كانوا معه : ادخلوا على رسول الله صلى الله عليه وسلم فاجلسوا عنده واحذروا عليه هذا الحديث فإنه غير مأمون . ثم دخل ، فلما رآه رسول الله صلى الله عليه وسلم كذلك قال : أرسله يا عمر ، أذن يا عمير . فدنا ثم قال : أنتموا صباحاً ، وكانت تحمية أهل الجاهلية بينهم ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « قد أكرمنا الله بتحيةٍ خير من تحيةك يا عمير ، بالسلام تحية أهل الجنة » . قال : أما والله إن كنت بها يا محمد لحديث عهد . قال : فما جاء بك يا عمير ؟ قال : جئت لهذا الأسير الذي في أيديكم فأحسبوا فيه ، قال : فما بال السيف في عنقك ؟ فقال : قبّحها الله من سيوف ، وهل أغنت شيئاً ! قال : اصدقني ما الذي جئت له ؟ قال : ما جئت إلا لذلك . قال : بل قدمت أنت وصفوان بن أمية في الحجر ، فذكرتما أصحاب القليب من قريش ، ثم قلت : لولا ذنب عليّ وعيالٌ عندي لخرجتُ حتى أقتل محمداً ، فتعجل لك صفوان بذنبك وعيالك عليّ أن تقتلني له ، والله حائلٌ بينك وبين ذلك . قال عمير : أشهد أنك رسول الله ، قد كنا يا رسول الله نكذبك بما كنت تأتينا به من خبر السماء وما ينزل عليك من الوحي ، وهذا أمرٌ لم يحضره إلا أنا وصفوان ، فوالله إنني لأعلم ما أتاك به إلا الله ، فالحمد لله الذي هداني للإسلام وساقني هذا المساق . ثم شهد شهادة الحق . فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « فقهوا أخاكم في دينه ، وأقرئوه القرآن ، وأطلقوا له أسيره » ففعلوا .

ثم قال : يا رسول الله إن كنت جاهدًا على إطفاء نور الله شديداً لأدّى لمن كان على دين الله ، وأنا أحبُّ أن تأذن لي فأقدم مكة فأدعهم إلى الله

(١) ليته : جمع ثيابه عند نحره في المصومة .

وإلى الإسلام ، لعل الله يهديهم ، وإلا آذيتهم في دينهم كما كدت أؤذي أصحابك في دينهم .

فأذن له رسول الله صلى الله عليه وسلم فلحق بمكة . وكان صفوان حين خرج يقول : أبشروا بوقعة تأتيكم الآن في أيام تنسيكم وقعة بدر . وكان يسأل عنه الركبان ، حتى قدم راكباً فأخبره عن إسلامه ، فخاف أن لا يكلمه أبداً ولا يدمعه بدمع أبداً ، فلما قدم عير مكة أقام بها يدعو إلى الإسلام ويؤذي من خالعه أذى شديداً ، فألم على يديه ناس كثير .

وعير هذا أو الحارث بن هشام - بشك ابن إسحاق - هو الذي رأى إبليس حين نكص على عقبيه يوم بدر فقال : أين أنت مريق ؟ فثقل^(١) عدو الله فذهب . فأنزل الله تبارك وتعالى فيه : « وَإِذْ زَيْنٌ لَمْ الشَّيْطَانُ أَعْمَانَهُمْ وَقَالَ لَا غَالِبَ لَكُمْ الْيَوْمَ مِنَ النَّاسِ وَإِنِّي جَارٌ لَكُمْ »^(٢) فذكر استدراج إبليس إياهم بتشبهه بسراقه بن مالك بن جهم لم حين ذكروا ما بينهم وبين بني بكر من الحرب ، يقول الله عز وجل : « فَلَمَّا تَرَأَتِ الْفِئَتَانِ » ونظر عدو الله إلى جنود الله من اللاتكة قد أبد الله بهم رسوله والمؤمنين على عدوهم « نَكَصَ عَلَىٰ عَقِبَيْهِ وَقَالَ : إِنِّي تَرَىٰ مَلِكًا إِنِّي أَرَىٰ مَا لَا تَرَوْنَ » وصدق عدو الله الكدوب ، رأى ما لم يروا وقال : « إِنِّي أَخَافُ اللَّهَ وَاللَّهُ شَدِيدُ الْعِقَابِ » فذكروا أنهم كانوا برونه في كل منزل في صورة سراقه لا يذكرونه ، حتى إذا كان يوم بدر والتقى الجمعان نكص على عقبيه فأوردتهم نهم أسلمهم .

(١) ابن هشام : ومثل . والمعصود : اطل . بالأرض واختن .

(٢) سورة الأنفال ٤٨ .

وفي ذلك يقول حسان بن ثابت :

قَوْنِي الذِّينَ هُمْ أَوْزَا نَبِيَّهِمْ
وَصَدَّقُوهُ وَأَهْلُ الْأَرْضِ كَفَّارُ
إِلَّا خِصَائِنِ أَقْوَامٍ هُمْ سَلَفُ
لِلصَّالِحِينَ مَعَ الْأَنْصَارِ أَمَّارُ
مُسْتَبْشِرُونَ بِقَسَمِ اللَّهِ قَوْلُهُمْ
لَمَّا أَنَا مَكْرِمُ الْأَصْلِ نَخْتَارُ
أَهْلًا وَسَهْلًا فِي أَمْنٍ وَفِي سَعَةٍ
نِعْمَ الدَّبِيُّ وَنِعْمَ الْقَسَمُ وَالْجَارُ
فَأَنْزَلُوهُ بَدَارٍ لَا يَخَافُ بِهِ
مَنْ كَانَ جَارَهُمْ دَارًا هِيَ الدَّارُ
وَقَاتِمُهُمْ بِهِ الْأَمْوَالُ إِذْ قَدَمُوا
مُهَاجِرِينَ وَقَسَمُ الْجَاهِلِ النَّارُ
سِرْنَا وَسَارُوا إِلَى بَدْرِ لَحَيْنَهُمْ
لَوْ يَعْلَمُونَ بِقَيْنِ الْعِلْمِ مَا سَارُوا
دَلَّاهُمْ بِغُرُورٍ ثُمَّ أَسْلَمَهُمْ
إِنْ الْخَبِيثُ لَمِنْ وَالْأَهْ غَرَّارُ
وَقَالَ إِنِّي جَارُكُمْ فَأَوْرَدَهُمْ
شَرًّا لِلْمَوَارِدِ فِيهِ الْخِزْيُ وَالْعَارُ
ثُمَّ التَّقِيدُ فَوَأَوْا عَنْ سَرَائِهِمْ
مَنْ مُنْجِدِينَ وَمِنْهُمْ فِرْقَةٌ غَارُوا

وَبُرُوى أَنَّ قَرِيشًا رَأَوْا سُرَافَةَ الْمَذَلِجِي بَعْدَ وَقْعَةِ بَدْرٍ ، وَهُوَ الَّذِي نُمِّثَلُ
لَهُمُ الْإِلَهِيسُ فِي صُورَتِهِ يَوْمَ بَدْرٍ كَمَا تَقْدُمُ ، فَقَالُوا لَهُ : يَا سُرَافَةَ أَخْرِمْتَ الْهَضْبَ
وَأَوْقَعْتَ فِينَا الْمَزِيَّةَ ١٩ فَقَالَ : وَاللَّهِ مَا عَلِمْتُ بِشَيْءٍ مِنْ أَمْرِكُمْ حَتَّى كَانَتْ
هَزِيمَتُكُمْ ، وَمَا شَهِدْتُ مَعَكُمْ فَمَا صَدَّقُوهُ حَتَّى أَسْلَمُوا وَسَمِعُوا مَا أَنْزَلَ اللَّهُ فِي
ذَلِكَ ، فَعَلِمُوا أَنَّهُ كَانَ الْإِلَهِيسُ نُمِّثَلُ لَهُمْ

[مَا نَزَلَ فِي بَدْرٍ مِنَ الْقُرْآنِ]

وَلَمَّا انْقَضَى أَمْرُ بَدْرٍ ، أَنْزَلَ اللَّهُ تَبَارَكَ وَتَعَالَى فِيهِ مِنَ الْقُرْآنِ « الْأَنْفَالِ »
بِأَسْمَائِهِ^(١) .

[مِنْ شَهِدَ بَدْرًا مِنَ الْمُسْلِمِينَ]

وَكَانَ جَمِيعٌ مِنْ شَهِدَ بَدْرًا مِنَ الْمُسْلِمِينَ مِنَ الْمُهَاجِرِينَ وَالْأَنْصَارِ ، مِنْ شَهِدَهَا
وَمِنْ ضُرِبَ لَهُ بِسُيُوفِهِمْ وَأَحْرَقَ ثَلَاثُمِائَةٍ رَحْلٍ وَأَرْبَعَةٌ عَشَرَ رَجُلًا ، مِنَ الْمُهَاجِرِينَ
ثَلَاثَةٌ وَثَمَانُونَ رَجُلًا : ثَلَاثَةٌ مِنْهُمْ ضُرِبَ لَهُمْ بِسُيُوفِهِمْ وَأُجُورُهُمْ وَلَمْ يَشْهَدُوا ،
وَهُمْ : عُمَانُ بْنُ عَفَّانَ ، تَخَلَّفَ عَلَى أَمْرَاتِهِ رَقِيَّةُ بِنْتُ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ
لِمَرْضَاهَا الَّذِي تَوَفَّيَتْ فِيهِ قَبْلَ أَنْ يَرْجِعَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مِنْ بَدْرٍ ،
فَضْرِبَ لَهُ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بِسُيُوفِهِمْ قَالَ : وَأَجْرِي يَا رَسُولَ اللَّهِ ؟
قَالَ : وَأَجْرُكَ . وَطَلْحَةُ بْنُ عُبَيْدِ اللَّهِ ، وَسَعِيدُ بْنُ زَيْدٍ^(٢) ، كَانَا بِالشَّامِ فَرَجَعَا بَعْدَ
رَجُوعِ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مِنْ بَدْرٍ ، فَضْرِبَ لِكُلِّهِمَا بِسُيُوفِهِمْ قَالَ .
وَأَجْرِي يَا رَسُولَ اللَّهِ ؟ قَالَ : وَأَجْرُكَ .

وَمِنْ الْأَوْسِ : وَاحِدٌ وَسِتُّونَ ، اثْنَانِ مِنْهُمْ ضُرِبَ لَهَا بِسُيُوفِهِمْ : عَاصِمُ بْنُ

(١) انظر تفسير ابن هشام وعرضه لسورة الأنفال في السيرة ١/٦٦٦ — ٦٧٧ .

(٢) هو سعيد بن زيد بن عمرو بن نفيل .

عَدِيّ المَجَلَاتِي ، رده رسول الله صلى الله عليه وسلم بعد أن خرج معه وضرب له بسهمه ، وخوات بن جُبَيْر ضرب له أيضاً بسهمه
ومن الخزرج مائة وسيمون رجلاً ، منهم الحارث بن الصنمة كُسر به
بالروحاء فضرب له رسول الله صلى الله عليه وسلم بسهمه^(١) .

[الشهداء]

واستشهد يومئذ من المسلمين مع رسول الله صلى الله عليه وسلم أربعة عشر رجلاً : ستة من قريش : عُبَيْدَةُ بن الحارث بن المطلب ، وعُمَيْر بن أبي وقاص الزُّهْرِي ، وذو الشَّمالين بن عبد عمرو حليف لبني زهرة ، وعاقِل بن الأَسْكَنِ حليف لبني عَدِيّ ، ومُهَجِّج مولى عمر بن الخطاب ، وصفوان بن بَيْضَانَ .

ومن الأنصار ثمانية نفر ، خمسة من الأوس سعد بن خيثمة ، ومبشر ابن عبد المنذر من بني عمرو بن عوف ، وبزید بن الحارث الذي يقال له ابن فُضْهَم من بني الحارث بن الخزرج ، وعُمَيْر بن الحُطَّام من بني سلمة ، ورافع بن المَعْلَى من بني جُشَم .

وثلاثة من الخزرج من بني النَجَّار : حارثة بن سُرَقَة ، وعوف ومُتَوَذ ابنا الحارث بن رفاعه منهم ، وهما ابنا عفراء ، رحمة الله على جميعهم ورضوانه .

وكان مع المسلمين يوم بدر من الخليل فرس الزبير بن العوام ، وفرس مَرْثَد بن أبي مَرْثَدٍ الْغَفَوِي ، وفرس المقداد بن عمرو الْبَهْرَانِيّ

[قتلى المشركين]

وذكر ابن إسحاق أن جميع من أُخِصَّ له من قتلى قريش من المشركين يوم بدر خمسون رجلاً . وقال ابن هشام : حدثني أبو عبيدة عن أبي عمرو أن قَتْلَى بدر من المشركين كانوا سبعين رجلاً والأسرى كذلك ، وهو قول

(١) زاد الواعدي : وأجره . ابن كثير ٢/٥٠٩ .

ابن عباس وسعيد بن المسيب . وفي كتاب الله تبارك وتعالى : « أَوَآثَمَا
أَصَاتِكُمْ مُصِيبَةٌ قَدْ أَصَبْتُمْ مِثْلَهَا » يقول لأصحاب أحد ، وكان من
استشهد منهم سبعون رجلاً يقول : قد أصبتم يوم بدرٍ مثلي من استشهد منكم
يوم أحدٍ : سبعين قتيلًا وسبعين أسيرًا .

وانشدني أبو زيد الأنصاري لسكرت بن مالك من قصيدة له يلحى

قتلى بدرٍ :

فَأَقَامَ بِالْمَعْلَنَ الْمَعْلَنَ مِنْهُمْ سَبْعُونَ عَشْرَةً مِنْهُمْ وَالْأَسْوَدُ

[ما قيل من الشعر في يوم بدر]

وكان مما قيل في يوم بدر من الشعر : قول حمزة بن عبد المطلب يرحمه الله ،

ومن أهل العلم من يذكرها له :

أَلَمْ تَرَ أَمْرًا كَانَ مِنْ أَعْجَبِ الدَّهْرِ ^(١)

وَلَا حَتَّى أَسْبَابِ مُبَيْدَةِ الْأَمْرِ

وَمَا ذَاكَ إِلَّا أَنْ قَوْمًا أَفَادِمَ

فَنَاقُوا تَوْصِي بِالْعَوَقِ وَالْكَفَرِ ^(٢)

عَشِيَّةَ رَاحٍ نَحْوِ بَدْرِ بِجَمْعِهِمْ

فَسَكَانُوا رُهُونًا بِالرَّكِيَّةِ مِنْ بَدْرِ ^(٣)

وَكُنَّا طَلَبًا لِدَيْرٍ لَمْ نَبْعِ غَيْرَهَا

فَسَارُوا إِلَيْهَا فَالْتَقَيْنَا عَلَى قَدْرِ

فَلَمَّا التَقَيْنَا لَمْ تَكُنْ مَشْنُوبَةً

لِأَسَاغِيرِ طَمَرٍ بِالْمَشْفَةِ الشُّمْرِ ^(٤)

(١) ابن هشام : كان من عجيب الدهر .

(٢) أفادهم : أحللكهم . وناقوا : جاء بينهم .

(٣) الركبة : البئر غير المطوية .

(٤) المشنوبة : الرجوع والانصراف .

وضرب بيضٍ يَخْتَلِي المِصَامَ حَدُّهَا
 مَشْهُرَةٌ الألوانَ بَيِّنَةٌ الْأَثَرِ^(١)
 وَنَحْنُ تَرَكْنَا عَقِبَةَ النَّيِّ ثَاوِيًا
 وَشَيْبَةً فِي قَتْلِ تَجَرَّجَمٍ فِي الْجَنْفِ^(٢)
 وَعَمَرُو ثَوَى فِيمَنْ ثَوَى مِنْ حُجَاهِم
 فَشَقَّتْ جُيُوبُ النَّاسِخَاتِ عَلَى عَمْرٍو
 جُيُوبُ نِسَاءٍ مِنْ لُؤَى بْنِ غَالِبٍ كَرَامٍ
 تَفَرَّغْنَ الدَّوَابَّ مِنَ قَهْرٍ
 أُولَئِكَ قَوْمٌ قُتِلُوا فِي ضَلَالٍ
 وَحَالُوا لَوْ غَيْرَ مُخْتَفَرٍ لِلذَّمْرِ
 لَوَاهِ ضَلَالٍ قَدَّ إِبْلِيسُ أَهْلَهُ
 فَخَسَّسَ لَهُمْ إِنْ الْخَبِيثُ إِلَى غَدْرِ^(٣)
 وَقَالَ لَهُمْ إِذْ عَابَنَ الْأَمْرَ وَاصْحَا
 بَرِئْتُ إِلَيْكُمْ مَا بَيَّ لِلْيَوْمِ مِنْ صَنِيرٍ
 فَإِنِّي أَرَى مَا لَا تَرَوْنَ وَإِنِّي
 أَخَافُ عِقَابَ اللَّهِ وَلِلَّهِ ذَرَقَتِيرٍ
 فَقَدَّمَهُمُ لِلْحَسَنِ حَتَّى نَوْرُطُوا
 وَصَكَانَ بِمِالٍ يُخَيِّرُ الْقَوْمُ ذَا خَيْرٍ

(١) يَخْتَلِي : يقطع . والأثر : بفتح الهمزة : فرند السيف . وليس هذا مرادنا هنا .
 وبالنسبة : أثر الجراح يقع بعد البرء . ولعله مراد المقصود .
 (٢) تَجَرَّجَم : سقط . والجف : البثر لم تطو ، أو طوى بعضها .
 (٣) خَسَّسَ : غدر .

فكانوا غداة الهير ألبا وجمعا
 ثلاث مئين كالمسدة الزهر^(١)
 وفيما جنود الله حين يمدنا
 بهم في مقام ثم مستوضع الذكر
 فتسد بهم جبريل تحت لوائنا
 لدى مازق فيه مفايهم تجري
 وقال علي بن أبي طالب رضي الله عنه في يوم بدر - ولم ير ابن هشام
 أحدا يعرفها من أهل العلم :
 ألم تر أن الله أنزل رسوله
 بلقاء عزيز ذي اقتدار وذو فضل
 بما أنزل الكفار دار مدامة
 فلاقوا هوانا من إصار ومن قتيل
 فأنسى رسول الله قد عز نصره
 وكان رسول الله أنزل بالعدل
 فجاء بفراق من الله منزل مبيته آياته لدوى العقل
 فآمن أقوام بذلك وأبقوا فأمسوا بحمد الله مجتمعي الشمل
 وأنكر أقوام فزاعت قلوبهم
 فزادهم ذو العرش خبلا على حبل
 وأمكن منهم يوم بدر رسوله
 وقوما غضابا فعلهم أحسن الفعل

(١) المسدة : الفحول الهادرة ، والزهر : البيض .

بأيديهم بيض خفاف عصوا بها^(١)

وقد حاذتوها بالجللاء وبالصفـ

فكم تركوا من ناشئ ذي حية صريع ومن ذي نجدة منهم كهل
تبيت عيون السامحات عليهم تجود بإسبال الرشايش والونل
نوايح تنعى عقبه الغي وابنه وشيبة تنعاه وتلعي أبا جهل
وذا الرجل تنعى وابن جدعان فيهم مسلبة حرى مبيته للـ^(٢)
ثوى منهم في بئر بدر عصابة

ذوى نجدات في الحروب وفي المـ
دعا الغي منهم من دعا فأجابه وللغي أسباب مرمقة الوصل^(٣)
فأصبحوا لدى دار الجحيم بمنزل
عن الشغب والعدوان في أشغل الشغل^(٤)

* * *

وقال كعب بن مالك أخو بني سلمة يذكر بدرًا ويقول :
عجبت لأمر الله والله قادر على ما أراد ليس لله قاهر
قضى يوم بدر أن نلاقى معشرًا بقوا وسبيل الغي في الناس جائر
وقد حشدوا واستنفروا من يليهم من الناس حتى جمعهم متكاثر
وسارت إلينا لا نحاول غيرنا بأجمعها كعب جميعًا وعامر
وفينا رسول الله والأوس حوله له محقل منهم عزيز وناصر

(١) عصوا بها : ضربوا .

(٢) اللسبة : التي تلبس السلاب ، وهي الثياب السود ، حدادا .

(٣) الرمق : الضيف .

(٤) في سيرة ابن كثير ٢ / ٥٢٦ : في أسفل السفلى .

وَجَمَعَ بَنِي النَّجَّارِ تَحْتَ لَوَائِهِ يَشُونَ فِي الْمَآذِي وَالنَّفْعِ ثَائِرٌ^(١)
 فَلَمَّا أَقْبَسَهُمْ وَكُلُّهُمْ مَجَاهِدٌ لِأَصْحَابِهِ مُسْتَبْسِلُ الْفَنَنِ صَابِرٌ
 شَهِدْنَا بِأَنَّ اللَّهَ لَا رَبَّ غَيْرَهُ وَأَنَّ رَسُولَ اللَّهِ بِالْحَقِّ ظَاهِرٌ
 وَقَدْ عُرِّبَتْ بَيْنَهُ خِيفَاتُ كَانِهَا مَقَابِيسُ زُهِيبِهَا أَمِينُكَ شَاهِرٌ
 بَيْنَ أَيْدِنَا جَهَنَّمُ فَنَبِّدُوا وَكَانَ يَلَاقِي الْحَيْنَ مِنْهُ فَاجِرٌ
 فَسَكَبَ أَبُو جَهْلٍ سَرِيحًا لِوَجْهِهِ وَعُتْبَةُ قَدْ غَادَرَتْهُ وَهُوَ عَائِرٌ
 وَشَيْبَةُ وَالتَّيْمِيُّ غَادَرْنَ فِي الْوَعَى وَمَا مِنْهُمَا إِلَّا بِذِي الْمَرْشِ كَافِرٌ
 فَأَسْرَوْا وَقَوَدَ النَّارُ فِي مُسْتَقَرِّهَا وَكُلُّ كَفُورٍ فِي جَهَنَّمَ صَائِرٌ
 تَلَفَّتْ عَلَيْهِمْ وَهِيَ قَدْ شُبَّ حَبُّهَا بَزْبَرِ الْحَدِيدِ وَالْحِجَارَةِ سَاجِرٌ^(٢)
 وَكَانَ رَسُولُ اللَّهِ قَدْ قَالَ أَقْبِلُوا فَوَلُّوا وَقَالُوا إِنَّمَا أَنْتَ سَاحِرٌ
 لِأَمْرِ أَرَادَ اللَّهُ أَنْ يَهْلِكَ وَابَهُ وَلَيْسَ لِأَمْرِ حَمِّهِ اللَّهُ زَاجِرٌ

وَالْغَيْرَارُ بْنُ الْخَطَّابِ الْقَهْمَرِيُّ فِي هَذَا الرَّوْيِ شَعْرٌ ، ذَكَرَ ابْنُ إِسْحَاقَ
 أَنَّ كَعْبَ بْنَ مَالِكٍ أَجَابَهُ عَنْهُ بِهَذَا الشَّعْرِ الَّذِي كَتَبْتُهُ أَيْضًا ، وَالْأَخْطَرُ مِنْ
 مَقْتَضَى الشَّعْرِ أَنَّ ضِرَارًا هُوَ الَّذِي أَجَابَ كَعْبَ بْنَ مَالِكٍ وَمَقْتَضَى عَلَيْهِ . وَهَذَا
 شَعْرُ ضِرَارٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ .

مَجِبْتُ أَفْخَرَ الْأَوْسِ وَالْحَيْنِ دَائِرُ عَلَيْهِمْ غَدَاً وَالْدَّهْرُ فِيهِ بِهَائِرُ
 وَغَفَرَ بَنِي النَّجَّارِ أَنْ كَانَ مَعْشَرُ أُصِيبُوا بِبَدْرِ كَلِمَةٍ تَمَّ صَابِرُ
 فَإِنْ تَكَ قَتْلَى غَوْدِرَتْ مِنْ رَجَالِنَا فَإِنَّا رَجَالٌ بَعْدَهُمْ سَفَافِرُ

(١) الْمَآذِي : الدُّرُوحُ الْبَيْسُ الْبَيْتَةُ .

(٢) تَلَفَّتْ : تَوَلَّدَ . وَبَزْبَرِ الْحَدِيدِ : بَفَتْحِ الْبَاءِ وَإِنَّمَا سَكَنْتَ لَوْزَنَ الشَّعْرِ : قَطْعُهُ .

وَالسَّاجِرُ : اللَّوْقَدُ .

وَتَرَدَّى بِنَا الْجُرْدُ الْمَنَاجِيحُ وَسَطَهُم

بَنَى الْأَوْسَ حَتَّى يَشْفَى النَّفْسَ ثَائِرٌ^(١)

ووسط بني النجار عوف نكرها لها بالقمنا والذريعين زوافر
فترك مصرعى تمصيب الطير حولهم وليس لهم إلا الأمانى ناصر
وتبكيهم من أهل يثرب نسوة لمن بها ليل عن الدور ساهر
وذلك أنا لا نزل سيوفنا بهن دم من يحاربن مائر^(٢)
فإن تظفروا في يوم بدر فإنما بأحد أمتى حدكم وهو ظفر
وبالنقر الأخياريه أولياؤه يحامون في اللأواء والموت حار^(٣)
بعد أبو بكر وحزة فيهم وبدعى على وسط من أنت ذا كرك
أولئك لامن نتجت في ديارها بدو الأوس والتجار حين تفاخر
ولكن أبوم من لوى بن غالب إذا عدت الأناب كمب وعامر
هم الطاعون الخليل في كل معرك غداة الهياج الأطييون الأكار
ومن شعر حسان بن ثابت يعرض بالحارث بن هشام وفراره من يوم
بدر :

إن كنت كاذبة الذى حدثتني ففجوت منجى الحارث بن هشام^(٤)
ترك الأختبة أن يقانل دونهم ونجا برأس طمرية والجسم^(٥)

(١) تردى : تسرع . والجرد : الخيل القصار الشعر . والمناجيح : بنياد الخيل .
والثائر : الطالب لثأره . وفي ابن هشام : وسطهم . بدلا من : وسطكم .
(٢) المائر : الجارى .
(٣) اللأواء : الناس والشدة .
(٤) من قصيدة أوردها ابن هشام في السيرة ٣ / ١٦ .
(٥) الطمرة : الفرس الجواد .

فأجاب الحارث بن هشام فيما ذكر فقال :

الله أعلم ما تركت قتالهم حتى علّوا فرسي بأشقر مُزِيدٍ
وعرفتُ أنّي إنْ أقاتلُ واحداً أقتلُ ولا يُخزِرُ^(١) عدوي مُشهدي
فصدّدتُ عنهم والأحبةَ فيهم طمعاً لم يعبأ به يوم مُفسِدِ
وقال حسان بن ثابت أيضاً ، ويقال إنها لعبد الله بن الحارث السهمي ،
ويشبه أباها من قصيدة :

مُسْتَشِيرِي حَتَّى الْمَآذَى يَقْدُمُهُم جَلْدُ النَّعْبِزَةِ مَاضٍ غَيْرِ رَغْدِيدِ^(٢)
أعنى رسولَ الإله^(٣) الحقَّ فضله على البريةِ بالنعوى وبالجلودِ
وقد زعمتم بأنْ نحموا ذِمَارَكُمْ وماء بدرٍ زعمتمْ غيرَ مَوْرُودِ
ثم وردنا ولم نسمع أقوالكم حتى شربنا رِواءَ غيرِ تعريدي^(٤) !
مستعصمين بحيلٍ غيرِ مُنْجِدِمْ مُسْتَحْكَمٍ مِنْ حِبَالِ اللَّهِ مَحْدُودِ
فيما الرسولُ وفيما الحقُّ نَذْبَعُهُ حتى الماتِ ونهرٌ غيرَ مَحْدُودِ
وقال حسان بن ثابت أيضاً :

ألايتِ شِمْرِي هلْ أنى أَهْلَ مَكَّةِ إبادتنا الكفارَ في ساعةِ العُسرِ
قتلنا سَرَاةَ الْقَوْمِ عندَ مَجَالِيسِنا فلم يرجعوا إلّا بقاصمةِ الظاهرِ
فكم قد قتلنا من كريمٍ مُرَزِّإٍ له حَسَبٌ في قومه نَابِهٌ الدَّكْرِ

(١) سيرة ابن كثير ٢ / ٥٣١ : ولا ينسكي .

(٢) الماذى : الدروع الآتية . والمستشير اللابس على جسمه بغير حاجزٍ والنعبزة :
الطبيعة . والرعديد : الجبان .

(٣) كذا بالأصل . وفي ابن هشام : رسولُ إلهِ الخلق .

(٤) التعريدي : الضرب القابل دون الرى .

تركناهمُ لِلْعَاوِيَاتِ تَنُوشُهُمْ^(١) وَيَصْلَوْنَ نَارًا بَعْدَ حَامِيَةِ الْقَمَرِ
لَعَمْرُكَ مَا حَامَتْ فَوَارِسُ مَالِكٍ وَأَشْيَاعُهُمْ يَوْمَ اللَّتَيْنَا عَلَى بَدْرٍ
وَقَالَ عُبَيْدَةُ بْنُ الْحَارِثِ بْنِ الْمُطَّلَبِ فِي يَوْمِ بَدْرٍ ، يَذْكُرُ مَبَارَزَتَهُ هُوَ وَحِزَّةُ
وَعَلَى عَدُوِّهِمْ ، وَمَا كَانَ مِنْ إَصَابَةِ رِجْلِهِ يَوْمَئِذٍ قَالَ ابْنُ هِشَامٍ : وَبِمَعْضِ أَهْلِ
الْعِلْمِ بِالشَّعْرِ يَنْكُرُهَا لَهُ :

سَتَبَايَعَ عَنَا أَهْلَ مَكَّةَ وَقَعَةً يَهَبُ لَهَا مِنْ كَانَ عَنْ ذَلِكَ نَائِيًا
بُتْمَةً إِذْ وَلَّى وَشِيئَةً بَعْدَهُ وَمَا كَانَ فِيهَا بِسَكْرٍ عُتْبَةً رَاضِيًا
فَإِنْ تَقَطَّعُوا رِجْلِي فَإِنِّي مُسْلِمٌ أَرْجَى بِهَا عَيْشًا مِنْ اللَّهِ دَانِيًا
مَعَ الْحُورِ أَمْثَالِ الثَّمَانِيْلِ أَخْلَصْتُ مَعَ الْجَنَّةِ الْمُغْلِيَا لِمَنْ كَانَ عَالِيًا
وَعِثْتُ بِهَا عَيْشًا تَعْرِفْتُ صَفْوَةً وَعَالَجْتُهُ حَتَّى فَقَدْتُ الْأَدْنِيَا
وَأَكْرَمَنِي الرَّحْمَنُ مِنْ فَضْلِ مَنَّةٍ بِثُوبٍ مِنَ الْإِسْلَامِ طَلَى الْمَسَاوِيَا
وَمَا كَانَ مَكْرُوهًا إِلَيَّ قَتَالُهُمْ غَدَاةَ دَعَا الْأَكْفَاءَ مَنْ كَانَ دَاعِيًا^(٢)
لَقِينَاهُمْ كَالَأَسَدِ تَعَتَّرَ^(٣) بِالْقَنِيَا مُقَاتِلٌ فِي الرَّحْمَنِ مَنْ كَانَ عَاصِيًا
فَسَابَرَحَتْ أَقْدَامُنَا مِنْ مَقَامِنَا ثَلَاثَتْنَا حَتَّى أَزْبَرُوا لِلْمَنَائِيَا
قَالَ ابْنُ هِشَامٍ : لَمَّا أَصِيبَتْ رِجْلُ عُبَيْدَةَ قَالَ : أَمَّا وَاللَّهِ لَوْ أَدْرَكَ أَبُو مُطَالِبٍ

هَذَا الْيَوْمَ لَعَلَّمَنِي أَحَقَّ مَعَهُ بِمَا قَالَ حِينَ يَقُولُ :

كَذَبْتُمْ وَبَيْتَ اللَّهِ يُبْزَى عَمْدًا^(٤) وَلَمَّا نَطَاعَنَ حَوْلَهُ وَنُفَاضِلَ
وَنُسَلِمَهُ حَتَّى نُصْرِعَ حَوْلَهُ وَنَذْهَلَ عَنْ أَبْنَانِنَا وَالْحَلَالِ

(١) ابن هشام : يفتنهم . وفي رواية له : يفتنهم .

(٢) بعده في ابن هشام زيادة :

ولم يبلغ إذ سألوا النبي سواءا ثلاثتنا حتى حضرنا الميمنة

(٣) كذا بالأصل . وفي اللسان : عثر الرمح وغيره اشتد واضطرب وامتز ، قال :

وكل خطي لذا هزه عثر وفي ابن هشام : تخبط بالثنا

(٤) في اللسان : يزي محمد . ومناه : يقهر وينزل .

ولما هلك عبدة بن الحارث من مصاب رجله قالت هند ابنة أنثمة بن عباد
ابن المطلب ، وكانت وفاته بالصفراء وبها دفن برحه الله :

أقد صمّن الصفراء مجداً وسودداً
وحلماً أصيلاً وافرّ الأب والعقل
عبدة فابكيه لاضئاف غربة
وأرملة تهوى لأشمت كالجدل^(١)
وبكيه الأقوام في كل شتوة
إذا احمرّ آفاق السماء من المخل^(٢)
وبكيه الأبقام والريح زفّ^(٣)

وتشيب قدر طال ما أزدت تغلى
فإن تصبح النيران قد مات ضوءها

فقد كان يذكّر بالخطب الجزل
إطارق ليل أو لمانس القرى
ومستنجع أضحى لده على رسل

وقال طاب بن أبي طاب يمدح النبي صلى الله عليه وسلم ، وبكى أصحاب
القلب من قریش :

ألا إن عيني أهدت ماءها سكناً
تبكي على كعب وما إن ترى كعباً

(١) تهوى : تسقط من البكاء والأشمت : الوند . والجدل : ما عظم من أصول الشجر
تريد : أنه ثابت قوى .
(٢) المخل : الجلب .
(٣) زفّ : شديدة .

أَلَا إِنْ كَعَبًا فِي الْحُرُوبِ تَخَاذَلُوا
وَأَرْدَاهُمْ ذَا الدَّهْرِ وَاجْتَرَحُوا ذَنْبًا
وَعَامَرُ تَبْكِي اللَّسَاتِ غُدُوَّةَ
فِيَالَيْتَ شَمْرَى هَلْ أَرَى لَهَا قَرْبًا
هِيَ أَخْوَايَ لَنْ بُمُدًّا لَعْنَةً
تُعَذِّدُ وَلَنْ يُسْتَمَامَ جَارُهَا غَضَبًا
فِيَا أَخَوَيْنَا عَبْدَ شَمْسٍ وَنُوفَلًا
فِيذًا لَكُمْ لَا تَبْعَثُوا بَيْنَنَا حَرْبًا
وَلَا تُصْبِحُوا مِنْ بَعْدِ رَدٍّ وَأُفٍّ
أَحَادِيثَ فِيهَا كَلَّكُمْ يَشْتَكِي الْفُكْبَا
أَلَمْ تَقْلُوا مَا كَانَ فِي حَرْبٍ دَاحِسٍ
وَجَيْشٍ أَبَى يَكْسُومَ إِذْ مَلَأُوا الشُّعْبَا^(١)
فَلَوْلَا دِفَاعُ اللَّهِ لَا شَيْءَ غَيْرِهِ
لَأَصْبَحْتُمْ لَا تَمْنَعُونَ اسْمَ سَرَّازٍ^(٢)
فَمَا إِنْ جَنَيْنَا فِي قَرْيَةٍ عَظِيمَةٍ
سِوَى أَنْ حَتَمْنَا خَيْرَ مَنْ وَطَى التُّرْبَا
أَخَا ثِقَةٍ فِي الْمَسَائِثِ مُرَّرًا
كَرِيمًا نَسَاءً لَا يَحْيَلَا وَلَا ذَرْبًا^(٣)

(١) أَبُو يَكْسُومَ : أَيْرَمَةُ الْحَبَشِيِّ . الَّذِي قَصَدَ مَكَّةَ لِهَدْمِ الْكُتَيْبَةِ فَأُحْمِلَهُ أَقْ وَجُنُودُهُ .
(٢) السَّرْبُ بِالْفَتْحِ : الطَّرِيقُ . وَبِكَسْرِ الْبَاءِ : النَّفْسُ .
(٣) النَّتَا : الذِّكْرُ وَالْجَبَر . وَالذَّرْبُ : السَّلَاطَةُ وَاللَّسَانُ .

بُطِيفَ بِهِ الْعَافُونَ يَفْشُونَ بِأَبِهِ
يَوْمُؤُونَ نَهْرًا لَا نَزُورًا وَلَا صَرَبًا^(١)
فَوَالله لَا تَذُفُكَ نَفْسِي حَزِينَةً
تَمَلِّمْ حَتَّى تَصْدُقُوا الْخُرُوجَ الضَّرْبًا

[غزوة بنى سليم]

وكانت وقعة بدر يوم الجمعة لسمع عشرة من شهر رمضان ، وكان فراغ
رسول الله صلى الله عليه وسلم منها في عقبه أو في شوال بعده .

فلما قديم المدينة لم يقم بها إلا سبع ليال حتى غزا بنفسه بريد بنى سليم ،
فبلغ ماء من مياههم يقال له السكدر^(٢) فأقام عليه ثلاث ليال ، ثم رجع إلى
المدينة ولم يلق كيداً فأقام بها بقية شوال وذا القعدة وأفدى في إقامته ثلاث
جُلّ الأسارى من قريش .

[غزوة السويق]

وكان أبو سفيان بن حرب حين رجع قل^(٣) قريش من بدر نذر ألا يسر
رأسه مالا من جناية حتى يغزو محمداً صلى الله عليه وسلم ، فخرج في مائتي راكب
من قريش لتبصر يمينه فسلك للتجديّة حتى نزل بصدر قناة ، على بريد أو نحوه
من المدينة ، ثم خرج من الليل حتى أتى بنى النضير تحت الليل ، فأبى حبي
ابن أخطب فغضب عليه بأبه ، فأبى أن يفتح بأبه وخافه ، فأنصرف منه إلى

(١) النور : القليل الماء . والعرب : المأمس . وأصله : لجن .

(٢) ومعجم البلدان : كدر : جمع أكر ، فرارة السكدر . قال الوافدي بتاحية
للمدن قريبة من الأرحسية ، بينها وبين المدينة ثمانية برد : وقال غيره : ماء لبى سليم .
ثم ذكر خبر الغزوة .

(٣) قل : المهزم من الجيش .

سَلَامٌ بِنِ مِشْكَمَ وَكَانَ سَيِّدُ بَنِي النَّضِيرِ فِي زَمَانِهِ ذَلِكَ وَصَاحِبُ كَنْزِهِمْ ،
فَاسْتَأْذَنَ عَلَيْهِ فَأَذِنَ لَهُ فَقَرَأَ وَسَقَاهُ وَبَطَنَ^(١) لَهُ مِنْ خَبَرِ النَّاسِ ، ثُمَّ خَرَجَ
فِي عَقَبِ لَيْلَتِهِ حَتَّى أَتَى أَصْحَابَهُ ، فَبِعِثَ رِجَالًا مِنْهُمْ فَأَتَوْا نَاحِيَةَ الْمُزَيْنِ
فَغَرَقُوا بِهَا أَصْوَارَ نَخْلٍ^(٢) وَقَتَلُوا رِجَالًا مِنَ الْأَنْصَارِ وَحَلِيفًا لَهُ فِي حَرْبٍ لَهَا ،
ثُمَّ انْصَرَفُوا رَاجِعِينَ ، وَنَذَرَ^(٣) بِهِمُ النَّاسُ نَفْرَجَ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ
وَسَلَّمَ فِي طَلَبِهِمْ حَتَّى بَلَغَ قَرْقَرَةَ الْكُدْرِ ، ثُمَّ انْصَرَفَ وَقَدْ فَاتَهُ أَبُو سَفِيَّانَ
ابْنُ حَرْبٍ وَأَصْحَابُهُ ، وَطَرَحُوا مِنْ أَزْوَاجِهِمْ يَتَخَفَّقُونَ مِنْهَا لِلنَّجَاءِ ، وَكَانَ
أَكْثَرُ مَا طَرَحُوهُ السَّوْبِقَ ، فَهَجَمَ الْمُسْلِمُونَ عَلَى سَوْبِقٍ كَثِيرٍ ، فَسَمِيَتْ
غَزْوَةُ السَّوْبِقِ ، فَقَالَ الْمُسْلِمُونَ حِينَ رَجَعَ بِهِمْ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ :
يَا رَسُولَ اللَّهِ أَنْطَمِعَ لَنَا أَنْ تَكُونَ غَزْوَةً ؟ قَالَ : نَعَمْ .

[غَزْوَةُ ذِي أَمْرِ]

ثُمَّ غَزَا رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ نَجْدًا يُرِيدُ غَطَفَانَ ، وَهِيَ غَزْوَةُ
ذِي أَمْرِ ، فَأَقَامَ بِنَجْدٍ ثُمَّ رَجَعَ وَلَمْ يَلْقَ كَيْدًا .
ثُمَّ غَزَا قَرِيشًا حَتَّى بَلَغَ بَحْرَانَ مَدِينًا بِالْحِجَازِ مِنْ نَاحِيَةِ الْهَرَمُوحِ ، ثُمَّ رَجَعَ
مِنْهُ إِلَى الْمَدِينَةِ وَلَمْ يَلْقَ كَيْدًا ، وَذَلِكَ بِمَدَقَامِهِ بِهِ نَحْوًا مِنْ شَهْرَيْنِ ، رَبِيعَ الْآخِرِ
وَجَاهِدَى الْأُولَى مِنْ سَنَةِ ثَلَاثٍ

(١) بَطَنَ : أَهْمَ آخِرُهُ بِأَسْرَارِهِمْ .

(٢) الْأَصْوَارُ : جَمْعُ صُورٍ وَهُوَ النَّخْلُ الْعَنَابُ أَوْ الْمَجْتَمِعُ .

(٣) نَذَرَ بِهِمُ النَّاسُ : شَرَوْا بِهِمْ وَحَنَرُوهُمْ .

أمرُ بنى قَيْنَقَاع

وكان فيما بين ما ذكر من غزو رسول الله صلى الله عليه وسلم أمرُ بنى قَيْنَقَاع .

وكانوا أولَ يهود تقضوا ما بينهم وبين رسول الله صلى الله عليه وسلم وحاربوا فيما بين بدرٍ وأحُدٍ .

وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم جمعهم في سوقهم ، ثم قال : « يا معشر يهود احذروا من الله مثل ما نزل بقريش من النعمة وأسئلوا ، فإنكم قد عرفتم أنى نبي مرسل ، تجدون ذلك في كتابكم وعهد الله إليكم »

قالوا : يا محمد إنك ترى أننا قومك إلا يفرمك أنك لقيت قومًا لا علم لهم بالحرب فأصبت منهم فرصة ، إنا والله لن حاربناك ^(١) لئلا نعلمن أننا نحن الناس .

وقال ابن عباس : ما أنزل ^(٢) هؤلاء الآيات إلا فيهم : « قُلْ لِلَّذِينَ كَفَرُوا سِتْرَةٌ لَّيَبْنَونَ وَنُخْشَرُونَ إِلَى جَهَنَّمَ وَئِنَّ السَّيِّئِينَ لَكُمُ آيَةٌ فِي فِئَتَيْنِ الْتَقَتَا فِئَةٌ تُقَاتِلُ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَأُخْرَى كَافِرَةٌ بَرَّوْهُمْ مِثْلَهُمْ رَأَى الْعَيْنِ وَقَهُ يُؤْبَدُ بِنَهْرِهِ مَنْ يَشَاءُ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَعِبْرَةً لِّأُولِ الْأَبْصَارِ » .

وكان منشأ أمرهم : أن امرأة من العرب قدمت بجَنَابٍ ^(٣) لها فباعته بسوق بنى قَيْنَقَاع وجلست إلى صائغ بها ، فجعلوا يريدونها على كشف

(١) الطبري : لن حاربنا .

(٢) ابن هشام : ما نزل .

(٣) الجلب : ما يطلب للأسواق للتجارة .

وجها وأبَتْ [فعمد الصائغ إلى طرف ثوبها فمقده إلى ظهرها فلما قامت انكشفت سَوْنُهَا ، فضحكوا بها] فصاحت ، فوثب رجل من المسلمين على الصائغ فقتله ، وكان يهودياً ، فشَدَّت اليهودُ على المسلم فقتلوه ، فاستمرَّخَ أهلُ المسلم المسلمين على اليهود ، فأغضب^(١) للمسلمون فوق الشَّر بينهم وبين بني قينقاع .

فحاصرهم رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى نزلوا على حكمه ، فقام إليه عبد الله بن أبي سَلُول ، حين أمسكه الله منهم ، فقال : يا محمد أحسِّنْ في مَوَالِيَّ ، وكانوا حلفاء الخزرج ، فأبطلأ عليه رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فقال : يا محمد أحسِّنْ في مَوَالِيَّ ، فأعرض عنه رسول الله صلى الله عليه وسلم فأدخل يده في جيب دِرْع رسول الله صلى الله عليه وسلم وكان يقال لها ذات الفضول ، فقال له : أرسِلْنِي أو غضب صلى الله عليه وسلم حتى رأوا لوجهه ظِلًّا^(٢) ، ثم قال : ويحك أرسِلْنِي . قال : لا والله لا أرسلاك حتى نَحْسِنَ في مَوَالِيَّ ، أربعمائة حَاسِر وثلاثمائة دَارِع قد منعوني من الأحمر والأسود تَمَصُّدُم في غَدَاة واحدة إني والله امرؤ أخشى الدوائر ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : مُمَّ لَكَ .

ولما حاربت بنو قينقاع وتَشَبَّثَ عبدُ الله بن أبي بَأْرَم وقام دونهم ، مشى عبادة بن الصامت إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وكان أحد بني عوف ، لم من حلفه مثل الذي لم من عبد الله بن أبي ، فجعلهم^(٣) إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم وتبرأ إلى الله وإلى رسوله من حلفهم ، وقال : يا رسول الله

(١) ابن هشام : فغضب .

(٢) الطبري : حتى رأوا لوجهه ظلالاً ، يعني تلونا .

(٣) ابن هشام : فجعلهم .

أَتَوَلَّى اللَّهُ وَرَسُولَهُ وَالْمُؤْمِنِينَ ، وَأَبْرَأُ مِنْ جُلُفِ هَؤُلَاءِ الْكَافِرِ وَلَا يَتَّبِعُهُمْ .
 فَبَيَّنَّ فِي عَهْدِ اللَّهِ بْنِ أَبِي نَزَلَتْ [هَذِهِ] الْقِصَّةُ مِنَ الْمَائِدَةِ : « يَا أَيُّهَا
 الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَتَّخِذُوا الْيَهُودَ وَالنَّصَارَى أَوْلِيَاءَ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ
 وَمَنْ يَتَوَلَّهُمْ مِنْكُمْ فَإِنَّهُ مِنْهُمْ إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ *
 فَتَرَى الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ « يَرِيدُ عَهْدَ اللَّهِ بْنِ أَبِي » يُسَارِعُونَ فِيهِمْ
 يَقُولُونَ نَخْشَى أَنْ تُصِيبَنَا دَآئِرَةٌ ، فَقَسَمَ اللَّهُ أَنْ بَأْسِي بِالْفِتْنَةِ أَوْ أَمْرٍ
 مِنْ عِنْدِي فَيُصِيبُكُمْ عَلَى مَا أَسْرَوْا فِي أَنْفُسِهِمْ نَكِيرِينَ » . ثُمَّ الْقِصَّةُ إِلَى
 قَوْلِهِ : « إِنَّمَا وَلِيُّكُمُ اللَّهُ وَرَسُولُهُ وَالَّذِينَ آمَنُوا الَّذِينَ يُقِيمُونَ الصَّلَاةَ
 وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَهُمْ رَاكِعُونَ » وَذَلِكَ لِتَوَلَّى عِبَادَةَ بْنِ الصَّامِتِ اللَّهَ
 وَرَسُولَهُ وَالَّذِينَ آمَنُوا ، وَتَبَرُّهُ ، مِنْ بَنِي قَيْنِقَاعٍ وَحِلْفِهِمْ وَلَا يَتَّبِعُهُمْ * وَمَنْ
 يَتَوَلَّ اللَّهُ وَرَسُولَهُ وَالَّذِينَ آمَنُوا فَإِنَّ حِزْبَ اللَّهِ هُمُ الْغَالِبُونَ » .

[سِرِّيَّةُ زَيْدِ بْنِ حَارِثَةَ]

وَأَمَّا كَانَ مِنْ وَقْعَةِ بَدْرٍ مَا كَانَ ، خَافَتْ قُرَيْشٌ طَرِيقَهُمْ الَّتِي كَانُوا
 يَسْلُكُونَ إِلَى الشَّامِ ، فَسَلَكُوا طَرِيقَ الْعِرَاقِ ، فَفَرَجَ مِنْهُمْ تَجَارِقُ فِيهِمْ
 أَبُو سَفْيَانَ بْنِ حَرْبٍ ، وَمَعَهُ فِضَّةٌ كَثِيرَةٌ وَهِيَ عِظْمُ تَجَارِقِهِمْ ، وَبَعَثَ
 رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ زَيْدَ بْنَ حَارِثَةَ فَلَقِبَهُمْ عَلَى الْقَرْدَةِ ، مَاءٌ مِنْ
 مِيَاهِ نَجْدٍ ، فَأَصَابَ تِلْكَ الْمَيْرَ وَمَا فِيهَا وَأَعْجَزَهُ الرِّجَالُ ، فَقَدِمَ بِهَا عَلَى رَسُولِ اللَّهِ
 صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ .

فَذَلِكَ الَّذِي يَعْنَى حِثَّانُ بْنُ ثَابِتٍ بِقَوْلِهِ فِي غَزْوَةِ بَدْرِ الْآخِرَةِ يُؤَنَّبُ
 قُرَيْشًا فِي أَخْذِهِمْ تِلْكَ الطَّرِيقَ يَقُولُ :

(م ٦٠ الاكشاف ج ٢)

دَعُوا فَلَجَاتِ الشَّامِ قَدْ حَالَ دُونَهَا
جِلَادٌ كَأَفْوَاهِ الْخَنَاضِ الْأَوَارِكِ^(١)
بِأَيْدِي رِجَالٍ هَاجَرُوا نَحْوَ رَبِّهِمْ
وَأَنْصَارِهِ حَقًّا وَأَيْدِي الْمَلَائِكِ
إِذَا سَلَكَتِ الْغَوْرَ مِنْ بَطْنِ عَالِجٍ
فَقُولَا لَهَا لَيْسَ الطَّرِيقُ هُنَاكَ^(٢)

[مقتل كعب بن الأشرف]

ولما بعث رسول الله صلى الله عليه وسلم زيد بن حارثة وعبد الله بن رواحة
بشيرين إلى من بالمدينة من المسلمين بفتح الله عليه وقتل من قتل من المشركين
بيدر ، قال كعب بن الأشرف وكان رجلاً من طيء ، ثم أحد بني نَبْهَانِ ،
وأمه من بني النَّضِيرِ ، حين بلغه هذا الخبر ، أحقَّ هذا ؟ أنرون أن تمداً قتل
هؤلاء الذين يسمي هذان الرجلان ؟ فهؤلاء أشرف العرب وملوك الداس ،
والله لئن كان محمدٌ أصاب هؤلاء القوم لَبَطُنَ الْأَرْضِ خَيْرَ لِي^(٣) مِنْ ظَهْرِهَا .
فلما تبين عدو الله الخبير ، خرج حتى قدم مكة ، فجعل يحرص على
رسول الله صلى الله عليه وسلم وينشد الأشعار ، ويبكي أصحاب القليب من
قريش ، ثم رجع إلى المدينة فشئب بنساء المسلمين حتى آذاهم .
فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : من لى من^(٤) ابن الأشرف ؟

(١) الفلجات : الأودية ، أو الأنهار الصغار . والجلاذ : المجالدة في الحرب . والخناض :
الإبل الموامل . والأوارك : التي ترمى الأراك . شجر معروف .
(٢) الغور : للنفخ من الأرض . وعالج : اسم مكان فيه رمل كثير .
(٣) الطبري : خير لنا .
(٤) كذا بالأسل والطبري ، وفي ابن هشام : من لى بابن الأشرف .

فقال له محمد بن مسleme الأشملى : أنا لك به يارسول الله ، أنا أقتله . قال : فافعل إن قدرت على ذلك .

فرجع محمد بن مسleme فسكت ثلاثاً لا يأكل ولا يشرب إلا ما يُملق به نفسه ، فذكر ذلك لرسول الله صلى الله عليه وسلم فدعاه فقال له : لم تركت الطعام والشراب ؟ فقال : يارسول الله قلت لك قولاً لا أدري هل أفين^(١) لك به أم لا . قال إنما عليك الجهد ، قال : يارسول الله لا بد لنا من أن نقول . قال : قولوا ما بدا لكم فأنتم في حل من ذلك .

فاجتمع في قتله محمد بن مسleme ، وسيلسكان بن سلامة أبو نائلة ، وعبداد بن بشر والحارث بن أوس ، وكلهم من بنى عبد الأشهل ، وأبو عيسى بن جبر أخو بنى حارثة ، ثم قدموا إلى عدو الله ابن الأشرف سيلسكان بن سلامة وكان أخاه من الرضاعة ، فجاءه فتحدث معه ساعة ثم قال : ويحك يا ابن الأشرف إني قد جئتكم لحاجة أريد ذكرها لك فآتكم عنى قال : أفعل قال : كان قدوم هذا الرجل علينا بلاء من البلاء ، عادت لنا العرب ورمتنا عن قوس واحدة ، وقطعت عنا السبل حتى ضاع العيال وجهدت الأنفس . فقال كعب : أنا ابن الأشرف أما والله لقد كنت أخبرك يا ابن سلامة أن الأمر سيصير إلى ما أقول . فقال له سيلسكان : إني قد أردت أن تبيعنا طعاماً ونزهمك ونوثق لك . قال : أنزهدوني نساءكم ؟ قال : كيف نزهمك نساءنا وأنت أشب أهل يثرب وأعظمهم . قال : أنزهدوني أبنائكم ؟ قال : لقد أردت أن تفضحنا ، يسب ابن أحدنا فيقال : زهين في وسق شعير ! ثم قال له : إن مى اسمبألى على مثل رابى وقد أردت أن آتيك بهم فتبيهم وتُحسن في ذلك ونزهمك من الحلقة^(٢) ما فيه وفاء وأراد سيلسكان ألا ينكر السلاح إذا جاءوا بها . قال : إن في الحلقة آفواء .

(١) الطبرى : هل أبى .

(٢) الحلقة : السلاح .

فرجع سِلْكَان إلى أصحابه فأخبرهم وأمرهم أن يأخذوا السلاحَ ويحتموا
إليه ، فاجتمعوا عند رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فشى معهم صلوات الله
عليه إلى بَقِيعِ الْغَرْقَدِ في ليلة مُقَمَّرَةٍ ، ثم وجَّههم وقال : انطلقوا على اسم الله ،
اللهم أعينهم . ثم رجع إلى بيته .

فأقبلوا حتى انتهوا إلى حصنه ، فهتف به أبو نائلة ، وكان حديث عهد
بِعُرس ، فوثب في ملحفته ، فأخذت امرأته بدناحيثها وقالت : إنك امرؤ محارب ،
وإن أصحاب الحرب لا ينزلون هذه الساعة . قال : إنه أبو نائلة لو وجدني ناعماً
ما أيقظني . فقالت : والله إني لأعرف في صوته الشر . فقال لها كعب :
لو يُدعى النقي لَطَعْنِي لَأُجَابَ !

فنزل فتحدث معهم ساعة وتحدثوا معه ، فقالوا له : هل لك يا بن الأشرف
إلى أن تنامى إلى شَرَبِ الْعَجُوزِ فتحدث فيه بقية ليلتنا هذه . قال : إن شئتم .
فخرجوا يتماشون ، فمشوا ساعة ، ثم إن أبا نائلة شام^(١) يده في فؤود
رأسه ثم شم يده ، فقال : ما رأيتُ كلاليلة طيباً أعطّر قط ، ثم مشى ساعة
ثم عاد لمثلها ، حتى اطمأن ، ثم مشى ساعة ثم عاد لمثلها ، فأخذ بفؤود رأسه
ثم قال : اضربوا عدو الله ، فضربروه فاختلفت عليه أسيافهم فلن تُغْنِ شيئاً .
قال محمد بن مسلمة : فتذكرت مِغْوَلًا^(٢) كان في سيفي حين رأيت أسيافنا
لا تُغْنِي شيئاً ، فأخذته وقد صاح عدو الله صيحة لم يبق حولنا حصن إلا أوقدت
عليه نار ، قال : فوضعتُه في ثُلَّتِهِ^(٣) ثم تحاملتُ عليه حتى بلغتُ غايته^(٤) فوقع
عدو الله وقد أصيب الحارث بن أوس بجرح في رجله أو رأسه أصابه بعض

(١) شام يده : أدخلها . والفؤود : معظم الشعر الرأس مما يلي الأذن أو ناحية الرأس .

(٢) المغول : فصل طويل أو سيف دقيق له قفا .

(٣) الطبرى : في ثنودته . والثنة : المانة أو ما بينها وبين السرة .

(٤) ابن هشام والطبرى : مانتة .

أسيافنا ، نخرجنا حتى أَسْتَدْنَا فِي حَرَّةِ الْعُرَيْضِ وَقَدْ أَبْعَلْنَا عَلَيْنَا الْحَارِثُ بْنُ أَوْسٍ صَاحِبَنَا وَزَفَّهَ الدَّم ، فَوَقَعْنَا لَهُ سَاعَةً ثُمَّ أَنَا نَاقِصٌ آثَارُنَا فَاحْتَمَلْنَاهُ فَجَنُنَا بِهِ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ آخِرَ اللَّيْلِ وَهُوَ قَائِمٌ يَهْجُو ، فَسَلَّمْنَا عَلَيْهِ نَخْرُجُ إِلَيْهَا فَأَخْبِرْنَاهُ بِقَتْلِ عَدُوِّ اللَّهِ ، وَتَقَلُّ عَلَى جُرْحٍ صَاحِبِنَا ، ثُمَّ رَجَعْنَا إِلَى أَهْلِنَا فَأَصْبَحْنَا وَقَدْ خَافَتْ يَهُودُ لَوْقَمَتِنَا بِعَدُوِّ اللَّهِ ، فَلَيْسَ بِهَا يَهُودِي إِلَّا وَهُوَ يَخَافُ هَلْ نَفْسُهُ .

وَذَكَرَ ابْنُ عُقْبَةَ أَنَّ كَعْبَ بْنَ الْأَشْرَفِ إِذَا قَدِمَ عَلَى قُرَيْشٍ يَسْتَنْفِرُهُمْ عَلَى رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ لَهُ أَبُو سَفْيَانَ وَالْمَشْرُكُونَ : نَدَاشُكَ اللَّهُ : أَدِينُنَا أَحَبَّ إِلَى اللَّهِ أَمْ دِينَ مُحَمَّدٍ وَأَحِبَّاهُ ؟ وَابْنُ أَهْدَى فِي رَأْيِكَ وَأَقْرَبُ إِلَى الْحَقِّ ، فَإِنَّا نَعْلَمُ الْجَزُورَ السَّكُومَاءَ ^(١) وَاسْتَقَى الْإِبْنُ عَلَى الْمَاءِ وَنُطِغِمَ مَا هَبَّتِ الشَّمَالُ .
فَقَالَ ابْنُ الْأَشْرَفِ : أَتَمُّ أَهْدَى سَبِيلًا ، فَأَنْزَلَ اللَّهُ فِيهِ وَاللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا يَنْزِلُ :
« أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ أَوْتُوا نُصَيْبًا مِّنَ الْكِتَابِ يُؤْمِنُونَ بِالْجَنَّةِ وَالطَّاعُوتِ وَيَقُولُونَ لِلَّذِينَ كَفَرُوا هَؤُلَاءِ أَهْدَى مِنَ الَّذِينَ آمَنُوا سَبِيلًا ^(٢) » .

وَذَكَرَ ابْنُ إِسْحَاقَ أَنَّ هَذِهِ الْآيَةَ إِذَا نَزَلَتْ فِي حَيٍّ مِنْ أُخْطَبَ وَسَلَّمَ ابْنِ أَبِي الْخَلْقَتِيِّ وَجَاعَةٌ غَيْرُهُمَا مِنْ أَهْبَارِ يَهُودَ ، لَيْسَ ابْنُ الْأَشْرَفِ مَذْكُورًا فِيهِمْ ، وَهَمَّ الَّذِينَ حَزَّبُوا الْأَحْزَابَ مِنْ قُرَيْشٍ وَغَطَفَانَ عَلَى رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، فَلَمَّا قَدِمُوا عَلَى قُرَيْشٍ قَالُوا : هَؤُلَاءِ أَهْبَارُ يَهُودَ وَأَهْلُ الْعِلْمِ بِالْكِتَابِ الْأَوَّلِ فَسَاوِمُ : أَدِينُكُمْ خَيْرٌ أَمْ دِينَ مُحَمَّدٍ ؟ فَسَأَلُوهُمْ فَقَالُوا : بَلْ دِينُكُمْ خَيْرٌ مِنْ دِينِهِ وَأَنْتُمْ أَهْدَى مِنْهُ وَمِنْ أَتْبَعِهِ . فَأَنْزَلَ اللَّهُ تَعَالَى فِيهِمْ الْآيَةَ الْمَذْكُورَةَ .
فَاللَّهُ تَعَالَى أَعْلَمُ .

• • •

(١) السكوما : الناقة العظيمة السنم .

(٢) سورة النساء .

قال ابن إسحاق ، وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : من ظفرتم به من رجال يهود فاقتلوه . فوثب حُصَيْصَة بن مسعود الأوسى على ابن سُنَيْدَة من نجار يهود ، وكان يلبسهم ويأبئهم فقتله ، فلما قتله جعل أخوه حُوَيْصَة ابن مسعود ولم يكن أسلم يومئذ وكان أسن من محبصة ، يضربه ويقول : أى عدو الله أقتلته ، أما والله لرب شحم في بطنك من ماله ! فقال محبصة : والله لقد أمرنى بقتله من لو أمرنى بقتلك لضربت عنقك ! قال : فوالله إن كان لأول إسلام حُوَيْصَة قال : أو الله لو أمرك محمد بقتلى لقتلتنى ؟ قال : نعم والله لو أمرنى بضرب عنقك لضربتُها ، قال : والله إن ديننا بلغ منك هذا لمعجب ! فأسلم حُوَيْصَة ، وقال محبصة فى ذلك :

يلوم ابنُ أُمى لو أمرتُ بقتله لعطقتُ ذِفْراه بأبيض قاضٍ^(١)
حُسام كلون المائح أخْلَصَ صَقله متى ما أْصوبه فليس بكاذِبٍ
وما سرّنى أنى قتلتك طائِعاً وأن لنا ما بين بُصرى ومُأربٍ

وذكر ابن هشام أن هذا عَرْضُ لمحبيصة بعد غزوة بنى قريظة وظفر رسول الله صلى الله عليه وسلم بهم ، وأن رسول الله صلى الله عليه وسلم دفع إليهم منهم كعب بن يهوذا . قال : وكان عظيماً فيهم ، ليقتله ، فقال له أخوه حُوَيْصَة وكان كافراً : أقتلت كعب بن يهوذا ؟ قال : نعم . قال : أما والله لرب شحم نبت في بطنك من ماله ، إنك لاثم . فقال له محبصة : لقد أمرنى بقتله من لو أمرنى بقتلك لقتلتك . فمعجب من قوله ، ثم ذهب عنه متعجباً فذكروا أنه جعل ينتفض^(٢) من الليل فيمعجب من قول أخيه محبصة حتى أصبح وهو يقول : والله إن هذا لدين . ثم أتى النبي صلى الله عليه وسلم فأسلم .

(١) القرى : عظم نأى خلف الأذن . والأبيض القاضب : السيف البتار .

(٣) ابن هشام : يتنفض .

غزوة أحد

وكان من حديث أحد أنه لما قتل الله من قتل من كفار قريش يوم بدر ورجع قائلهم إلى مكة ، ورجع أبو سفيان بن حرب بعيرهم ، مشى عبد الله ابن ربيعة وعكرمة بن أبي جهل وصفوان بن أمية وقالوا لهم : إن محمداً قد وتركم وقتل خياركم ، فأعيدوا بهذا المال على حربهم لعلنا ندرك منه ثاراً بما أصاب منا . ففعلوا .

ففيهم يقال أنزل الله عز وجل : « إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا يُنْفِقُونَ أَمْوَالَهُمْ لِيَصُدُّوا عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ فَسَيُنْفِقُونَهَا ثُمَّ تَكُونُ عَلَيْهِمْ حَسْرَةً ثُمَّ يُغْلَبُونَ وَالَّذِينَ كَفَرُوا إِلَىٰ جَهَنَّمَ يُخْشَرُونَ ^(١) » .

فاجتمعت قريش لحرب رسول الله صلى الله عليه وسلم حين فعل ذلك أبو سفيان وأصحاب العير ، وحرر كوا لذلك من أطاعهم من القبائل وخرصوم عليه وخرجوا بحدتهم وجدتهم وأحايشهم ومن تابعهم من بنى كدانة وأهل تهامة ، وخرجوا معهم بالظعن ^(٢) النماس الحفيظة وأن لا يفرؤوا ، ففرج أبو سفيان بن حرب وكان قائد الناس همد بنت عتبة ، وكذلك سائر أشراف قريش وكبرائهم خرجوا معهم بنسائهم .

وكان جبير بن مطعم قد أمر غلامه وحشيًا الحبشي بالخروج مع الناس وقال له : إن قتلت حمزة عم محمد بهمي طميمة بن عدي فأنت عتيق . فكانت همد بنت عتبة كلما مرت بوحشي أو مر بها قالت : زينها ^(٣) أبادئمة ، وهي كديته ، اشف واشتف ^(٤) .

(١) سورة آل عمران .

(٢) الظعن : النساء . وأصل الظمنية : المرأة المودج .

(٣) وبها : كلمة للتعريض والتشجيع .

(٤) ابن هشام : واشتف ومن هنا أصبح .

فَأَقْبَلُوا حَتَّى نَزَلُوا بِمَعِينَيْنِ ، جَبَلٌ ^(١) يَبْطُنُ السَّبْخَةَ مِنْ قِصَاةٍ عَلَى شَفِيرِ
الْوَادِي مُقَابِلَ الْمَدِينَةِ .

[الرَسُولُ بِشَاوَرِ أَصْحَابِهِ]

فَلَمَّا سَمِعَ بِهِمْ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَالْمُسْلِمُونَ قَدْ نَزَلُوا حَيْثُ
نَزَلُوا ، قَالَ عَلَيْهِ السَّلَامُ : إِنِّي قَدْ رَأَيْتُ وَاللَّهِ خَيْرًا ، رَأَيْتُ بِقَرًا تُذْخِجُ ،
وَرَأَيْتُ فِي ذُبَابٍ ^(٢) سَيْفِي تَلْمَأَ ، فَأَمَّا الْبَقَرُ ، فَهِيَ نَاسٌ مِنْ أَصْحَابِي يُقْتَلُونَ
وَأَمَّا التَّلْمُ الَّذِي فِي ذُبَابٍ سَبْفِي فَهُوَ رَجُلٌ مِنْ أَهْلِ يَدِي يُقْتَلُ ، وَرَأَيْتُ أَنِّي
أَدْخَلْتُ يَدِي فِي دِرْعٍ حَصِينَةٍ فَأَوَّلْنَاهَا الْمَدِينَةَ ، فَإِنْ رَأَيْتُمْ أَنْ تَقِيمُوا بِالْمَدِينَةِ
وَتَدْعُوهُمْ حَيْثُ نَزَلُوا فَإِنْ أَقَامُوا أَقَامُوا بِشَرِّ مُقَامٍ وَإِنْ هُمْ دَخَلُوا عَلَيْنَا
قَاتَلْنَاهُمْ فِيهَا .

وَكَانَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَكْرَهُ الْخُرُوجَ وَكَانَ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ أَبِي
يَرَى رَأْيَ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فِي ذَلِكَ ، فَقَالَ رَجُلٌ مِنَ الْمُسْلِمِينَ مِمَّنْ
أَكْرَمَ اللَّهُ بِالشَّهَادَةِ يَوْمَ أَحُدٍ وَغَيْرِهِ مِمَّنْ كَانَ فَاتَهُ بَدْرٌ : يَا رَسُولَ اللَّهِ ، أَخْرَجْ
بَنَا إِلَى أَعْدَائِنَا ، لَا يَرُونَ أَنَا جَبِينًا عَنْهُمْ . فَقَالَ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ أَبِي : يَا رَسُولَ اللَّهِ
أَقِمْ بِالْمَدِينَةِ وَلَا تَخْرُجْ إِلَيْهِمْ ، فَوَاللَّهِ مَا خَرَجْنَا مِنْهَا إِلَى عَدُوِّنَا قَطُّ إِلَّا أَصَابَ
مَنَا ، وَلَا دَخَلْنَا عَلَيْنَا إِلَّا أَصَابَنَا مِنْهُ ، فَدَعَوْهُمْ يَا رَسُولَ اللَّهِ فَإِنْ أَقَامُوا أَقَامُوا
بِشَرِّ مَحْجِسٍ وَإِنْ دَخَلُوا قَاتَلْنَاهُمُ الرِّجَالُ فِي وُجُوهِهِمْ وَرِمَامِ الْعَبِيدِ وَالنِّسَاءِ
بِالْحِجَارَةِ مِنْ فَوْقِهِمْ ، وَإِنْ رَجَعُوا رَجَعُوا خَائِبِينَ كَمَا جَاءُوا .

[خُرُوجُ الرَسُولِ وَالْمُسْلِمِينَ]

فَلَمْ يَزَلْ بِرَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ النَّاسُ الَّذِينَ كَانَ مِنْ أَمْرِهِمْ حُبٌّ لِقَاءِ

(١) ابْنُ هِشَامٍ : بِجَبَلٍ . وَمَا هُنَا أَصَحُّ . فَإِنَّ مَعِينَيْنِ جَبَلٌ بِأَحَدٍ ، كَمَا فِي الْقَامُوسِ

(٢) الذَّبَابُ : حَدُّ السَّيْفِ . وَالتَّلْمُ : السَّكْسَرُ .

العدو ، حتى دخل رسول الله صلى الله عليه وسلم فلبس لأمته وذلك يوم الجمعة حين فرغ رسول الله صلى الله عليه وسلم من الصلاة ، وقدمات في ذلك اليوم رجل من الأنصار يقال له عمرو أخو بني النجار ، فصلى عليه رسول الله صلى الله عليه وسلم ، ثم خرج عليهم وقد نديم الناس ، فقالوا : يا رسول الله استكرهناك ولم يكن ذلك لنا ، فإن شئت فاقعد صلى الله عليك . فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « ما ينبغي للذي إذا لبس لأمته أن يعضها حتى يقاتل » .

فخرج في ألف من أصحابه ، حتى إذا كانوا بين المدينة وأحد اتخذ له عبد الله بن أبي بن ثلث الناس وقال : أطاعهم وعصاني ، ما ندرى علام يقتل أنفسنا هاهنا أيها الناس . فرجع بمن اتبعه من أهل الاتفاق والريب ، واتبعهم عبد الله بن عمرو بن حرام يقول : يا قوم أذكركم الله أن تتخذوا قومكم ونبيكم عند ما حضر من عدوهم . قالوا : لو نعلم أنكم تقتلون ما أسلمناكم ، ولسكننا لا ندرى أنه يكون قتال . فلما استمعوا عليه وأبوا إلا الانصراف عنهم ، قال : أبعدكم الله أعداء الله فسيغنى الله عنكم نبيه .

ومضى رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى سلك في حرّة بني حارثة ، فذَبَّ^(١) فرسٌ بذنبه فأصاب كلاب^(٢) سيف فاستلّه ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم وكان يحب الفأل ولا يعتاف^(٣) :

« يا صاحب السيف شِمَّ^(٤) سيفك فإني أرى السيوف ستسلّ اليوم » .

ثم قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « من رجل يخرج بنا على القوم

(١) ذب : ضرب .

(٢) الكلاب : ذؤابة السيف ، أو مسبار في طرفه .

(٣) لا يعتاف : لا يتطير .

(٤) شِم سيفك : اغمده . وهو من أفعال الأسداد .

من كَتَبَ أَى من قُرْب ، من طريق لا تَمَرَّ بها عليهم ؟ فقال أبو خيثمة
أخو بني حارثة : أنا يا رسول الله .

فنفذ به في حَرَّةِ بني حارثة وبين أموالهم حتى سلك في مالٍ لِمِرْبَعِ بن
قَيْظَى ، وكان منافقاً ضريب البصر ، فلما سمع حسن رسول الله صلى الله
عليه وسلم ومن معه من المسلمين قام يَمْحُو التراب في وجوههم ويقول :
إن كنت رسول الله فإني لا أحلّ لك أن تدخل حائطى . وذكر أنه أخذ
حفنة من تراب في يده ثم قال : والله لو أعلم أنى لا أصيب بها غيرك يا محمد
لضربت بها وجهك . فابتدره القوم ليقتلوه فقال "رسول الله صلى الله عليه
وسلم : لا تقتلوه ، فهذا الأعمى أعمى القلب أعمى البصر ا .

ومضى رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى نزل الشعب من أحد فجعل
ظهره وعسكره إلى أحد وقال : لا يقاتلن أحدٌ حتى نأمره بالقتال .
وقد سرّحت قريش الظهر والسكراع^(١) في زروع كانت للمسلمين فقال
رجل من الأنصار : أنزعى زروع بني قَيْظَةَ^(٢) وأما نُضَارِبُ ا

[الرسول يعنى جيشه]

وتعنى رسول الله صلى الله عليه وسلم للقتال وهو في سبعمائة رجل ،
وأمر على الرماة عبد الله بن جبير أخا بني عمرو بن عوف ، وهو مُعَلَّم يومئذ
بثياب بيض ، والرماة خمسون رجلاً فقال : انضح^(٣) الخيل عنا لا يأتونا من
خلفنا ، إن كانت لنا أو علينا فثبت مكانك لا نُؤْنِنُ من قبلك .

(١) الظهر : الإبل . والسكراع : الخيل .

(٢) بنو قَيْظَةَ : الأوس والخزرج .

(٣) انضح : ادفع .

وظاهر رسول الله صلى الله عليه وسلم بين درّعين ، ودفع اللواء إلى
مُهَنَّب بن عُمَيْر أخى نبي عبد الدار .

[تعبئة قريش]

وتعبأت قريش وهم ثلاثة آلاف ومهمهم ، اثنا فرس قد جَنَّبوها ، فجعلوا
على ميمنة الخليل خالد بن الوليد وعلى الميسرة عكرمة بن أبي جهل .
[أمر أبي عامر]

وقد كان أبو عامر عبد عمرو بن صَفِيٍّ من الأوس ، خرج عن قومه
إلى مكة مباحداً لرسول الله صلى الله عليه وسلم ، فكان بعد قريشاً أن لواقى
قومه لم يختلف عليه منهم رجلان ، فلما التقى الناس كان أول من اتهمهم
أبو عامر في الأحابيش وعُبدان أهل مكة ، فنادى : يا معشر الأوس أنا
أبو عامر . قالوا : فلا أنعم الله بك علينا يا فاسق . وبذلك ساء رسول الله صلى الله
عليه وسلم ، وكان يستمى في الجاهلية الراهب ، فلما سمع ردهم عليه ، قال : لقد
أصاب قومي بعمى شرّاً ثم قاتلهم قتالاً شديداً ثم راضخهم بالحجارة .

وقال أبو سفيان يومئذ لأصحاب اللواء من بنى عبد الدار يحرضهم بذلك :
يا بنى عبد الدار إنكم قد رايتم لواءنا يوم بدر فأصابنا ما قد رايتم ، وإنما
يؤتى الناس من قبل راياتهم ، إذا زالت زالوا ، فإنا أن نكفونا لواءنا
وإما أن نخلوا بيدينا ويديه فنكفيكموه . فهموا به وتواعدوه وقالوا : أنحن
نسلم إليك لواءنا ! ستعلم غداً إذا التقينا كيف نصنع . وذلك أراد أبو سفيان .

[القتال]

فاقتتل الناس حتى حُجِيت الحرب .

وقاتل أبو دُجَانة سَمَك بن خَرشة أخو بني ساعدة ، حتى أمعن في
الناس ، وقد كان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لسييفٍ عنده : من يأخذ

هذا السيف بحقه ؟ فقام إليه رجال فأمسكه عنهم ، حتى قام إليه أبو دُجَانَةَ فقال : وما حقه يا رسول الله ؟ قال : أن تضرب به العدو حتى يهني . قال : أنا آخذه يا رسول الله بحقه . فأعطاه إياه ، وكان أبو دُجَانَةَ رجلاً شجاعاً يُمْتَخِلُ عند الحرب ، وكان إذا أُغْلِمَ بمصيبة له حراء فاعتصب بها عِلْمُ الناس أنه سيقَاتِلُ ، فلما أخذ السيف من يد رسول الله صلى الله عليه وسلم أخرج عصابته تلك فمصبب بها رأسه ، ثم جعل يتبختر بين الصّفين ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم حين رآه يتبختر : إنها لمِشْيَةٌ يهنيها الله إلا في مثل هذا الموطن !

وكان الزبير بن العوام^(١) قد سأل رسول الله صلى الله عليه وسلم ذلك السيف مع من سأله منه فدعه إياه ، فقال : وجدت في نفسي حين سأته إياه فدعته وأعطاه أبا دُجَانَةَ ، وقلت : أنا ابن صفيّة عمته ومن قریش وقد قتت إليه فسأته إياه قبله فأعطاه إياه وتركني ! والله لأنظرن ما يصنع ، فأنبعته ، فأخرج عصابة حراء فمصبب بها رأسه ، فقالت الأنصار : أخرج أبو دُجَانَةَ عصابة الموت ! وهكذا كانت تقول له إذا تمصّبب بها ، فخرج وهو يقول : أنا الذي عاهدتني خَلْبِي وعمن بالسّفْح لَدَى النّخِيلِ أن لا أقومَ الدهر في السّكْيُولِ^(٢) أضرب بسيف الله والرسول فجعل لا يُلْقِي أحداً إلا قتله ، وكان في المشركين رجل لا يدع جريحاً إلا ذَفَفَ^(٣) عليه ، فجعل كل واحد منهما يدنو من صاحبه ، فدعوت الله أن يجمع بينهما ، فالتقيا فاختلفا ضربتين ، فضرب للمشرك أبا دُجَانَةَ فاتقاء بدرّفته^(٣) فمضت سيفه ، وضربه أبو دُجَانَةَ فقتله ، ثم رأيت قد حمل

(١) السكّول : آخر صفوف الحرب .

(٢) ذفف : أجهز .

(٣) الدرقة : ترس من جلد بلا خشب .

السيف على فُرق رأس هند بنت عتبة ثم عدل السيف عنها ، قال الزبير :
فقلت الله ورسوله أعلم .

وقال أبو دُجَانة : رأيت إنساناً يَحْمِشُ^(١) الناس خَشْماً شديداً فصعدت
إليه^(٢) ، فلما حملت عليه السيف ولول فإذا امرأة ، فأكرمتُ سيفَ
رسول الله صلى الله عليه وسلم أن أخرب به امرأة .

[استشم - اد حمزة]

وقاتل حمزة بن عبد المطلب حتى قتل أحدَ الفر^(٣) الذين كانوا يحملون
اللواء من بني عبد الدار ، وكان جُبَيْر بن مُطْعَم قد وعد غلامه وحشيًا بالعتق
إذا قتل حمزة بعمه طُعَيْمَة بن عدي المقتول يوم بدر ، قال وحشي : فخرجت
مع الناس وكنت رجلاً حبشيًا أفدفت بالحرية قَذَف الحبشة قل ما أخطئ
بها شيئاً ، فلما التقى الناس خرجت أنظر حمزة حتى رأته في عرض الناس
مثل الجمل الأورق^(٤) يهتد الناس بسيفه هذا ما يقوم له شيء ، فوالله إني
لأنهيأ له أريده وأستتر منه بشجرة أو بحجر ليدنو مني إذ تقدمني إليه سباع
ابن عبد العزى الغبشاني ، فلما رآه حمزة قال له : هلم إلى يابن مقطعة البظور .
وكانت أمه ختانة بمكة ، قال : فضربه ضربةً فسكأنا أخطأ رأسه ، قال :
وهزئت حربي حتى إذا رضيت مهزذفتها عليه فوقعت في ثلثه حتى خرجت
من بين رجله وذهب لينوء نحوى فذاب وتركته وإياها حتى مات ، ثم أتته

(١) يحمش : يضرب .

(٢) ابن هشام : فصعدت له .

(٣) وهو أوطاة بن عبد شريحيل بن هاشم .

(٤) الأورق من الإبل : ما ن لونه يبيض إلى سواد ، وهو من أطيب الإبل سيرا

وعلا .

فأخذت حربتي ورجعت إلى المعسكر فعمدت فيه ، ولم تسكن لي بغيره حاجة ، إنما قتلت لأعتق .

فلما قدمت مكة عثقت ، ثم أقمت حتى إذا افتتح رسول الله صلى الله عليه وسلم مكة هربت إلى الطائف فكنت بها ، فلما خرج وفد الطائف إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم ليُسلموا تعييت عليّ للذهاب ، فوالله إني أني ذلك إذ قال لي رجل : ويحك إنه والله ما يقتل أحداً من الناس دخل في دينه ، فلما قال لي ذلك خرجت حتى قدمت على رسول الله صلى الله عليه وسلم المدينة فلم يرْعه إلا بي قائماً على رأسه أتشهد شهادة الحق ، فلما رآني قال : أوحشني ؟ قلت : نعم يا رسول الله ، قال : أقعد حدثني كيف قتلت حمزة فحدثته فلما فرغت قال : ويحك اغييب عني وجهك . فكنت أتكسبه صلى الله عليه وسلم حيث كان لئلا يراني حتى قبضه الله تعالى .

فلما خرج المسلمون إلى مُسَيْلَمَةَ الكذاب خرجت معهم وأخذت بحربتي التي قتلت بها حمزة ، فلما التقى الناس رأيت مُسَيْلَمَةَ قائماً في يده السيف وما أعرفه ، فتهيأت له وتهياً له رجل من الأنصار من الداحية الأخرى كلاًنا يريده ، فمززت حربتي حتى إذا رضيت منها دفعتها عليه فوقعت فيه وشد عليه الأنصارى فضربه بالسيف ، فربك أعلم أبتنا قتله ، فإن كنتُ قتلتُه فقد قتلتُ خيرَ الناس بعد رسول الله صلى الله عليه وسلم عم رسول الله ، وقد قتلتُ شرَّ الناس ! .

وذكر ابن إسحاق بإسناد له إلى عبد الله بن عمر ، وكان شهيد الجامة قال : سمعت يومئذ صارخاً يقول : قتله العبد الأسود .

قال ابن إسحاق : فبلغني أن وحشيًا لم يزل يُحدِّث في الخمر حتى خلع من الدبوان . فكان عمر بن الخطاب رضى الله عنه يقول : قد علمتُ أن الله لم يكن ليدع قاتل حمزة .

قال ابن إسحاق :

وقاتل مُصَنَّب بن عُمَيْرَ دونَ رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى قتله ابن قَمَيْشَةَ^(١) لائى ، وهو يظن أنه رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فرجع إلى قريش فقال : قتلتُ محمداً .

فلما قُتِلَ مصعب أعطى رسول الله صلى الله عليه وسلم اللواء على بن أبي طالب ، فقاتل على ورجال من المسلمين .

ولما اشتد القتال يومئذ جلس رسول الله صلى الله عليه وسلم تحت راية الأنصار وأرسل إلى علىّ أن قدّم الراية ، فتقدم فقال أنا أبو القُصَم^(٢) فناداه أبو سمد بن أبي طلحة : هل لك يا أبا القُصَم في البراز من حاجة ؟ قال : نعم . فبرزوا بين الصنفين فاختلفا ضربتين فضربه علىّ فصرعه ثم انصرف ولم يجر عليه ، فقال له أصحابه : أذلاً أجهزت عليه ؟ فقال : إنه استقبلنى بمورته فعاظمتنى عليه الرحم وعرفت أن الله قد قتله .

ويقال : إن أبا سمد هذا خرج بين الصنفين وطلب من يبارزه مراراً فلم يخرج إليه أحد ، فقال : يا أصحاب محمد زعمتم أن قتلاكم في الجنة وقتلانا في النار ، كذبتم واللات لو تعلمون ذلك حقاً لخرج إلى بعضكم . فخرج إليه علىّ فاختلفا ضربتيه فقتله على . وقد قيل إن سمد بن أبي وقاص هو الذى قتل أبا سمد هذا .

وقاتل عاصم بن ثابت بن أبي الأفلح ، فقتل مُسَافِعَ بن طلحة وأخاه الجُلاس بن طلحة ، كلاهما بشمره سهماً فيأنى أمه فيضع رأسه في حجرها فتقول : يا بنى من أصابك ؟ فيقول : سممت رجلاً يقول حين رماني : خذها

(١) كذا بالأصل والمطوى ، ون ابن هشام : ابن قشة .

(٢) في اللسان : قصم ، مثل قُسم : يحطم ما يلقى . والقصم : دق القوم .

وأنا ابن أبي الأفلح . فذرت إن أمسكتها الله من رأس عاصم أن تشرب فيه الخمر ، وكان عاصم قد عاهد الله أن لا يمس مشركاً ولا يمسه مشرك أبداً ، فغمم الله له ذلك حياءً وميتاً حسب ما نذره عند مقتل عاصم على الجميع ، ماء لهذيل ، إن شاء الله تعالى .

والتقى يوم أحد حفظة بن أبي عامر الغسيل وأبو سفيان ، فلما استملا حفظة رآه شداد بن الأسود بن شعوب قد عملاً أبا سفيان فضر به شداد فقتله ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : إن صاحبكم ، يعني حفظة ، اتفلسه الملائكة فسئلوا أهله ما شأنه ؟ فسئلت صاحبه ، فقالت : خرج وهو جُنُب حين سمع المانعة . فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : لذلك غسلته الملائكة . ثم أنزل الله نصره على المسلمين وصدقهم وعده فحشوم^(١) بالسيوف حتى كشفوم عن العسكر ونهكهم قتلاً .

وقد حلت خيل المشركين على المسلمين ثلاث مرات ، كل ذلك تنفخ بالنبيل فترجع مغلولاً ، وكانت الهزيمة لا شك فيها .

فلما أبصر الرماة الخيول أن الله قد فتح لإخوانهم قالوا : والله ما نجلس هنا لشيء ، قد أهلك الله العدو ، وإخواننا في عسكر المشركين ، فتركوا منازلهم التي عهد إليهم رسول الله صلى الله عليه وسلم أن لا يتركوها ، وندازعوا وفشلوا ، وعصوا الرسول فأوجفت الخيل فيهم قتلاً ، ولم يكن نبيل ينصحبها ووجدت مدخلا عليهم ، فكان ذلك سبب الهزيمة على المسلمين بعد أن كانت لهم .

قال الزبير بن العوام رضى الله عنه : والله لقد رأيتني أنظر إلى خدَم^(٢)

(١) حشوم : قتلوم واستأصلوم .

(٢) الخدم : الساق أو الخنخال .

هند بنت عُتْبَةَ وصواحبها مكشفتا هوارب ، مادُون أخذهن قليل ولا كثير ،
إذ مالت الرماة إلى المسكر حين كشفنا القوم عنه ، وخلّوا ظهورنا للخيل ،
فأنتفنا من خافنا ، وصرخ صارخ : ألا إن محمداً قد قُتل ، فانكفأنا وانكفأ
عائنا القوم بعد أن أصبدا أصحاب اللواء ، حتى ما يدنو منه أحد من القوم .
وانكشف المسلمون فأصاب فيهم العدو ، ويقال إن الصارخ هو
الشیطان .

وكان يوم بلاء وتمحيص أكرم الله فيه من أكرم من المسلمين بالشهادة .
حتى خلّص العدو إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم فذُت بالحجارة^(١) حتى
وقع لشفته فأصيبت رباعيته وكَلِمَت شفته وشجّ في وجهه فجعل الدم يسيل على
وجهه ، وجعل صلى الله عليه وسلم يمسحه ويقول : « كيف يفلح قوم خضبوا
وجه نبيهم وهو يدعوهم إلى ربهم ا » .
فأنزل الله في ذلك : « ليس لك من الأمر شيء أو يتوب عليهم أو يعذبهم
فإنهم ظالمون »^(٢) .

وكان الذي كسّر رباعيته وجرح شفته عُتْبَةُ بن أبي وقاص وشجّه عبدُ الله
ابن شهاب الزُّهري في جبهته وجرح ابنُ قبيّة وجفّته فدخلت خلقتان من
حلق المغفر في وجفّته ، ووقع صلوات الله عليه في حفرة من الحفر التي عمل
أبو عامر ليوقع فيها المسلمون وهم لا يعلمون فأخذ علي بن أبي طالب بيده ورفع
طلحة بن عبيد الله حتى استوى قائماً ، ومعه مالك بن سينان والد أبي سعيد
الخلدري الدم من وجهه ثم ازدردده ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم :
« من مسّ دمه دمي لم تصبه الدار » .

(١) دث : رمي وأصيب .

(٢) سورة آل عمران ١٢٨ .

وقال صلى الله عليه وسلم : « من أحب أن ينظر إلى شهيد يمشى على الأرض فليتنظر إلى طلحة » .

ونزع أبو عبيدة بن الجراح إحدى الحلقة من وجهه صلى الله عليه وسلم فسقطت ثنيته ، ثم نزع الأخرى فسقطت ثنيته الأخرى ، فكان ساقط الثنيتين .

وكان سعد بن أبي وقاص يقول : والله ما حرصت على قتل رجل قط حرصى على قتل عتبة بن أبي وقاص ، وهو أخوه ، وإن كان ما علمت لبيء الخلق مبغضاً في قومه ، ولقد كفاني منه قول رسول الله صلى الله عليه وسلم : اشتد غضب الله على من دعى وجه رسول الله ^(١) .

وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم حين غشيه القوم : « من رجل يشترى لنا نفسه ؟ » فقام زياد بن السكك في نفر خمسة من الأنصار ، وبمضئ الناس يقولون : « إنما هو عمارة بن زياد بن السكك » ، فقاتلوا دون رسول الله صلى الله عليه وسلم رجلاً ثم رجلاً ، يقتلون دونه ، حتى كان آخرهم زياد أو عمارة ، فقاتل حتى أثبتته الجراحة ، ثم جاءت فئة من المسلمين فأجهضوه ^(٢) عنه ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : أدنوه مني . فأدنوه منه فوسده قدمه ، فمات وخذله على قدم رسول الله صلى الله عليه وسلم .

* * *

وقالت أم عمارة نسيبه ^(٣) بنت كعب المازنية يومئذ قالت : خرجت

(١) ابن هشام : وجه رسوله .

(٢) أجهضوه : أزالوه وغابوهم .

(٣) نسيبة : بفتح النون وكسر السين المهملة ، كما ضبطها ن الإكمال والتدوير والإسابة وغيرهم . وضبطها بالتصغير وهم ، إنما هذا في نسيبة أم عطية ففقه في أم عمارة غلط . انظر شرح المواهب ٤١/٢ .

أول النهار وأنا أنظر ما يصنع الناس ومعى سقاء فيه ماء ، فأنتهيت إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو في أصحابه والدولة والريحُ المسلمين ، فلما انهزم المسلمون انخرتُ إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم ، ففقت أباشر القتال وأدبَ عنه بالسيف وأرمى عن القوس ، حتى خَلَصْتُ الجراح إلى .

قالت أم سعد بنت سعد بن الربيع : فرأيت على عاتقها جرحاً أجوف له غُورُ فقلت : من أصابك بهذا ؟ قالت : ابن قميصة أقماه الله ، لما ولّى الناسُ عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أقبل يقول : ذأوني على محمد فلا نجوت إن نجوا . فاعترضته أنا ومصعب بن عمير وأناس من ثبث مع رسول الله صلى الله عليه وسلم فضربني هذه الضربة ، واقتد ضربته على ذلك ضرباتٍ واسكن عدوَّ الله كانت عليه دِرْعان .

وترس دون رسول الله صلى الله عليه وسلم أبو دُجَّانة بنفسه ، بقع النبل في ظهره وهو ملتحج عليه ، حتى كثر فيه النبل .

ورمى سعدُ بن أبي وقاص دون رسول الله صلى الله عليه وسلم ، قال سعدُ : فلقد رأيتُه يناولني النبل ويقول : ارم فذاك أبي وأمي احتى إنه ليأولاني السهم ماله من نعل فيقول : ارم به .

ورمى رسولُ الله صلى الله عليه وسلم يومَ أحد حتى اندقت سِينها . وأصيب يومئذ عيْنُ قتادة بن النعمان فردّها رسول الله صلى الله عليه وسلم بيده فسكانت عينه وأحدهما .

وأصيب فم عبد الرحمن بن عوف فتمتَّ وجرح عشرين جراحة أو أكثر ، أصابه بعضها في رجله فخرج .

وأتى أسدُ بن النضر عم أس بن مالك وبه سُمى ، إلى عمر بن الخطاب وطلحة بن عبيد الله في رجال من المهاجرين والأنصار قد ألقوا بأيديهم ،

فقال : ما يُجلسكم ؟ قالوا : لقد قُتل محمد رسول الله . قال : فما تصنعون بالحياة بعده ؟ قوموا ففوتوا على ما مات عليه رسول الله صلى الله عليه وسلم . ثم استقبل اليومَ فقاتل حتى قُتل رحمه الله تعالى .

وروى حميد عن أنس ، أن عمه أنس بن النضر هذا غاب عن قتال يوم بدر ، فقال : غيبت عن أول قتال قاتله رسول الله صلى الله عليه وسلم المشركين ، أين أشهدني الله قتالاً ليرى الله ما أصنع ، فلما كان يوم أحد انكشف المسلمون فقال : اللهم إني أبرأ إليك مما جاء به هؤلاء ، يعني المشركين ، واعتذر إليك مما جاء به هؤلاء ، يعني المسلمين ، ثم مشى بسيفه فلقى سعد بن معاذ فقال : أي سعد والذي نفسي بيده إني لأجد ريح الجنة دون أحد ! وأها لريح الجنة . فقال سعد : فما استطعت يا رسول الله ما صدم . فوجدناه بين القتلى وبه بضع وثمانون جراحة من ضربة بسيف وطعنة برمح ورمية بسهم ، وقد مثلوا به حتى عرفته أخته بيذانه .

قال أنس : كما نقول أنزلت هذه الآية : « من المؤمنين رجال صدقوا ما عاهدوا الله عليه ^(١) » فيه وفي أصحابه .

قال ابن إسحاق : وكان أول من عرف رسول الله صلى الله عليه وسلم بعد الهجرة وتحدث الناس بقتله : كعب بن مالك الأنصاري ، قال : عرفت عينيه تزهزان تحت الميقر فنادت بأعلى صوتي : يا معشر المسلمين أبشروا ، هذا رسول الله صلى الله عليه وسلم . فأشار إلي أن أنصت . فلما عرف المسلمون رسول الله صلى الله عليه وسلم نهضوا به ونهض معهم نحو الشعب ، معه أبو بكر الصديق وعمر بن الخطاب وعلي بن أبي طالب وطلحة بن عبيد الله والزبير ابن العوام والحارث بن الصمة ، ورهط من المسلمين .

* * *

فلما أُسْنَدَ^(١) رسول الله صلى الله عليه وسلم في الشَّعْبِ أدركه أُبَيُّ بْنُ خَلَفٍ وهو يقول : ابن محمد ؟ لا نجوتُ إن نجيا ! فقال القوم : يا رسول الله أبعطف عليه رجلٌ منا ؟ فقال : دعوه . فلما دنا تناول رسول الله صلى الله عليه وسلم الخربة من الحارث بن الصَّمَّةِ ، يقول بعض القوم : فلما أخذها رسول الله صلى الله عليه وسلم منه انتفض بها انتفاضةً تطايرنا عنه تطاير الشعراء^(٢) من ظهر البعير إذا انتفض بها ، ثم استقبله فطعمه في عنقه طعمَةً تَدَادُ^(٣) منها عن فرسه مراراً .

وكان أُبَيُّ بْنُ خَلَفٍ يلتقي رسول الله صلى الله عليه وسلم بمكة فيقول : يا محمد إن عندي العوذ ، فرساً أعلفه كل يوم فرقاً^(٤) من ذُرَّةِ أَفْطَلِكْ عليه . فيقول رسول الله صلى الله عليه وسلم : بل أنا أَفْطَلِكْ إن شاء الله .

فلما رجع إلى قريش وقد خدشه في عنقه خدشاً غير كبير فاحتقن الدم قال : قتلتني والله محمد ! فقالوا له : ذهب والله فؤادك ! والله إن بك بأس قال : إنه قد كان قال لي بمكة : أنا أَفْطَلِكْ . فوالله لو بصق عليّ لقتلتني .

ف ذات عدو الله بسَرف^(٥) وهم قافلون به إلى مكة . وقد قال رسول الله صلى الله عليه وسلم فيما قال يومئذ : « اشتدَّ غضبُ الله على رجل قتل رسول الله » . فسُيْحَقاً لأصحاب السدير .

* * *

ولما انتهى رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى الشَّعْبِ خرج على بن

(١) أُسْنَدَ : صعد . أي استند إلى جانب من الجبل .

(٢) الشعراء : ذباب له لُعْج .

(٣) تَدَادُ : تَقَلَّبَ عن فرسه فجعل يتدسرج .

(٤) الفرق : مكيال يسع ستين عشرة منا ، أو اثني عشر ومثلاً .

(٥) سرف : موضع على ستة أميال من مكة .

أبى طالب حتى ملأ دَرَقَتَهُ من الِإِهْرَاسِ^(١) ، فجاء به إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم ليشرب منه ، فوجد له رِيحاً فمافه ولم يشرب منه ، وغسل عن وجهه الدم فغضب على رأسه وهو يقول : « اشتد غضب الله على من دى وجهه رسولهُ » .

فَبَيَّنَا رسول الله صلى الله عليه وسلم في الشعب معه أوائلك الفهر من أصحابه إذا علت عالية من قریش الجبل فقال : « اللهم إنه لا ينبغي لم أن يَمْلُونَا » فقاتل عمرُ بن الخطاب ومعه رهط من المهاجرين حتى أهبطوهم من الجبل . ونهض رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى صخرة من الجبل ليعلموها فلم يستطع ، وقد كان بَدَنُ^(٢) وظاهر بين درعين ، فجلس تحتها طليعةُ بن عبيد الله فنهض به حتى استوى عليه ، فقال صلى الله عليه وسلم : أَوْجَبَ طَلِيعَةُ^(٣) . وصلى رسول الله صلى الله عليه وسلم الظاهر يومئذ قاعداً من الجراح التي أصابته ، وصلى المسلمون خلفه قعوداً .

* * *

ولما خرج صلى الله عليه وسلم إلى أحد رُفِيع حُسَيْل بن جابر وهو اليمان أبو حذيفة بن اليمان ، وثابت بن قيس في الآكام مع النساء والصبيان فقال أحدهما لصاحبه وهما شيخان كبيران : لا أبالك ما تنتظر ؟ فوالله إن بقي لواحد منا من عمره إلا ظِمَمٌ^(٤) حمار ، إنما نحن هامة اليوم^(٥) أو غد ، أفلا تأخذ

(١) الِهْرَاس : ماء بأحد .

(٢) بدن : عظم جسمه . أو أسن وضف .

(٣) أى وجبت له الجنة .

(٤) الظلم : ما بين الشرعين والوردين ، والمراد : ما بقى لا يسير ، لأنه ليس شيء أقصر : طلباً منه .

(٥) هامة : يريد موت ، والهامة طائر تزعم العرب أنه يخرج من رأس القتيل فيصبح طلباً للتأثر له .

أسيافنا ثم نلتحق رسول الله صلى الله عليه وسلم ، لعل الله يرزقنا الشهادة معه ؟
فأخذنا أسيافهما ثم خرجا حتى دخلا في الداس ولم يعلم بهما .

فأما ثابت فقتله المشركون ، وأما حُسَيْل فاختلقت عليه أسياف المسلمين
فقتلوه وهم لا يعلمون ، فقال حذيفة : أبى ا قالوا : والله إن عرفناه . وصدّقوا .
قال حذيفة : يغفر الله لكم وهو أرحم الراحمين . فأراد رسول الله صلى الله عليه
وسلم أن يديه فتصدق حذيفة بدينته على المسلمين ، فزاده عند رسول الله خيراً .

| خبر نخير بق |

وكان ممن قُتِل يوم أُحُد نخير بق من أحرار اليهود ، وقد تقدم خبره
وكيف قال يومئذ يهود : لقد علمتم أن نصر محمد عليكم لحق . فعملوا عليه بأنه
يوم السبت ، فقال لهم : لا سبت لكم . وأخذ سيفه وعدته فلحق برسول الله
صلى الله عليه وسلم فقاتل معه حتى قُتل بعد أن قال : إن أصبت فإلى محمد يصنع
فيه ما شاء . وفيه قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « نخير بق خير يهود » .

وكان عمرو بن ثابت بن وقش أصيرم بنى عبد الأشهل يابى الإسلام على
قومه ، فلما كان يوم أُحُد بداه في الإسلام فأسلم ، ثم أخذ سيفه ففدا حتى دخل
في غرض الداس فقاتل حتى أثبتته الجراحة ، فبينما رجال من بنى عبد الأشهل
يلتمسون قتلاهم في المعركة إذا هم به ، فقالوا : والله إن هذا للأصيرم ما جاء به ؟
لقد تركناه وإنه لمسكر لهذا الحديث . فسألوه ما جاء بك يا عمرو ؟ أحذب على
قومك أم رغبة في الإسلام ؟ قال : بل رغبة في الإسلام ، آمنت بالله وبرسوله
وأسلمت ثم أخذت سيفي ففدت مع رسول الله صلى الله عليه وسلم ، ثم قاتلت
حتى أصابني ما أصابني . ثم لم يلبث أن مات في أيديهم فذكروه لرسول الله
صلى الله عليه وسلم فقال : إنه لمن أهل الجنة .

وكان أبو هريرة يقول : حدثوني عن رجل دخل الجنة لم يصل قط ؟ فإذا لم يعرفه الناس سألوه من هو ؟ فيقول : أصيرم بنى عبد الأشهل .

* * *

وكان عمرو بن الجُمُوح أعرجَ شديد العرج ، وكان له بفون أربعة مثل الأسد يشهدون مع رسول الله صلى الله عليه وسلم للمشاهد ، فلما كان يوم أحد أرادوا حبسه وقالوا : إن الله قد عذرك . فأنى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال : إن بنى يريدون أن يحبسونى عن هذا الوجه والخروج معك فيه ، فوالله إنى لأرجو أن أطأ بعزجى هذه فى الجنة . فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم : « أما أنت فقد عذرك الله فلا جهاد عليك » . وقال لبنيه : « ما عليكم أن لا تعملوه لعل الله يرزقه الشهادة » فخرج معه فقتل ، برحه الله .

* * *

ووقفت هند بنت عتبة والنسوة اللاتى معها يمثلن بالقتلى من المسلمين يحدن الأذان والأنوف ، حتى اتخذت هند من آذان الرجال وأنوفهم خدما^(١) وقلائد ، وأعطت خدمها وقلائدها وقرطها وحشياً قاتل حمزة ، وبرة^(٢) عن كبدة حمزة رضى الله عنه فلا كتبها فلم تستطع أن أسيفها فلفظتها ، ثم علت على صخرة مشرفة فصرخت بأعلى صوتها :

نحن جزيئناكم يوم بدر والحربُ بعد الحرب ذات سُمر^(٣)
ما كان عن عتبة لى من صبر ولا أخى وعمه وبكر^(٤)
شفيت نفسى وقصيت نذرى شفيت وحشى غليل صدرى

(١) الخدم : الملائك .

(٢) السمر : الشدة والقرم .

فشكر وحشى على عمري حتى ترم أضلعي في قبري^(١)
فأجابتها هند بنت أئانة بن عباد بن المطلب فقالت :

خزيت في بدر وبعد بدر يا بنت وقاع عظيم الكفر
صباحك الله غداة الفجر بالماشيين الطوال الزهر
بكل قطاع حسام يفرى حمزة ليثي وهلي صقري
إذرام شيب وأبوك غدري نفضها منه ضواحي النجر
ونذكرك السوء فشر نذر

وقد كان الخليلس بن زبّان أخو بني الحارث بن عبد مناة ، وهو يومئذ
سيد الأحابيش ، مر بأبي سفيان وهو يضرب في شدة حمزة بن عبد المطلب بزج
الرمح ويقول : ذق عقي^(٢) ، فقال الخليلس : يا بني كدانة هذا سيد قريش يصنع
بابن عمه ما ترون لحما . فقال : ويحك اكتبها عني فإنها كانت زلة .

* * *

ثم إن أبا سفيان حين أراد الانصراف أشرف على الجبل ثم صرخ بأعلى
صوته : أنعمت فعال^(٣) ، إن الحرب سجال يوم يوم بدر ، أعل هبل . أي
ظهر دينك^(٤) .

فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : قم يا عمر فأجبه . فقل : « الله أعل »

(١) ترم : تبلى .

(٢) عقي : أراد باعق . فعده إلى صيغة (فعل) .

(٣) أنعمت : بفتح التاء : خطاب لنفسه ، وبسكونها يريد الحرب أو الواقعة ، أو أن
الأزلام أجابت بنعم . وفعال اسم للفعل الحسن ، وفال السهيل : فعال : أمر ، أي عال عنها
وأفصر عن لومها ، تقول العرب : اعل عي وعال ، بمعنى ارتفع عي ودعى .

(٤) ابن هشام : أي أظهر دينك .

وأجلّ ، لا سواء ، قتلانا في الجنة وقتلاك في النار » .

وفي الصحيح من حديث البراء أن أبا سفيان قال : لدا العزى ولا عزى لكم . فقال النبي صلى الله عليه وسلم : أجيبوه . قالوا : ما نقول ؟ قال قولوا : « الله مولانا ولا مولى لكم » .

وفيه أيضاً : أن أبا سفيان أشرف يوم أحد فقال : أى القوم محمد ؟ فقال : لا نجيبوه . فقال أى القوم ابن أبى قحافة ؟ قال : لا نجيبوه . قال : أى القوم ابن الخطاب ؟ قال : لا نجيبوه فلما لم يجبه أحد قال : إن هؤلاء قتلوا ، فلو كانوا أحياء لأجابوا ، فلم يملك عمر نفسه فقال : كذبت يا عدو الله قد أبى الله لك ما يحزبك .

قال ابن إسحق : فلما أجاب عمر أبا سفيان قال له : هلم إلى يا عمر ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم لعمر : ابته فانظر ما شأنه . فجاءه فقال له أبو سفيان : أنشدك الله يا عمر : أقتلنا محمداً ؟ قال عمر : اللهم لا وإنه ليسمع كلامك الآن ، قال : أنت أصدق صدى من ابن قتيبة^(١) وأبر . لقول ابن قتيبة لهم : إني قد قتلت محمداً ، ثم نادى أبو سفيان : إنه قد كان في قتلاكم مثل^(٢) ، والله ما رصيت وما سخطت ، وما أمرت وما نهيت .

ولما انصرف أبو سفيان ومن معه نادى : إن موعدكم بدر العام الزمان . فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم لرجل من أصحابه قل : نعم هو بيننا وبينكم موعد .

* * *

ثم بعث رسول الله صلى الله عليه وسلم على بن أبى طالب فقال : اخرج في آثار القوم فانظر ماذا يصنعون وماذا يريدون ، فإن كانوا قد جفبوا الخليل

(١) كذا بالأسل والطبرى : وى ابن هشام وابن كثير : ابن قتيبة .

(٢) المثل : كالمثلة ، التشكيل بالفتلى .

وامتطوا الإبلَ فإنهم يبدون مكة ، وإن ركبوا الخيل وساقوا الإبل فهم يريدون المدينة ، والذي نفسى بيده إنني أراهم لأسيرنَ إليهم منها ثم لأنجزهم فخرج على فرأهم قد جيبوا الخيل وامتطوا الإبل ووجهوا إلى مكة .

وفرغ الناسُ اقتلاهم وانتشروا يبتغونهم ، فلم يجدوا قتيلًا إلا وقد مثّلوا به إلا خنْظلة بن أبي عامر ، فإن أباه كان مع المشركين فتركوه له ، وزعموا أن أباه وقف عليه قتيلًا فدفع صدره بقدمه وقال : قد تقدمتُ إليك في مصرعك هذا ، واعر الله إن كنت أو اصلا للرحم برأ بالوالدة .

وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : من رجلٌ ينظر لى ما فعل سعد ابن الربيع ، أى الأحياء هو أم فى الأموات ؟ فقال رجل من الأنصار : أما أنظر لك يا رسول الله ما فعل . فنظر فوجده جريحاً فى القتلى وبه رمق ، قال فقلت : إن رسول الله صلى الله عليه وسلم أمرنى أن أنظر إلى الأحياء أنت أم فى الأموات ؟ قال : أنا فى الأموات ، فأبلغ رسول الله صلى الله عليه وسلم عنى السلام وقل له : إن سعد بن الربيع يقول : جزاك الله عنا خير ما جزى نبياً عن أمته ، وأبلغ قومك السلام عنى وقل لهم : إن سعد بن الربيع يقول لكم : إنه لا عذر لكم عند الله إن خُلص إلى نبيكم وفيكم من عَيْنٍ تَظُف . قال : ثم لم أبرح حتى مات . فبُنت رسول الله صلى الله عليه وسلم فأخبرته خبره .

وفى سعد هذا يقول أبو بكر الصديق رضى الله عنه ، وقد دخل عليه رجل وعلى صدره بنتٌ لسعد جارية صغيرة يرشّفها ويقبلها فقال الرجل : من هذه ؟ فقال أبو بكر رضى الله عنه : بنت رجل خير منى ، سعد بن الربيع ، كان من الدقباء ليلة العقبة وشهد بدرًا ، واستشهد يوم أحد .

[حزن الرسول على حمزة]

وخرج رسول الله صلى الله عليه وسلم يلتمس حمزة بن عبد المطلب فوجده ببطن الوادي قد بُقر بطنه عن كبده ومثّل به فجُدع أنفه وأذناه ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم حين رأى ما رأى : « لولا أن تمزن صفية ويكون سُنّة من بعدى لتركته حتى يكون في بطون السباع وحواصل الطير ، ولئن أظهرني الله على قريش في موطن من المواطن لأمثّلت بثلاثين رجلاً منهم » .

فلما رأى المسلمون حزن رسول الله صلى الله عليه وسلم وغِيظه على من فعل بعمه ما فعل ، قالوا : والله لئن أظهرنا الله بهم يوماً من الدهر لنمثّلن بهم مثلة لم يمثّلها أحدٌ من العرب . فأَنزل الله تعالى ، فيما قاله من ذلك رسوله صلوات الله عليه وسلامه : « وَإِنْ عَاقَبْتُمْ فَعَاقِبُوا بِمِثْلِ مَا عُوقِبْتُمْ بِهِ وَلَئِنْ صَبَرْتُمْ لَهُوَ خَيْرٌ لِلصَّابِرِينَ . وَاصْبِرْ وَمَا صَبْرُكَ إِلَّا بِاللَّهِ ، وَلَا تَحْزَنْ عَلَيْهِمْ وَلَا تَكُ فِي ضَيْقٍ مِمَّا يَمْكُرُونَ^(١) » فعفا رسول الله صلى الله عليه وسلم وصبرَ ونَهى عن المُثَلّة .

ويقال إن رسول الله صلى الله عليه وسلم لما وقف على حمزة قال : ان أصاب بمثلك أبداً ما وقفتُ موقفاً قط أغَيِظُ لى من هذا . ثم قال : جاءني جبريل فأخبرني أن حمزة مكتوب في أهل السموات السبع : حمزة ابن عبد المطلب أسدُ الله وأسدرسوله .

ثم أمر به رسول الله صلى الله عليه وسلم فسجّى بيزده ، ثم صلى عليه

فكبر سميع تكبيرات ، ثم أتى بالقتلى ، بوضعون إلى حمزة وصلى عليهم وعليه معهم ، حتى صلى عليه ثنتين وسبعين صلاة .

وأقبات صفية بنت عبد المطلب انتظرت إليه ، وكان أخاها لأبيها وأماها فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم لابنها الزبير بن العوام : ألقها فأرجعها ، لا ترى ما بأخيها . فقال لها : يا أمه إن رسول الله صلى الله عليه وسلم يأمرك أن ترجعي . قالت ولم ؟ وقد بلغتني أن قد مثل بأخي ، وذلك في الله ، فما أرضانا ، ما كان من ذلك ، لأحسبن ولأصبرن إن شاء الله . فلما أخبر الزبير بذلك رسول الله صلى الله عليه وسلم قال له : خلّ سبيلها . فأنته فنظرت إليه فصارت عليه واسترجعت واستغفرت له .

ثم أمر به رسول الله صلى الله عليه وسلم فدفن .

وزعم آل عبد الله بن جعش أن رسول الله صلى الله عليه وسلم دفن عبد الله بن جعش مع حمزة في قبره ، وهو ابن أخته أميمة بنت عبد المطلب ، وكان قد مثل به كما مثل بخاله حمزة ، إلا أنه لم يُبقر عن كبده وجُدع أنفه وأذناه ، فلذلك يقال له : المجذع في الله .

وكان في أول النهار قد اتى سعد بن أبي وقاص فقال له عبد الله : هلم ياسعد فلندع الله وليذكر كل واحد منا حاجته في دعائه وأيمؤمن الآخر . فقال سعد : يارب إذا لقيت العدو فلقني رجلاً شديداً بأسه شديداً حرده أقاتله فيك ويقاثلني ثم ارزقني الظفر عليه حتى أقتله وأسلمه سلبه . فأمن عبد الله بن جعش ثم قال : اللهم ارزقني رجلاً شديداً بأسه شديداً حرده أقاتله فيك ويقاثلني ثم يجذع أنفي وأذني ، فإذا لقيت غداً قلت لي : يا عبد الله فيم جذع أنفك وأذنك ؟ فأقول : فيك يارب وفي رسولك . فتقول لي : صدقت . فأمن سعد على دعوته .

قال سعد : كانت دعوة عبد الله خيرا من دعوتي ، لقد رأيت آحر
النهار وإن أذنيه وأنفه معلقتان في خيط ، ولقيت أنا فلانا من المشركين
فقتلته وأخذت سلبه .

وذكر الزبير أن سيف الله عبد الله بن جحش انقطع يوم أحد فأعطاه
رسول الله صلى الله عليه وسلم عرجونا فماد في يده سيفا قائمه معه ، فقاتل به
فكان ذلك السيف يسمى العرجون ، ولم يزل هذا يتوارث حتى بيع من
بُعا التركي بمائتي دينار .

[دفن الشهداء]

واحتمل ناس من المسلمين قتلاهم إلى المدينة فدفنهم بها ، ثم نهي
رسول الله صلى الله عليه وسلم عن ذلك وقال : ادفنهم حيث صرّوا .

ولما أشرف صلوات الله عليه وسلامه يوم أحد على القتلى قال : أنا شهيد
على هؤلاء ، إنه ما من جريح يُجرَح في الله إلا والله يبعثه يوم القيامة
يدني جُرحه اللون لون دَمٍ والريح ريح مسك ، انظروا أكثر هؤلاء
جما للقرآن فاجعلوه إمام أصحابه في القبر . وكانوا يدفنون الاثنين والثلاثة
في القبر الواحد .

وقال يومئذ حين أمر بدفن القتلى : انظروا عمرو بن الجوح وعبد
الله بن عمرو بن حرام ، فإنهما كانا متصافيين في الدنيا فاجعلوهما في
قبر واحد .

وذكر مالك بن أنس في موطئه أن السيل حفر قبرهما بعد زمان فخر
عنهما ليغيرا من مكانهما ، فوجدا لم يتغيرا كما ما الأوس ، وكان

أحدهما قد جرح فوضع يده على جرحه فدفن وهو كذلك فأميضت يده
عن جرحه ثم أرسلت فرجعت كما كانت ، وكان بين أحد وبين يوم
خُفِرَ عنهما ست وأربعون سنة .

[رجوع الرسول إلى المدينة]

ثم انصرف رسول الله صلى الله عليه وسلم راجعا إلى المدينة فاقبضته حمزة بنت
جحش ، فلما اقيمت اللباس نعى لها أخوها عبد الله بن جحش فاسترجعت
واستغفرت له ، ثم نعى لها خالها حمزة بن عبد المطلب فاسترجعت واستغفرت
له ، ثم نعى لها زوجها مُصمَّب بن عمير فصاحت وولوات فقال رسول الله
صلى الله عليه وسلم : « إن زوج المرأة منها ليمسك » لما رأى من تنبئتها على
أخيها وخالها وصياحها على زوجها .

[بكاء الشهداء]

ومر رسول الله صلى الله عليه وسلم بدار من دور الأنصار فسمع البكاء
والدوايح على قتلاهم ، فذرفت عيناه فبكى ثم قال : اسكن حمزة لا بواكى له !
فلما رجع سعد بن معاذ وأسيد بن حضير إلى دار بنى عبد الأشهل أمرا
نساءهما أن يتحزمن ثم يذهبن فيبكين على عم رسول الله صلى الله عليه وسلم ،
ففععلن ، فلما سمع رسول الله صلى الله عليه وسلم بكاءهن على حمزة خرج عليهن
وهن على باب المسجد يبكين عليه فقال : ارجعن يرحمكن الله فقد آسيتن بأنفسكن .
وقيل إنه لما سمع بكاءهن قال . رحم الله الأنصار ، فإن المواساة منهن ما علمت
لقديمة ، مروهن فليصبرفن .

ومر رسول الله صلى الله عليه وسلم في انصرافه بامرأة من بنى دينار وقد
أصيب زوجها وأبوها مع رسول الله صلى الله عليه وسلم بأحد ، فلما نموا لها قالت :
فما فعل رسول الله صلى الله عليه وسلم ؟ قالوا : خيرا يا أم فلان هو بمحمد الله كما

تحيين . قالت : أرونيه حتى أنظر إليه . فأشير لها إليه حتى إذا رآته قالت : كل مصيبة بعدك جلل أنريد صغيرة^(١) .

* * *

فلما انتهى رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى أهله ناول سيفه ابنته فاطمة فقال : اغسلي عن هذا دمه يا بنية ، فوالله لقد صدقني اليوم ، وناولها علي ابن أبي طالب سيفه وقال : وهذا فاغسلي عنه دمه فوالله لقد صدقني اليوم فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : لئن كنت صدقت القتال لقد صدق معك سهل بن حذين وأبو دُجانة .

وكان يقال لسيف رسول الله صلى الله عليه وسلم : ذو الفقار . ونادى مداد يوم أحد :

لا سيف إلا ذو الفقار ر ولا فتى إلا علي

وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم لعلي بن أبي طالب : « لا يصيب المشركون منا مثلها حتى يفتح الله علينا » .

[غزوة حراء الأسد]

وكان يوم أحد يوم السبت للضعف من شوال .

فلما كان الغد منه يوم الأحد أذن مؤذن رسول الله صلى الله عليه وسلم بطلب العدو ، وأذن مؤذنه : أن لا يخرج من معنا أحد إلا أحد حضر يومنا بالأمس .

فكلمه جابر بن عبد الله بن عمرو بن حرام فقال : يا رسول الله كان أبي

(١) قال ابن هشام : الجلل يكون من القليل والكثير . وهو ما هنا القليل ، قال امرؤ القيس :

لقتل بني أسد ربهم ألا كل شيء خلاه جليل
أي صغير وقليل .

خالفني على أخوات لي سبيع وقال : « يا بُنَيَّ إنه لا ينبغي لي أو لك أن نترك هؤلاء النسوة لا رجل فيهن ، واستُ بالذي أوترك بالجهاد مع رسول الله صلى الله عليه وسلم على نفسي ، فتخلف على أخواتك . فتخلفت عليهن . فأذن له رسول الله صلى الله عليه وسلم فخرج معه .

وإذا خرج رسول الله صلى الله عليه وسلم مرهباً للعدو ليبتاعهم أنه خرج في طلبهم فيغلثوا به قوة ، وأن الذي أصابهم لم يؤمنهم عن عدوهم .

وشهد مع رسول الله صلى الله عليه وسلم يوم أحد أخوان من بني عبد الأشهل فرجاً جريحين ، قال أحدهما : فلما أذن مؤذن رسول الله صلى الله عليه وسلم بالخروج في طلب العدو قلت لأخي أو قال لي : أنفوثنا غزوة مع رسول الله صلى الله عليه وسلم ١٢ والله مالنا من دابة تركها وما منا إلا جريح ثقيل . فخرجنا وكنت أسير جرحاً معه ، فسكان إذا غلب حملته ، عتبة^(١) ومشى عتبة ، حتى انتهيا إلى ما انتهى عليه^(٢) المسلمون .

وانتهى رسول الله صلى الله عليه وسلم في خروجه إلى خمراء الأسد ، على ثمانية أميال من المدينة . فأقام بها الاثنين والثلاثاء والأربعاء ثم رجع إلى المدينة .

وقد مر به هناك مَعْبِد من أبي مَعْبِد الخزاعي ، وكانت خزاعة مسلمهم ومشرِكهم عِيَّة نُصَح^(٣) رسول الله صلى الله عليه وسلم بتمامة ، صدقتهم^(٤) معه لا يخفون عنه شيئاً كان بها ، ومَعْبِد يومئذ مشرك ، فقال : يا محمد أما والله لقد عزنا عينا ما أصابك في أصحابك ، ولوددنا أن الله عافاك فيهم .

(١) العتبة : التوبة .

(٢) ابن هشام : إليه .

(٣) العيبة : موضع السر .

(٤) صدقتهم : حلفهم .

ثم خرج ورسول الله صلى الله عليه وسلم بجمراه الأسد ، حتى لقي أبا سفيان
ابن حرب ومن معه بالروحاء وقد أجمعوا الرجعة إلى رسول الله صلى الله عليه
وسلم وأصحابه ، وقالوا : أصبنا حدةً أصحابه وقادتهم وأشرفهم ثم ترجع قبل
أن نستأصلهم ! لَنَكُرُّنَ على بقيتهم فلفرغ منهم . فلما رأى أبو سفيان
معبداً قال : ما وراءك يا معبد ؟ قال : محمد قد خرج في أصحابه يطلبكم في جمع
لم أر مثله قط يتحرقون عليكم تحرقاً قد اجتمع معه من كان يخاف عه في يومكم
وندموا على ما صنعوا ، فيهم من الخلق عليكم شيء لم أر مثله قط . فقال :
ويحك ما تقول ؟ قال : والله ما أرى أن ترحل حتى ترى نواصي الخيل .
قال : فوالله لقد أجمعنا الكثرة عليهم لنستأصل بقيتهم . قال : فإني أنهك عن
ذلك ، والله لقد حلني ما رأيت أن قلت فيه أياناً من الشعر . قال : ما قلت ؟
قال قلت :

كادت هُت من الأصوات راحلتى إذ سالت الأرض بالجرد الأبايل^(١)
تردى بأشد كرايم لا تفالة عهد اللقاء ولا ميل معازيل^(٢)
فظلت عدواً أظن الأرض مائلة لما سموا برئيس غير مخذول
فقلت ويل ابن حرب من لفائكم إذا تطمطت البطاح بالجليل^(٣)
إنى نذير لأهل البسل^(٤) ضاحية لكل ذي إزنة منهم ومعهول
من جيش أحمد لا وخشا قنابله وليس يوصف ما أذرت بالاقيل^(٥)
ففتى ذلك أبا سفيان ومن معه

(١) الجرد : عتاق الخيل . والأبايل : الجماعات .

(٢) تردى : تسرع .

(٣) تطمطت : اهتزت . والجليل : الصف من الناس .

(٤) أهل البسل : قريش .

(٥) الوحش : الردى . وفي ابن هشام : لا وخش تنايلة . ووسيرة ابن كثير

١٠٠/٣ : لا وخش قنابله .

ومرّ به ركبّ من عبد القيس فقال : أين تريدون ؟ قالوا : نريد المدينة ، قال : ولم ؟ قالوا : نريد الميرة . قال : فهل أنتم مبلغون عنى عمداً رسالة أرسلكم بها إليه وأجل لكم بهذه^(١) غداً زيباً بمكاظ إذا ما أتيتموها ؟ قالوا نعم . قال : فإذا رافيتموه فأخبروه أنا قد أجمعنا السير إليه وإلى أصحابه لنستأصل بقيتهم . فرّ الركب برسول الله صلى الله عليه وسلم وهم بحمراء الأسد فأخبروه بالذي قال أبو سفيان وأصحابه فقالوا^(٢) : « حَسْبُنَا اللَّهُ وَنِعْمَ الْوَكِيلُ » .

وبقال إنهم لما هموا بالرجعة إلى المدينة ليستأصلوا - كما زعموا - بقية أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لهم صفوان بن أمية : لا تفعلوا فإن القوم قد حَرَبُوا^(٣) وقد خشينا أن يكون لهم قتلٌ مير الذي كان ، فارجموا . فرجموا . فقال النبي صلى الله عليه وسلم وهو بحمراء الأسد حين بلغه أنهم هموا بالرجعة : « والذي نفسي بيده لقد سَوَّمتُ لهم حجارة لو صبَّحوا بها لسكَّنوا كأس الداهب » .

وأخذ رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وجهه قبل رجوعه إلى المدينة معاوية ابن المغيرة بن أبي العاص بن أمية بن عبد شمس جد عبد الله بن مروان أبا أمه وأبا عزة الجعفي ، وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم أسرّه بيد رثم من عليه وقد تقدم ذكر ذلك وذكر مقتله إياه في هذه الأحدة الثانية صدر غزوة أحد ، ولجأ معاوية بن المغيرة إلى عثمان بن عفان فاستأمن له رسول الله صلى الله عليه وسلم فأمنه على أنه إن وجد بعث ثلاث قتل ، فأطام بعدها وتوارى . فبعث النبي صلى الله عليه وسلم زيد بن حارثة وعمار بن ياسر وقال : إنكما ستجدانه بموضع كذا . فوجداه مقتلاه .

(١) ابن هشام : هذه .

(٢) ابن هشام : فقال .

(٣) حرَبُوا : غضبوا .

[ما نزل من القرآن في أحد]

وكان يوم أحد يومَ بلاء ومصيبة وتمحيص ، اخبر الله به المؤمنين وتحق به المنافقين ممن كان يُظهر الإيمان بلسانه وهو مستخف بالكفر في قلبه ، واكرم الله فيه من أراد كرامته لشهادة من أهل ولايته .

وكان مما أنزل الله تبارك وتعالى من القرآن في شأن أحد ستون آية من آل عمران في طاعة من أطاع ، ونفاق من نافق ، وصفة ما كان في يومهم ، وتمزية المؤمنين في مصيبتهم ومعابرة من عائب منهم .

يقول الله تبارك وتعالى للبيه صلى الله عليه وسلم : « وَإِذْ غَدَوْتَ مِنْ أَهْلِكَ تُبَوِّئُ الْمُؤْمِنِينَ مَقَاعِدَ لِلْقِتَالِ وَاللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ » . أى سميع لما يقولون عليهم بما يخفون .

« إِذْ هَمَّتْ طَائِفَتَانِ مِنْكُمْ أَنْ فُتِنَا بِالْجَنَاحِ » أى نتخذا . والطائفتان : بدو سلمة من الخزرج وبدو حارثة من الأوس ، وهما الجناحان ، يقول الله تبارك وتعالى : « وَاللَّهُ وَلِيُّهُمَا » أى المدافع عنهما ما همتا به من ذلك برحمة وعائذته حتى سلمتا ولحقنا بنبييهما . وقيل إنه لما أنزل الله تعالى في هاتين الطائفتين قائلنا : ما نحب أن نلهم بما هممتا لنولى الله إياها في ذلك .

« وَعَلَى اللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ الْمُؤْمِنُونَ » أى من كان به ضعف من المؤمنين فليتوكل على وليه على أمره وأدفع عنه حتى أبلغ به وأقويه على نيته .

« وَلَقَدْ نَعَرَكُمُ اللَّهُ بِيذْرَائِهِمْ أَذِلَّةٌ أَقَلَّ عِدَادًا وَأَضْعَفُ قُوَّةً » فانتوا الله لعلكم تشكرون « أى فانتوني فإنه شكر نعمتي .

« إِذْ تَقُولُ لِلْمُؤْمِنِينَ أَلَنْ يَكْفِيَكُمْ أَنْ يُبَدِّلَ رُبُّكُمْ بِثَلَاثَةِ آلَافٍ مِنَ الْمَلَائِكَةِ مُنْزَلِينَ ؟ » بلى إن تصبروا وتثقفوا وبأئوكم من فورهم لهذا

يُمْدِدْكُمْ رَبُّكُمْ بِخَمْسَةِ آلَافٍ مِنَ الْمَلَائِكَةِ مُسَوِّمِينَ « أَيْ إِنْ تَصْبِرُوا
أَعِدُّوا وَتَطِيعُوا أَمْرِي وَيَأْتِيَكُمْ مِنْ وَجْهِهِمْ هَذَا أَمَدُكُمْ بِهَذَا الْعَدَدِ مِنَ الْمَلَائِكَةِ
مُسَوِّمِينَ أَيْ مَعْلَمِينَ .

« وَمَا جَعَلَ اللَّهُ إِلَّا بُشْرَى لَكُمْ وَلِتَطْمَئِنَّ قُلُوبُكُمْ بِهِ وَمَا النَّصْرُ إِلَّا مِنْ
عِنْدَ اللَّهِ الْعَزِيزِ الْحَكِيمِ « أَيْ مَا سَمَّيْتُ لَكُمْ مَنْ سَمَّيْتَهُ مِنْ جُودِ مَلَائِكَتِي
إِلَّا لَتَسْتَبْشِرُوا بِذَلِكَ وَتَطْمَئِنَّ قُلُوبُكُمْ إِلَيْهِ ، لَمَّا أَعْرَفَ مِنْ ضَعْفِكُمْ ، وَمَا
النَّصْرُ إِلَّا مِنْ عِنْدِ اللَّهِ أَسْلَاطَانِي وَقَدَّرْتِي ، وَذَلِكَ أَنَّ الْعَرَّةَ وَالْحَكَمَ لِي لَا
إِلَى أَحَدٍ مِنْ خَلْقِي .

ثُمَّ قَالَ لِلْحَمْدِ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ : « أَيْسَ لَكَ مِنَ الْأَمْرِ شَيْءٌ أَوْ
يَتُوبَ عَلَيْهِمْ أَوْ يُعَذِّبُهُمْ فَإِنَّهُمْ ظَالِمُونَ « أَيْ أَيْسَ لَكَ مِنَ الْحَكَمِ شَيْءٌ فِي
عِبَادِي إِلَّا مَا أَمَرْتُكَ بِهِ فِيهِمْ ، أَوْ أَتُوبُ عَلَيْهِمْ بِرَحْمَتِي فَإِنْ شِئْتُ فَعَلْتُ ،
أَوْ أَعَذِّبُهُمْ بِذُنُوبِهِمْ فَيُجْزَى ظَالِمُونَ أَيْ عَصَوْا فَاسْتَوْجِبُوا ذَلِكَ
بِعَصْيِهِمْ إِيَّاي .

ثُمَّ اسْتَقْبَلَ ذَكَرَ الْمَصِيبَةِ الَّتِي نَزَلَتْ بِهِمْ وَالْبَلَاءَ الَّذِي أَصَابَهُمْ وَالتَّجْهِيسَ
بِمَا كَانَ فِيهِمْ وَاتِّخَاذَ الشُّهَدَاءِ مِنْهُمْ ، فَقَالَ تَعَزُّيَةً لَهُمْ وَتَعْرِيفًا لَهُمْ فِيمَا صَدَعُوا
وَفِيمَا هُوَ صَانِعٌ بِهِمْ : « قَدْ خَلَقْتُ مِنْ قَبْلِكُمْ سُنَنَ فَيَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَانظُرُوا
كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُكَذِّبِينَ « أَيْ قَدْ مَضَتْ مِنِّي وَقَائِعُ نَقْمَةٍ فِي أَهْلِ التَّكْذِيبِ
بِرُسُلِي وَالشُّرَكَ ، فِي عَادٍ وَثَمُودٍ وَقَوْمِ لُوطٍ وَأَصْحَابِ مَدْيَنَ ، فَأَرَوْا مَثَلَاتِ
قَدْ مَضَتْ مِنِّي فِيهِمْ وَلَنْ هُوَ عَلَى مِثْلِ مَا هُمْ عَلَيْهِ : « هَذَا بَيِّنَاتٌ لِلنَّاسِ وَهُدًى
وَمَوْعِظَةٌ لِّلْمُتَّقِينَ « أَيْ نُورٌ وَأَدَبٌ لِمَنْ أَطَاعَنِي وَعَرَفَ أَمْرِي .

« وَلَا تَسْهِنُوا وَلَا تَحْزَنُوا « أَيْ لَا تَغْفُفُوا وَلَا تَبْتَئِسُوا عَلَى مَا أَصَابَكُمْ

« وَأَنْتُمْ الْأَعْلَوْنَ » لَكُمْ تَكُونُ الْعَاقِبَةُ وَالظُّهُورُ « إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ » أَيْ
إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ نَبِيٌّ بِمَا جَاءَكُمْ بِهِ عَنِّي .

« إِنْ يَمْسَسْكُمْ قَرْحٌ » أَيْ جِرَاحٌ « فَقَدْ مَسَّ الْقَوْمَ قَرْحٌ مِثْلُهُ » أَيْ
جِرَاحٌ مِثْلُهَا « وَتِلْكَ الْأَيَّامُ نَدَاوِلُهَا بَيْنَ النَّاسِ » أَيْ نَصَرَتْهَا لِلْبَلَاءِ وَالْتَمَحِيصِ
« وَلِيَعْلَمَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا وَيَتَّخِذَ مِنْكُمْ شُهَدَاءَ » وَاللَّهُ لَا يَحِبُّ الظَّالِمِينَ .
« وَلِيَعْلَمَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا وَيَمْحَقَ الْكَافِرِينَ » أَمْ حَسِبْتُمْ أَنْ تُدْخِلُوا الْجَنَّةَ
وَلَمَّا يَعْلَمِ اللَّهُ الَّذِينَ جَاهَدُوا مِنْكُمْ وَيَعْلَمِ الصَّابِرِينَ « أَيْ حَسِبْتُمْ أَنْ تُدْخِلُوا
الْجَنَّةَ فَتَصِيبُوا كَرَامَةً ثَوَابِي وَلَمْ أُخْتَبِرْكُمْ بِالشَّدَةِ وَأَبْتَلَيْكُمْ بِالْمَكَارِهِ حَتَّى أَعْلَمَ
صِدْقَ ذَلِكَ مِنْكُمْ ، الْإِيمَانُ بِي وَالصَّبْرُ عَلَى مَا أَصَابَكُمْ فِي .

« وَلَقَدْ كُنْتُمْ تَتَمَنَّوْنَ الْمَوْتَ » أَيْ الشَّهَادَةَ « مِنْ قَبْلِ أَنْ نَلْقَاهُ » يَعْنِي
الَّذِينَ اسْتَهْزَؤُوا رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إِلَى الْخُرُوجِ بِهِمْ إِلَى عَدُوِّهِمْ
يَوْمَ أُحُدٍ لَمَّا فَاتَهُمْ مِنْ يَوْمٍ بَدْرٍ رَغْبَةً فِي الشَّهَادَةِ يَقُولُ : « فَقَدْ رَأَيْتُمُوهُ
وَأَنْتُمْ تَنْظُرُونَ » .

« وَمَا مُحَمَّدٌ إِلَّا رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلِهِ الرُّسُلُ أَفُنْ مَاتَ أَوْ قُتِلَ
انْقَلَبْتُمْ عَلَى أَعْقَابِكُمْ » أَيْ لَقَوْلِ النَّاسِ : « قُتِلَ مُحَمَّدٌ . وَانْهَزَاهُمْ عَدَدُ ذَلِكَ
وَانْصَرَفَهُمْ عَنْ عَدُوِّهِمْ . أَفُنْ مَاتَ أَوْ قُتِلَ رَجَعْتُمْ عَنْ دِينِكُمْ كَافِرًا كَمَا كُنْتُمْ ،
وَنَزَكْتُمْ جِهَادَ عَدُوِّكُمْ وَكُتَابَ رَبِّكُمْ وَمَا خَلَفَ نَبِيُّهُ مِنْ دِينِهِ مَعَكُمْ وَعِنْدَكُمْ
وَقَدْ بَيْنَ لَكُمْ فِيهَا جَاءَكُمْ بِهِ عَنِّي أَنَّهُ مَيِّتٌ عِنْدَكُمْ وَمُفَارِقٌ لَكُمْ ؟ » وَمَنْ
يَنْقَلِبُ عَلَى عَقْبَيْهِ « أَيْ يَرْجِعُ عَنْ دِينِهِ « فَلَنْ يَخُصِّرَ اللَّهُ شَيْئًا » أَيْ لَنْ يَنْقُصَ
ذَلِكَ عِزُّ اللَّهِ وَلَا مُلْكُهُ وَلَا سُلْطَانُهُ وَلَا قُدْرَتُهُ « وَسَيَجْزِي اللَّهُ الشَّاكِرِينَ »
أَيْ مَنْ أَطَاعَهُ وَعَمِلَ بِأَمْرِهِ .

« وَمَا كَانَ لِنَفْسٍ أَنْ تَمُوتَ إِلَّا بِإِذْنِ اللَّهِ كَتَابًا مُوَجَّلًا وَمَنْ يُرِذْ ثَوَابَ

الدنيا نُورَتِ منها ومن يُردُّ ثوابَ الآخرةِ نُورَتِه منها وسليجى الشاكرين «
 أى من أراد الدنيا خاصة أتاه منها ما كُتِبَ له وماله فى الآخرة من نصيب ،
 ومن أراد الآخرة وسعى لها سعيها وهو مؤمن أتاه منها ما وعد به مع ما يُجزى
 عليه فى دنياه من رزقه المقدر له ، وذلك هو جزاء الشاكرين أى المتقين .

« وَكَأَيِّنْ مِنْ نَبِيٍّ قَاتَلَ مَعَهُ رِيثُونَ كَثِيرٌ فَمَا وَهَنُوا لِمَا أَصَابَهُمْ
 فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَمَا ضَعُفُوا وَمَا اسْتَكَانُوا » أى وكم من نبي أصابه القتلُ ومعه
 جماعات من أنصاره ، فما وهنوا لفقد نبيهم وما ضعفوا عن عدوهم وما استكانوا
 لما أصابهم فى الجهاد عن الله وعن دينهم ، وذلك هو الصبر « والله يحب
 الصابرين » .

« وَمَا كَانَ قَوْلَهُمْ إِلَّا أَنْ قَالُوا رَبَّنَا اغْفِرْ لَنَا ذُنُوبَنَا وَإِشْرَافَنَا فِي
 أَمْرِنَا وَثَبَّتْ أَفْئِدَتَنَا وَانصُرْنَا عَلَى الْقَوْمِ الْكَافِرِينَ » أى فقولوا مثل
 ما قالوا ، واعلموا أن ذلك بذنوب منكم فاستغفروا كما استغفروا ، وامضوا على
 دينكم كما مضوا على دينهم ولا تردوا على أعقابكم راجعين ، وسلوهم كما سلوه
 أن يثبت أفئدتكم ويبصركم على القوم الكافرين . فكل هذا من قولم كان
 وقد قُتل نبيهم ، ولم يفعلوا كما فعلتم .

« فَإِنَّمَا اللَّهُ نَوَاصِرُ الدُّنْيَا » بالظهور على عدوهم « وَحُسْنُ نَوَاصِرِ الْآخِرَةِ »
 الذى به وعدم « والله يحب المحسنين » .

« يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِن تَطِيعُوا الَّذِينَ كَفَرُوا يُزْذِقُواكُمْ عَلَى أَعْقَابِكُمْ
 فَتَنَقَّلُوا خَاسِرِينَ » أى عن عدوكم فتذهب دنياكم وآخرتكم .

« بَلِ اللَّهُ مَوْلَاكُمْ وَهُوَ خَيْرُ النَّاصِرِينَ » فإن كان ما تقولون بألسنتكم
 صدقاً عن قلوبكم فاعتصموا به ولا تنتصروا بغيره ، ولا ترجعوا كفاراً على
 أعقابكم مرتدين عن دينه .

« سَنُلْقِي فِي قُلُوبِ الَّذِينَ كَفَرُوا الرُّعْبَ » الذي كُتِبَ بِهِ أَنْصَرَكُمْ عَلَيْهِمْ
جزاء لم بما أشركوا بي ، فلا تظنوا أن لهم عاقبة نصر أو ظهوراً عليكم
ما اعتصمتم بي واتبعتم أمري ، وإنما أصابكم منهم ما أصابكم بذنوبٍ قدمتموها
لأنفسكم خالفتم بها أمري وعصيتم فيها نبي .

« وَلَقَدْ صَدَقَكُمُ اللَّهُ وَعْدَهُ إِذْ تَحُسُّونَهُمْ بِإِذْنِهِ حَتَّى إِذَا فَشِلْتُمْ وَتَنَزَّعْتُمْ
فِي الْأَمْرِ وَعَصَيْتُمْ مِنْ بَعْدِ مَا أَرَاكُمْ مَا تُحِبُّونَ » أي لقد وُفِّيتْ لَكُمْ
ما وعدتكم من النصر على عدوكم إِذْ تَحُسُّونَهُمْ بالسيف أي نستأصلونهم
قتلاً بِإِذْنِي وتسلط على أيديكم عليهم وكُنِيَ أَيْدِيَهُمْ عَنْكُمْ « حَتَّى إِذَا فَشِلْتُمْ »
أي نَحَاذَلْتُمْ « وَتَنَزَّعْتُمْ فِي الْأَمْرِ » اختلفتم فيه « وَعَصَيْتُمْ » بترك أمر نبيكم ،
يعني الرِّمَّةُ الَّذِينَ عَاهَدَ إِلَيْهِمْ أَلَا يَفَارِقُوا مَكَانَهُمْ يَخَالِفُوا أَمْرَهُ حَتَّى أَتَى الْمُسْلِمُونَ
مِنْ قِبَلِهِمْ « مِنْ بَعْدِ مَا أَرَاكُمْ مَا تُحِبُّونَ » أي الفتح لا شك فيه وهزيمة القوم
من نساءهم وأموالهم « مِنْكُمْ مَنْ يَرِيدُ الدُّنْيَا » أي النِّهْب « وَمِنْكُمْ مَنْ يَرِيدُ
الْآخِرَةَ » أي الَّذِينَ جَاهَدُوا فِي اللَّهِ وَلَمْ يَخَالِفُوا إِلَى مَا نَهَوْا عَنْهُ « ثُمَّ صَرَّفَكُمْ
عَنْهُمْ لِيَبْتَلِيَكُمْ وَلَقَدْ عَفَا عَنْكُمْ وَاللَّهُ ذُو فَضْلٍ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ » أي أَنَّهُ سَبَّحَانَهُ
وإن عاقب من بشاء من عباده ببعض الذنوب في عاجل الدنيا أدباً وموعظة ،
فإنه غيرُ مستوفٍ كلَّ ماله فيهم من الحق بما أصابوا من معصية ، فصلاً
من الله ورحمة .

ثم أنبأهم بالفرار عن نبيهم وهو يدعوهم ولا يعطفون عليه فقال : « إِذْ
تُصْعِدُونَ وَلَا تَلْوُونَ عَلَى أَحَدٍ وَالرَّسُولُ يَدْعُوكُمْ فِي أَخْرَاكُمْ فَأَنَابَكُمْ
غَمًّا بَيْنَهُمْ » أي كرباً بعد كرب بقتل من قُتِلَ مِنْ إِخْوَانِكُمْ وَعَلَوْكُمْ عَدُوُّكُمْ عَلَيْكُمْ
وما وقع في أنفسكم حين سمعتم أَنَّهُ قُتِلَ نَبِيُّكُمْ « لَسْكَيلاً تُخْمَزُونَ عَلَى مَا فَاَنَّاكُمْ »
من الظهور على عدوكم بعد أن رأيتموه بأعينكم « وَلَا مَا أَصَابَكُمْ » من قتل

إخوانكم بما فرّجت عنكم من الكرب بوقاية نبيكم وكشف كرب الشيطان في العسراخ بقتله بينكم ، فكان هذا هو الذي فرج الله به عنهم ما تابع عليهم من النعم ، فلما رأوا رسول الله صلى الله عليه وسلم حيا بين أظهرهم هان عليهم ما فاتهم من القوم بعد الظهور عليهم والمصيبة التي أصابتهم فيمن قتل منهم .

ثم قال تعالى بعد آيات ذكر فيها ما ذكر من قصة أحد « وما أصابكم يوم النقي الجماع فيبأذن الله وليعلم المؤمنين * وليعلم الذين نافقوا وقيل لهم تعالوا فأنلوا في سبيل الله أو اذفموا ، قالوا : لو نعلم قتالا لاتبعنكم » يعني عبد الله بن أبي والراجعين عن رسول الله صلى الله عليه وسلم حين سار إلى عدوه من المشركين . يقول الله تبارك وتعالى : « هم للكفر يومئذ أقرب منهم الإيمان يقولون بأفواههم ما ليس في قلوبهم والله أعلم بما يكتمون * الذين قالوا لإخوانهم وقعدوا لو أطاعونا ما قتلوا قل فادعوا عن أنفسكم الموت إن كنتم صادقين » .

ثم قال النبي عليه السلام برسب المؤمنين في الجهاد ويهون عليهم القتل : « ولا نخشئ الذين قتلوا في سبيل الله أمواتا بل أحياء عند ربهم يرزقون * فرحين بما آتاهم الله من فضله ويستبشرون بالذين لم يلحقوا بهم من خلفهم ألا خوف علىهم ولا هم يحزنون » .

قال عبد الله بن عباس رضي الله عنهما : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « لما أصيب إخوانكم بأحد جعل الله أرواحهم في أجواف طير خضر ترد أنهار الجنة وتأكل من ثمارها وتأوي إلى قناديل من ذهب في ظل العرش ، فلما وجدوا طيب مشربهم ومأكلم وحسن مقيمهم قالوا : يا ليت إخواننا يعلمون ما صنع الله بنا لئلا يزهّدوا في الجهاد ولا يفتكوا عن الحرب » قال الله تبارك وتعالى : فأنا أبلغهم عنكم . فأنزل الله عز ذكره على رسوله صلى الله عليه

وسلم هذه الآيات : « وَلَا تَحْسَبَنَّ الَّذِينَ قُتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ » إلى آخرها .
وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « الشهداء على بارقٍ نهر بباب الجنة
في قبة خضراء يخرج عليهم رزقهم من الجنة بكرة وعشياً » .

وسئل عبد الله بن مسعود عن هؤلاء الآيات : « وَلَا تَحْسَبَنَّ الَّذِينَ
قُتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَمْواتًا » فقال : أما إنا قد سألنا عنها فقيل لنا : إنه إما أصيب
إخوانكم بأحد جعل الله أرواحهم في أجواف طائر خضر ترد أنهار الجنة
وتأكل من ثمارها وتأوى إلى قناديل من ذهب في ظل العرش فيطلع الله إليهم
اطلاعة ، فيقول : يا عبادي ما تشتهون فأزيدكم ؟ فيقولون ربنا لا فوق
ما أعطينا : الجنة نأكل منها حيث شئنا . ثم يطلع الله إليهم اطلاعة فيقول
يا عبادي ما تشتهون فأزيدكم ؟ فيقولون : ربنا لا فوق ما أعطينا الجنة نأكل
منها حيث نشاء ، إلا أنا نحب أن ترد أرواحنا في أجسادنا ثم تردنا إلى الدنيا
فمقاتل فيك حتى نقتل فيك مرة أخرى » .

وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم لجابر بن عبد الله : « ألا أبشرك
يا جابر ؟ قال : قلت : بلى يا رسول الله . قال : إن أباك حيث أصيب بأحد
أحياء الله ، ثم قال : ما نحب يا عبد الله بن عمرو أن أفعل بك ؟ قال : أي
رب أحب أن تردني إلى الدنيا فأقاتل فيك فأقتل مرة أخرى » .

وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « والذي نفسي بيده ما من مؤمن
يفارق الدنيا يحب أن يرجع إليها ساعة من النهار وأن له الدنيا وما فيها ،
إلا الشهيد فإنه يحب أن يرد إلى الدنيا فيقاتل في الله فيقتل مرة أخرى » .

واستشهد من المسلمين يوم أحد مع رسول الله صلى الله عليه وسلم من
المهاجرين والأنصار خمسة وستون رجلاً ، أربعة من المهاجرين وسائرهم من
الأنصار وقتل الله من المشركين يومئذ اثنين وعشرين رجلاً .

[ما قيل من الشعر في أحد]

وكان مما قيل من الشعر في يوم أحد قول كعب بن مالك الأنصاري
رحمه الله :

الآهل أنى عسان عنا ودونهم	من الأرض خرق سيرة مُتَمَتِّع ^(١)
صغار وأعلام كأن قَتَامَها	من البعد تقع هامد متقطع ^(٢)
تظل به البزل العراميس ذرجا	ويملو به غيث السدين فيترع ^(٣)
به جيف الحسرى يلوح صليبها	كما لاح كتان التجار الموضع ^(٤)
به العين والآرام يمشين خلفة	وبيض نعائم فيفضه يتقاع ^(٥)
نجالدنا عن ديننا كل فخمة	مذربة فيها القوانس تلح ^(٦)
وكل صموت في السموان كأنها	إذا ليست نهي من الماء مترع ^(٧)
واسكن بيدر سائلوا من لقيتم	من الناس والأنباء بالغيب تنفع
وإنا بأرض الخوف لو كان أهاما	سوانا لقد أجلوا ليل فأنشعوا
إذا جاء مدا راكب كان قوله	أعدوا لما بزجي ابن حرب ويجمع ^(٨)

-
- (١) الحرق : الفلاة الواسعة . والمتمتع : العنيف . وتروى : متنعن : أى مضطرب .
(٢) الأعلام : الجبال . والقَتَام : الغبار . والتقم : الغبار أيضاً .
(٣) البزل : جمع بارل ، وهى الناقة التى تبلغ التاسعة . والعراميس : الصلبة .
والرزع : المعيبة .
(٤) الصاب : ودك الطعام . والموضع : الميسوط .
(٥) العين : بقر الوحش ، والآرام : جمع رئم ، وهو الغابى الخالص البياض . وخلفة :
تعلمة وراء تعلمة . والبيض : قشور البيض . ويتقاع : يتشقق .
(٦) مذربة : معدة . والقوانس : جمع قولس وهى بيضة السلاح .
(٧) كل صموت . أراد به الدرع ، جعلها صموتا لشدة نجها وإحكام صنعتها .
والنهي : القدير . والمترع : للملء .
(٨) يزجي : يسقى .

ولما ابْتَقُوا بِالْعَرِضِ قَالَ سَرَاتُنَا
وفينا رسولُ الله نَتَّبِعُ أَمْرَهُ
تَدَلَّى عَلَيْهِ الرُّوحُ مِنْ عِنْدِ رَبِّهِ
نَشَاوَرَهُ فِيمَا نُرِيدُ وَقَصَدْنَا^(٣)
وَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ لَمَّا بَدَوْا لَنَا
وَلَكِنْ خَذُوا أَسْيَافَكُمْ وَتَوَكَّلُوا
وَكُونُوا كَنَ بَشَرِي الْحَبَاةَ تَقَرُّبًا
فَسِرْنَا إِلَيْهِمْ جَهْرَةً فِي رَحَالِهِمْ
بِلُحُومَةٍ فِيهَا السُّنُورُ وَالْقَمَاسُ
فَجَنَّا إِلَى مَوْجٍ مِنَ الْبَحْرِ وَسَطُهُ
ثَلَاثَةُ آلَافٍ وَنَحْنُ نَصِيَّةُ
نَغَاوَرُهُمْ تَجْرِي اللَّفْيَةُ بَيْنَنَا
تَهَادَى قَسَى الْقَنْبَعِ فِيمَا وَفِيهِمْ
وَمَنْجُوفَةٌ حَرَمِيَّةٌ صَاعِدِيَّةٌ

عَلَامَ إِذَا لَمْ يُمْنَعِ الْعَرِضُ نَزَعُ^(١)
إِذَا قَالَ فِيمَا الْقَوْلَ لَا تَطْلُعُ^(٢)
يَنْزِلُ مِنْ جَوْ السَّمَاءِ وَيُرْفَعُ
إِذَا مَا اشْتَهَى أَنَا نَطْلُعُ وَنَسْمَعُ
ذَرُّوا عَنْكُمْ هَوْلَ الْمَنِيَّاتِ وَاطْمَعُوا
عَلَى اللَّهِ إِنْ الْأَمْرُ لِلَّهِ أَجْمَعُ
إِلَى مَلِكٍ يُحْيِي لَدَيْهِ وَيُزْجِعُ^(٤)
ضَحِيًّا عَلَيْنَا الْبَيْضَ لَا تَنْخَشِعُ
إِذَا ضَرَبُوا أَقْدَامَهَا لَا تُرْوَعُ^(٥)
أَحَابِيشُ مِنْهُمْ حَاسِرٌ وَمَقْتَنَعُ
ثَلَاثَ مِائِينَ إِنْ كَثُرْنَا وَارْتَعُ^(٦)
نُشَارِعُهُمْ حَوْضَ الْمَقَايَا وَنُشَارِعُ^(٧)
وَمَا هُوَ إِلَّا الْيَتْرَبِي الْمَقْلَعُ^(٨)
يَذَرُّ عَلَيْهَا الشَّمْسُ سَاعَةً تُصْنَعُ^(٩)

(١) العرض : سفح الجبل ، وهو جبل أحد .

(٢) لا تطلُع : لا تنظر إلى غيره . ويروي : لا تنظلم : أي لا تعيل .

(٣) ابن هشام : وقصرنا . أي : غابتنا .

(٤) ذكر ابن هشام هذا البيت قبل : ولكن خذوا أسيافكم .

(٥) اللعومة : الكتبية . والسنور : السلاح . وتروع : تزعج . ورواية ابن هشام .

لا تورع .

(٦) النصية . الحيار من القوم .

(٧) نغاورهم : نثير عليهم . ونشارعهم : نشاربهم . ونشرب : نشرب .

(٨) النبع : شجر للقسي والسهام ينبت في قلة الجبل . واليتربي : الوتر المنسوب إلى

يثرب .

(٩) المنجوفة : السهام . والحرمية : المنسوبة إلى الحرم . والصاعديّة : المنسوبة إلى

صاعد ، رجل كان يصنعها .

وخيلٌ تراها بالفضاء كأنها جرادٌ صبيًا في قرّةٍ بتربع^(١)
 فلما تلاقينا ودارت بنا الرحى وليس لأمرٍ حجه الله مدفع^(٢)
 ضربناهم حتى تركنا سرائهم كأنهم بالقاع خشبٌ مُصرّع^(٣)
 لدنّ غدوقٍ حتى استغقدا عشيّة كان ذكاهما^(٤) حرٌّ نارٍ تلعّع^(٥)
 وراحوا سراعًا موجعين كأنهم جهنّمٌ هراقت ماءه الريح مُتَماع^(٦)
 ورُحنا وأخرنا بطلا كأننا أسودٌ على لحمٍ ببيشة ظلّع^(٧)
 فبنّا ونال القومُ منا وربما فعلنا ولكن ما لدى الله واسع^(٨)
 ودارت رحانا واستدارت رحاهم وقد جعلوا كلٌّ من الشر يشبع^(٩)
 ونحن أمانٌ لا نرى القتل سبّة على كل من يحمى الذمار ويمنع^(١٠)
 جِلادٌ على ربّ الحوادث لا تُرى على هالك عينٍ لنا الدهر تدمع^(١١)
 بنو الحرب لا نعيًا بشيء فقولوا ولا نحن بما جرّت الحرب نَجزع^(١٢)
 بدو الحرب إن نظفر فلنسا بفحشٍ ولا نحن من أظمارها نتوجّع^(١٣)

* * *

وقال حسان بن ثابت يحمي عبد الله بن الزُبَيْر عن كلمة له على روى

-
- (١) العبا : ريع شرقية . والقرة : الليلة الباردة . ويقريم : يذهب ويحمر .
 (٢) ابن هشام : ذكاهما : أى حرارتنا في الحرب . ولعله أراد هنا أن يعيد الضمير إلى الحرب .
 (٣) ابن هشام : موجعين . والجهم : السحاب الرقيق . وهراقت : صبت .
 (٤) بيشة : موضع كثير الأسود .
 (٥) ابن هشام : أوسم .
 (٦) ابن هشام : لا نرى على هالك عيننا لنا الدهر تدمع
 وما هنا أسح .

هذا الجواب يفخر فيها بيوم أحد ، وكنا السكمتين بفكرها بعض أهل العلم
من نسبت إليهما :

- أشأقتك من أم الوليد ربوعُ بلاقيم ما من أهلهم جَمِيعُ^(١)
عفاهن صَيِّفُ الرياحِ وواكفُ من الدُّلو زَحَافِ السحابِ هَمَوعُ^(٢)
فلم يبق إلا مَوَاقِدُ النارِ حَوَلة رَوَاكِدُ أمثال الحمامِ كَنُوعُ^(٣)
قَدَحُ ذِكْرِ دارٍ بُدِّدَتْ بين أهلها نَوَى لَمِيفَاتِ الحِبالِ قَطُوعُ
وقُلْ إن يكن يومٌ بأحدٍ يَعُدُّه سفيه فإن الحق سوف يَشِيرُوعُ
فقد صابرت فيه بدو الأوس كلهم وكن لهم ذِكْرٌ هُناكَ رَفِيعُ
وحاشى بدو البجار فيه وصابروا وما كان منهم فى اللقاء جَزُوعُ
أمام رسول الله لا يَخْذُلُونَهُ لهم ناصِرٌ من رَمَمٍ وشَفِيعُ
وقولاً إذ كفرتمُ يا سَخِينُ بربكم ولا يَسْتَوِي عَبْدٌ وَفَى وَمُضِيعُ^(٤)
بأيديهمُ بِيضٌ إذا حَجَى الوغَى فلا بد أن يودى بهن صَرِيعُ^(٥)
كما غادرت فى اللُفْعِ عَتَبَةُ ثاوباً وسَمْعُ صَرِيحاً والوشيجُ شَرُوعُ^(٦)
وقد غادرت تحت العَجَاجَةِ مُسْفِداً أبياً وقد بَلَ اللَمِيعِ نَجِيعُ^(٧)
بكفَّ رسول الله حيث تَنصَّبَتْ على القومِ بما قد يُثْزِنُ نَقُوعُ^(٨)

(١) البلاقيم : الخاوية .

(٢) الزحاف : المتحرك . وفى ابن هشام : زحاف ، ومعناها : متحرك مصوت .
والهموع : المطر .

(٣) السكنوع : اللاسقة بالأرض .

(٤) سَخِين : أصلها سَخِينَةُ ، وهو لقب لفرش فى الجاهلية .

(٥) ابن هشام : فلا بد أن يردى لمن صريع . ويودى : يهلك .

(٦) الوشيج : الرماح . وأصله شجر تصنع منه الرماح .

(٧) العجاجة : غبار الحرب . والججيع : الدم .

(٨) القوم : جمع نفع وهو النجار .

أولئك قومٌ سادةٌ من فروعكم وفي كل قومٍ سادةٌ وفروعُ
 بهن نمزُّ اللهَ حتى يُعزِّنا وإن كان أمرٌ يا سَخِينِ فظليغ
 فلا تذكروا قتلى وحمزةً فيهم قتيلاً قوى الله وهو مطايغ
 فإن جنان الخليل مَنزلةٌ له وأمرُ الذي بقضى الأمورَ سربُغ
 وقتلاكم في الدارِ أفضلَ رزقهم سحيمٌ ممَّا في جوفها وخربُغ

* * *

وقال كعب بن مالك يهيب ابن الزبعرى وعمرو بن العاص عن كلمتين
 قالها في ذلك :

أبلغ قريشاً وخير القولِ أصدقه والصدق عند ذوى الأبوابِ مقبولُ
 أن قد قتلنا بقتلنا ستراتكم أهلَ اللواءِ ففما بَسَكُثَرِ القيلُ
 ويومَ بدرٍ قَتِينَاكم لِمَا مددُ فيه مع النمرِ ميكلٌ وجبريلُ
 إن نقتلونا فدين الحقِ فطرتنا والقنلُ في الحقِ عند الله تفضيلُ
 وإن تروا أمرنا في رأيكم سفهاً فرأى من خالف لإسلامَ تضييلُ
 فلا نتمنوا إفساحَ الحربِ واقتمدوا

إن أخا الحربِ أصدى اللونِ مشغولُ^(١)

إنا بدو الحربِ أمرِها وننتجها وعقدنا لذوى الأضغانِ تفكيكُ^(٢)
 إن باج منها ابنُ حربٍ بعد ما بانَتْ منه للتراقى وأمر الله مفعولُ
 فقد أفادت له حِلْمًا وموعظةً لمن يكون له لبٌ ومعه قولُ
 ولو هبطتم بيطن السيلِ كالخسك ضربٌ بشاكلة البطحاء ترعيلُ^(٣)

(١) إمام الحرب : اشتدادها . وأصدى اللون : يضرب لونه بين السواد والحمرة .

(٢) نمرها : نعلها . ونتجها : نستولدها .

(٣) الشاكلة : الناحية . والترعيل : الطعن الشديد .

تلقاكم عُصَبٌ حَوْلَ اللَّيْلِ^(١) مما يُعْدُونَ لِلْهَيْجَا سَرَايِلُ
 من جِذْمٍ غَسَّانٍ مُسْتَرْخِجٍ حَاثِلِهِمْ لَا جَبَبَاءَ وَلَا مِيلٌ مَعَاذِيلُ^(٢)
 يَمْشُونَ تَحْتَ عِمَايَاتِ الْقِتَالِ كَمَا يَمْشِي لِلصَّاعِبَةِ الْأَذْمُ الرَّسِيلُ^(٣)
 أَوْ مِثْلَ مَشْيِ أُسُودِ الطَّلِ الْأَنْقَهَا يَوْمَ رَذَاذٍ مِنَ الْجَوْزَاءِ مَشْمُولُ^(٤)
 فِي كُلِّ سَابِقَةٍ كَالْفَنَى مُحْكَمَةٍ قِيَامُهَا فَلَيْحٌ كَالسَيْفِ الْبُهْلُولُ^(٥)
 تَرْدٌ حَدٌّ قِرَانِ النَّبْلِ خَاسِئَةٌ وَيَرْجِعُ السَّيْفُ عَنْهَا وَهُوَ مَقْلُولُ^(٦)
 وَقَدْ قَذَفْتُمْ بَسْلَمَ عَنْ ظُهُورِكُمْ وَلِلْحَيَاةِ وَدَفْعِ الْمَوْتِ تَأْجِيلُ^(٧)
 مَا زَالِ فِي الْقَوْمِ وَتَرٌّ مِنْكُمْ أَبَدًا تَعْفُو السَّلَامُ عَلَيْهِ وَهُوَ مَطْلُولُ^(٨)

* * *

وقال كعب في يوم أحد أيضاً من قصيدة يفخر فيها بقومه :
 فَإِنْ كُنْتُ عَنْ شَأْنِنَا سَائِلًا^(٩) فَسَلِّ عَنْهُ ذَا الْعِلْمِ مَنْ يَأْمِنَا
 بِنَا كَيْفَ نَفْعَلُ إِنْ قَلَّصْتُ عَوَانًا ضَرُوسًا عَضُوضًا حَبْجُونًا^(١٠)

-
- (١) ابن هشام : لهم .
 (٢) الليل : جمع أميل وهو الجبان . والمعازيل : جمع معزال وهو من لا ربح معه .
 (٣) للصاعبة : الفحول من الإبل . والأذم : البيض الواضحة . والمراسيل المتتابعة .
 (٤) ألقتها : باها . والرذاذ : الضيف من الطير . والمشمول : الذي هبت به ريح الشمال .
 (٥) السابقة : الدرع . والنهس : القدير . والفالج : من الملاح . والبهلول : السيد الجامع لكل خير .
 (٦) قران النبل : المولاة بين سهمين سهمين . وى ابن هشام : قران النبل . وما هنا أسج .
 (٧) سلع : جبل بالمدينة .
 (٨) تعفو : تبلى وتدرس . والسلام : جمع سلمة . وهى المجارة .
 (٩) ابن هشام : جاهلا .
 (١٠) قلصت : يريد الحرب . أى اشتدت . والعوان : الحرب التى تؤتل فيها مرة . والضروس : الشديدة . والحجون : الموجة .

ألمنا نشد عليها المصائب^(١) حتى تدرّ وحتى تليّننا
 ويوم له رهج^(٢) دائم شديد النهمال حاجي الأربنا^(٣)
 طويل شديد أوار القتال تنفي حواقره المرفينا^(٤)
 تمثال الكمأة بأعراضه ثمالي على لفة منرفينا^(٥)
 تمكأور أيمانهم بينهم كؤوس المنايا بجذ اللطيفنا
 شهدنا وكفنا^(٦) أولى بأسه وتحت المصابة والمعلمنا
 بخرس الحيس حسان رواء وبصريّة قد أجن الجفونا^(٧)
 فما ينفلان وما ينفدين وما يذتهين إذا ما نهينا
 كبرق الخريف بأيدي الكمأة يفجمن بالطلّ هاما سكونا^(٨)
 وعلمنا الضرب آباؤنا وسوف نعلم أيضا بنيّنا
 جلاّد الكمأة وبذل الغلاد عن جلّ أحسابنا ما بقينا
 إذا مرّ قرن كفى نسله وأورنه^(٩) بعده آخرينا
 نشب وتهلك آباؤنا وبينا نرعى بنيّنا قنيّنا

-
- (١) المصائب : ما شديده صرع الافة الحدر .
 (٢) الرهج : الغبار . والأرس : اعلها من أرته بمعنى عضه .
 (٣) كذا في : والمارة : التي تحفر براحها أي ترمج بها ، لأنه معلوب القاحية .
 و ت و ابن هشام : قواقره . والمقرب : المهجين الأصل .
 (٤) منرفينا : سكارى .
 (٥) ابن هشام : فكنا .
 (٦) خرس الحيس : لا صوت لمن . والرواء : التي رويت من الدم . وبصريّة :
 منسوبة إلى بصري . وأجن : ملان وكرهن .
 (٧) الكمأة : الشجوان . ويفجمن : يضربن . والهام : الرءوس .
 (٨) الغلاد : المال .
 (٩) ت : وأورنه .

وقال حسان بن ثابت يبيكي حمزة بن عبد المطلب رضى الله عنه :

أُتْرِف الدارَ عَفَا رُسْمَهَا بِعَذْكَ صَوْبُ السَّيْلِ المَاطِلِ^(١)
 بَيْنَ السَّرَادِيحِ وَأُدْمَانَةٍ فَمَذْفَعُ الرُّوحَاءِ فِي حَائِلِ^(٢)
 سَأَلْتَهَا عَنْ ذَاكَ فَاسْتَعْجَلَتْ لَمْ تَذَرِ مَا مَرَّ جُوعَةُ السَّائِلِ^(٣)
 دَعَّ عَنْكَ دَارًا قَدْ عَفَا رُسْمَهَا وَابِكَ عَلَى حِمَزَةٍ ذِي الْفَائِلِ^(٤)
 لِلْمَالِ الشَّيْزَى إِذَا أُعْصِفَتْ غَيْرَاهُ فِي ذِي الشَّيْخِ المَاسِلِ^(٥)
 وَالتَّارِكِ الْقِرْنِ لِذِي رُبْدَةٍ يَمُتُّ فِي ذِي الْخُرُصِ الذَّائِلِ^(٦)
 وَالْبَاسِ الْخَلِيلِ إِذَا أَحْجَمَتْ كَالَيْثٍ فِي غَابَةِ الْبَاسِلِ
 أَيْضُ فِي الدَّرْوَةِ مِنْ هَاشِمٍ لَمْ يَمَرَ دُونَ الْحَقِّ بِالْبَاطِلِ
 مَاتَ شَهِيدًا بَيْنَ أَسْيَافِكُمْ شُلَّتْ يَدَا وَخْشَى مِنْ فَائِلِ
 أَيْ امْرَأَةٍ غَادَرَتْ فِي آلِهِ مَطْرُورَةٌ مَارِنَةٌ لِّلْمَامِلِ^(٧)
 أَظْلَمَتِ الْأَرْضُ لِفَقْدَانِهِ وَاسْوَدَّ نَوْرُ الْقَمَرِ الدَّامِلِ^(٨)

(١) المسبل : الطر الماطل .

(٢) السراديج : جمع سرج وهي الأرض المستوية . وأدمانة ومدفع الروحاء : موشان . وحائل : واد في جبل مليء موى ت : في الحائل .

(٣) استعجعت : لم تعجب .

(٤) النائل : المطاء .

(٥) الشيزى : جفان كبيرة من خشب . وأعصفت : اشتدت . والنبراء : الزماح . والقم : البرد . والمائل : المجدب . يريدى يوم البرد والجوع .

(٦) ذو لبدة : كنية الأسد . وى ابن هشام : لدى بالذال المهملة . وإماها : حمره . والمخرس : الرمح . والذابل : الرقيق .

(٧) رواية البيت في الديوان س ٣٣١ :

لأن امرأة غودر في آلة مَطْرُورَةٌ مَارِنَةٌ لِّلْمَامِلِ
 والألة : الطائفة بالحربة والمطرورة : المحددة . والمارئة : الابنة .

(٨) الناصل : الخارج من السحاب .

صلى عليه الله في جنة عالية مُكْرَمَة الداخل
 كلما نرى حمزة حرزاً لنا من هكل أمر بأنفسنا نازل
 وكان في الإسلام ذا تدرأ يكفينا فقد القاعد الماذل^(١)
 لا تفرحى يا هند واستجلى دما وأذرى عتبة الشاكل
 وابيكي على عتبة إذ قطعه بالسيف تحت الرهج الجائل^(٢)
 إذ خرّ في مشيخة منكم من كل عات قلبه جاهل
 أزداهم حمزة في أسرة يمشون تحت الملقى الفاضل^(٣)
 غداة جبريل وزير له نعم وزير الفارس الحامل

* * *

وقال عبد الله بن رواحة يبكي حمزة، وتروى أيضاً لسكك بن مالك
 رضى الله عنهم أجمعين :

بكت عيني وحق لها بسكاها وما يغنى البكاء ولا العويل
 على أسد الإله غداة قالوا أحمزة ذاك الرجل القاتل
 أصيب المسلمون به جميعاً هناك وقد أصيب به الرسول
 أبا يعلى لك الأركان هُذت وأنت الماجد البز الوصول
 عليك سلام ربك في جنان نخالطها نعيم لا يزول^(٤)
 وقالت صفية بنت عبد المطلب تبكي أخاها حمزة رضى الله عنهما :
 أسائلة أصحاب أحد مخافة بنات أبي من أعجم وخير

(١) ذو تدرأ : مدافع ذو عز ومنعة . ورواية الديوان : لم يك بالوانى ولا الماذل .
 (٢) قطعه : قطعه . والرهج : النبار . والجائل : المتحرك .
 (٣) أزداهم : أهل أسرتهم . و أسرة : أى قرابة . والملقى : الدروع . والفاضل : السابح .
 (٤) أم ابن هشام القصيدة ٢ / ١٦٢ .

فقال الخبير : إن حمزة قد ثوى وزير رسول الله خير وزير
دعاه الإله الحق ذو العرش دعوةً إلى جنة يحيا بها وسرور
فذلك ما كنا نرجى ونرجى لحمزة يوم الحشر خير مصير
فوالله ما أنساك ما هبت الصبا بكاء وحزنا تحضري ومسير
على أسد الله الذي كان مذرهما^(١) يذود عن الإسلام كل كفور
غيايت شلوى^(٢) عند ذاك وأعظمي لدى أضبع تمتادني وسور
أقول وقد أعني^(٣) اللعنى عشيرني جزى الله خيرا من أخ ونصير

* * *

وقالت نعم امرأة شماس بن عثمان تبكى زوجها شماسا وأصيب يوم أحد :
يا عين جودى بفيض غير إباس^(٤) على كريم من الفتيان لباس
صعب البديهة ميمون نقيبته تحال ألوبة ركائب أفراس
أقول أما أنى اللعنى له جزا
أودى الجواد وأودى العظيم السكابي
وقلت أما حلت منه مجالسه لا يبعد الله منا قرب شماس
فأجابها أخوها يمزحها فقال :

أقنى^(٥) حياءك فى ستر وفى كرم فإنما كان شماس من الناس
لا تقتلى النفس إذ حانت منيته فى طاعة الله يوم الرّوع والباس
قد كان حمزة ليث الله فاصطبرى فذاق يومئذ من كأس شماس

* * *

(١) الدرر : المدافع المحامى .

(٢) شلوى : جدى .

(٣) ابن هشام : أعلى .

(٤) الإباس : التكلب والجهد .

(٥) اقنى حياءك : احفظيه .

وقالت هند بنت عُتْبَةَ حين انصرف المشركون عن أحد :
 رجعتُ وفي نفسي بَلَابِلُ جَنَّةٍ وقد فاتني بعضُ الذي كان مَطْلَبِي
 من أصحابِ بدرٍ من قريشٍ وغيرهم بنى هاشمُ منهم ومن آلِ بثرِبِ
 ولستُني قد نِلْتُ شَيْئًا ولم يكن
 كما لَئِمْتُ أرجو في مَسِيرِي ومَرَّ كَيْبِي

وهذه هند أم معاوية بن أبي سفيان ، وكانت امرأة فيها مكاره وذكورة
 ولها نفس وأناة ، وكان المسلمون قد أصابوا يومَ بدرَ أباهَا عُتْبَةَ وعَمَهَا شَيْبَةَ
 وأخَاهَا الْوَلِيدَ ، فأصابها من ذلك ما يصيب النفوسَ الشهمة والقلوبَ
 الكافرة ، فخرجت إلى أحدٍ مع زوجها أبي سفيان تبغى الانتصار وتطلب
 الأوتار ، فهذا قولها ، يرحمها الله ، والوترُ يُقَالُهَا والسكمرُ يُخَنَقُهَا والحزنُ يُخْرِقُهَا
 والشيطانُ يُنْطِقُهَا .

ثم إن الله سبحانه هداها إلى الإسلام وأَخَذَ بِحُجْزَتِهَا عن سواءِ الفار ،
 فصَلَحَتْ حالها وتبدلت أقوالها ، حتى قالت لرسول الله صلى الله عليه وسلم
 فيما قالت له : والله يا رسول الله ما كان على الأرض أهلُ خِيَابٍ أحبَّ إليَّ
 أن يَذِلُّوا من أهلِ خِيَابِكَ ، وما أصبح اليوم على الأرض من خِيَابٍ أحبَّ
 إليَّ أن يَمُرُّوا من أهلِ خِيَابِكَ . أو نحو هذا من القول .

فالحمد لله الذي هدانا لهذا برسوله أجمعين ، وإياه سبحانه نسأل أن يمتتنا على
 خير ما هدانا إليه ، لا مبدلين ولا مغيرين .

غدر فضيل والقارة بأصحاب رسول الله

صلى الله عليه وسلم

وقَدِمَ على رسول الله صلى الله عليه وسلم بعد أحد رهطاً من عَضَلٍ والقارة ، وهم بدو الهون بن خُزَيْمَةَ بن مُدْرِكَةَ ، فقالوا له : يا رسول الله إنَّ فينا إسلاماً فابعث معنا نفرًا من أصحابك يفقهوننا في الدين ويقرئونا القرآن ويعلموننا شرائع الإسلام .

فبعث معهم ستة من أصحابه : مَرْثَدُ بن أبي مرثد للَغَنَوِيّ وأمره عليهم وخالده بن البُكَير ، وعاصم بن ثابت بن أبي الأفلح ، وخبيب بن عَدِيّ ، وزيد ابن الدِّثَنَةِ ، وعبد الله بن طارق .

فخرجوا حتى إذا كانوا على الرجيع ماء لهُذَيْلٍ بناحية الحجاز من صدر الهداة^(١) غدروا بهم ، فاستصرخوا عليهم هُذَيْلًا فلم يرع القومَ وهم في رحالهم إلا الرجالُ بأيديهم السيوف قد غَشَوْهم ، فأخذوا أسيافهم ليقاتلوا القومَ فقالوا لهم : إنا والله ما نريد قتلكم ، ولسنا نريد أن نصيب بكم شيئاً من أهل مكة ، ولكم عهدُ الله وميثاقه أن لا نقتلكم .

فأما مَرْثَدُ وخالده وعاصم فقالوا : والله لا نقبل من مشركٍ عهداً ولا عهداً أبداً . وقال عاصم :

ما عَلَيَّ وأنا جَلَدٌ نَابِلٌ والقوسُ فيها وَرَرٌ عُنَابِلٌ^(٢)

(١) الهداة : كما قال ياقوت في معجم البلدان : موضع بين عسفان ومكة . وفي الأصل : الهدية . وهو موضع بين مكة والطائف . وما أثبتته عن ابن هشام والطبري .
(٢) الجلة : القوى . والنابل : صاحب النبل . والعنابل : التليظ .

تَزِيلٌ عَنْ صَفْعَتِهَا الْمَعَابِلُ لَلْوُثِ حَقٌّ وَالْحَيَاةُ بَاطِلٌ^(١)
وَكُلُّ مَا حَتَمَ إِلَهُ نَازِلٌ بِالرَّءِ وَالرَّءِ إِلَيْهِ آيِلٌ
إِنْ لَمْ أَقَاتِلْكُمْ فَأَمْسَى هَائِلٌ

نَمْ قَاتِلِ الْقَوْمَ حَتَّى قُتِلَ وَقَتْلُ صَاحِبَاءِ رَحِمِهِمُ اللَّهُ .

فلما قُتِلَ عاصمُ أَرَادَتْ هُدَيْلُ أَخْذَ رَأْسِهِ لِيَبِيعُوهُ مِنْ سُلَافَةِ بَنْتِ سَعْدِ
ابْنِ شَهِيدٍ بِمَكَّةَ ، وَكَانَتْ حِينَ أَصَابَ ابْنُهَا يَوْمَ أَحَدٍ نَذَرَتْ لَنْ قَدَّرَتْ عَلَى
رَأْسِ عَاصِمٍ أَقْشَرِينَ فِي قَيْعِهِ الْخَمْرِ ، فَمِنَ الدَّبْرِ^(٢) قَالُوا : دَعُوهُ حَتَّى
يُيَسِّمَى فَنَذْهَبَ عَنْهُ فَنَأْخُذْهُ . فَبَعَثَ اللَّهُ الْوَادِيَّ^(٣) فَاحْتَمَلَ عَاصِمًا
فَنَذَّهَبَ بِهِ .

وَقَدْ كَانَ عَاصِمٌ أَعْطَى اللَّهَ عَهْدًا أَلَّا يَمْسَ مُشْرِكًا وَلَا يَمْسَ مُشْرِكًا
أَبَدًا ، تَفْجَسًا !

فَكَانَ عُمَرُ بْنُ الْخَطَّابِ يَقُولُ : يَحْفَظُ اللَّهُ الْعَبْدَ الْمُؤْمِنَ إِنْ كَانَ عَاصِمًا
نَذَرَ أَلَّا يَمْسَ مُشْرِكًا وَلَا يَمْسَ مُشْرِكًا أَبَدًا فِي حَيَاتِهِ ، فَمِنْهُمُ اللَّهُ بَعْدَ وَفَاتِهِ
كَأَمْتَمَعٍ مِنْهُ فِي حَيَاتِهِ .

* * *

وَأَمَّا زَيْدُ بْنُ الدُّثَنَةِ وَخَبِيبُ بْنُ عَدِيٍّ وَعَبْدُ اللَّهِ بْنُ طَارِقٍ وَلَانُوا

(١) المعابِل : سم مبيجة ، وهو أصل عريس طويل .

(٢) الدبر : النعل .

(٣) الوادي : السيل .

ورثوا ورغبوا في الحياة ، فأعطوا بأيديهم فأسروهم ، ثم خرجوا بهم إلى مكة ليبيعوهم بها ، حتى إذا كانوا بالظهران^(١) انتزع عبدُ الله بن طارق يده من القرآن^(٢) ثم أخذ سيفه واستأخر عده القوم ، فرموه بالحجارة حتى قتلوه ، فقبره بالظهران .

وأما خبيب بن عديّ وزيد بن الدثينة فقدموا بهما [مكة]^(٣) فابتاع خبيباً حُجَيْرُ بن أبي إهاب التيمي لعُقبه بن الحارث بن عامر بن نوفل ليقْتله بأبيه .

وأما زيد بن الدثينة فابتاعه صفوان بن أمية ليقْتله بأبيه أمية بن خلف ، فبعث به مع مولى له يقال له نسطاس إلى التَّغَنيم^(٤) ، فأخرجوه من الحرم ليقْتلوه ، واجتمع رهط من قريش منهم أبو سفيان بن حرب ، فقال له أبو سفيان لما قُدِّمَ ليقْتل : أشدك الله يا زيد أن يحب أن محمداً الآن عندنا مكانك تُضرب عنقه وأنك في أهلك ؟ فقال : والله ما أحب أن محمداً الآن في مكانه الذي هو فيه تصيبه شوكةٌ تؤذيه وأنا جالسٌ في أهلي !

يقول أبو سفيان : ما رأيتُ من الناس أحداً يحب أحداً كَحُبِّ أصحابِ محمدٍ محمدًا !

ثم قتله ، رحمه الله ، نسطاسٌ مولى صفوان .

قال ابن عُقبة : وزعموا أنهم رموه بالنَّيْل وأرادوا فتنقه فلم يزد إلا إيماناً وبقيةً .

وأما خبيب بن عديّ فجلس في مكة في بيت ماويةَ مولاة حُجَيْرِ بن أبي إهاب ، فكانت تخبر بعد ما أسلمت ، قالت : لقد أطاعتُ عليه يوماً

(١) الظهران : واد قرب مكة .

(٢) القرآن : الحبل .

(٣) من ابن هشام .

(٤) التَّغَنيم : موضع بين مكة وسرف على فرسعين من مكة .

وإن في يده لقطعاً من عنب مثل رأس الرجل يأكل منه ، ووالله ما أعلم
في أرض الله عنباً بؤكل !

قالت : وقال لي حين حضره القتل : ابغى إلى بجديده أتعلم بها للقتل ،
فأعطيت الموصى سلاماً من الحى فقات : ادخل بها على هذا الرجل . قالت :
فوالله ما هو إلا أن ولّى الغلام بها إليه فقلت : ماذا صنعت ؟ أصاب والله
الرجلُ تأره فقتل^(١) هذا الغلام ، فيكون رجلاً رجلاً فلما ناوله الحديده
أخذها من يده ثم قال : لعمرك ما خافت أمك غدرى حين بعثتك بهذه
الحديده إلى ؟ انتم خائى سبيله .

ثم خرجوا بمحبيب حتى إذا جاءوا به القنيم ليصاوبوه قال لهم : إن رأيتم
أن تدعوني حتى أركع ركعتين فافعلوا . قالوا له دونك فاركع . فركع ركعتين
وأتمهما وأحسنهما ، ثم أقبل على القوم فقال : أما والله لولا تظنوا أنى إنما
طلوت جزءاً من القتل لاستكثرت من الصلاة .

فكان خبيب أول من سنّ هاتين الركعتين عند القتل للمسلمين^(٢) .

ثم رفعوه على خشبة ، فلما أوثقوه قال : اللهم قد بلغت رسالتك
فبلغه الغداة ما يصعب بها . ثم قال : اللهم أحصهم عدداً واقتلهم بدءاً ولا تعادر
منهم أحداً . ثم قتلوه .

فكان معاوية بن أبى سفيان يقول : حضرت يومئذ فيمن حضره مع أبى

(١) ابن هشام : بقتل . وروى ابن كثير : بقتل .

(٢) قال السهيلي : وإنما سارت سنة لأنها فعلت في زمن النبي صلى الله عليه وسلم
واستحسن من منبهه . وقد صلاها زيد بن حارثة أيضاً وحياة النبي صلى الله عليه وسلم ،
و قصة أخرجهما أبو بكر بن أبى خزيمة .

سفيان ، فلقد رأيتُه يلقيني في الأرض قرّقا من دعوة خبيّب ، وكانوا يقولون : إن الرجل إذا دُعِيَ عليه فاضطجع لجنبه زآت عنه .

وكان ممن حضر يومئذ سعيد بن عامر بن حذيم الجحفي ، ثم أسلم بعد ذلك واستعمله عمر بن الخطاب رضي الله عنه على بعض الشام ، فكانت تصيبه غشية بين ظمري القوم ، فذكر ذلك لعمر وقيل : إن الرجل مصاب . فسأله عمر رحمه الله في قدّمة قدّمها عليه فقال : يا سعيد ما هذا الذي يصيبك ؟ قال : والله يا أمير المؤمنين ما بي من بأس ، ولكنني كنت فيمن حضر خبيّب بن عدى حين قُتل وسمعتُ دعوته ، فوالله ما خطرتُ على قلبي وأنا في مجلس إلا وغشي عليّ . فزادته عند عمر خيرا .

وذكر ابن عُبَيْد أن خبيّب وزيدا قُتلا في يوم واحد ، قال : وزعموا أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال وهو جالس في ذلك اليوم الذي قُتلا فيه : « وعليكما أو عليك السلام ، خبيّب قتلته قريش » لا ندرى أذكر ابن الدّنة معه أم لا .

وقال خبيّب رحمه الله لما اجتمع القومُ أصْلَبه :

لقد جمع الأحزابُ حَوْلِي وألّبوا قبائلهم واستجمعوا كلَّ تَجَمُّعٍ
وقد جَمَعُوا أبناءهم ونساءهم وَفَرَّبْتُ من جِذْع طَوِيلٍ مَنَعٍ
إلى الله أَشْكُو عُرْبِي ثم كَرَّبِي

وما أُرْصدَ الأحزابُ لي عند مَهْرَعِي

فذا المرش صَبَّرَنِي على ما يراد بي

فقد بضَمُوا لحي وقد ياسَ مَطْمِي^(١)

(١) بضَمُوا : قطعوا . وياس : يئس .

وذلك في ذات الإله وإن يشأ
 ببارك على أوصال شلوي نُمزَع^(١)
 وقد خيروني الكفرَ والموتِ دونه وقد هملت عيلى من غير تجزَع
 وما بي حذارُ الموتِ إني لميت
 ولكن حذارى جَحْمُ نارٍ مافس^(٢)
 واست أباي حين أقتل مسلماً
 على أى جنبٍ كان في الله مَضْجَمِي^(٣)
 فليست بمبدٍ لعمدٍ تخشعاً ولا جزأ إني إلى الله مرجعي

* * *

وقال حسان بن ثابت يبكي خبيباً :
 ياعينُ جودى يدمعُ منك منسكب
 وابكِي خُبَيْباً مع الفتيات لم يؤبِ
 صفراً توسط في الأنصار منصفيه
 تمنح السجينة محضاً غير مؤنثب^(٤)
 قد هاج عيني على عيلات عهرتها
 إذ قيل أن^(٥) إلى جِذَع من الخشب

(١) الشلو : المعضو والجسد من كل شيء . والمزج : اللطم .

(٢) الجعم : اللوقد المضطرم . والملمع : المتهلج .

(٣) رواية البيت عند ابن كثير : فوالله ما أرجو إذ مات مسلماً

مضرعى .

(٤) الممس : المصريح المنسب . والمؤنثب : المختلط .

(٥) نس : رفع وأسند .

يا أيها الراكبُ الفادي لطيفته^(١)
أبلغ إليك^(٢) وعيداً ليس بالكذب
بني كهينة إن الحرب قد لقيت
تخلوها الصواب إذا تدرى الخليل^(٣)
منها أسود بني النجار يقدمهم
شهب الأسمدة في منصوب حلب^(٤)

وقال حسان أيضاً يهجو هذيل :

لعمري لقد شانت هذيل بن مذك أحاديث كانت في خبيب وعاصم
أحاديث حليان صلوا ببيعها وحليان جرأون شر الجرائم
أناس هم من قومهم في صميمهم بمنزلة الزمان دثر القوائم^(٥)
هم غدروا يوم الرجيع وأسلفت أمانتهم ذا غنى ومكارم
رسول رسول الله غدرًا ولم تكن هذيل توقي منكرات المحارم

(١) لطيفته : أنانيته التي يعنى إليها . قال في الأساس : « نسي لطيفته . وحدثنا
طيفته ، وهي الجهة التي إليها يطوى البلاد »

(٢) ابن هشام : أبلغ إليك .

(٣) كهينة . كذا بالأصل . ورواية ابن هشام : كهنة . قال السهلي :
« جعل كهينة كأنه اسم علم لأهمهم ، وهذا كما يقال : بني صولطي ، وبني القري ، وبني درة .
وهذا كله اسم لمن يست وعبرة عن السملة من الناس ، وكهنة من الكهنة وهي العبارة ،
وهذا كما قالوا : بني القبراء » الروض ٢ / ١٧٣ .

ورواية الديوان . بني فكيمة . ولقيت الحرب : اشتدت . والصواب : جرير . وناءى :
بدر إليها .

(٤) المنصوب : الجيش المجتبع . واللجب : ذو الجلبة وذلك بدل على كثرة .

(٥) الزمان : جمع زمة ، وهي حنة زائدة ، أو شبه أظفار الفم في الرسم .
وإبن هشام : دير القوادم .

— ١٤١ —

فسوف يرون للنصر يوماً عليهم
 بقتل الذى يحميه دون الحرائم^(١)
 أبابيل دبر شمس دون لحمه
 حمت لحم شهـاد عظام الملاحم^(٢)
 لعل هذيلاً أن يروا بمصـابه
 مصارع قتلى أو مقاماً لأنهم
 وبوقع فيها وقعة ذات صولة
 يوافوا بها الركبان أهل اللواسم
 بأمر رسول الله إن رسوله
 أى رأى ذى حزم يلعبان عالم
 قبيلة ليس الوفاء بهم
 وإن ظلموا لم يرفعوا كف ظالم
 إذا الناس حلوا بالفضاء رأيتهم
 بمجترى مسيل الماء بين المتخارم^(٣)
 محلهم دار البوار ورأيهم
 إذا ناههم أمرت كراى البهائم

(١) الحرائم : الحرمات . أى دون أن تنتهك حرمة .
 (٢) الأبابيل : الجماعات . والدبر : ذكور البغل . والشمس : الحامية . والملاحم :
 المروب .
 (٣) المتخارم : مسيل الماء .

غزوة بئر معونة

وبعث رسول الله صلى الله عليه وسلم أصحاب بئر معونة في صفر على رأس أربعة أشهر من أحد .

وكان من حديثهم أن أبا براء مَلَّاعِبَ الأَسِنَّةِ ، واسمه عاصم بن مالك ابن جعفر ، قديم المدينة على رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فعرض عليه رسول الله صلى الله عليه وسلم الإسلام ودعاه إليه ، فلم يُسَلِّمْ ولم يَبْغِدْ من الإسلام ، وقال : يا محمد لو بعثت رجالاً من أصحابك إلى أهل نجد فدعوم إلى أمرك رجوت أن يستجيبوا لك .

فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « إلى أخشى عليهم أهل نجد » . قال : أنا لهم جارٌّ فابعثهم .

فبعث رسول الله صلى الله عليه وسلم المَدْرَ بن عمرو أخا بني سعدة ، المُنْثِقَ ليموت^(١) ، في أربعين رجلاً من أصحابه ، منهم الحارث بن الصَّمَّة ، وحَرَام ابن مِلْحَانَ ، وعروة بن أسماء بن الصَّلتِ الشَّلَبي ، ونافع بن مُذَبِّل بن وزهاء وعاصم بن فُهَيْرَة ، في رجال مسَّين من خيار المسلمين .

فساروا حتى نزلوا بئر معونة وهي بين أرض بني عاصم وخربة بني سليم ، كلاً للبلدين منها قريب ، وهي إلى خربة بني سُكَيْم أقرب .

فلما نزلوها بعثوا حَرَام بن مِلْحَانَ بكتاب رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى عدو الله عامر بن الطفيل ، فلما أتاهم لم ينظر في كتابه حتى عدا على الرجل

(١) أي المسرع إلى الشهادة .

فقتله ، ثم استصرخ عليهم بنى عامر فأبوا أن يجيبوه ، وقالوا : ان نخفر
أبا راء ، وقد عقد لهم عقداً وجواراً .

فاستصرخ عليهم قبائل من [بنى] ^(١) سُلَيْم : عُصَيَّة ورِغْلًا وذَكْوَان ،
فأجابوه إلى ذلك ، فخرجوا حتى غَشَوْا القَوْمَ فأحاطوا بهم في رحالمهم فلما
راوهم أخذوا سيوفهم ثم قاتلهم حتى قُتِلُوا من عند آخرهم رحمهم الله ،
إِلَّا كَعْبَ بْنَ زَيْدٍ أَخَا بَنِي دِينَارِ بْنِ النَّجَّارِ بِرَحْمَةِ اللَّهِ ، فإِنهم تركوه وبه
رَمَقُ فَارْتُث ^(٢) من بين القتلى فمأش حتى قُتِلَ يوم الخندق شهيداً .

وكان في سَرَحِ القَوْمِ عمرو بن أمية الضمري ، ورجل من الأنصار
من بنى عمرو بن عوف قيل إنه المنذر بن محمد بن عُبَيْة بن أُخَيْمَةَ بن الجَلَّاح ،
فلم ينبئهما بمصاب أصحابهما إلا الطير تحوم على المسكر فقالا : والله إن لهذا
الطير آثاناً .

فأقبلا ليعظرا فإذا القَوْمُ في دمائهم وإذا الخيل التي أصابتهم واقفة .

فقال الأنصارى لعمرو بن أمية : ما ترى ؟

قال : أرى أن نلحق برسول الله صلى الله عليه وسلم فنخبره . فقال
الأنصارى : ولكنى ما كنت لأرعبَ بنفسى عن موطن قُتِلَ فيه المنذر بن
عمرو وما كنتُ لنخبرنى عنه الرجال .

ثم قاتل القَوْمَ حتى قُتِلَ .

(١) من ابن هشام .

(٢) ارتث : نجا جريحاً وبه رمق .

وأخذوا عمرو بن أمية أسيراً ، فلما أخبرهم أنه من مضر أطلقه عامر بن الطفيل وجزّ ناصيته وأعتقه عن رقبة زعم أنها كانت على أمه .

فخرج عمرو بن أمية حتى إذا كان بالقرقرة^(١) من صدر قناة أقبل رجلان من بني عامر حتى نزلا معه في ظلّ هو فيه فسألها عن أتما ؟ فقالا : من بني عامر . فأمهلها حتى إذا ناما عدا عليهما فقتلها ، وهو يرى أنه قد أصاب بهما ثورة من بني عامر في ما أصابوه من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وكان مع العامريين عتد من رسول الله صلى الله عليه وسلم وجوار لم يعلم به عمرو بن أمية ، فلما قدم عمرو على رسول الله صلى الله عليه وسلم فأخبره الخبر قال : لقد قتلت قتيلين لأديبتهما . ثم قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : هذا عمل أبي براء ، قد كنت لهذا كارها مقحوقاً .

وكان فيمن أصيب يومئذ عامر بن فهميرة ، فكان عامر بن الطفيل يقول : من رجل منهم لما قُتل رأيته رُفِعَ بين السماء والأرض حتى رأيت للسماء دونه ؟ قالوا : هو عامر بن فهميرة .

وذكر ابن عثبة أنه لم يوجد جسد عامر بن فهميرة يومئذ ، فيرون أن الملائكة هي وارثه رحمة الله عليه .

وكان جبار بن سلمي فيمن حضرها يومئذ مع عامر بن الطفيل ثم أسلم فكان يقول : إن مما دعاني إلى الإسلام ألى طمعت رجلاً منهم

(١) القرقرة : هي قرقرة الكدر ، موضع بناحية المدن ، بينه وبين المدينة ثمانية برد .

بالرمح بين كتفيه ، فنظرت إلى سنان الرمح حين خرج من صدره ،
فسمعتة يقول : فزْتُ والله ! فقلت في نفسي : ما فاز ؟ ألسْتُ قد
قتلت الرجل ؟ حتى سألتُ بعد ذلك عن قوله فقالوا : بالشهادة^(١)
فقلت : فاز لعمر الله .

وأقام رسول الله صلى الله عليه وسلم شهيداً يدعو في صلاة الغداة على الذين
قتلوا أصحاب بئر معونة ، يدعو على رعل وذكوان وعصية الذين عصوا الله
ورسوله ، وأنزل فيمن قُتل هنالك قرآن ثم رفع : « يا أيها الذين آمنوا قاتلوا
لقيمنا ربنا فرضى عنا ورضينا عنه » .

(١) ابن هشام : للشهادة .

ذكر غزوة بني النضير

والسبب الذي هاج الخروج إليهم

وذلك أن رسول الله صلى الله عليه وسلم خرج إليهم يستعينهم في دية العامرين ، اللذين قتل عمرو بن أمية الضمري ، للجوار الذي كان رسول الله صلى الله عليه وسلم عقد لهما ، فقالوا له لما كلمهم في ذلك : نعم يا أبا القاسم نعينك على ما أحببت مما استعنت بقا عليه ، اجلس حتى تعلم وترجع بمأجبتك .

فجلس رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى ظل جدار من جذر بيوتهم معه نفر من أصحابه فيهم أبو بكر وعمر وعلى^(١) ، ينتظرون أن يصلحوا أمرهم .

فخلا بعضهم^(٢) ببعض والشیطان منهم لا يفارقهم ، فاثمروا بقتل رسول الله صلى الله عليه وسلم وقالوا : إنكم لن تجدوا الرجل على مثل حاله هذه ، فن رجل يعلو على هذا البيت فيلقى عليه صخرة فيرميها منه .

فانتدب لذلك عمرو بن جعاش بن كعب ، أحدم ، فقال : أنا لذلك . وصعد ليفعل .

(١) زاد الطري : وأسيد بن حضير .

(٢) الضمير راجع إلى يهود بني النضير .

فأتى رسول الله صلى الله عليه وسلم الخبر من السماء بما أراد القوم ،
فقام راجعاً إلى المدينة وترك أصحابه في مجلسهم ، فلما استلبث النبي صلى
الله عليه وسلم أصحابه قاموا في طلبه ، فلقوا رجلاً مقبلاً من المدينة فسألوه
عنه فقال : أقيته داخل المدينة ، فأقبلوا حتى انتهوا إليه فأخبرهم بما كانت
يهود أرادت من القدر به .

* * *

وأمر رسول الله صلى الله عليه وسلم بالتهيؤ لحربهم والسير إليهم ،
ثم سار باللاس ونزل بهم ، فتحصنوا منه في الحصون .
وعرض عليهم رسول الله صلى الله عليه وسلم الجلاء عن أوطانهم وأن
يسيروا حيث شاءوا ، فرأسهم أولياؤهم من المنافقين عبد الله بن أبي في
رهن من قومه حين سمعوا ما يراد منهم : أن اثبتوا وتمتعوا فإننا لن
نسلمكم ، إن قاتلتهم قاتلنا معكم وإن خرجتم خرجنا معكم .
ففرّ منهم أمانى المنافقين ، ونادوا النبي صلى الله عليه وسلم وأصحابه :
إنا والله لا نخرج ، وإن قاتلنا لقاتلناك .

فرضى رسول الله صلى الله عليه وسلم لأمر الله فيهم ، فلما انتهى إلى
أزقتهم وحصونهم كره أن يملكهم من القتال في دورهم وحصونهم ، فحفظ
الله له أمره وعزم له على رشده ، فأمر بالأذن فالأذن من دورهم أن
يُهدم وبالنخيل أن تحرق وتقطع ، وكف الله أيديهم وأيدي المنافقين
فلم ينصروهم ، وأتى الله في قلوب الفريقين كايهما الرعب ، فهدموا الدور
التي هم فيها من أديارها ، فلما كادوا يبلغون آخر دورهم وهم ينتظرون

المُتَّفَقِينَ وَبِتَرْبِصُونَ مِنْ بَصَرِهِمْ مَا كَانُوا يُمْتَوتُونَهُمْ بِهِ حَتَّى يَأْتُوا بِمَا عَنْدَهُمْ ،
سَأَلُوا رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ الَّذِي كَانَ عَرَضَ عَلَيْهِمْ قَبْلَ ذَلِكَ .
فَقَضَاهُمْ صَلَوَاتِ اللَّهِ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَنْ يُجْلِيَهُمْ وَيَكْفَ عَنْ دِمَائِهِمْ
وَعَلَى أَنْ لَمْ مَا اسْتَقَلَّتْ بِهِ الْإِبِلُ مِنْ أَمْوَالِهِمْ إِلَّا الْخَلْقَةُ فَقَطْ .

فَطَارُوا بِذَلِكَ كُلِّ مَطِيرٍ وَتَحَمَّلُوا بِمَا أَقَلَّتْ لِإِبَاهِمِ ، حَتَّى إِنْ الرَّجُلَ
لِيَهْدِمَ بَيْتَهُ عَنْ نِجَافٍ ^(١) بَابِهِ فَيَضُمُّهُ عَلَى ظَهْرِ بَعِيرِهِ فَيَنْطَلِقُ بِهِ . فَنَحَرَ جَوَا
إِلَى خَيْبَرِ ، وَمِنْهُمْ مَنْ سَارَ إِلَى الشَّامِ ، وَكَانَ أَشْرَافُهُمْ بَنُو أَبِي الْحَقِّيقِ
وَحُجَيِّ بْنِ أَخْطَبٍ فَيَمْنِ سَارَ إِلَى خَيْبَرِ ، فَلَمَّا نَزَلُوهَا دَانَ لَمْ أَهْلُهَا .

وَحَتَّى بَنُو اللَّضْبِرِ الْأَمْوَالِ لِرَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، فَكَانَتْ
لَهُ خَاصَّةٌ بِحُكْمِ اللَّهِ لَهُ سَهَا لِيَضُمَّهَا حَيْثُ شَاءَ ، فَقَسَمَهَا عَلَى الْمُهَاجِرِينَ الْأَوَّلِينَ
دُونَ الْأَنْصَارِ ، إِلَّا أَنْ سَهْلَ بْنَ حُنَافٍ وَأَبَا دُجَانَةَ سَمَّاكَ بْنَ خَرْشَةَ ذَكَرَا
فَقَرَأَ فَأَعْطَاهُمَا رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مِنْهَا .

وَكَانَتْ الْيَهُودُ قَدْ عَيَّرُوا الْمُسْلِمِينَ حِينَ يَهْدِمُونَ الدُّورَ وَبِقَطْعُونَ النَّخْلَ
فَقَادُوا : أَنْ يَأْمُرَ قَدْ كُنْتُ تَنْهَى عَنِ الْفَسَادِ وَتُعْيِيهِ عَلَى مَنْ صَنَعَهُ ، هَذَا
بِالْقَطْعِ النَّخْلِ وَتَحْرِيقِهَا ؟ وَمَا ذَنْبُ شَجَرَةٍ وَأَنْتُمْ تَزْعُمُونَ أَنَّكُمْ مُصْلِحُونَ
فِي الْأَرْضِ ۚ

فَأَنْزَلَ اللَّهُ سُبْحَانَهُ فِي قِصَّتِهِمْ وَمَا ذَكَرُوهُ مِنْ قَوْلِهِمْ وَبَيَانِ وَجْهِ الْحُكْمِ
فِي أَمْوَالِهِمْ سُورَةَ الْحَشْرِ بِأَسْرَافِهَا . فَقَالَ عَزَّ مِنْ قَائِلٍ :

(١) النِجَافُ : الْقَتْلُ بِأَطْلَى الْبَابِ .

« شَبَّحَ اللَّهُ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ ، هُوَ الَّذِي أَخْرَجَ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ مِنْ دِيَارِهِمْ لِأَوَّلِ الْحَشْرِ مَا ظَنَنْتُمْ أَنْ يَخْرُجُوا وَظَلُّوا أَنَّهُمْ مَانِعَتُهُمْ حُصُونُهُمْ مِنَ اللَّهِ فَأَتَاهُمُ اللَّهُ مِنْ حَيْثُ لَمْ يَحْتَسِبُوا وَقَذَفَ فِي قُلُوبِهِمُ الرُّعْبَ يُخْرِبُونَ بُيُوتَهُمْ بِأَيْدِيهِمْ وَأَيْدِي الْمُؤْمِنِينَ ، فَاعْتَبِرُوا يَا أُولِيَ الْأَبْصَارِ » لِذَلِكَ كَانَ مِنْهُمْ مِنَ الْمَذْمُومِ مَنْ أَدْبَارَ بُيُوتِهِمْ وَهَدَمَ الْمَسْلُومِينَ لِمَا بَلَّيَهُمْ مِنْهَا .

« وَلَوْلَا أَنْ نَتَّبَعَ اللَّهُ عَلَيْهِمُ الْجُلَاءَ لَمَذَّيْبَهُمْ فِي الدُّنْيَا » أَيْ بِالسَّيْفِ « وَلَهُمْ فِي الْآخِرَةِ عَذَابُ النَّارِ » أَيْ مَعَ مَا لَقَوْهُ فِي الدُّنْيَا مِنَ النِّقْمَةِ .

ثُمَّ قَالَ تَعَالَى فِيمَا عَابَوْهُ مِنْ قَطْعِ النَّخِيلِ وَعُدُوهِ مِنْ ذَلِكَ فُسَادًا : « مَا قَطَعْتُمْ مِنْ لَيْسَةٍ ^(١) أَوْ تَرَكْتُمُوهَا قَائِمَةً عَلَى أُصُولِهَا فَبِإِذْنِ اللَّهِ » أَيْ فَبِإِذْنِ اللَّهِ قَطَعْتُمْ ، لَمْ يَكُنْ ذَلِكَ فُسَادًا بَلْ نِقْمَةٌ أَنْزَلَهَا بِهِمْ « وَلِيُخْزِيَ الْفَاسِقِينَ » .

ثُمَّ بَيَّنَّ تَعَالَى لِرَسُولِهِ الْحَكْمَ فِي أَمْوَالِهِمْ وَأَنَّهَا نَقْلٌ لَهُ لَا سَهْمٌ لِأَحَدٍ فِيهَا مَعَهُ فَقَالَ عَزَّ ذِكْرَهُ وَجَلَّ قَوْلُهُ : « وَمَا أَفَاءَ اللَّهُ عَلَى رَسُولِهِ مِنْهُمْ فَمَا أَوْجَفْتُمْ عَلَيْهِ مِنْ خَيْلٍ وَلَا رِكَابٍ وَلَكِنَّ اللَّهَ يُسَلِّطُ رُسُلَهُ عَلَى مَنْ يَشَاءُ وَاللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ » فَتَقَسَّمَهَا رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فِيمَنْ أَرَادَ اللَّهُ مِنَ الْمُهَاجِرِينَ الْأَوَّلِينَ كَمَا تَقَدَّمَ وَأَعْطَى مِنْهَا الرَّجُلَيْنِ الْمُسَيِّمَيْنِ مِنَ الْأَنْصَارِ .

* * *

(١) الْيَتِيَّةُ : مَا لَمْ يَكُنْ بَرْنِيَّةً وَلَا عَجُوزَةً مِنَ الْخَيْلِ .

وقال علي بن أبي طالب يذكركم إجلاء بني النضير وما تقدم قبل ذلك
من قتل كعب بن الأشرف ، ويقال بل قاتلوا رجلا من المسلمين غير علي: ^(١)

عرفتُ ومن يعتدلُ يَعْرِفُ وَأَبْقَتْ حَقًّا وَلَمْ أَصْدِفِ ^(٢)
عن السَّكَلِمِ المحْكَمِ لللاءِ مِنْ لَدَى اللَّهِ ذِي الرَّأْفَةِ الرَّائِفِ ^(٣)
رسائلُ تُدْرَسُ فِي الْمُؤْمِدِينَ بِهِنِ اصْطَفَى أَحْمَدَ لِلصَّطَفِيِّ
فَأَصْبَحَ أَحْمَدُ فِيمَا عَزِيزًا عَزِيزَ النَّمَاةِ وَالْمَوْقِفِ
فِيهَا أَيُّهَا الْوَعْدُوه سَفَاهَا وَلَمْ يَأْتِ جَوْرًا وَلَمْ يَمْنُفِ
السَّمِ تَخَافُونَ أَدْنَى الْعَذَابِ وَمَا آمَنُ اللَّهُ كَلَّا خَوْفِ
وَأَنْ تُفْرَعُوا نَحْتِ أَسْيَافِهِ كَمَصْرَعِ كَعْبِ أَبِي الْأَشْرَفِ
غَدَاةَ رَأَى اللَّهُ طَفِيئَانَهُ وَأَعْرَضَ كَالْجَلِجَلِ الْأَحْنَفِ ^(٤)
فَأَنْزَلَ جِبْرِيلَ فِي قَتْلِهِ بُوْحِي إِلَى عِبْدِهِ مُلْطَفِ
فَدَسَّ الرُّسُولُ رَسُولًا لَهُ بِأَبْيَضِ ذِي هَبِيءٍ مُرْهَفِ
فَبَاتَتْ عِيُونَ لَهُ مُعْمُولَاتٍ مَتَى يَنْفَعُ كَعْبٌ لَهَا تَذْرِفِ
وَقَلْبٌ لِأَحْمَدَ ذَرْمًا قَلِيلًا فَإِنَا مِنَ النَّوْجِ لَمْ نَشْتَفِ
نَخْلَامُ نَمْ قَالَ انْظَمُوا دُحُورًا عَلَى رَغَمِ الْآفِ
وَأَجَلَى النَّضِيرِ إِلَى غُرْبَةٍ وَكَانُوا بَدَارِ ذَوِي زُخْرَفِ

(١) قال ابن هشام : ولم أر أحدا من أهل العلم بالشعر يعرفها لعل .

(٢) لم أصدف : لم أعرض .

(٣) ابن هشام : الأراف .

(٤) الأحنف : المائل صدر قدمه أو الموج الرجل . وفي ابن هشام الأجنف : والجنب :

الليل والمجور .

إلى أذُرْعَاتِ رُدَائِي وَمِ^(١) عَلَى كُلِّ ذِي دَبَرٍ أُعْجِبِ

ولم يُسَلِّمْ من بنى اللخثير إلا رجلان : يامين بن عمير بن كعب بن عمرو
ابن جِحَاش ، وأبو سعد بن وهب ، أسلما خوفاً على أموالهما فأحرزاهما وحديث
بعض آل يامين أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال ليامين : ألم تر ما أقيمتُ
من ابن عمك وما هم به من شأى ؟ فجعل يامين لرجل جُملاً على أن يقتل عمرو
ابن جِحَاش فقتله ، فيما يزعمون .

غزوة ذات الرقاع

ثم أقام رسول الله صلى الله عليه وسلم بالمدينة بعد غزوة بني النضير شهرَ ربيع وبعض جُنادي ، ثم غزا نجداً يريد بني محارب وبني ثعلبة من غطفان حتى نزل نخلًا^(١) . وهى غزوة ذات الرقاع وسميت بذلك لأنهم رَقَعُوا فيها راياتهم ، وقيل لأجل شجرة بذلك الموضع يقال لها ذات الرقاع وقيل أما كانوا يعصبون على أرجلهم من الخرق إذا ثُبِت أقدامهم .

فلقى رسول الله صلى الله عليه وسلم هنالك جمعاً من غطفان ، فتقارب الناس ولم يكن بينهم حرب وحاف الناس بعضهم بعضاً ، حتى صلى رسول الله صلى الله عليه وسلم يومئذ بالناس صلاة الخوف ، ثم انصرف بهم .

وفي هذه الغزوة عرض له رجل من مُحَارِبٍ يقال له سَوْرَث ، وقد قال لقومه من غطفان ومحارب : ألا أقتل لكم محمداً ؟ قالوا : بلى ، وكيف تقتله ؟ قال : أفتك به . فأقبل إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو جالس وسيفه في حِجْرِهِ فقال : يا محمد أنظر إلى سيفك هذا ؟ قال : نعم . فأحذه فاستلّه ثم جعل يهزّه ويهيم به فيكِبْتِهِ الله ، ثم قل : يا محمد أما نخافى ؟ قال : لا ، ما أخاف منك . قال : أما نخافى وفي يدي السيف ؟ قال : بل يخاف الله منك . ثم عمد إلى سيف رسول الله صلى الله عليه وسلم فردّه عليه .

فأنزل الله تبارك وتعالى : « يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا كُرُوا نِعْمَةً اللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ هُمْ قَوْمٌ أَنْ يَبْسُطُوا إِلَيْكُمْ أَيْدِيَهُمْ فَسَكِّتْ أَيْدِيَهُمْ عَنْكُمْ وَاتَّقُوا اللَّهَ وَهَلِيَ اللَّهُ فَلْيَتَّقُوا كَلَّ الْمُؤْمِنُونَ^(٢) » .

(١) نخل : موضع نجد من أرس غطفان .

(٢) سورة المائدة ١١ .

وقيل : إنها لما نزلت في عمرو بن حبيش وما هم به من إلقاء الحجج على رسول الله صلى الله عليه وسلم يوم وصل إلى بني النضير مستعيفاً بهم في دية المهاجرين . فله أعلم أي ذلك كان .

* * *

وحدث جابر بن عبد الله قال : خرجنا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم في سريه ذات الرقاع من نخل فأصاب رجل امرأة رجل من المشركين ، فلما انصرف رسول الله صلى الله عليه وسلم قافلاً إلى زوجته وكان غائباً ، فلما أحس الخبر حلت ألا ينتهي حتى يهرق في أصحاب محمد دماً ، فخرج ينبع أثر رسول الله صلى الله عليه وسلم فنزل رسول الله صلى الله عليه وسلم منزلاً ، فقال : من رجل يكلمونا ليلتنا ؟ قال : فانتدب رجل من المهاجرين ، قيل هو عمار بن ياسر ، ورحل من الأنصار ، قيل هو عباد بن بشر ، فلما خرج الرجلان إلى فم الشعب قال الأنصاري المهاجري : أي الليل نحب أن أكرميكه أوله أو آخره ؟ قال : بل أكفني أوله فاضطجع المهاجري فنام ، وقام الأنصاري يصلي ، وأنى الرجل فلما رأى شخصه عرف أنه ربيعة^(١) القوم ، فإماه بهم فوضعه فيه ، قال : فانتزع عده وثبت قائماً ، ثم إماه بهم آخر فوضعه فيه فنزعه فوضعه وثبت قائماً ، ثم عاد له بالثالث ، فوضعه فيه فنزعه ثم ركم وسجد ، ثم أهب صاحبه فقال : اجلس فقد أثبت^(٢) .

قال : فوثب ، فلما رآهما الرجل عرف أن قد نذرا به فهرب ، فلما رأى المهاجري ما بالأنصاري من الدماء ، قال : سبحان الله ، أفلا أهبطني أول ما رمك ؟ قال : كنت في سورة أقرأها فلم أحب أن أقطعها حتى أنفذها فلما تابع على الرمي ركعت فآذنتك ، وأيم الله لولا أن أضيق ثغراً أمرى رسول الله صلى الله عليه وسلم بحفظه لقطع نفسي قبل أن أقطعها أو أنفذها !

(١) الربيعة : الطالمة .

(٢) أثبت : أتمنته الجراحة .

[قصة جمل جابر]

وقال جابر بن عبد الله : خرجت إلى غزوة ذات الرقاع على جمل لي ضعيف ، فلما قتل رسول الله صلى الله عليه وسلم جعلت الرقعة تمضي وجعلت أنخلف ، حتى أدركني رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال : مالك يا جابر ؟ قلت : يا رسول الله أبطأ بي جملي . قال : أنيحه . فأنيحه وأماخ رسول الله صلى الله عليه وسلم ثم قال : أعطني هذه العصا من يدك أو أقطع لي عصا من شجرة ففعلت فأخذها رسول الله صلى الله عليه وسلم ففحصه بها ففحصت ثم قال : اركب ، فركبت فخرج والذى بعته بالحق يواهي^(١) ناقته مواهقة ، وتحدثت معه فقال لي : أتبيئني جملك هذا يا جابر ؟ قلت : يا رسول الله بل أهيبه لك . قال : لا ولكن بعنيته قلت : فسئليه . قال : قد أخذته بدرهم . قلت : لا إلا أن تغنيني يا رسول الله . قال : فبدرهمين . قلت : لا . فلم يزل يرفع لي حتى بلغ الأوقية فقلت : أفد رصيت ؟ قال : نعم . قلت : فهو لك . قال : قد أخذته .

ثم قال : يا جابر هل تزوجت بعد ؟ قلت : نعم يا رسول الله ، قال : أتدياً أم بكر ؟ قلت : بل ثدياً . قال : أفلا جارية تلاحها وتلاعبك ؟ قلت : يا رسول الله إن أبي أصيب يوم أحد وترك بنات له سبياً ففكحت امرأة جامعة تجمع رهوسهن وتقوم عليهن . قال : أصبت إن شاء الله ، أما إنه لو قد جئت صرراً^(٢) أمرنا بجزور فنحرت وألقنا عليها يومنا ذلك وسمعت بنا ففهمت^(٣) نمارقها . قلت : والله يا رسول الله مالها^(٤) من نمارق . قال : إنها ستكون . فإذا

(١) يواهي ناقته : يباريها .

(٢) صرر : موضع على ثلاثة أميال من المدينة .

(٣) يريد امرأة جابر . والنمارق : الرساءد أو الطنافس .

(٤) ابن هشام : مالنا .

أنت قدمت عليها فاعمل عملاً كيبساً . قال : فلما جاء بصيراً رأى أمر رسول الله صلى الله عليه وسلم يمشي فنهضت وأقام عليها ذلك اليوم ، فلما أمسى دخل ودخلنا ، فحدثت المرأة الحديث وما قال لي رسول الله صلى الله عليه وسلم ، قالت : فدوئك فسمع وطاعة .

فلما أصبحت أحدث برأس الجمل فأقبلت به حتى أتته على باب رسول الله صلى الله عليه وسلم ثم جلست في المسجد قريباً منه ، وخرج رسول الله صلى الله عليه وسلم فرأى الجمل ، فقال : ما هذا ؟ فقال : يا رسول الله هذا جمل جاء به جابر . قال : ابن جابر ؟ فدعيت له . فقال : يا بن أخي خذ برأس جملك فهو لك . ودعا بلالاً وقال : اذهب بجابر فأعطه أوقية . قال : فذهبت معه فأعطاني أوقية وزادني شيئاً يسيراً ، فوالله ما زال ينمي عندي ويرى مكانه من بيتنا حتى أصيب أمس فيما أصيب لنا يعني يوم الحرة^(١) .

[غزوة بدر الموعِد]

قال ابن إسحاق : ولما قدم رسول الله صلى الله عليه وسلم من غزوة ذات الرقاع أقام بها ثمانية جهادي الأولى وجهادي الآخرة ورجب . ثم خرج في شعبان إلى بدر لمعاد أبي سفيان ، حتى نزل فأقام عليه ثمانى ليال ينتظره .

وخرج أبو سفيان ، في أهل مكة حتى نزل بجدة من ناحية للظهران ،

(١) وقعة الحرة كانت بالمدينة أيام يزيد بن معاوية حين خلع أهل المدينة يزيد بن معاوية وأخرجوا مروان بن الحكم وبنى أمية . فأرسل يزيد مسلم بن عقبة الرى فانهب المدينة وقتل من أهلها خلقاً ، وكان بيت جابر رضى الله عنه بين البيوت التي نهبت ، بل كاد أن يقتل لولا أن أجاره مروان .

هذا وقد قال القرزى في إمتاع الأسماع ١ / ١٩١ : وقد قيل إن قصة جل جابر وبنيه من رسول الله صلى الله عليه وسلم كانت في غزوة ذات الرقاع ، وفي ذلك نظر ، لأنه جاء أن ذلك كان في غزوة تبوك .

وبعضُ الناس يقول عُسْفَان ، ثم بدّله في الرجوع فقال : يا معشر قريش إنه لا يُصلحكم إلا عامٌ خَصِيب ترْعَوْنَ فيه الشجر وتشربون فيه اللبن ، فإن عامكم هذا عامٌ جَدْب ، وإني راجع فأرجعوا فرجع الناس ، فسماهم أهلُ مكة جيشَ السَّوْبِق يقولون : إنما خرجتم تشربون السَّوْبِق .

وأقام رسولُ الله صلى الله عليه وسلم على بَدْر ينتظار أبا سفيان ليمعاده ، فأناه نخشى بن عمرو الصَّمْري ، وهو الذي كان وادَّعه على بني ضمرة في غزوة ودَّان فقال : يا محمد أجيئت للاقاء قريش على هذا الماء ؟ قال : نعم يا أخا بني ضمرة ، وإن شئتَ مع ذلك ردَدْنَا إليك ما كان بيننا وبينك ثم جالَدْنَاكَ حتى يحكم الله بيننا وبينك . قال : لا والله يا محمد ، مالنا بذلك منك من حاجة . ومرَّ برسول الله صلى الله عليه وسلم ، وهو هناك ينتظر أبا سفيان متعبداً ابن أبي مَعْبُد أنلْزاعى فقال وفاقته تهوى به ، وقد رأى مكان رسول الله صلى الله عليه وسلم :

قد فَرَّتْ مِنْ رَفَقَتِي مُحَمَّدٍ وَعَجْوَةٌ مِنْ بَثْرِ كَأَمْنَجِدٍ^(١)
تهوى على دين أبيها الأَنْلَدِ قد جمعت ماء قُدَيْدٍ مَوْعِدِي^(٢)
وماء ضَجْجَانٍ لَهَا ضَحَى الْعَدِ

* * *

وقال عبد الله بن رواحة في ذلك ، ويقال إنها لِسَكْمِ بْنِ مَالِك .
وعَدْنَا أبا سفيان بَدْرًا فلما نَجَدَ ليمعاده صِدْقًا وما كان وافيًا
فأقسمُ لو وافيَدْنَا فاقمِينَا لَأَبَتْ ذَمِيًّا وَفَقَدَتِ التَّوَالِيَا
تركها بها أوصالَ عُتْبَةَ وابنه وعمرًا أبا جهل تركها ثاويًا

(١) السنجيد : لزيبب أو الأسود منه ، أو الردي .

(٢) الأَنْلَد : الأقدم . وقديد : موضع قرب مكة . وضججان : جبل بناحية تهامة ،

وقيل على بريد من مكة .

عصيتم رسول الله أفّ لديكم وأمركم السيّء الذي كان غاوباً
فلأتى وإن عتقتموني أمّا إن فدا رسول الله أهلي ومالي
أطعناه لم نعدله فيما بغيره شهاباً لدا في ظلمة الليل هادياً
وقال حسان بن ثابت في ذلك :
دعوا فلتجات الشام ودحال دونها جِلاد كَأَفْوَاهِ الخاضِ الأَوَارِكِ^(١)
بأيدى رجال هاجروا نحو ربهم وأنصاره حقاً وأيدى الملائكِ
إذا سلكت للغزاة بطن عالجٍ فقولا لها ليس الطريق هنالكِ
أقنا على الرّسّ الزّرع ثمانياً بأرعن جرّارٍ ، بص المِبارِكِ^(٢)
بكل كتميت جزوه نصف خلقه وقبّ طولٍ مُشرفاتِ الحواريكِ^(٣)
نرى للعرفج العامي تدرى أصوله مناسم أخفافِ الملقى الروانكِ^(٤)
فإن تلقى في أطوافنا والتماسنا فرأت بن حيان يكن رهن هالكِ
وإن تلقى قيس بن امرئ القيس بعده

يزد ، سوادٍ لونه لون حالِكِ
فأبلغ أما سفيان عني رسالةً فإك من غرّ الرجال الصّمالكِ
ثم انصرف رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى المدينة فأقام بها حتى مضى
ذو الحجة وهي سنة أربع من مقدّمه المدينة ، ثم غزا دومة الجندل ، ثم رجع
قبل أن يصل إليها ولم يبق كيداً ، صلى الله عليه وسلم .

(١) العاجات : جم داج بالتحريك وهو النهر الصغير . والحلاد : الضرب بالسيوف
الخاض : الحواصل من الإبل ، والأوارك : التي ترعى الأراك .
(٢) الرّس : البئر الطويلة بالحجارة . والزرع : القرية القمر . والأرعس : الجيش
الكثير له فضول .
(٣) السكيت : الفرس . والجوز : الوسط . والقب : جم أقب ، وهو الصامر من
الحيل . والموارك : جم حارك وهو أعلى السكامل .
(٤) العرفج : نبت . والعامي : القدي أتى عليه العام . وتدرى : تظلم . والناسم :
جمع منسم وهو خف البعير . والروانك المسرعة .

غزوة الخندق

وكانت في شوال من سنة خمس في قول ابن إسحاق .

وكان من الحديث عن الخندق أنه لما أُجِّلَى رسولُ الله صلى الله عليه وسلم بنى للضير خرج نفرٌ من اليهود ، سلام بن أبي الحقيق وحَيَّ بن أخطب وكنانة بن الربيع النَّضْرِيُّونَ، وهُوْذَة بن قيس وأبو عمار الوائليان ، في نفر من بنى للضير وبني وائل ، وهم الذين حَزَبُوا الأحزاب على رسول الله صلى الله عليه وسلم ، حتى قَدِمُوا مكة على قريش فاستنَفَرُوهم على رسول الله صلى الله عليه وسلم ودعَوهُم إلى حربِهِ وقالوا : إنا سَنَكُونُ مَعَكُم عليه حتى نَسْتَأْصِلَهُ .

فَقَالَتْ لَهُمْ قريش : يا معشر يهود إنَّكُمْ أَهْلُ الْكِتَابِ الْأَوَّلِ وَالْعِلْمِ بِنَا أَصْبَحْنَا نَخْتَلِفُ فِيهِ نَحْنُ وَمُحَمَّدٌ ، أَفَدِينُنَا خَيْرٌ أَمْ دِينُهُ ؟ قالوا : بَلْ دِينُكُمْ خَيْرٌ مِنْ دِينِهِ وَأَنْتُمْ أَوْلَى بِالْحَقِّ مِنْهُ ، فَهَمَّ الَّذِينَ أَرْزَلَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ فِيهِمْ : « أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ أَوْتُوا نَصِيبًا مِنَ الْكِتَابِ يُؤْمِنُونَ بِالْجَنَّةِ وَاللَّعَنَاتِ وَيَقُولُونَ لِلَّذِينَ كَفَرُوا : هَؤُلَاءِ أَهْدَى مِنَ الَّذِينَ آمَنُوا سَبِيلًا * أُولَئِكَ الَّذِينَ لَعَنَهُمُ اللَّهُ وَمَنْ يَلْعَنِ اللَّهُ فَلَنْ نَجِدَ لَهُ نَصِيرًا * » (١) .

فَلَمَّا قَالُوا ذَلِكَ أَقْرَبُ سَرَّهْمُ وَأَشْطَوْا لَمَّا دَعَوْهُمُ إِلَيْهِ مِنْ حَرْبِ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَاجْتَمَعُوا لِلذَّكَاءِ وَأَتَمَدُّوا لَهُ .

نَمَّ خَرَجَ أُولَئِكَ الْفَرَّ حَتَّى جَاءُوا غَطَّافَانَ مِنْ قَيْسِ عَيْلَانَ فَدَعَوْهُمُ إِلَى مِثْلِ مَا دَعَا إِلَيْهِ قَرِيشًا ، وَأَخْبَرُوهُمُ أَنَّهُمْ سَيَكُونُونَ مَعَهُمْ وَأَنَّ قَرِيشًا قَدْ تَابَعَهُمْ عَلَى ذَلِكَ .

وَجَعَلَتْ يَهُودُ لَغَطَّافَانَ نَحْرِيضًا عَلَى الْخُرُوجِ نِصْفَ تَمْرِ خَيْبَرَ كُلِّ عَامٍ (٢) .

(١) سورة النساء ٥١ ، ٥٢ .

(٢) في إمتاع الأسماع للمعريزي ٢١٧/١ . وجعلت لهم ثمر خيبر سنة ، إن هم نصره .

فزعوا أن الحارث بن عوف أخا بني مُرّة قال لُعَيْبَةُ بن حِصْن بن حَذِيفَة ابن بدر ولقومه من غطفان : يا قوم أطيعوني ، دَعُوا قتالَ هذا الرجل واخلُوا بيده وبين عدوّه من العرب فغلب عليهم الشيطان وقطع أعناقهم الطمع ونفذوا لأمر عُبَيْدَةَ على قتال رسول الله صلى الله عليه وسلم . وكتبوا إلى حلفائهم من بني أسد ، فأقبل طَلَيْحَةُ الأسدي ، فيمن اتبعه من بني أسد وهما الحليفان أسد وغطفان .

وكتبت قريش إلى رجال من بني سُلَيْمٍ أشراف بينهم وبينهم أرحام استمداداً لهم ، فأقبل أبو الأعور بمن اتبعه من سليم مدداً لقريش .
فخرجت قريش وقائدها أبو سفيان بن حرب وخرجت غطفان وقائدها عُبَيْدَةُ بن حصن في بني فزارة والحارث بن عوف في بني مُرّة ومُسْمَر بن ^(١) رُحَيْلَةَ الأشجعي فيمن تابعه من قومه من أشجع ، وتكامل لهم ولن استمدوه فأمدّم جمعٌ عظيم ، هم الذين سماهم الله « الأحزاب » .

[حفر الخندق]

فلا سمع رسول الله صلى الله عليه وسلم بخروجهم وبما أجمعوا له من الأمر أخذ في حفر الخندق وضربه على المدينة ، فعمل فيه صلى الله عليه وسلم ترغيباً للمسلمين في العمل والأجر وعمل معه المسلمون ، فدأب فيه ودأبوا حتى أحكموه .

وأبطأ عنهم في عملهم ذلك رجالٌ من المنافقين وجعلوا يُورّون بالضعيف من العمل ويتسللون إلى أهلهم بغير علم من رسول الله صلى الله عليه وسلم ولا إذن ، وجعل الرجل من المسلمين إذا نابتَه الفأفة من الحاجة التي لا بد له

(١) كذا بالأصل . وفي ابن هشام : مسمود .

منها يذكر ذلك لرسول الله صلى الله عليه وسلم ويستأذنه في الحقوق بحاجته
فيأذن له فإذا قضى حاجته رجع إلى ما كان فيه من عمله رغبة في الخير واحتساباً له ،
فأنزل الله في أولئك من المؤمنين : « إنما المؤمنون الذين آمنوا بالله ورسوله
وإذا كانوا معه على أمرٍ جامع لم يذهبوا حتى يستأذنوه ، إن الذين
يستأذنونك أولئك الذين يؤمنون بالله ورسوله ، فإذا استأذنوك لبعض شأنهم
فأذن لمن شئت منهم واستغفر لهم الله إن الله غفور رحيم ^(١) » فبزلت هذه
الآية فيمن كان من المسلمين من أهل الحسبة والرغبة والطاعة لله ولرسوله

ثم قال تبارك وتعالى ، يعنى المصافين الذين كانوا يتسللون من العمل
ويذهبون بغير إذن من الله صلى الله عليه وسلم : « لا تجمعوا دعاء الرسول
بيدكم كدعاء بعضهم بعضاً ، قد يعلم الله الذين يتسللون منكم وإذا
فليحذر الذين يخالفون عن أمره أن تصيبهم فتنة أو يصيبهم
عذاب أليم » .

[معجزات الرسول]

وكانت في حفر الخندق أحاديث فيها من الله خيرة في تصديق رسوله وتحقيق
نبوته ، عاين ذلك المسلمون . منها : أنه اشتد عليهم في بعض الخندق ^(٢)
فشككوا إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فدعا بإناء من ماء فتمل فيه ثم دعا
بما شاء الله أن يدعو به ، ثم نضح ذلك الماء على تلك السكدة فيقول من حضرها :
فوالذي بعثه بالحق لأمهات حتى عادت كالسكتيب ما ترد فأساً ولا مسجاة .
ودعت عمرة بنت رواح أم الديمان بن بشير ابنة لها من بشير فأعطتها

(١) سورة النور ٦٢ .

(٢) السكدة : الصخرة الشديدة .

حَفْظَةً مِنْ تَمَرٍ فِي ثَوْبِهَا ثُمَّ قَالَتْ : أَيُّ بَنِيَةِ أَذْهَبِي إِلَى أَبِيكَ وَخَالَكَ عَبْدُ اللَّهِ بْنِ رَوَاحَةَ بِضَدَائِهِمَا .

قَالَتْ : فَأَخَذْتُهَا فَأَنْطَلَقْتُ فَرَرْتُ بِرَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَأَنَا النَّسِيبُ أَبِي وَخَالِي، فَقَالَ : تَعَالَى يَا بَنِيَّةُ مَا هَذَا مَعَكَ ؟ قَالَتْ : قُلْتُ : يَا رَسُولَ اللَّهِ هَذَا تَمَرٌ بِمَقْتَنِي بِهِ أُمِّي إِلَى بَشِيرِ بْنِ سَعْدٍ وَخَالِي عَبْدُ اللَّهِ بْنِ رَوَاحَةَ يَقْتَضِيَانِهِ . قَالَ : هَاتِيهِ قَالَتْ : فَصَبَبْتُهُ فِي كَفِّي رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَمَا مَلَأْتُهُمَا ثُمَّ أَمَرَ بِثَوْبٍ فَبَسَطَهُ لَهُ ، ثُمَّ دَحَا بِالْتَمَرِ فَتَبَدَّدَ فَوْقَ الثَّوْبِ ، ثُمَّ قَالَ لِلْإِنْسَانِ عِنْدَهُ : اصْرُخْ فِي أَهْلِ الْخَلْدِقِ : أَنْ هَلَمَّ إِلَى الْغَدَاءِ . فَاجْتَمَعَ أَهْلُ الْخَلْدِقِ عَلَيْهِ فَجَعَلُوا يَا كَلُونْ مِنْهُ وَجَعَلَ يُزِيدُ حَتَّى صَدَرَ أَهْلُ الْخَلْدِقِ وَإِنَّهُ لَيَسْقُطُ مِنْ أَطْرَافِ الثَّوْبِ !

وَقَالَ جَابِرُ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ : عَمَلْنَا مَعَ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فِي الْخَلْدِقِ وَكُنَّا نَعْمَلُ فِيهِ نَهَارًا فَإِذَا أَمْسَيْنَا رَجَعْنَا إِلَى أَهْلِيْنَا ، فَكَانَتْ مَعِيَ شَوْيْهَةٌ غَيْرُ جِدَّةٍ سَمِيَّةٍ ، فَقُلْتُ : وَاللَّهِ لَوْ صَدَعْتُهَا لِرَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ . فَأَمَرْتُ امْرَأَتِي فَطَلَعَتْ لَنَا شَيْئًا مِنْ شَعِيرٍ فَصَبَعَتْ لَنَا مِنْهُ خُبْزًا وَذَبَحَتْ تِلْكَ الشَّاةَ فَشَوَيْنَاهَا لِرَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، فَلَمَّا أَمْسَيْنَا وَأَرَادَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ الْإِنْصِرَافَ عَنِ الْخَلْدِقِ قُلْتُ : يَا رَسُولَ اللَّهِ إِنِّي صَبَعْتُ لَكَ شَوْيْهَةً كَانَتْ عِنْدَنَا وَصَبَعْنَا مِنْهَا شَيْئًا مِنْ خُبْزِ هَذَا الشَّعِيرِ ، فَأَحْبَبُ أَنْ تَنْصَرِفَ مَعِيَ إِلَى مَنْزِلِي . وَإِنَّمَا أُرِيدُ أَنْ يَنْصَرِفَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَحْدَهُ .

فَلَمَّا قُلْتُ لَهُ ذَلِكَ قَالَ : نَعَمْ . ثُمَّ أَمَرَ صَارِخًا فَصَرَخَ : أَنْ أَنْصَرِفُوا مَعَ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إِلَى بَيْتِ جَابِرِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ . قَالَ : قُلْتُ : إِنَّا اللَّهُ وَإِنَّا إِلَيْهِ رَاجِعُونَ ! فَأَقْبَلَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَالنَّاسُ مَعَهُ فَجَلَسَ وَأَخْرَجَهَا « م ١١ - الْاِكْتِنَاءُ ج ٢ »

إليه فَبَرَكَ وَسَمَّى اللَّهَ ثُمَّ أَكَلَ وَتَوَارَدَهَا النَّاسُ ، كَلِمًا فَرَّغَ قَوْمٌ قَامُوا وَجَاءَ نَاسٌ ،
حَتَّى صَدَرَ أَهْلُ الْخَلْدِقِ عَنْهَا .

وَحَدَّثَ سَلْمَانَ الْفَارِسِيُّ قَالَ : ضَرَبْتُ فِي نَاحِيَةٍ مِنَ الْخَلْدِقِ فَلَمُظْتُ عَلَى
رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَرِيبَ مَقَرٍّ ، فَلَمَّا رَأَيْتُ أَضْرَبُ وَرَأَيْتُ شِدَّةَ
الْمَكَانِ عَلَى نَزْلِ فَأَخَذَ الْمَعُولَ مِنْ يَدِي فَضَرَبَهُ بِهِ ضَرْبَةً لَمَعَتْ تَحْتَ الْمِعْوَلِ
بَرْقَةً ، ثُمَّ ضَرَبَ بِهِ ضَرْبَةً أُخْرَى فَلَمَعَتْ تَحْتَهُ بَرْقَةً أُخْرَى ، ثُمَّ ضَرَبَ بِهِ الثَّالِثَةَ
فَلَمَعَتْ بَرْقَةً أُخْرَى ، قُلْتُ : يَا أَبَى أَنْتَ وَأَمَى يَا رَسُولَ اللَّهِ ! مَا هَذَا الَّذِي رَأَيْتُ
لَمَعَ تَحْتَ الْمِعْوَلِ وَأَنْتَ تَضْرِبُ ؟ قَالَ : أَوَقَدْ رَأَيْتَ ذَلِكَ بِاسْمَانِ ؟ قُلْتُ : نَعَمْ
قَالَ : أَمَّا الْأَوَّلَى فَإِنَّ اللَّهَ فَتَحَ عَلَى بَيْتِهَا الْيَمَنَ ، وَأَمَّا الثَّانِيَةُ فَإِنَّ اللَّهَ فَتَحَ عَلَى بَيْتِهَا
الشَّامَ وَالْمَغْرِبَ ، وَأَمَّا الثَّالِثَةُ فَإِنَّ اللَّهَ فَتَحَ بِهَا ^(١) عَلَى الْمَشْرِقِ . فَكَانَ أَبُو هُرَيْرَةَ
يَقُولُ حِينَ فَتَحَتْ الْأَمْصَارُ فِي زَمَانِ عُمَرَ وَزَمَانِ عُثْمَانَ وَمَا بَعْدَهُ : افْتَتَحُوا مَا بَدَأَ
لَكُمْ ، فَوَالَّذِي نَفْسُ أَبِي هُرَيْرَةَ بِيَدِهِ مَا افْتَتَحْتُمْ مِنْ مَدِينَةٍ وَلَا تَفْتَتَحُونَهَا إِلَى
يَوْمِ الْقِيَامَةِ إِلَّا وَقَدْ أَعْطَى اللَّهُ مُحَمَّدًا صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مَفَاتِيحَهَا قَبْلَ ذَلِكَ .

* * *

وَلَمَّا فَرَّغَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مِنَ الْخَلْدِقِ أَقْبَلَتْ قُرَيْشٌ حَتَّى نَزَلَتْ
بِمَجْمَعِ الْأَسْيَالِ مِنْ رُومَةٍ بَيْنَ الْجُوفِ وَزُعَابَةٍ فِي عَشْرَةِ آلَافٍ مِنْ أَحَابِيثِهِمْ
وَمِنْ تَبَعِهِمْ مِنْ بَنِي كِفَانَةَ وَأَهْلِ تِهَامَةٍ ، وَأَقْبَلَتْ غَطَفَانٌ وَمِنْ تَبَعِهِمْ مِنْ أَهْلِ نَجْدٍ
حَتَّى نَزَلُوا بِذَنْبِ نَقَمَى إِلَى جَانِبِ أَحَدٍ .

وَخَرَجَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَالْمَسْلُومُونَ حَتَّى جَمَعُوا ظُهُورَهُمْ إِلَى
سَلْعٍ ، فِي ثَلَاثَةِ آلَافٍ مِنَ الْمَسْلُومِينَ فَضَرَبَ هَهُنَاكَ عَسْكَرَهُ وَالْخَلْدِقُ بِيَدِهِ وَبَيْنَ

(١) ابن هشام : على بها .

القوم ، وأمر بالذَّراى والنساء فجعلوا فى الآطام .

[نقض بنى قريظة العهد]

وخرج عدو الله حُيَّ بن أخطب حتى أتى كعب بن أسد صاحب عقْد بنى قريظة ، وعهدهم ، وكان قد وادع رسول الله صلى الله عليه وسلم على قومه وعاقده على ذلك وعاهده ، فلما سمع كعبُ بحُيَّ بن أخطب أغلق دونه باب حصنه ، فاستأذن عليه فأبى أن يفتح له ، فناداه حُيَّ : ويحك يا كعب افتح لى . فقال : ويحك يا حُيَّ إياك امرؤ مشؤوم ، وإنى قد عاهدتُ محمداً فإلست بناقض ما بينى وبينه ، ولم أر منه إلا وفاءاً وصيداً ، قال : ويحك افتح لى أكلمك . قال : ما أنا بفاعل . قال والله : إن أغلقت دونى إلا على جَشِيشتك^(١) أن آكل منك منها . فأحفظ الرجل ففتح له فقال : ويحك يا كعب اجئتك بمنزلة الدهر ويبيع طامر اجئتك بقريش على قادتها وسادتها حتى أنزلتهم بمجتمع الأسيال من رومة ، وبغطفان على قادتها وسادتها حتى أنزلتهم بذهب نَقَمَى إلى جنب أحد ، قد عاهدونى وعاهدونى على أن لا يبرحوا حتى استأصل محمداً ومن معه .

فقال له كعب : جئتنى والله بذل الدهر ، وبجهام^(٢) قد هراق ماءه فهو يرعد ويبرق وليس^(٣) فيه شيء ، ويحك يا حُيَّ فدعنى وما أنا عليه فإنى لم أر من محمد إلا صدقاً ووفاءً .

فلم يزل حُيَّ يكعب يفتله فى الذروة والغارب حتى سمح له ، على أن أعطاه

(١) الجشيشة : ما جش من بر ونحوه .

(٢) الجهام : السحاب لا ماء فيه . أو قد هراق ماءه .

(٣) ابن مشام : ليس فيه شيء .

عهداً من الله وميثاقاً لمن رجعت قريشٌ وغطفان ولم يصيبوا محمداً أن أدخل
معك في حصنك حتى يصيبني ما أصابك .

فنفّض كعب بن أسد عهده ، وبرئ مما كان بينه وبين رسول الله
صلّى الله عليه وسلم .

فلما انتهى الخبرُ إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم وإلى المسلمين بعث
رسول الله صلى الله عليه وسلم سعد بن معاذ ، وهو يومئذ سيد الأوس وسعد بن
عبادة وهو يومئذ سيد الخزرج ومعهما عبد الله بن رواحة وخوات بن جبير
فقال : انطلقوا حتى تنظروا أحق ما بلغنا عن هؤلاء القوم ؟ فإن كان حقاً
فالحنوا إلى لحناً أعرفه ولا تفتوا في أعضاء الناس ، وإن كانوا على الوفاء فيما بيننا
وبينهم فاجهروا به للناس .

فخرجوا حتى أتوهم فوجدوهم على أخبث ما بلغهم عنهم ، نالوا من رسول الله
صلى الله عليه وسلم وقالوا : من رسول الله ؟ لا عهد بيننا وبين محمد ولا عقد
فشاتمهم سعد بن معاذ وشاتموه ، وكان رجلاً فيه حدة فقال له سعد بن عبادة :
دع عنك مشاتمهم فإيئنا [وبينهم]^(١) أولى من المشاتمة .

ثم أقبلوا ومن معهم إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم : فسلموا عليه ، ثم
قالوا : عضل والقارة . أي كندر عضل والقارة بأصحاب الرجيع خبيب وأصحابه .
فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : الله أكبر أبشروا يا معشر المسلمين .

[اشتداد البلاء]

وعظم عند ذلك البلاء واشتد الخوف وأتاهم عدوهم من فوقهم ومن أسفل

(١) من ابن هشام والطبري .

منهم ، حتى ظن المؤمنون كلَّ ظن ونجَّهم الففاقُ من بعض المنافقين ، وحتى قال قائل منهم : كان محمد يَمِدُّنا أن نأكل كدورَ كسرى وقيصر ، وأحدنا اليوم لا يأمن على نفسه أن يذهب إلى الغائط !

وأقام عليه المشركون قريبا من شهر لم يكن بينهم حرب إلا الرَّمْيُ^(١) .
بالتَّيْل والحِصَار .

فلما اشتد على الناس البلاء بعث رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى عَيْثِية ابن حِصْن وإلى الحارث بن عوف ، وهما قائدَا غَطَّافَان فأعطاهما ثلث ثمار المدينة على أن يرجعا بمن معهما عنه وعن أصحابه ، فجري بينه وبينهما المرافضة في الصلح^(٢) حتى كتبوا الكتاب ولم تقع الشهادةُ ولا عزيمة الصلح ، ثم بعث رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى سعد بن معاذ وسعد بن عباد ، فدكر لهما ذلك واستشارهما فيه فقالا : يا رسول الله أمرأ تحبه فنصمه ؟ أم شيئا أمرك الله به لا بد لنا من العمل به ؟ أم شيئا نصمه لنا ؟ قال : بل شيء أصعبه لكم ، والله ما أصعب ذلك إلا أنى رأيت العرب قد رمتكم عن قوس واحدة وكأبوكم من كل جانب فأردت أن أكسر عنكم من شوكتهم إلى أمر ما^(٣) .

فقال سعد بن معاذ : يا رسول الله قد كدنا نحن وهؤلاء القوم على الشرك بالله وعبادة الأوثان ، لا نعبد الله ولا نعرفه ، وهم لا يطعمون أن يأكلوا منها ثمرة إلا قرى أو بيعا ، فحين أكرمنا الله بالإسلام وهدانا له وأعزنا بك نعمتهم

(١) كذا بالأصل ، و ابن هشام . الرمي . و الطبري . الرمي . والرمي بكسر
الراء والميم مشددين وتخفيف الياء المفتوحة : المراماة .

(٢) ابن هشام والطبري : فجري بينه وبينهما الصلح . وما هنا أدق .

(٣) الطبري : لأمر ما ساعة .

أموالنا؟ مالنا بهذا من حاجة ، والله لا نعطيهم إلا السيف حتى يحكم الله بيننا وبينهم .

قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : فأنت وذلك . فتداول سعد الصحيفة فمعا ما فيها من الكتب^(١) ثم قال : ليجهدوا علينا .

فأقام رسول الله صلى الله عليه وسلم والمسلمون وعدوم مُحاصروهم ، ولم يسكن بينهم قتال ، إلا أن فوارس من قريش منهم عمرو بن عبدود وعكرمة ابن أبي جهل وهُبَيْرَةُ بن أبي وهب وضِرَار بن الخطاب تلبسوا^(٢) للقتال ثم خرجوا على خيلهم حتى مروا بمنازل بني كنانة فقالوا : تهياؤا يا بني كنانة للحرب فستعلمون من الفرسان اليوم . ثم أقبلوا تُمَاق^(٣) بهم خيلهم حتى وقفوا على الخندق فلما رأوه قالوا : والله إن هذه لكيدة ما كانت للعرب تسكدها ! ثم تيمموا مكانا من الخندق ضيقا فضربوا خيلهم فاقتحمت منه فجالت بهم في السَّبْخَةِ بين الخندق وسَلَم ، وخرج علي بن أبي طالب في نفر من المسلمين حتى أخذوا عليهم الشجرة التي أقمعوها منها خيلهم ، وأقبلت الفرسان تُمَاق نحوهم ، وكان عمر بن عبدود قد قاتل يوم بدر حتى أثبتته الجراحة فلم يشهد يوم أحد فلما كان يوم الخندق خرج مُعَلِّمًا يُروى مكانه ، فلما وقف هو وخيله قال : من يبارز ؟ فبرز له علي بن أبي طالب فقال له : يا عمرو إنك كبت عاهدت الله لا يدهوك رجل من قريش إلى إحدى خلتين إلا أخذتها^(٤) منه فقال له : أجل . فقال له علي : فإني أدعوك إلى الله وإلى رسوله وإلى الإسلام . قال : لا حاجة لي

(١) ابن هشام : من الكتاب .

(٢) الطبري : قد تلبسوا .

(٣) تُمَاق : تسرع .

(٤) الطبري : إلا أخذت منه إحداها .

بذلك . قال : فإني أدهوك إلى النَّزَال . قال له : ولم يا بن أخي ! فوالله ما أحب
أن أقتلك . قال علي : لسكني والله أحب أن أقتلك ! فحَيَّي عمرو عند ذلك
فاقتحم عن فرسه فمقره وضرب وجهه ، ثم أقبل على علي فتنازلا وتجاولا ،
فقتله علي .

وخرجت خيلهم منهزمة حتى اقتحمت من الخلدق هاربة .
وذكر ابن إسحاق في غير رواية البسكائي أن عمرأ لما نادى بطلب من
ببازره قام على رضى الله عنه وهو مقنع في الخديد فقال : أنا له يانبي الله . فقال
له : اجلس إنه عمرو ! ثم ذكر عمرو اللداء وجعل يؤنبهم ويقول : أين جنتكم
التي تزعمون أنه من قتل منكم دخلها ! أفلا تبرزون إلى رجلا ؟ ! فقام على فقال :
أنا له يارسول الله . قال اجلس إنه عمرو . ثم نادى الثالثة وقال :

ولقد بُحِثَ من الدُّدا : بجميعكم هل من مُبَارِزٍ
ووقفتُ إذ جَبُنَ المشجع وقفة الرجل للماجز
وكذاك أنسى لم أزل متسرعا نحو المهازير^(١)
إن الشجاعة في الفتي والجود من خير الغرائز

فقام على رضى الله عنه فقال : أنا له يارسول الله . فقال : إنه عمرو !
فقال : وإن كان عمرأ . فأذن له رسول الله صلى الله عليه وسلم فشى إليه على
وهو يقول : -

لا تمجلن فقد أنا ك مجيب صوتك غير عاجز
ذو نية وبصيرة والصدق منجي كل فائز

(١) المهازير : الدوامى والشدائد .

إني لأرجو أن أقيم عليك نائمة الجفائر
من ضربة تجلاء يتي في ذكرها عند المزاهر

فقال عمرو : من أنت ؟ قال : أنا علي ، قال : ابن عبد مناف ؟ قال : أنا
علي بن أبي طالب . فقال غيرك يا بن أخي من أعمامك من هو أسن منك ،
فإني أكره أن أهرق دمك . فقال علي : لكنني والله ما أكره أن أهرق
دمك . فغضب ونزل فسل سيفه كأنه شعلة نار ، ثم أقبل نحو علي مضرباً .
ويقال إنه كان علي فرسه فقال له علي : كيف أقاتلك وأنت علي فرسك ؟
ولكن انزل معي . فنزل عن فرسه ثم أقبل نحوه فاستقبله علي بذكرته فضربه
عمرو فيها ففقدتها وأثبت فيها السيف وأصاب رأسه فشجته ، وضربه علي على
خبل العاتق فسقط وثار التعجاج ، وسمع رسول الله صلى الله عليه وسلم التكبير
فعرف أن علياً قد قتل ، فثم يقول علي رضي الله عنه :

أعلى تقتحم الفوارس هكذا عني وعلمه أخبروا أصحابي
فاليوم يمدني الفرار حفيظتي ومهضم في الرأس ليس بداي
أدى ضمير حين أخلص صقله صافي الحديدة يستفيض ثوابي^(١)
فندوت أتمس القراع بمرهف عضب مع الثتراء في إقرا^(٢)

(١) قال السهيلي : قوله : أدى ضمير إلى قوله : ثواب : أي أدى إلى ثوابي وأحسن جزائي
حين أخلص صقله :

قلت : الصواب إن شاء الله في تفسيره : أن يكون ثوابي مفعولاً يستفيض : أي أدى
الأمانة حين أخلص صقله . ومفعول أدى عذوف وهو الأمانة . فقوله يستفيض : أي يطالب
فيض ثوابي أي جزائي ومكافأتي . وهذا هو الحق . والله أعلم . « هامش ط »

(٢) القراع : القتال ، والعضب : القطع . والثتراء : يقال قوس ماطر : تقطع الوتر
اصلايتها . وفي الروس البثراء عرفة . والاراب : إدخال السيف في الثراب . وهو القمد

قال ابن عُبَيْدٍ حين شَدَّ أَلِيَّةً^(١) وحلفتُ فاستقموا مِن السَّكَذَابِ
 أن لا يَفَرَّ ولا يُهْلَل^(٢) فالتقى أَسَدَانِ يَضْطَرِبَانِ^(٣) كُلُّ ضَرَابِ
 نَعَرَ الْحِجَارَةَ مَن سَفَاهَةٌ رَأْيُهُ وَنَصَرْتُ دِينَ مُحَمَّدٍ^(٤) بِصَوَابِ^(٥)
 فَصَدَدْتُ حين تَرَكَتُهُ مُتَجَدِّلاً كَالْجَذْعِ بَيْنَ دَكَاذِكُ وَرَوَابِي^(٦)
 وَعَقَفْتُ عَنْ أَثْوَابِهِ وَلَوْ أَنِّي كُنْتُ الْمَجْدُلَ بَرْزَنِي^(٧) أَثْوَابِي
 لَا تَحْسَبَنَّ اللَّهُ خَاذِلَ دِينِهِ وَنَبِيِّهِ يَا مَعْشَرَ الْأَحْزَابِ

وكان شعار أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم يوم الخندق وبني قريظة
 « حم لا يَنْصُرون » .

[إصابة سعد بن معاذ]

وكانت عائشة رضي الله عنها يوم الخندق في حصن بني حارثة ، وكان من
 أحرز حصون المدينة وكانت أم سعد بن معاذ معها في الحصن ، قالت عائشة :
 وذلك قبل أن يُضْرَبَ عَلِيًّا الْحِجَابُ ، فرَّ سعد وعليه دِرْعٌ لَهُ مَقْلَصَةٌ^(٨) وقد

(١) الآية : الخلف .

(٢) التهايل : التلكوس والجبن ، يقال : حل فاهل .

قال كعب بن زهير : * وما لهم عن حياض الموت تهليل *

(٣) هاشم ط : الأصل : يلتقيان .

(٤) هاشم ط . الأصل : رب محمد .

(٥) ذكر ابن هشام هذه الأبيات الأربعة الأخيرة وقال : وأكثر أهل العلم بالشعر يشك
 فيها لعل بن أبي طالب . ٢٢٦/٢ .

(٦) المتجدل : الصريم . والدكاك : جمع دكاء وهو الرمل اللين . والروابي جمع رابية
 وهي المرتفع من الأرض .

(٧) بَرْزَنِي : سلبى .

(٨) مقْلَصَةٌ : منكشة غير سائبة .

خرجت منها ذراعه كلها وفي يده حربة يرقدُ بها في نشاط ، وهو يقول :

لَبِثَ قَلِيلًا بِشَهِدِ الْمَيْجَا حَمَلٌ^(١) لا بأس بالموت إذا حان الأجلُ

فَقالت أمه : الحق أي بني فقد والله أخرت . قالت عائشة : فقلت لما : يا أم سعد والله لو ددت أن درع سعد كانت أشيع مما هي . قالت : وخِفْتُ عليه حيث أصاب السهمُ منه ، فرمى سعدُ بسهم قطع منه الأُكْحَلُ ، رماه حِجَبَانُ بن قيس بن العَرِقة أحد بني عامر بن لؤي ، فلما أصابه قال : خذها وأنا ابن العَرِقة . فقال له سعد : عرّق الله وجهك في الفار ، اللهم إن كنت أبقيت من حرب قريش شيئاً فأبقني لما فإنه لا قوم أحب إلي أن أجاهد^(٢) من قوم آذوا رسولك وكذبوه وأخرجوه ، اللهم وإن كنت وضعت الحرب بيننا وبينهم فاجعلها لي شهادة ولا تُمتني حتى تقرّ عيني من بي قريظة .

وكان عبد الله بن كعب بن مالك يقول : ما أصاب سعداً يومئذ إلا أبو أسامة الجشمي حليف بني مخزوم ، وقال في ذلك شعراً يخاطب عكرمة بن أبي جهل :

أَعِزُّكُمْ هَلَا لَمُتْنِي إِذْ يَقُولُ لِي^(٣) فذاك بأطام المدينة خالئُ
أَلَسْتُ الَّذِي أَلَزَمْتُ سَعْدًا مَرِشَةً^(٤) لها بين أنباء المرافق عائدُ^(٥)

(١) بالأسل : جل كافي ابن هشام . ون الطبري : جل . وجل : هو حمل بن سعدانة ابن حارثة السلمي ، وهو الذي تنزل بهنا البيت كما قال السهيلي والروض . وقد نسب له الزبيدي في تاج العروس ٢٩٠/٧ وهو في اللسان ١٣/١٩٣ .

(٢) ابن هشام والطبري : أن أجاهدكم .

(٣) ابن هشام : إذ تقول .

(٤) مرشة : أي رمية أصابته فغرقت دمه .

(٥) ابن هشام : عائد .

قضى نَجْبَهُ منها سميدهً فأعولت عليه مع الشُّطط العذاري للنواهدُ

في أبيات ذكرها ابن إسحق .

ويقال : إن الذي رمى سعدا خفافه^(١) بن حبان . فأنه أعلم أئى ذلك كان .

[شجاعة صفية بنت عبد المطلب]

وكانت صفية بنت عبد المطلب في فارغ ، أطم^(٢) حسان بن ثابت ، قالت : وحسان معنا فيه مع النساء والصبيان . قالت صفية : فرَّ بنا رجل من يهود فجعل يُطيف بالحصن وقد حاربت بدو قريظة وقطعت ما بينها وبين رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وليس بيننا وبينهم أحدٌ يدفع عنا ورسول الله صلى الله عليه وسلم والمسلمون في نحور عدوهم لا يستطيعون أن ينصرفوا عنهم إلينا إن أئانا آت ، قالت : قلت يا حسان إن هذا اليهودى كما ترى يُطيف بالحصن وإئى والله ما آمده أن يدل على عورتنا من وراءنا من يهود ، وقد شغل عنا رسول الله صلى الله عليه وسلم وأصحابه فانزل إلـيه فاقـتله . قال : يغفر الله لك يا ابنة عبد المطلب والله لقد علمت ما أنا بصاحب هذا . فلما قال لى ذلك ولم أر عدده شيئاً احتجرت^(٣) ثم أخذت عموداً ثم نزلت من الحصن إلـيه فضربتـه بالعمود حتى قتلتـه ، فلما فرغت منه رجعت إلى الحصن فقلت لحسان : انزل فاسلبه فإنى لم يعنى من سلبـه إلا أنه رجل . قال : مالى بسلبه من حاجة يا بنت عبد المطلب .

وأقام رسول الله صلى الله عليه وسلم وأصحابه فيما وصف الله من الخوف

(١) ابن هشام : خفافه بن عامر بن حبان .

(٢) الأطم : الحصن . وى ابن هشام والطبرى . وى حصن حسان .

(٣) احتجرت : شددت على وسطها حجزاً .

والشدة لتظاهر عدوهم عليهم وإتيانهم إياهم من فوقهم ومن أسفل منهم .

[حيلة نعيم بن مسعود]

ثم إن نعيم بن مسعود الأشجعي أتى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال :
يا رسول الله إني قد أسلمت وإن قومي لم يعلموا بإسلامي ، فزني بما شئت .
فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : إنما أنت فينا رجل واحد فخذل عما
إن استطعت ، فإن الحرب خدعة .

فخرج نعيم حتى أتى بني قريظة ، وكان لهم نديماً في الجاهلية فقال : يا بني
قريظة ، قد عرفتم ودّي إياكم وخاصة ما بيني وبينكم . قالوا : صدقت فاست
عندنا بمقتهم . فقال لهم : إن قريشا وغطفان ليسوا كأنتم ، البلد بلدكم به
أموالكم وأبناؤكم ونسأؤكم لا تقدرون على أن تتحولوا منه إلى غيره ، وإن
قريشا وغطفان قد جاءوا لحرب محمد وأصحابه وقد ظاهروا يوم عليه ، وبلدكم وأموالهم
ونسأؤهم بغيره فليسوا كأنتم^(١) فإن رأوا نهزة أصابوها ، وإن كان غير ذلك
لحقوا ببلادهم وخلوا بينكم وبين الرجل ببلدكم ، فلا طاقة لكم به إن خلا
بكم ، فلا تقاتلوا مع اللقوم حتى تأخذوا منهم رهناً من أشرفهم يكونون بأيديكم
ثقة لكم على أن يقاتلوا معكم محمداً حتى تنكحوا .

قالوا : لقد أشرت بالرأي .

ثم خرج حتى أتى قريشا فقال لأبي سفيان ومن معه من رجالهم : قد عرفتم
ودّي لكم وفراق محمد ، وإنه قد بلغني أمر رأيت على حقا أن أبلغكموه .

(١) الطبري : ليسوا كهبتكم .

نصحا لكم فاكتموا عني . قالوا : نفعل . قال : تعلمون أن معشر يهود قد
ندموا على ما صنعوا فيا بينهم وبين محمد ، وقد أرسلوا إليه أنا قد ندنا على ما
فعلنا ، فهل برضيك أن نأخذ لك من القبييلتين من قريش و غطفان رجلا من
أشرافهم فنعطيكهم فتضرب أعناقهم ثم نكون معك على من بقي منهم حتى
نستأصلهم ؟ فأرسل إليهم : نعم . فإن بعثت إليكم يهود بلتمسون رهنا من
رجالكم فلا تدفعوا إليهم منكم رجلا واحدا .

ثم خرج حتى أتى غطفان فقال : يا معشر غطفان إنكم أهلى وعشيرة
وأحب للناس إلى ، ولا أراكم تهموننى . قالوا : صدقت ما أنت عندنا بمتهم
قال : فاكتموا عني . قالوا : نفعل . ثم قال لهم مثل ما قال لقريش وحذرهم
ما حذرهم .

فلما كانت ليلة السبت^(١) وكان ذلك من صُنع الله عز وجل لرسوله صلى
الله عليه وسلم أرسل أبو سفيان بن حرب ورويس غطفان إلى بنى قريظة
عِكرمة بن أبي جهل في نفر من قريش و غطفان فقالوا لهم : إنا لسنا بدار مقام
قد هلك الخلف والحافر فاغدوا للقتال حتى نناجز محمداً ونفرغ مما بيننا وبينه
فأرسلوا إليهم : إن اليوم يوم السبت وهو يوم لا نعمل فيه شيئا ، وقد كان
أحدث فيه بعضنا حدثا فأصابه ما لم يخف عليكم ، ولسنا مع ذلك بالذين نقاتل
معكم محمداً حتى تعطونا رهنا من رجالكم يكونون بأيدينا ثقة لنا حتى نناجز
محمداً ، فإننا نخشى إن خسرستكم الحرب ، واشتد عليكم القتال أن تفشروا إلى
بلادكم وتتركونا والرجل في بلادنا^(٢) ولا طاقة لنا بذلك .

(١) زاد ابن هشام والطبرى : من شوال سنة خمس .

(٢) ابن هشام والطبرى : في بلادنا .

فلما رجعت إليهم الرسل بما قالت بدو قريظة قالت قريش وعطفان : والله إن الذي حدثكم نعيم بن مسعود لحق . فأرسلوا إلى بني قريظة : إنا والله لا ندفع إليكم رجلاً واحداً من رجالنا ، فإن كنتم تريدون القتال فاخرجوا فقاتلوا .

فكانت بدو قريظة حين انتهت إليهم الرسل بهذا : إن الذي ذكر لكم نعيم بن مسعود لحق ما يريد القوم إلا أن يقاتلوا فإن رأوا فرصة انتهزوها وإن كان غير ذلك انشمروا إلى بلادهم وختأوا بينكم وبين الرجل في بلدكم . فأرسلوا إلى قريش وعطفان : إنا والله لا نقاتل معكم حتى تعطونا رهناً . فأبوا عليهم .

وخذل الله بينهم ، وبعث عليهم الريح في ليال شامية شديدة البرد ، فجعلت تكفأ قدورهم وتطرح آيتهم^(١) .

فلما انتهى إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم ما اختلف من أمرهم وما فرق الله من جماعتهم دعا حذيفة بن اليمان فبعثه ليلاً لينظر ما فعل القوم لحث حذيفة رحمه الله ، وقد قال له رجل من أهل الكوفة : يا أبا عبد الله رأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم وصحبته ؟ قال نعم يا بن أخي . قال : فكيف كنتم تصنعون ؟ قال : والله لقد كنا نجهد . قال الرجل : والله لو أدركناه ما تركناه يمشى على الأرض ولجئناه على أعناقنا . فقال حذيفة : يا بن أخي والله لقد رأيتنا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم بالخندق وصلى هَوِيّاً^(٢) من الليل ثم التفت إلينا فقال : من رجل يقوم فينظر لنا ما فعل القوم ثم يرجع - بشرط له رسول الله صلى الله عليه وسلم الرجمة - أسأل الله أن يكون رفيق في الجنة ؟ فما

(١) ابن هشام والطبري : آيتهم .

(٢) المهوي : الساعة من الليل .

قام رجل من القوم من شدة الخوف وشدة الجوع وشدة البرد ، فلما لم يقم أحدٌ دعاني فلم يسكن لي بُد من القيام حين دعاني فقال : يا حذيفة اذهب فادخل في القوم فانظر ما يفعلون ولا تُحدثن شيئا حتى تأتينا .

فذهبتُ فدخلت في القوم والريحُ وجنود الله تفعل بهم ما تفعل لا تُقر لهم قِذراً ولا ناراً ولا بناءً ، فقام أبو سفيان فقال : يامعشر قريش ليظن امرؤ من جلسائه . قال حذيفة : فأخذت بيد الرجل الذي إلى جنبي فقلت : من أنت ؟ قال : فلان بن فلان .

وذكر ابن عُبَيْة أنه فعل ذلك بمن بلى جانبيه يمينا وبسارا ، قال : وبدرهم بالمسألة خشية أن يقطعوا له .

قال حذيفة : ثم قال أبو سفيان : يامعشر قريش إنكم والله ما أصبحتم بدار مقام ، لقد هلك السكراع والخلف وأخلفنا بنو قريظة وبلغنا عنهم الذي نكروه ، واقينا من شدة الريح ما ترون ما تُطهين^(١) لنا قِدر ولا تقوم لنا نار ولا يستمسك لنا بناء ، فارتحلوا فإني مرتحل . ثم قام إلى جهله وهو معقول فجلس عليه ثم ضربه فوثب به على ثلاث فإطلق عقله إلا وهو قائم . ولولا عنده رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى « أن لا تُحدث شيئا حتى تأتيني » ثم شئت لقتلته بسهم . فرجعت إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو قائم يصلي في مرط لبعض نسائه فلما رآني أدخلني إلى^(٢) رجله وطرح على طرف المرط ثم ركع وسجد وإني أقيه ، فلما سلم أخبرته الخبر .

وسمعت غطفان بما فعلت قريش فانشمروا راجعين إلى بلادهم .

(١) ابن هشام : ما تطهين لنا قدر

(٢) الطبري : بين رجله .

ولما أصبح رسول الله صلى الله عليه وسلم انصرف عن الخندق راجعاً إلى المدينة والمسلمون معه وقد عضَّهم الحصار ، فرجعوا مجودين فوضعوا السلاح .

[غزوة بنى قريظة]

فلما كانت الظهر أتى جبريلُ رسولَ الله صلى الله عليه وسلم معتجراً بهامة من استبرق على بقة عليها رِحالة عليها قطيفة من ديباج .^(١)

ويقولون فيما ذكر ابن عقبة أن رسول الله صلى الله عليه وسلم كان في المختل عند ما جاءه جبريل وهو يرجل رأسه قد رَجُل إحدى شتيه . فجاءه جبريل على فرس عليه ألأمة^(٢) حتى وقف بباب المسجد عند موضع الجذائز وإن على وجهه جبريل لأثر الغبار ، نفرج إليه رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال له جبريل : غفر الله لك ! أقدم وضعتم السلاح ؟ قال : نعم . قال جبريل : ما وضعت الملائكة السلاح بعد وما رجعت الآن إلا من طلب القوم ، إن الله يأمرك يا محمد بالمسير إلى بنى قريظة فإنى عامدٌ إليهم فزلزل بهم . فأمر رسول الله صلى الله عليه وسلم مؤذناً فأذن في اللباس من كان سامعاً مطيعاً فلا يصلين العصر إلا في بنى قريظة .

وقدَّم رسولُ الله صلى الله عليه وسلم على بن أبي طالب براءة إلى بنى قريظة وابتدروا للناس ، فسار على رضى الله عنه حتى إذا دنا من الحصون سمع منها مقالةً فيبيحه لرسول الله صلى الله عليه وسلم ، فرجع حتى لقي رسول الله صلى الله عليه وسلم بالطريق فقال : يا رسول الله لا عليك ألا تدنو من هؤلاء الأخابث . قال : لم ؟ أظنك سمعت منهم لى أذى ؟ قال : نعم . قال : لو رأوني لم بقولوا من ذلك شيئاً . فلما دنا رسول الله صلى الله عليه وسلم من حصونهم

(١) الرحالة : السرج .

(٢) الألأمة : ما يلبسه المحارب من الدروع .

قَالَ : يَا إِخْوَانُ الْقُرْدَةُ هَلْ أَخْزَاكُمْ اللَّهُ وَأَنْزَلَ بِكُمْ نِقْمَتَهُ ؟ قَالُوا : يَا أَبَا الْقَاسِمِ مَا كُنْتَ حَمُولًا .

وَمَرَّ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بِغُفْرٍ مِنْ أَصْحَابِهِ فِي طَرِيقِهِ قَبْلَ أَنْ يَصِلَ إِلَى بَنِي قُرَيْظَةَ ، فَقَالَ : هَلْ مَرَّ بِكُمْ أَحَدٌ ؟ قَالُوا : يَا رَسُولَ اللَّهِ مَرَّ بِدَا دِحْيَةَ ابْنِ خَلِيفَةَ السَّكَلَبِيِّ عَلَى بَغْلَةٍ بَيْضَاءَ عَلَيْهَا رِحَالَةٌ عَلَيْهَا قَطِيفَةٌ دَبِيجٌ . فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : ذَلِكَ جَبْرِيلُ بُعِثَ إِلَى بَنِي قُرَيْظَةَ يَنْزِلُ بِهِمْ حَصُونَهُمْ وَيَقْذِفُ الرِّعْبَ فِي قُلُوبِهِمْ .

وَتَلَا حَقُّ الدَّاسِ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، فَأَنَّى رَجَالَ مِنْ بَعْدِ الْعِشَاءِ الْآخِرَةِ لَمْ يَصَلُوا الْمَعْرَاقَ قَوْلَ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : « لَا يَصَلِّينَ أَحَدُ الْمَعْرَاقِ إِلَّا بِنِي قُرَيْظَةَ » فَصَلُّوا الْمَعْرَاقَ مِنْ بَعْدِ الْعِشَاءِ الْآخِرَةِ ، فَمَا عَابَهُمُ اللَّهُ بِذَلِكَ فِي كِتَابِهِ وَلَا عَذَّبَهُمْ بِهِ رَسُولُهُ .

وَذَكَرَ ابْنُ عُثْمَانَ أَنَّ الدَّاسَ لَمَّا حَانَتِ الْمَعْرَاقُ فِي الطَّرِيقِ ذَكَرَ وَالصَّلَاةَ فَقَالَ بَعْضُهُمْ : أَلَمْ تَعْلَمُوا أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَمَرَكُمْ أَنْ تَصَلُّوا الْمَعْرَاقَ فِي بَنِي قُرَيْظَةَ . وَقَالَ آخَرُونَ : هِيَ الصَّلَاةُ . فَصَلَّى مِنْهُمْ طَائِفَةٌ وَأُخْرَى الصَّلَاةَ طَائِفَةٌ حَتَّى صَلُّوْهَا فِي بَنِي قُرَيْظَةَ بَعْدَ أَنْ غَابَتِ الشَّمْسُ ، فَذَكَرُوا الرَّسُولَ اللَّهَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مِنْ عَجَلٍ بِالصَّلَاةِ وَمِنْ آخَرِهَا ، فَذَكَرَ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لَمْ يَمُتَّفِ وَاحِدَةً مِنَ الطَّائِفَتَيْنِ .

[الْحَصَارُ]

وَحَاصِرَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بَنِي قُرَيْظَةَ خَمْسًا وَعِشْرِينَ لَيْلَةً حَتَّى جَهَدَهُمُ الْحَصَارُ ، وَقَذَفَ اللَّهُ فِي قُلُوبِهِمُ الرِّعْبَ .

(١٢٢ م الْاِكْتِفَاءُ - ج ٢)

وكان حيي بن أخطب دخل على بنى قريظة في حصنهم حين رجعت عنهم قريش وغطفان وفاء الكعب بن أسد بما كان عاهده عليه ، فلما أيقنوا أن رسول الله صلى الله عليه وسلم غير منصرف عنهم حتى يداجزم قال لهم كعب بن أسد يا مشريهون قد نزل بكم من الأمر ما ترون ، وإنى عارض عليكم خلافا ثلاثا نخذوا أيها شئتم . فقالوا : وما هي ؟ قال : نتابع هذا الرجل ونصدق فوائده لقد تبين لكم أنه نبي مرسل وأنه للذي تجدونه ^(١) في كتابكم ، فتؤمنون على دماءكم وأموالكم وأبنائكم ونسائكم . قالوا : لا نفارق حكم التوراة أبدا ولا نستبدل به غيره . قال : فإذا أبيتم على هذه فإني فلتقتل أبناءنا ونساءنا ثم نخرج إلى محمد وأصحابه رجالا مصليين بالسيوف لم نترك وراءنا ثقلا حتى يحكم الله بيننا وبين محمد ، فإن نهلك نهلك ولم نترك وراءنا نسلا نخشى عليه وإن ظهر فلم نرى لتجدن للنساء والأبناء . قالوا : نقتل هؤلاء الساكنين فما خير العيش بعدهم ؟ قال : فإذا أبيتم على هذه فإن الآية ليلة السبت وإنه عسى أن يكون محمد وأصحابه قد أمدوا فيها فانزلوا أهلكا نصيب من محمد وأصحابه غيرة . قال : نهدد سبيلنا ونحدث فيه ما لم يحدث من كان قبلنا إلا من قد علمت فأصابه ما لم يخف عليك من المسخ ؟ قال : ما بات رجل منكم منذ ولدت أمه حازما ليلة واحدة من الدهر ! ثم إنهم بعثوا إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم : أن ابعت إلينا أبا لُبابة ابن عبد المنذر ، أخا بني عمرو بن عوف ، وكانوا حلفاء الأوس ، نستشيرهم في أمرنا فأرسله رسول الله صلى الله عليه وسلم إليهم فلما رأوه قام إليه الرجال وجهش إليه النساء والصبيان فيكون في وجهه ، فرق لهم وقالوا له : يا أبا لُبابة أنرى أن نزل على حكم محمد ؟ قال : نعم . وأشار بيده إلى خلقه : إنه الصبح .

(١) الطبرى : كنتم تجدونه

قال أبو كُبَابَة : فوالله ما زالت قدماي من مكانهما حتى عرفت أني قد خُذْتُ الله ورسوله . ثم انطلق أبو لبابة على وجهه ولم يأت رسولَ الله صلى الله عليه وسلم حتى ارتبط في المسجد إلى عمود من عمده . وقال : لا أبرح مكاني هذا حتى يتوب الله عليَّ مما صنعت ، وعاهد الله : أن لا أطأ^(١) بنى قريظة أبدا ولا أرى في بلد خُذْتُ الله ورسوله فيه أبداً .

فلما بلغ رسولَ الله صلى الله عليه وسلم خبره وكان قد استبطأه قال : أما إنه لو كان جاءني لاستغفرت له ، فأما إذ فعل ما فعل فما أنا بالذي أطلقه من مكانه حتى يتوب الله عليه . فنزلت توبته على رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو في بيت أم سلمة ، قالت : سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم من السَّحَر وهو يضحك قالت : مم تضحك أضحك الله منك ؟ قال : تيب على أبي لبابة . قالت قلت : أفلا أبشره يا رسول الله . قال : بلى إن شئت . قال فقامت على باب حجرتها ، وذلك قبل أن يضرب عليهن الحجاب فقالت : يا أبا كُبَابَة أبشر فقد تاب الله عليك . قالت : فثار للناس إليه ليُطْلَقوه فقال : لا والله حتى يسكون رسول الله صلى الله عليه وسلم هو الذي يطلقني بيده . فلما مرَّ عليه خارجا إلى صلاة الصبح أطلقه .

وذكر ابن هشام أن أبا لبابة أقام مرتبطا بالجدع ست ليال تأنيه امرأته في كل وقت صلاة فتحله للصلاة ، ثم يعود فيرتبط بالجدع .
والآية التي نزلت في توبته : « وَآخَرُونَ اعْتَرَفُوا بِذُنُوبِهِمْ خَلَطُوا عَمَلًا صَالِحًا

(١) الطبري : ألا يطأ .

وآخر سينتأ عسى الله أن يتوب عليهم إن الله غفور رحيم^(١) ، وأنزل الله في أبي
لبابة ، فيما روى عن عبد الله بن قتادة :
« يا أيها الذين آمنوا لا تحذروا الله والرسول وتخونوا أماناتكم وأنتم
تعلمون^(٢) » .

ثم إن ثعلبة بن سَعْيَةَ وأسيدي بن سَعْيَةَ وأسد بن عمير وهم نفر من [بني] ^(٣)
هَذَل ليسوا من بني قريظة ولا بني النضير ، نسبهم فوق ذلك هم بدو عم القوم ،
أسلموا تلك الليلة التي نزلت فيها بدو قريظة على حكم رسول الله صلى الله
عليه وسلم فأحرزوا دماءهم وأموالهم ، وكان إسلامهم فيما زعموا عما كان
أقاه إليهم من أمر رسول الله صلى الله عليه وسلم ابن الميثبان القادم عليهم قبل
الإسلام متوكلين لخروج رسول الله صلى الله عليه وسلم بمحققا لنبوته ، ففتح
الله هؤلاء الثلاثة بذلك واستنقذهم به من النار .

وقد تقدم ذكر خبره فيما مضى من هذا الكتاب^(٤) .

وخرج في تلك الليلة عمر بن سعد بن مقرن ، فرّ بحرس رسول الله صلى الله
عليه وسلم وعليه محمد بن مسلمة ، فلما رآه قال : من هذا ؟ قال : أنا عمرو بن
سعد بن مقرن . وكان عمرو قد أبى أن يدخل مع بني قريظة في غدرهم برسول الله
صلى الله عليه وسلم وقال : لا أعدر بحمد أبدا . فقال محمد بن مسلمة حين عرفه :
اللهم لا تحرمي إقالة عذرات الكرام أنتم خلى سبيله ، فخرج على وجهه حتى
بات في مسجد رسول الله صلى الله عليه وسلم بالمدينة تلك الليلة ثم ذهب فلم يدر

(١) سورة التوبة ١٠٢ .

(٢) سورة الأنفال ٢٧ .

(٣) من ابن هشام والطبري .

(٤) سبق ذلك في الجزء الأول من هذا الكتاب ٢٣٤ .

أبن توجّه من الأرض إلى يوم هذا . فذكر شأنه لرسول الله صلى الله عليه وسلم فقال : ذاك رجلٌ نجاّه الله بوفائه . وبعض الناس يزعم أنه كان أوثق برُمّةٍ فيمن أوثق من بنى قريظة حين نزلوا على حكم رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فأصبحت رُمّة ملقاةً ولا يدري أين ذهب . فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم فيه تلك المقالة . فالله أعلم أى ذلك كان .

[حكم سعد بن معاذ]

ولما نزل بنو قريظة على حكم رسول الله صلى الله عليه وسلم توثبت الأوسُ فقالوا : يا رسول الله إنهم موالينا دون الخزرج ، وقد فعلت في موالى إخواننا بالأمس ما قد علمت - يريدون بنى قَيْنِقَاع - وما كان من حصار رسول الله صلى الله عليه وسلم لهم ونزولهم على حكمه ، وكيف سأله إياهم عبدُ الله بن أبي بن سَكُول فوجههم له . فلما كلمته الأوس قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : ألا ترضون يا معشر الأوس أن يحكم فيهم رجلٌ منكم ؟ قالوا : بلى . قال : فذاك إلى سعد بن معاذ .

وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم قد جعل سعد بن معاذ في خيمة لامرأة من أَسْلَمَ يقال لها رُفَيْدَة في مسجده كانت تداوى الجرحى وتحسب بنفسها على خدمة من كانت به ضيعة من المسلمين ، وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم قد قال لقومه حين أصابه السهم في الخندق : اجملوه في خيمة رُفَيْدَة حتى أعوده من قريب . فلما حكمه رسول الله صلى الله عليه وسلم في بنى قريظة أتاه قومه يحملوه على حمار قد وطأوا له بوسادة من آدم ، وكان رجلا جسيما ، ثم أقبلوا معه إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم وهم يقولون : يا أبا عمرو أحسن في مواليك

فإن رسول الله صلى الله عليه وسلم إنما ولّاك ذلك لتُحسنَ فيهم . فلما أكثروا قال : لقد آن لسعدٍ أن لا تأخذه في الله لومةٌ لائمٍ !

فرجع بعضُ من كان معه من قومه إلى دار بني عبد الأشهل فنعى لهم رجالَ بني قُريظة قبل أن يصل إليهم سعد ، عن كلمته التي سمع منه .

فلما انتهى سعدٌ إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم والمسلمين قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « قوموا إلى سيدكم » فأما المهاجرون من قريش فيقولون : إنما أراد الأنصارَ . وأما الأنصار فيقولون : قد عمَّ بها رسولُ الله صلى الله عليه وسلم المسلمين . فقاموا إليه فقالوا : يا أبا عمرو إن رسول الله صلى الله عليه وسلم قد ولّاك أمرَ مَواليك لتُحكمَ فيهم . فقال سعد بن معاذ : عليكم بذلك عهدُ الله وميثاقه : أن أحكمُ فيهم لما حكمتُ ؟ قالوا : نعم . قال : وعلى من هاهنا - في الناحية التي فيها رسولُ الله صلى الله عليه وسلم - وهو مُعرض عن رسول الله صلى الله عليه وسلم لإجلاله . فقال : رسول الله صلى الله عليه وسلم - نعم . قال سعد : فإني أحكمُ فيهم أن تُقتلَ الرجال وتُقسَمَ الأموال وتُسبى القَرَارى والنساء . فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : قد حكمتَ فيهم بحكم الله من فوق سبعة أَرْقعة^(١) .

ثم استنزلوا فحبسهم رسول الله صلى الله عليه وسلم في المدينة في دار امرأة من بني النجار ، ثم خرج صلى الله عليه وسلم إلى سوق المدينة فخذق بها خنادق ، ثم بعث إليهم فضرب أعناقهم في تلك الخنادق ، يُخرج بهم إليها أرسالا . وفيهم عدو الله حيي بن أخطب وكمب بن أسد رأس اللقوم ، وم

(١) الأرقعة : السموات . واحدها رقيع .

سبعمائة أو سبعمائة، والمكثّر يقول : كانوا بين الثمان المائة والتسع المائة^(١) . وقالوا :
 لكعب بن أسد وهم يُذهب بهم إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم أرسالا :
 يا كعب ما تراه يصنع بنا ؟ قال : أفي كل موطن لا تنقلون ! ألا ترون أن الداعي
 لا ينزع وأن الذهاب^(٢) لا يرجع ؟ ! هو والله للقتل .

فلم يزل ذلك الدأب حتى فرغ منهم رسول الله صلى الله عليه وسلم وأتى
 بعدو الله حبيبي بن أخطاب وعليه حلة فُفَّاحِيَّة^(٣) قد شقها عليه من كل ناحية
 قدّر أكلة لثلا يُسَلِّبُها ، مجموعة يداه إلى عنقه بمجل ، فلما نظر إلى رسول الله
 صلى الله عليه وسلم قال : أمّا والله ما لمت نفسي في عداوتك ولكن من يُخذل
 الله يُخذل ! ثم أقبل على الناس فقال : يا أيها الناس ، إنه لا بأس بأمر الله ،
 كتاب وقدر ومنحة كتبت على بني إسرائيل ! ثم جلس فضربت عنقه . فقال
 في ذلك جبل بن جوال النخعي :

لعمرك ما لام ابنُ أخطاب نفسه ولكنه من يُخذل الله يُخذل
 لجاهد حتى أبلغ النفس عذرها وقَتْلُ يفي العز كل مَقْلٍ^(٤)

بل ابتنى عدو الله ذلّ الأبد فوجده ، وجاهد الله لجهده فأصبح براه
 للقائل^(٥) وسميه الخاسر من الذين لهم خزي في الدنيا ولهم في الآخرة
 عذاب النار .

وقتل من نساء بني قريظة امرأة واحدة لم يقتل من نساءهم غيرها ، قالت

(١) ابن هشام : بين الثمان مائة والتسع مائة .

(٢) ابن هشام : وأنه من ذهب به منكم لا يرجع .

(٣) الففاح : الزهر إذا شقت أكنه . والمراد أنها كانت تضرب إلى الحرة .

قال ابن هشام : ففاحية : ضرب من الوشي .

(٤) قتل : سعى وتحرك .

(٥) القائل : النخعي .

عائشة أم المؤمنين رضى الله عنها : والله إنها لعندى تحدث معى وتضحك ظهراً وبطناً ، ورسول الله صلى الله عليه وسلم يقتل رجالها فى السوق إذ هتف هاتف باسمها : أين فلانة قالت : أنا والله قلت لها : وبلك مالك ؟ قالت : أقتل . قلت : ولم ؟ قالت : لحدث أحدثته . فانطلق بها فضربت عنقها . فكانت عائشة تقول : والله لا أنسى محباً منها طيب نفسها وكثرة ضحكها وقد علمت أنها تقتل .

قال ابن هشام : هى التى طرحت الرّحاً على خلاد بن سُوَيْد فقتلته .

[قصة الزبير بن باطا]

وكان الزبير بن باطا القرظى قد مَنَّ على ثابت بن قيس بن شماس فى الجاهلية ، أخذه يوم بُمات فجزَّ ناصيته ثم خلى سبيله . فجاءه ثابت لما قُتل بنو قريظة وهو شيخ كبير فقال : يا أبا عبد الرحمن هل تم فى ؟ قال : وهى يجهل مثل مثلك قال : فإنى أردت أن أجزيك بيدك عندى . قال : إنَّ الكريم يجرى الكريم . ثم أتى ثابت رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال : يا رسول الله إنه كان للزبير علىَّ مِنَّة وقد أحببت أن أجزيه بها فمَهَبَ لى دمه . فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : هو لك . فأناه فقال : إن رسول الله صلى الله عليه وسلم قد وهب لى دَمَكَ فهو لك قال : شيخ كبير لا أهل له ولا ولد فما يصنع بالحياة ؟ فأنى ثابت رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال : بأبى أنت وأمى يا رسول الله امرأته وولده . قال : هم لك . فأناه فقال : قد وهب لى رسول الله صلى الله عليه وسلم أهلَكَ وولدَكَ فهم لك . قال : أهل بيت بالحجاز لا مال لهم فما بقاؤهم على ذلك ؟ فأنى ثابت رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال : يا رسول الله ماله . قال : هو لك . فأناه ثابت فقال : قد أعطانى رسول الله صلى الله عليه وسلم مَالَكَ

فهو لك ، فقال : أئني ثابت ما فعل الذي كان وجهه مرآة صينية يترأى فيها
عذارى الحى ، كعب بن أسد ؟ قال : قُتل . قال فما فعل سيد الحاضر والبادى
حبي بن أخطب ؟ قال : قُتل قال . فما فعل مُقدمتنا إذا شددنا وحامقنا إذا فررنا
عزال بن شموال^(١) . قال قُتل . قال : فما فعل الجلسان ، يعنى بنى كعب بن
قريظة وبني عمرو بن قريظة ؟ قال : ذهبوا فقتلوا . قال : فإني أسألك يا ثابت
بيدى عندك إلا ألحقنى بالقوم ، فوالله ما فى العيش بعد هؤلاء من خير فما أنا
بصابر لله قتيلا^(٢) داور ناضح حتى ألقى الأحبة . فقدّمه ثابت فضرب عنقه .
فلما بلغ أبا بكر الصديق رضى الله عنه قوله : « ألقى الأحبة » قال : يلقام
والله فى نار جهنم خالداً مخلداً فيها أبداً !

* * *

وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم قد أمر بقتل كل من أنبت منهم .
قال عطية القرظى : وكنت علامة فوجدوني لم أنبت فخلعوا سبيلي^(٣) .
وكان رفاعه بن شموال القرظى رجلاً قد بلغ فلاذ بسلمى بنت قيس أم
المذثر ، أخت سايط بن قيس ، وكانت إحدى خالات رسول الله صلى الله عليه
وسلم قد صلّت القبلتين معه وبايعته بيعة النساء فقالت : يا نبي الله بأبي أنت وأمي

(١) ابن هشام : عزال بن شموال . بالسين .

(٢) كذا بالأصل ، وهو الصواب موافقاً لما ذكره ابن كثير فى سيرته ٢٤١ / ٣ حيث
قال : قال ابن إسحاق : « قتيلا بالفاء والياء اللثناة من أسفل . وقال ابن هشام بالقاب والباء
الموحدة » خلافاً لما أنبته بحقو السيرة والسهيل فى الروض الأتف : قتيلا بالثاء . بتأويل بسيد .
والناضح البعير الذى يستقى عليه الماء . وقال أبو عبيدة : معناه : إفراغة دلو .

(٣) قال ابن كثير فى السيرة ٢٤١ / ٣ : ورواه أهل السنن الأربعة من حديث عبد الملك

ابن عمير ، عن عطية القرظى ، نحوه .

هَبْ لِي رِفَاعَةً ، فَإِنَّهُ زَعَمَ أَنَّهُ سَيَصِلُ وَيَأْكُلُ لَحْمَ الْجَلِ . فَوَهَبَهُ لَهَا فَاسْتَحْيَتْهُ .

[قِسْمَةُ الْفَنَائِمِ]

ثُمَّ إِذَا رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَسَمَ أَمْوَالَ بَنِي قُرَيْظَةَ وَنِسَاءَهُمْ وَأَبْنَاءَهُمْ عَلَى الْمُسْلِمِينَ ، وَأَعْلَمَ فِي ذَلِكَ لِلْيَوْمِ سَهْمَانِ الْخَيْلِ وَسَهْمَانِ الرِّجَالِ وَأَخْرَجَ مِنْهَا الْخُمْسَ ، فَسَكَانَ لِلْفَارِسِ ثَلَاثَةُ أَصْهُمٍ ، لِلْفَرَسِ سَهْمَانٌ وَلِلْفَارِسَةِ سَهْمٌ ، وَلِلرَّاجِلِ وَمَنْ لَيْسَ لَهُ فَرَسٌ سَهْمٌ . فَسَكَانَتِ الْخَيْلُ يَوْمَ بَنِي قُرَيْظَةَ سِتَّةً وَثَلَاثِينَ فَرَسًا ، وَكَانَ أَوَّلُ فَرَسٍ وَقَعَتْ فِيهِ السَّهْمَانُ وَأَخْرَجَ مِنْهُ ^(١) الْخُمْسَ ، فَعَمِلَ سُدَّتْمَا وَمَا مَضَى مِنْ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فِيهَا وَقَعَتِ الْمَقَاسِمُ وَمَضَتْ الشُّدَّةُ فِي الْمَغَازِي .

ثُمَّ بَعَثَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ سَعْدَ بْنَ زَيْدٍ الْأَنْصَارِيَّ الْأَشْهَلِيَّ بِسَبَايَا مِنْ سَبَايَا بَنِي قُرَيْظَةَ إِلَى تَجْدُفَاقٍ تَتَابَعُ لَهُ بِهِمْ خَيْلًا وَسِلَاحًا .

وَكَانَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَدْ اصْطَفَى لِنَفْسِهِ مِنْ نِسَائِهِمْ رِيحَانَةَ بِنْتَ عَمْرِو بْنِ خُفَافَةَ مِنْ بَنِي عَمْرِو بْنِ قُرَيْظَةَ ، فَسَكَانَتِ عِنْدَهُ حَتَّى تَوَفَّى عَنْهَا وَهِيَ فِي مَلَكَهَ ، وَكَانَ عَرَضُ عَلَيْهَا أَنْ يَتَزَوَّجَهَا وَيَضْرِبَ عَلَيْهَا الْحِجَابَ فَقَالَتْ يَا رَسُولَ اللَّهِ بَلْ تَتْرَكْنِي فِي مَلَكَكَ فَهُوَ أَخْفَ عَلَى وَعَلَيْكَ فَتَرَكَهَا . وَكَانَتْ حِينَ سَبَايَا قَدْ تَمَصَّصَتْ بِالْإِسْلَامِ وَأَبَتْ إِلَّا لِلْيَهُودِيَّةِ ، فَزَلَمَا رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَوَجَدَ فِي نَفْسِهِ لِقْدَانًا مِنْ أَمْرِهَا ، فَبَيْنَمَا هُوَ مَعَ أَصْحَابِهِ إِذْ سَمِعَ وَقَعَ نَعْلَيْنِ خَلْفَهُ فَقَالَ : إِنَّ هَذَا لِنَعْلَانِيَّةِ بْنِ سَعْدِيَّةٍ يَبْشُرُنِي بِإِسْلَامِ رِيحَانَةَ . فَبَجَّاهُ فَقَالَ : يَا رَسُولَ اللَّهِ قَدْ أَسْلَمَتْ رِيحَانَةُ . فَسَرَّهُ ذَلِكَ مِنْ أَمْرِهَا .

(٤) ابْنُ مَسْعُودٍ : وَأَخْرَجَ مِنْهَا .

[ما نزل في غزوة الخندق]

وانزل الله عز وجل في أمر الخندق وبني قريظة القصة في سورة الأحزاب
بذكر فيها ما نزل بهم من البلاء ، وبذكر نعمته عليهم وكفايته إياهم حين فرج
عنهم ذلك .

« يا أيها الذين آمنوا اذكروا نعمة الله عليكم إذ جاءكم جدود فأرسلنا عليهم
ريحا وجدودا لم تزوها وكان الله بما تعلمون بصيرا ، إذ جاءوكم من فوقكم
ومن أسفل منكم وإذ زاغت الأبصار وبلغت القلوب الحناجر وتظنون بالله
الظنوننا ، هنالك ابتلى المؤمنون وزلزلوا زلزالا شديدا ، وإذ يقول المنافقون
والذين في قلوبهم مرض ما وعدنا الله ورسوله إلا غرورا » في آيات استوفى فيها
تعالى ذكر ما شاء من قصتهم .

ثم قال سبحانه : « ورد الله الذين كفروا بغيظهم لم يبالوا خيرا وكفى الله
المؤمنين العقاب وكان الله قويا عزيزا وأزل الذين ظاهروهم من أهل الكتاب من
صياصيهم وقذف في قلوبهم الرعب فريقا تقتلون وتأسرون فريقا . وأورثكم
أرضهم وديارهم وأموالهم وأرضا لم تطأوها وكان الله على كل شيء قديرا » .

[وفاة سعد بن معاذ]

فلما انقضى شأن بلى قريظة انفجر بسعد بن معاذ جرحه فمات شهيدا
برحمه الله .

فذكروا أن جبريل أتى رسول الله صلى عليه وسلم حين قبض سعد من
جوف الليل معتبرا بهامة من استبرق فقال : يا محمد من هذا الميت الذي فتحت

له أبواب السماء واهتز له العرش^(١) !؟ فقام رسول الله صلى الله عليه وسلم سريعا
يخبر نوبه إلى سعد بن معاذ فوجده قد مات .

وقد كان سعد رجلا بادنا فلما حملته الناس وجدوا له خفة فقال رجل من
المناقضين : والله إن كان لبادنا ، وما حملنا من جنازة أحف منه . فبلغ ذلك رسول
الله صلى الله عليه وسلم فقال : « إن له حملة غيركم ، والذي نفس محمد بيده لقد
استبشرت للملائكة بروح سعد واهتز له العرش » .

وقالت عائشة رضي الله عنها لأبي سعيد بن خضير ، وهو قاتل معها من مكة وبلغه
موت امرأة له فعزن عليها بعض الحزن : يغفر الله لك يا أبا يحيى ، أتعزن على
امرأة وقد أصبت بابن عمك وقد اهتز له العرش ؟ تعنى سمدا .

وقال جابر بن عبد الله : لما دفن سعد ونحن مع رسول الله صلى الله عليه
وسلم سبّح رسول الله صلى الله عليه وسلم فسبّح الناس معه وكبر فكبر الناس معه
فقالوا : يا رسول الله مم سبّحت ؟ قال : لقد تضابق على هذا الرجل الصالح قبره
حتى فرجه الله عنه . ويروى أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : إن لا قبر
لضمة لو كان أحد منه ناجيا لكان سعد بن معاذ .

ولسعد يقول رجل من الأنصار :

وما اهتز عرشُ الله من موتٍ هالكٍ سمعنا به إلا اسمَ أبي عمرو
وقالت أم سعد حين احتمل نعشه وهي تبكيه :

(١) انظر الروايات التي ذكرها ابن كثير في سيرته ٣ / ٢٤٥ - ٢٤٨ لهذا الحديث ،
عن البيهقي في الدلائل وأحمد في مسنده ، والبخاري ومسلم في صحيحهما .
وفي بعضها : اهتز السرير بدلا من العرش .
وانظر ما قاله السهيلي في آراء العلماء في هذا الحديث . في الرواسي ألف .

وَبِلى أُمَّ سَعْدٍ ، سَعْدًا صَرَامَةً وَحَدًّا
وُسُودًا وَنَجْدًا وَفَارَسًا مُمَدًّا
سَدَّ بِهِ مَسَدًا

فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « كل نائحة تكذب إلا نائحة سعد
ابن معاذ » .

* * *

وقال حسان بن ثابت يبيكي سعداً :
أَقْدَسَ جَعَتْ^(١) مَنْ فَيْصَ عَيْنِي عَابِرَةً وَحَقَّ لِمَعْنَى أَنْ تَفِيصَ عَلَى سَعْدِ
قَتِيلِ ثَوَى فِي مَمْرُكُ فُجِعَتْ بِهِ عَيُونَ ذَوَارَى^(٢) الدَّمْعَ دَائِمَةَ الْوَجْدِ
عَلَى مَلَةِ الرَّحَنِ وَارِثِ جَنَّةٍ مَعَ الشَّهَدَاءِ وَفَدَّهَا أَكْرَمُ الْوَفْدِ
فَإِنْ تَكْ قَدْ وَدَّعْتَنَا وَتَرَكْتَنَا وَأَمْسَيْتَ فِي غُيْرَاءِ مَظْلَمَةِ الْإِعْدِ
فَأَنْتَ الَّذِي يَا سَعْدُ أَثَبْتَ بِمَشْهَدِ كَرِيمٍ وَأَنْوَابِ الْمُسْكَارِمِ وَالْحَدِ
بِحُكْمِكَ وَحَيٍّ قَرِيبَةً بِالَّذِي قَضَى اللَّهُ فِيهِمْ مَا قَضَيْتَ عَلَى عَمْدِ
فَوْفَقِي حُكْمَ اللَّهِ حَكْمُكَ فَهَمُّ وَلَمْ تَعْفُ إِذْ كُذِّبَتْ مَا كَانَ مِنْ سَعْدِ
فَإِنْ كَانَ رَبُّبُ الدَّهْرِ أَمْضَاكَ وَالْأَلَى

شَرَوْا هَذِهِ الدُّنْيَا بِجَنَاتِهِمَا الْخُلْدِ
فَنَعَمْ مَصِيرُ الْمَصَادِقِينَ إِذَا دُعُوا إِلَى اللَّهِ يَوْمًا لِلْوَجَاهَةِ وَالْقَصْدِ
وقال حسان يبيكي سعداً ورجالاً من الشهداء من أصحاب رسول الله
صلى الله عليه وسلم :

أَلَا يَا لِقَوِي هَلْ لِمَا حُمَّ دَافِعُ وَهَلْ مَا مَضَى مِنْ صَالِحِ الْعَيْشِ رَاجِعُ

(١) سَجِعَتْ : غاضبت .

(٢) ذَوَارَى الدَّمْعِ : غزيرته .

تذكرتُ عصرًا قد مضى فتهافتتُ بقات الحشا وانهلّ متى للدامع
صبايةٌ وجند ذكرتي إخوةً وقتلَى مضى فيها طفيلٌ ورافع
وسعد فأضحوا في الجنان وأوحشت

منازلهم فالأرض منهم بالآقع^(١)
وفوا يوم بدرٍ للرسول وفوقهم ظلالُ المنايا والسيوف اللوامع
دعا فأجابوه بحقٍ وكلامهم مطيعٌ له في كل أمرٍ وسامع
فانكلموا حتى تولوا^(٢) جماعة ولا يقطع الآجال إلا المصارع
لأنهم يزجون منه شفاعاة إذا لم يكن إلا للبيون شافع
فذلك يا خير العباد ملاذنا إجابةً لنا لله والموت ناكس
لنا التقدّم الأولى إليك وخلفنا لأولنا في ملة الله تابع
ونعلم أن الملك لله وحده وأن قضاء الله لا بد واقع

[شهداء المسلمين في الخندق]

ولم يستشهد من المسلمين يوم الخندق إلا ستة نفر كلهم من الأنصار :
سعد بن معاذ ، وأنس بن أوس بن عتيك ، وعبد الله بن سهل الأشجائيون ،
والطفيل بن النعمان ، وثمانية بن غنمة الجشميان . ومن بني ديار بن
الصنار كعب بن زيد ، أصابه سهمٌ غرب فقتله . رحمه الله عليهم .

واستشهد يوم بنى قريظة من المسلمين خلاد بن سويد من بني الحارث
ابن الخزرج ، طرحت عليه رchy فشذخته شذحا شديدا ، فزعموا أن رسول الله
صلى الله عليه وسلم قال : « إن له لأجر شهيدين » .

(١) البلاقع : المفرة .

(٢) عند ابن كثير : حتى نوالوا .

ومات أبو سنان بن محصن أخو عكاشة بن محصن ، ورسول الله
صلى الله عليه وسلم محاصر بنى قريظة .

* * *

ولما انصرف أهل الخندق عن الخندق قال رسول الله صلى الله عليه وسلم
« ان تغزوك قريش بعد عامكم هذا ، ولكم تغزونهم » . فكان كذلك
لم تغزم قريش بعد ذلك وهو صلى الله عليه وسلم يغزوم حتى فتح الله عليه مكة .
[ما قيل من الشعر في غزوة الخندق]

وقال حسان بن ثابت في يوم الخندق يحيب عبد الله بن الزبير شاعر
قريش عن كلمة قالها في ذلك :

هل رَسَمَ دارِسةَ المقامِ بِيَابِ	متكلمٍ لحاورٍ بجوابِ
قَمَرٌ عَفَارِمٌ للسَّحابِ رَسومُهُ	وهبوبٌ كلُّ مُظَلَّةٍ مِرْبَابِ ^(١)
ولقد رأيتُ بها الحلولَ بَرزِهم	بيضُ الوجوهِ ثواقِبُ الأحسابِ
فَدَعِ الديارَ وذِكْرَ كلِّ خَريدةٍ	بيضاءِ آنسةٍ الحديثِ كَتابِ
واشكُ المَهمومِ إلى الإلهِ وما نرى	من مَعرِشٍ ظَلَموا الرِّسولَ غَضابِ
ساروا بِمَجْمَعِهِمُ إليه والْبُؤا	أهلَ القُرى وبِوَادِي الأعرابِ
جيشٌ عُيَيْتُهُ وابنَ حَرْبٍ فيهم	مُتَخَطِّمِينَ بِحِلْيَةِ الأَحْزَابِ ^(٢)
حتى إذا وردوا المَدِينَةَ وارتَجَوا	قَتَلَ الرِّسولِ وَمَنَّمِ الأَسْلَابِ
وغَدُوا عَلَيَا قَادِرِينَ بِأَيْدِهِم	رُدُّوا بِغِيظِهِمِ عَلَى الأَعْقَابِ

(١) الرَّم : جمع رَمَّة ، وهو المطر الضعيف الدائم . والمُظَلَّة : السَّحَابَة . وفي
ابن هشام : مَطَلَة . بالطاء . والمِرْبَاب : الدائمة .
(٢) كَذَا بالأصل . وفي ابن هشام وابن كثير : مُتَخَطِّمُونَ بِحِلْيَةِ الأَحْزَابِ .
والمُتَخَطِّم : من وَضَعَ الحَطَامَ في أَنفِهِ . ولعل رواية السُّكَلَاءِ هنا أَسَحَ وَأَوْضَحَ .

بهبوب مصففة تفرق جهمهم وجلود ربك سيد الأرباب
وكفى^(١) الإله المؤمنين قتالهم وأثابهم في الأجر خير ثواب
من بعد ما قنطوا ففرق جهمهم تنزيل نصر ما يكتفوا الوهاب
وأقر عين محمد وصحابه وأدل كل مكذب مرتاب
عاني الفؤاد موقع ذى ريبة في الكفر ليس بظاهر الأنواب
علق الشقاء بقلبه ففؤاده في الكفر آخر هذه الأحقاب

* * *

وقال كعب بن مالك في ذلك أيضاً يوجب ابن الزعرى عن كلمته :
أبقى لنا حدث الحروب بقية من حير نخلة ربنا الوهاب
بيضاء مشرقة الدرى ومما طناً حُم الجذوع غزيرة الأحلاب^(٢)
كاللوب يبدل جهمها وحفيلها للبحار وابن العم والمقتساب^(٣)
وزائعاً مثل السراج على سها حلف الشخير وجزرة المقضاب^(٤)

(١) ابن هشام : فكى .

(٢) الماطن : قال السهلى : يعنى منابت النخل عند الماء شبهها بما طن الإبل وهى مباركها عند الماء . وقوله : حم الجذوع وصفها بالحمية وهى السواد لأنها تضرب إلى السواد من الخضرة والنعمة . وشبه ما يجتنى منها بالحلب فقال : غزيرة الأحلاب . الروس ٢٠٤ / ٢ .
(٣) اللوب : جم لوبة وهى المرة ، وهى أرض ذات حجارة سود . واللوب أيضاً : النخل ، ويجوز أن يكون شبهها بالنخل فى كثرتها ، وجها وحفيلها : أراد الكثير منها . والنتاب : الزائر للمم .

(٤) الزائغ : الخيل التى تجلب إلى غير بلادها ، يريد أنهم استلبوها من الأعداء .
والمقضاب : مزرعة . كما قال السهلى : وجزتها : ما ييجز منها للغيل .
والسراج : كذا بالأصل بالميم . وى ابن هشام : مثل السراج بالماء . أى الذئاب كما قال سراج الكتاب .

عَرَى الشَّوَى مِنْهَا وَأَرْدَفَ نَحْضَهَا (١) جُرْدُ المتون وسار في الآراب (١)
 قُودًا تُرَاحَ إِلَى الصَّيَّاحِ إِذَا غَدَتْ فَمَلَ الصَّعْرَاءُ تُرَاحَ فِي السَّكَلَابِ (٢)
 وَتَحُوطُ سَائِمَةِ الدَّمَارِ وَتَارَةً تُرْدِي الْعِدَى وَتُؤَوِّبُ بِالْأَسْلَابِ (٣)
 يَمْدُونُ بِالزَّغَفِ الْمَضَاعِفِ شَكَّهُ وَبُسْرَصَاتٍ فِي الثَّقَافِ صِيَابِ (٤)
 وَصَوَارِمَ نَزَعِ الصِّبَاقِلُ عَلَيْهَا وَبَكَلٌ أَرْزَقَ مَا جَدَ الْأَنْسَابِ (٥)
 يَصِلُ الْيَمِينَ بِمَارِنٍ مُتَقَارِبٍ وَكَلَّتْ وَقِيعَتُهُ إِلَى خَبَابِ (٦)
 وَكَتَيْبَةٍ يَنْفِي الْقِرَانَ قَتِيرُهَا وَنَزَدَ حَدًّا قَوَاحِزَ لِلشَّابِ (٧)
 أَعَيْتَ أَبَا كَرِبٍ وَأَعَيْتَ تَبِعًا وَأَبَتْ بِسَالَتِهَا عَلَى الْأَعْرَابِ (٨)
 وَمَوَاعِظَ مِنْ رَبَّنَا نُهْدَى بِهَا بِلِسَانِ أَزْهَرِ طَيْبِ الْأَنْوَابِ
 عُرِضَتْ عَايِنَا فَاشْتَهَيْنَا ذِكْرَهَا مِنْ بَعْدِ مَا عُرِضَتْ عَلَى الْأَحْزَابِ
 حَكَمًا يَرَاهَا الْمَجْرُمُونَ بِزَعْمِهِمْ حَرَجًا وَيَقْهَمُهَا ذُوو الْأَبْيَابِ

-
- (١) الشوى : القوائم والنحى : اللحم . الاراب : الفاصل . وحدها لرب .
 وى ابن هشام : وسائر الآراب .
 (٢) القود : الطوال الأعناق . والصعراء : السكلاب الضارية . والسكلاب : جمع كالب
 وهو صاحب السكلاب الذى يصيدها .
 (٣) كذا بالأصل . وى ابن هشام وتحوط سائمة الدمار . الخ . والسائمة : الماشية
 المرسله فى المرعى لبلا كانت أو غيرها . وتردى : تهلك .
 (٤) يمدون . كذا بالأصل . وهو من المدو وهو الجرى . وى ابن هشام : يمدون .
 الزغف : الدروع الواسعة . والشك : الخناق والنسج . والمترصات : المحسكة ، يمس الرماح
 المثقفة . والصياب : المصيبة .
 (٥) عليها : خشونتها وتثلها .
 (٦) المارن : اللبن . ووقيعته : صقله . وخباب : اسم صيقل .
 (٧) القران : اقتران النبل واجتماعه . والقدير : رموس مسامير الدرع . والقواحر :
 قعر السهم إذا رماه فوق بين يديه . وى ط . تنفى القران .
 (٨) أبو كرب وتبع : من ملوك اليمن قبل الإسلام .

جاءت سَخِينَةُ كى تغالبَ رِبِّهَا وَلِيُغْلِبَنَّ^(١) مُغَالِبَ الْغَلَابِ
ولما قال كعب بن مالك هذا البيت : « جاءت سَخِينَةُ » إلى آخره . قال
له رسول الله صلى الله عليه وسلم : لقد شكرك الله يا كعب على قولك هذا .

* * *

وقال كعب أيضاً :

لقد عَلِمَ الأحزابُ حين تَأَلَّبُوا عَلَيْنَا وراموا دِينَنَا ما نَوَادِعُ
أَضَامِمٍ من قيس بن عيلان أَصْفَقَتْ وخِنْدَفٌ لم يَذَرُوا بما هو واقعٌ^(٢)
يذودوننا عن دِينِنَا ونَذُودهم عن الكفر والرحن رادوسامع
إذا غَايَظُونَا فى مقامِ أعاننا على غيظهم نصر من الله واسع
وذلك حفظ الله فيما وفَّضهُ علينا ومن لم يحفظ الله ضائع
هدانا لدين الحق واختاره لنا والله فوق الصانعين صنائع
وقال كعب أيضاً :

ألا أبلغ قريشاً أن سلما وما بين المرئض إلى الصماد^(٣)
نواضح فى الحروب مُدَرَّبات وخوص بَقِيَّتْ من عهدِ عادٍ^(٤)
رواكد بزجر المران فيها فليست بالجمام ولا التمام^(٥)

(١) ابن هشام : فليغلبن . ومراده بسَخِينَةُ : أريش ، وإنما كانت العرب تسميهم بذلك لكثرة أسلحتهم للعلماء السفن التى لا يتيها لغيرهم غالباً من أهل البوادي .

(٢) الأضاميم : واحدتها أضامة ، وهو كل شيء مجتمعة . وأصْفَقَتْ : اجتمعت .

(٣) سلع : جبل بسوق المدينة . والمرئض : واد بالمدينة . والصماد : جبل .

(٤) نواضح : يعنى حدائق نخل تسقى بالزنج والحوس : الآبار . وبقيت : بقيت ، وى ابن هشام : بقيت .

(٥) المران : شجر ، وهو كذلك الرماح الصلبة اللينة ، الواحدة : مرانة . والجمام : الماء الكثير . والتماد : الماء القليل .

والرواية فى ابن هشام : رواكد يزخر للرار فيها .

بلاد لم تُثر إلا لكتيما نجاله إن نشطتم للجِلاد^(١)
 أثَرنا سِكة الأنباط فيها فلمْ نر مثلاً جَلَهاتِ وادى^(٢)
 قَصَرنا كل ذى حُضر وطول على الغايات مَقدر جواد^(٣)
 أجيبونا إلى ما نَجْتدِكم من القول المبين والسداد^(٤)
 وإلا فاصبروا للجِلاد يوم لکم منا إلى شَطَر المذاذ^(٥)
 نصبحکم بكل أخى حروب وكل مُطَهَّم سَلس القيساد^(٦)
 وكل طيرة خَفَق حشاها تدفّ دَفِيفَ صفراء الجراد^(٧)
 وكل مقلّص الآراب نَهْد تَمِيم الخلق من آخر وهادى^(٨)
 خيول لا تضاع إذا أُضيعت خيول الناس فى السَّنة الجداد
 يفازعُ عن الأَعْنَةِ مُصَنِّيات إذا نادى إلى الفزع المسادى
 إذا قالت لِمَا التُّنذر استمِدّوا توكلُّنا على رَبِّ العباد
 وقلنا لن يُفَرِّج ما لَقِينا سوى ضَرْب القوانس والجهاد^(٩)
 ولم نر عَصبة فيمن لَقِينا من الأقوام من قارٍ وبادٍ^(١٠)

(١) ثَر : تحرث : والجِلاد : القتال .

(٢) السِّكة : الصف من النخل ، ومنه قوله صلى الله عليه وسلم : « خير المال سِكة مأبورة » . وقيل : هى الحديدية التى نَشَق بها الأرض . والجَلَهات : جم جَلَهة ، وهى ما كشفه السيل .

(٣) الحُضر : ارتفاع الفرس و عدوه . وى الأصل : حُضر : وما أُنْبِتته عن ابن هشام

(٤) نَجْتدِكم : نَسألكم إياه . وفى ط : نَجْتدِكم .

(٥) شَطَر المذاذ : الشطر : الجهة والناحية . والمذاذ : موضع بالمدينة حيث حفر الخندق

(٦) المطهم من الخيل : الفرس التام الخاق .

(٧) الطيرة : الفرس الجواد . وخَفَق حشاها : أى ضامرة .

(٨) المقلّص : المرتفع . والآراب : الأعضاء . والنهد : التليظ . والآخر : المعجز .

والهادى : العنق .

(٩) القوانس : جم قونس وهو أطل بيضة الحديد .

(١٠) القار : القوم . والبادى : المتقل .

أشدَّ بسالةً منا إذا ما أردناه وألين في الودادِ
إذا ما نحن أشرجنا عليها جياذ الجدل في الأرب الشداد^(١)
قدفنا في السوابغ كل صقر كريم غير معقث الزناد^(٢)
ليظهر^(٣) دينك اللهم إنا بكفك فاهدنا سبل الرشادِ

* * *

وقال حسان بن ثابت يذكر بني قريظة :
تفاقد^(١) معشرٌ نصرُوا قريشاً وليس لهم بيلدتهم نصيرُ
مُ أوتوا السكتاب فضيّموه وهم عُنى من النوراة بُودُ
كفرنم بالقران وقد أنتم بتصديق الذي قال الدديرُ
فهان على سرة بني لؤي حريق بالبويرة^(٥) مستطيرُ
ولما سمع ذلك أبو سفيان بن الحارث قال :
أدام الله ذلك من صميم وحرّق في طوائفها السيرُ
في أبيات ذكرها ابن إسحق لم يأل قائلها أن صدق حسان .
وقال في ذلك أيضا جبل بن جؤال النعالي ، وبكى النضير وقريظة ونمي

(١) أشرجنا : ربطنا . والجدل : الدروع المحكمة . والأرب : جم أربة وهي العقدة المحكمة .

(٢) المثلث : هو الذي لا يدري من أي خشب هو .

(٣) ابن هشام : لنظهر دينك .

(٤) تفاقد : فقد بعضهم بعضا .

(٥) النورية : موضع بني قريظة .

على سعد بن معاذ إسلامه مواليه منهم خلاف ما فعله عبد الله بن أبي في.
بنى قيقاع :

ألا يا سعد سعد بن معاذٍ لَمَّا لَقِيتُ قَرِيطَةَ وَالنَّضِيرُ
أَعْمَرَكَ إِنْ سَعِدَ بَنِي مَعَاذٍ غَدَاةَ تَحْمَلُوا لِمَوِ الصَّبُورُ
فَأَمَّا الْخَزْرَجِيُّ أَبُو حُبَابٍ فَقَالَ لَقِيقَاعٍ لَا تَسِيرُوا

ويقول في آخرها :

تَرَكْتُمْ قِذْرَكُمْ لَا شَيْءَ فِيهَا وَقِدْرُ الْقَوْمِ حَامِيَةٌ تَفُورُ
فَقَالَ سَعْدُ حِينَ بَلَغَهُ هَذَا الشَّعْرُ : مَنْ لَقِيَهُمْ فَلْيَحْدِثْهُمْ أَنَّهُمْ خَانُوا اللَّهَ
ورسوله فأخزاهم الله .

مقتل سلام بن أبي الحقيق

وكان سلام بن أبي الحقيق أبو رافع فيمن حزب الأحزاب على رسول الله صلى الله عليه وسلم وكان مما صنع الله به لرسوله أن هذين الحيين من الأنصار الأوس والخزرج كانا يتصاولان مع رسول الله صلى الله عليه وسلم تصاول الفحلين ، لا تصنع الأوس شيئاً فيه عن رسول الله صلى الله عليه وسلم عفاء إلا قالت الخزرج : والله لا يذهبون بهذه فضلاً علينا عند رسول الله صلى الله عليه وسلم وفي الإسلام . فلا يقتلون حتى يوقعوا مثاهاً وإذا فعلت الخزرجُ شيئاً قالت الأوس مثل ذلك .

وكانت الأوس قبل أحد قد قتلت كعب بن الأشرف في عداوته لرسول الله صلى الله عليه وسلم وتمريضه عليه ، فقالت الخزرج : والله لا يذهبون بها فضلاً علينا أبداً . فتذاكروا بمسد أن انقضى شأن الخندق وبني قريظة : من رجل لرسول الله صلى الله عليه وسلم في العداوة كابن الأشرف ؟ فذكروا ابن أبي الحقيق وهو بغيير ، فاستأذنوا رسول الله صلى الله عليه وسلم في قتله [فأذن لهم ^(١)] . فخرج إليهم من الخزرج من بني سلة خمسة نفر : عبد الله بن عتيك ، ومسمود بن سنان ، وعبد الله بن أنيس ، وأبو قتادة الحارث بن ربیع ، وخزاعي بن أسود حليف لهم من أسلم .

فخرجوا ، وأمر عليهم رسول الله صلى الله عليه وسلم عبد الله بن عتيك ونهام أن يقتلوا وليداً أو امرأة .

(١) من ابن هشام .

فخرجوا حتى إذا قدموا خير أنوا دار ابن أبي الحقيق ليلا ، فلم يدعوا بيتا في الدار إلا أغلقوه على أهله ، وكان في عُلْيَةٍ له إليها عِجْلَةٌ^(١) فأسعدوا فيها حتى قاموا على بابه ، فاستأذنوا ، فخرجت عليهم امرأة فقالت من أنتم ؟ فقالوا : أناس من العرب نلتمس الميرة . قالت : ذاكم صاحبكم فادخلوا إليه . قال : فلما دخلنا أغلقنا علينا وعليها الحجره نحوفا أن يكون دونه مُجَادِلَةٌ تحول بيننا وبينه . قال : وصاحت امرأته فذوّهت بنا ، وابتدرناه وهو على فراشه بأسيا فدا ، والله ما يدلنا عليه في سواد الليل إلا بياضه كأنه قُبْطِيَّةٌ^(٢) ملقاة . ولما صاحت بنا امرأته جعل الرجل مما يرفع عليها سيفه ثم يذكر نهي رسول الله صلى الله عليه وسلم فيكيف يده ، ولولا ذلك لفرغنا منها بليل ، فلما ضربناه تحامل عليه عبد الله بن أنيس بسيفه في بطنه حتى أنفذه وهو يقول : قَطَنِي قَطَنِي ، أَيْ حَسَنِي حَسَنِي .

قال : وخرجنا وكان عبد الله بن عتيك رجلا سيء البصر ، فوقع من الدرجة فوثت يده وثثا^(٣) شديدا . قال ابن هشام : ويقال رجله . وحملناه حتى نأى مَنَهْرًا من عيونهم فدخل فيه . قال : وأوقدوا الديران واشتدوا في كل وجه يطلبون^(٤) ، حتى إذا بدسوا رجعوا إلى صاحبهم فاكتفوه وهو يَقْضِي بينهم . فقلنا كيف لنا بأن نعلم أن عدو الله قد مات ؟ فقال رجل منا : أنا أذهب فأنظر لكم . فانطلق حتى دخل في

(١) العلية : الفرفة . والمجلة : الدرج من النخل .

(٢) القبطية : نياح بين كانت تصنع بمصر .

(٣) وثث : فكث ، أو أبها وحم بلا كسر .

(٤) ابن هشام : يطلبوننا .

الناس قال : فوجدتها^(١) ورجال يهود حوله وفي يدها المصباح تنظر في وجهه وتحديثهم وتقول : أما والله لقد سمعت صوت ابن عتيك ثم أكذبت^(٢) وقلت أني ابن عتيك بهذه البلاد. ثم أقبلت عليه تنظر في وجهه ثم قالت : فاذ وإله يهود . فما سمعت من كلمة كانت الذ إلى نفسى منها .

ثم جاءنا فأخبرنا الخبر فاحتملنا صاحبنا فقدمنا على رسول الله صلى الله عليه وسلم فأخبرناه بقتل عدو الله واختلافنا عنده في قتله ، كلنا ندعيه فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : هاتوا أسيافكم . فحشاها بها فنظر إليها فقال لسيف عبد الله بن أنيس : هذا قتله أرى فيه أترا ألعام^(٣) .

وقال حسان بن ثابت يذكر قتل كعب بن الأشرف وقتل سلام ابن أبي الحقيق :

الله دَرَّ عصابة لاقيتهم	يا بن الحقيق وانت يا بن الأشرف
يسرون بالبيض الخفاف إليكم	مرحاً كأسد في عرين مُزَف ^(٤)
حتى أنوكم في محل بلادكم	فسقوكم حتماً ببيض ذُفَف
مُسْتَهْرَجِينَ ^(٥) النصر دين نبيهم	مستصغرين لسكر أمر مُجْجَف

(١) وجدتها : يعني امرأته .

(٢) ابن هشام : ثم أكذبت نفسى .

(٣) انظر رواية البخارى في مقتل ابن أبي الحقيق و صحيحه ٢ / ٢١٤ ط الأمانة (سنة ١٢٨٠ هـ) .

(٤) مزرف : ذو شجر كبير ملتف .

(٥) و رواية لسيرة ابن هشام : مستهجرين .

ذكر إسلام عمرو بن العاص وخاله بن الوليد

رضي الله عنهما

حدث عمرو بن العاص رحمه الله قال : لما انصرفنا مع الأحزاب عن الخندق جئت رجالا من قريش كانوا يرون رأيي ويسمعون مني فقلت لهم : تعلموا والله إنني أرى أمر محمد يعلم الأمور علواً منكراً ، وإنني قد رأيت أمراً فما ترون فيه ؟ قالوا : وماذا رأيت ؟ قال رأيت أن نلتحق بالنجاشي فيسكون عنده ، فإن ظهر محمد على قومنا كنا عند النجاشي ، فإننا أن نسكون تحت يديه أحب إلينا أن نسكون تحت يدي محمد ، وإن ظهر قومنا فنحن من قد عرفوا فلان يأتينا منهم إلا خير . قالوا : إن هذا الرأي . قلت : فاجمعوا ما نهدي له ، وكان أحب ما يهدي إليه من أرضنا الأدم^(١) فجمعنا له أدماً كثيراً ، ثم خرجنا حتى قدمنا عليه ، فوالله إنا لم نده إذ جاءه عمرو بن أمية الضمري بعثه إليه رسول الله صلى الله عليه وسلم في شأن جعفر وأصحابه قال فدخل عليه ثم خرج من عنده فقلت لأصحابي : هذا عمرو بن أمية لو قد دخلت على النجاشي سألته إياه فأعطانيه فضربت عنقه ، فإذا فعلت ذلك رأت قريش أني قد أجزأت عنها حين قتلت رسول محمد قال : فدخلت عليه فسجدت له كما كنت أصنع فقال لي : مرحبا بصديقي ، أهديت لي من بلدك شيئا ؟ قلت نعم أيتها الملك ، قد أهديت لك أدماً كثيراً . ثم قربته إليه فأعجبه واشتهاه ثم

(١) الأدم : الجلد . أو أجره أو المصوغ منه .

قلت له : أيها الملك : إني قد رأيت رجلاً خرج من عندك وهو رسول رجل عدو لنا فأعطيته لأقتله فإنه قد أصاب من أشرافنا وخيارنا . قال : فغضب ثم مد يده وضرب بها أنفه ضربةً ظلمت أنه قد كسره ، فلو انشقت الأرض لدخلت فيها فرقامه ثم قلت له : أيها الملك والله لو ظلمت أنك تكره هذا ما سألتك ، قال : أنسألي أن أعطيك رسول رجل بأنه الناموس الأكبر الذي كان يأتي موسى لتقتله ؟ قلت : أؤكدك هو أيها الملك ؟ قال : ويحك عمرو أطمئني واتبعه فإنه والله املى الحق وآيظهن على من خالفه كما ظهر موسى على فرعون وجنوده . قلت : أفتبايعني له على الإسلام ؟ قال : نعم . فبسط يده فبايعته على الإسلام .

ثم خرجت إلى أصحابي وقد حال رأيي عما كنت عليه ، وكنت أصحابي إسلامي ، ثم خرجت حامداً إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم لأسلم ، فلقيتُ خالد بن الوليد وذلك قبيل الفتح ، وهو مُقبل من مكة ، فقلت : أين يا أبا سليمان ؟ قال : والله لقد استقام المنسيم^(١) وإن الرجل لآني ، أذهب والله فأسلم ، حتى متى ؟ قلت : والله ما جئتُ إلا لأسلم .

فقدِمنا المدينة على رسول الله صلى الله عليه وسلم فتقدم خالد بن الوليد فأسلم وبايع ثم دنوت فقلت : يا رسول الله إني أبايعك على أن يُغفر لي ما تقدم من ذنبي ولا أذكر ما تأخر . فقال رسول الله صلى الله عليه

(١) هامش ط : خ : المنسم . واليسم : السكواة ، وهو أثر الحسن أيضا .
ومعنى استقام المنسم : تبين الطريق ووضع .

وسلم : « ياعمرو بايع فإن الإسلام يُحِبُّ ما كان قبله ، وإن الهجرة تنجس ما كان قبلها » قال فبايعته وانصرفت .

وذكر ابن إسحق عن لا يُتهم أن عثمان بن طلحة بن أبي طلحة أخا بني عبد الدار كان معهم أسلم حين أسلم .

وذكر غيره أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال حين رآه : رمّكم مكة بأفلاذ كبدها .

وحدث الواقدي بإسناد له قال : قال عثمان بن طلحة : لقيني رسول الله صلى الله عليه وسلم بمكة قبل الهجرة فدعاني إلى الإسلام فقلت : يا محمد العجب لك حين تطمع أن أتبعك وقد خالفت قومك وجئت بدين تُحدّث ففرقت جماعتهم وألفتهم وأذهبت بهائم . فأنصرف ، وكنا نفتح الكعبة في الجاهلية يوم الاثنين والخميس ، فأقبل يوماً يريد أن يدخل الكعبة مع الناس فغلّط عليه ونلت منه وحلّ عني ثم قال : يا عثمان لعلك ستري هذا المفتاح يوماً بيدي أضعه حيث شئت . فقلت : لقد هلك قريش يومئذ وذلت . فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : بل عمرت وعزّت يومئذ . فوقعت كلمته منى موقفاً ظننت أن الأمر سيعير إلى ما قال . فأردت الإسلام فإذا قومي يزبروني^(١) زبراً شديداً ويزرون برأيي ، فأمسكت عن ذكره . فلما هاجر رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى المدينة جعلت قريش تُشفق من رجوعه عليها ، فهم على ما هم عليه

(١) يزبروني : يهينوني ويهينوني .

حتى جاء التغير إلى بَدْر ، فخرجت فيمن خرج من قومنا وشهدت المشاهد كلها معهم على رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فلما دخل رسول الله صلى الله عليه وسلم مكة عام القضية غير الله قاهي عما كان عليه ودخلني الإسلام وجعلت أفكر فيما نحن عليه وما نعيد من حجر لا يسمع ولا يبصر ولا ينفع ولا يضر ، وأنظر إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم وأصحابه وظلّ^(١) أنفسهم عن الدنيا فيقع ذلك مني فأقول : ما عمل القوم إلا على الثواب لما يكون بعد الموت . وجعلت أحب للنظر إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم ، إلى أن رأيت خارجاً من باب بني شَيْبَةَ يريد منزله بالأبطح فأردت أن آتيه وأخذ بيده وأسلم عليه فلم يُعْزِم لي على ذلك ، وانصرف رسول الله صلى الله عليه وسلم راجعاً إلى المدينة ، ثم عزم لي على الخروج إليه ، فأذلت إلى بطن يأجيج^(٢) فألقى خالد بن الوليد ، فاصطحبنا حتى نزلنا الهدية^(٣) فسا شمرنا إلا بعمرو بن العاص فاقمنا عنه واقمع منا ، ثم قال : أين يريد الرجلان ؟ فأخبرناه فقال : وأنا أريد الذي تريدان .

فاصطحبنا جميعاً حتى قدّمنا المدينة على رسول الله صلى الله عليه وسلم فبايعته على الإسلام وأتت حتى خرجت معه في غزوة الفتح ودخل مكة فقال لي : يا عثمان ابث بالفتح ، فأنيته به فأخذه مني ثم دفعه إلى وقال :

(١) الظلف: الزهد والامتناع .

(٢) يأجيج : موضع بمكة .

(٣) الهدية : موضع بين عسفان ومكة .

— ٢٠٥ —

خذوها نالدةً خالدةً ولا ينزعها منكم إلا ظالم ، يا عثمان إن الله استأمنكم
على بيته فاسكّلوا مما يصل إليكم من هذا البيت بالمعروف .

قال عثمان : فلما وليت ناداني فرجعت إليه فقال : ألم يكن الذي قلت
لك ؟ فذكرت قوله لي قبل الهجرة بمكة : « لعلك ستري هذا المفتاح
يوماً بيدي أخيه حيث شئتُ » فقلت : بلى ، أشهد أنك رسولُ الله !
قال الواقدي : فهذا أثبت الوجوه في إسلام عثمان .

غزوة بنى لحَيان

وخرج رسول الله صلى الله عليه وسلم على رأس ستة أشهر من فتح بنى قريظة إلى لحَيان يطلبهم بأصحاب الرجيع خُيَيب وأصحابه ، وأظهر أنه يريد الشام ليصيب من القوم غيرة .

فلما انتهى إلى منازلهم بئرَان وهو واد بين أمّج وعُسفان وجدّهم قد حذروا وتمتعوا في رموس الجبال . فلما أخطأ من غرتهم ما أراد قال : لو أنا هبطنا عُسفان لرأى أهل مكة أننا قد جئنا مكة . فخرج في مائتي راكب من أصحابه حتى نزل عُسفان ثم بعث فارسَيْن من أصحابه حتى بانسا كُرَاع القِيم^(١) ثم كرا وراح رسول الله صلى الله عليه وسلم قافلا .

فسكان جابر بن عبد الله يقول سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول حين وجه راجعاً : « آيئون تائبون إن شاء الله ، لدينا حامدون ، أعوذ بالله من وعناء السفر وكآبة القلب وسوء المنظر في الأهل والمال » .

غارة عُيَيْنَة بن حِصْن على سرح المدينة

وخرج النبي صلى الله عليه وسلم في أثره ، وهي غزوة ذى قرد ولما قدّم رسول الله صلى الله عليه وسلم للمدينة من غزوة بنى لحَيان لم يَقم بالمدينة إلا ليال قلائل ، حتى أغار عُيَيْنَة بن حِصْن في خيل من غَطَامان على إقحاح رسول الله صلى الله عليه وسلم بالنسابة ، وفيها رجل من بنى غفار وامرأة له ، فقتلوا الرجل واحتملوا المرأة في الإقحاح .

(١) كراع القِيم : موضع على ثلاثة أميال من عُسفان .

وكان أول أول من نذر بهم سلمة [بن عمرو^(١)] بن الأ كوع الأسلى ،
غدا يريد الغابة متوشحاً سيفه^(٢) ونبله ومعه غلام لطلحة بن عبيد الله معه
معه فرس يقوده ، حتى إذا علا ثنية الوداع نظر إلى بعض خيولهم فأشرف
ناحية سلع ثم صرخ : واصباحاه . ثم خرج يشد في آثار القوم وكان مثل
السميع ، حتى لحق القوم فجعل يردم بالنبل ويقول إذا رمى :

خذها وأنا ابن الأ كوع اليوم يوم الرضخ^(٣)
فإذا وجهت الخيل نحوه انطلق هارباً ثم عارضهم فإذا أمكنه الرمي رمى
ثم قال :

خذها وأنا ابن الأ كوع اليوم يوم الرضخ
فيقول قائلهم : أأ كعيماً^(٤) هو أول النهار .

وبلغ رسول الله صلى الله عليه وسلم صباح ابن الأ كوع فصرخ بالمدينة
للفرزح الفرزح . فترامت الخيل إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فكان
أول من انتهى إليه من الفرسان المقداد بن عمرو ، وهو الذي يقال له المقداد
ابن الأسود . ثم كان أول فارس وقف على رسول الله صلى الله عليه وسلم
بعد المقداد من الأنصار عباد بن بشر وسعد بن زيد الأشهليان وأستيد بن
ظهير الحارثي ، يشك فيه ، وعكاشة بن محصن ، ونجرز بن نضلة الأسديان
وأبو قتادة السلمي وأبو عياش الزرقى .

(١) من ابن هشام وابن كثير .

(٢) ابن هشام وابن كثير : متوشحاً قوسه .

(٣) الرضخ : جم راضخ وهو اللثيم . أى يوم هلاك اللثام .

(٤) كذا في الأصل . وفي ابن كثير : أو يكمننا . بهز استفهام وواو . ومعناها :
يخوفنا أو يصرفنا عن غايتنا . أما محققو سيرة ابن هشام فقد ضبطوها بالتصغير بضم الهـزة
وفتح الواو وسكون الميم . ولا معنى لها . ولعل ما أنبتته الكلاعي هنا هو العوالب في
التصغير ، إذ هو تصغير الأ كوع .

فلما اجتمعوا إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم أمّر عليهم سعد بن زيد وقال : اخرج في طلب القوم حتى ألحقك في الداس . وقال لأبي عبيش : يا أبا عبيش لو أعطيت هذا الفرس رجلاً هو أفرس منك فلحق بالداس . قال أبو عبيش : فقلت يا رسول الله أنا أفرس للداس . ثم ضربت الفرس فوالله ما جرى بي خمسين ذراعاً حتى طرحتني ، فمجبت أن رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول لو أعطيته أفرس منك وأقول : أنا أفرس للداس ! فأعطى رسول الله صلى الله عليه وسلم فرس أبي عبيش هذا فيما زعموا ، معاذ بن معص أو عائذ بن معص ، فسكان^(١) ثامنا .

فخرج الفرسان في طلب القوم حتى نلاحقوا ، وكان أول فارس لحق بالقوم محرز بن نضلة الأخرم ، ويقال له أيضاً قير ، ولما كان الفزع جال فرس لمحمود بن مسلة في الحائط وهو مربوط بجذع نخل حين سمع صاهلة الخيل ، وكان فرساً صليماً جاماً^(٢) فقال لبعض نساء بني عبد الأشهل : يا قميّر هل لك في أن ترك هذا الفرس فإنه كما ترى ، ثم تلحق برسول الله صلى الله عليه وسلم وبالمسلمين ؟ قال : نعم فأعطيه إياه . فخرج عليه فلم يلبث أن بز الخيل بجمامه حتى أدرك القوم ، فوقف لهم بين أيديهم ثم قال قفوا بني الأسكينة حتى يلحق بكم من وراءكم من المهاجرين والأنصار ، وحمل عليه رجل منهم ، وجال الفرس فلم يقدر عليه حتى وقف على آريه^(٣) في بني عبد الأشهل .

(١) ابن هشام : وكان ثامنا .

(٢) الفرس الصنيع : الذي يخدمه أهله ويقومون عليه والجام : المستريح .

(٣) وقف على آريه : أي رجع إلى مربطه الذي كان فيه من المدينة .

فَقِيلَ لَمْ يُقْتَلْ مِنَ الْمُسْلِمِينَ يَوْمَئِذٍ غَيْرُهُ وَقَدْ قِيلَ إِنَّهُ قُتِلَ مَعَهُ وَقَاصٍ بْنُ حُحْرَزٍ^(١) الْمَدَنِيَّ .

وَلَمَّا تَلَا حَقَّتِ الْخَبْرُ قَتَلَ أَبُو قَتَادَةَ حَبِيبَ بْنِ عَمِيْنَةَ بْنِ حِصْنٍ وَغَشَاهُ بُرْدَهُ نَحْمَ الْحَقِّ بِالنَّاسِ ، وَأَقْبَلَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فِي الْمُسْلِمِينَ فَإِذَا حَبِيبٌ مُسَجًى بِبُرْدِ أَبِي قَتَادَةَ ، فَاسْتَرَجَعَ النَّاسُ وَقَالُوا : قُتِلَ أَبُو قَتَادَةَ ، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : لَيْسَ بِأَبِي قَتَادَةَ ، وَلَسْكَهَ قَتِيلٌ لِأَبِي قَتَادَةَ وَضَعَ عَلَيْهِ بُرْدَهُ لِيَعْرِفُوا أَنَّهُ صَاحِبُهُ .

وَأَدْرَكَ عُكَّاشَةَ بْنَ مَخْصَنٍ أَوْبَارًا وَابْنَهُ عَمْرُو بْنُ أَوْبَارٍ وَهَمَّا عَلَى بَعِيرٍ وَاحِدٍ فَانْتَظَمَهَا بِالرَّمْحِ فَقَتَلَهُمَا جَمِيعًا ، وَاسْتَفْزَدُوا بَعْضَ الْأَقْبَاحِ .

وَسَارَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ حَتَّى نَزَلَ بِالْجَبَلِ مِنْ ذِي قَرْدٍ وَتَلَا حَقِّ بِهِ النَّاسِ ، وَأَقَامَ عَلَيْهِ يَوْمًا وَلَيْلَةً ، وَقَالَ لَهُ أَبُو سَلَمَةَ بْنُ الْأَكْوَعِ : يَا رَسُولَ اللَّهِ لَوْ سَرَّخْتَنِي فِي مِائَةِ رَجُلٍ لَأَسْتَفْزَدْتَ بَقِيَّةَ السَّرَّحِ وَأَخَذْتُ بِأَعْنَاقِ الْقَوْمِ ، فَقَالَ لَهُ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : إِنَّهُمْ الْآنَ يُغَبِّقُونَ^(٢) فِي غَطَفَانَ .

فَقَسَمَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : فِي أَصْحَابِهِ فِي كُلِّ مِائَةِ رَجُلٍ جِزْرًا . وَأَقَامُوا عَلَيْهِ ثُمَّ رَجَعُوا قَافِلًا إِلَى الْمَدِينَةِ .

وَأَفْلَتَتْ امْرَأَةُ الْغِفَارِيِّ عَلَى نَاقَةٍ مِنْ إِبِلِ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ حَتَّى قَدِمَتْ عَلَيْهِ فَأَخْبَرَتْهُ الْخَبْرَ ، فَلَمَّا فَرَّغَتْ قَالَتْ يَا رَسُولَ اللَّهِ إِنِّي قَدْ نَذَرْتُ لِلَّهِ أَنْ أَنْجِرَهَا إِنْ نَجَّيَنِي اللَّهُ عَلَيْهَا ، فَتَبَسَّمَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ثُمَّ قَالَ : بئس

(١) حُرْز : كَذَا بِالْأَسْلِ . وَفِي سِيرَةِ ابْنِ كَثِيرٍ : ٣ / ٢٨٨ : بَجَزْ ، وَهُوَ كَذَلِكَ فِي الْأَسْتِغَابِ لِابْنِ عَبْدِ الرَّحْمَنِ وَالْمُشْتَبِهَ لِلذَّهَبِيِّ .

(٢) يُغَبِّقُونَ : يَشْرَبُونَ النَّبُوقَ ، وَهُوَ مَا يَشْرَبُ بِالْمَتْنِيِّ .

ما جزيتها أن حملك الله عليها ونجّاك بها ثم تنحريها ، إنه لا نذر في معصية الله ولا فيما لا يملكين ، إنما هي ناقة من إبل أرجى إلى أهلك على بركة الله .

فهذا حديث ابن إسحق عن غزوة ذي قرد .

وخرج مُسلم بن الحجاج رحمه الله حديثاً في صحيحه^(١) بإسناد إلى سلمة ابن الأكوع فذكر حديثاً طويلاً خالف به حديث ابن إسحق في مواضع منه ، فمن ذلك : أن هذه الغزوة كانت بعد انصراف الرسول صلى الله عليه وسلم من الحديبية وجعلها ابن إسحق قبل ذلك ، وكذلك فعل ابن عُبَيْة .

وفيه أن سلمة بن الأكوع استنقذ سَرَحَ رسول الله صلى الله عليه وسلم بجملته ، قال سلمة : فوالله ما زلت أرميهم وأعقر بهم فإذا رجعت إلى فارس أنيتُ شجرة فجلست في أصلها ثم رميته فمقرت به حتى إذا تضابق الجبلُ فدخلوا في تضابقه علوتُ الجبلَ فجعلت أُرْدِّبهم^(٢) بالحجارة . فما زلت كذلك أنبهم حتى ما خلق الله من بعير من ظهر رسول الله صلى الله عليه وسلم إلا خلفته وراء ظهرى وخلوا بينى وبينه ، ثم اتبعهم أرميهم حتى أقوا أكثر من ثلاثين بُردة وثلاثين رحماً يستخفون ، ولا يطرحون شيئاً إلا جعلت عليه آراماً^(٣) من الحجارة يعرفها رسول الله صلى الله عليه وسلم وأصحابه حتى أنوا متضابقاً من ثنية [فإذا هم قد^(٤)] أتاهم فلان بن بدر الفزاري ، فجلسوا يتنصجون أى يتعدون وجلست على رأس قرْن . قال الفزاري : ما هذا الذى أرى قالوا أقيماً من هذا

(١) صحيح مسلم كتاب الجهاد باب غزوة ذي قرد وغيرها ٨٩ / ط استامبول

(٢) أُرْدِيبهم : أرميهم بالحجارة من أعلى الجبال فتسقطهم وتهزمهم .

(٣) الآرام : حجارة تجم وتصبب في المفاصل يهتدى بها ، واحدها إرم ، كمنب وأعنان

(٤) من صحيح مسلم .

الْبَرْح^(١) ، والله ما فارقنا منذ غَاسِ بِرَمِينَا حَتَّى انْتَزَعَ كُل شَيْءٍ فِي أَيْدِينَا . قَالَ فَلَیْقَمَ إِلَیْهِ نَفَرٌ مِنْكُمْ أَرْبَعَةٌ ، قَالَ : فَصَعِدَ إِلَى مِنْهُمْ أَرْبَعَةٌ فِي الْجَبَلِ ، فَلَمَّا امْكُنُونِي مِنَ السَّكَّامِ قُلْتُ : هَلْ تَعْرِفُونَنِي ؟ قَالُوا : لَا وَمَنْ أَنْتَ ؟ قُلْتُ : أَنَا سَلَمَةُ بْنُ الْأَكْوَعِ وَالَّذِي كَرَّمَ وَجْهَ مُحَمَّدٍ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لَا أُطْلَبُ رَجُلًا مِنْكُمْ إِلَّا أَدْرَكْتُهُ وَلَا يَطْلُبُنِي فَيَدْرِكُنِي . قَالَ أَحَدُهُمْ : أَنَا أَظُنُّ ذَلِكَ فَرَجَعُوا .

فَا بَرَحْتُ مَكَانِي حَتَّى رَأَيْتُ فَوَارِسَ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَتَخَلَّلُونَ الشَّجَرَ^(٢) ، فَإِذَا أَوْلَمَ الْأَخْرَمُ الْأَسَدِي ، عَلَى إِثْرِهِ أَبُو قَتَادَةَ الْأَنْصَارِيُّ وَعَلَى إِثْرِهِ الْمُقَدَّادُ بْنُ الْأَسْوَدِ السَّكَنْدِيُّ فَأَخَذْتُ بَعْنَانَ الْأَخْرَمِ فَوَلَّوْا مَدْبِرِينَ قُلْتُ : يَا أَخْرَمُ احْذَرِمْ لَا يَقْطَعُوكَ^(٣) حَتَّى يَلْحَقَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَأَصْحَابُهُ قَالَ : يَا سَلَمَةُ إِنْ كُنْتَ تَوَكَّلُ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَتَعْلَمُ أَنَّ الْجَنَّةَ حَقٌّ وَالنَّارَ حَقٌّ فَلَا تَحُلْ بَيْنِي وَبَيْنَ الشَّهَادَةِ . قَالَ : نَخْلَيْتُهُ فَالْتَقَى هُوَ وَعَبْدُ الرَّحْمَنِ قَالَ : قَالَ فَعَمَّرَ بَعْدَ الرَّحْمَنِ فَرَسَهُ وَطَعَمَهُ عَبْدُ الرَّحْمَنِ فَقَتَلَهُ ، وَتَحَوَّلَ عَلَى فَرَسِهِ . وَلَحِقَ أَبُو قَتَادَةَ فَارِسَ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بَعْدَ الرَّحْمَنِ فَطَعَمَهُ فَقَتَلَهُ ، فَوَالَّذِي كَرَّمَ وَجْهَ مُحَمَّدٍ لَتَقْبَلَهُمْ أَعْدَاؤُهُ عَلَى رَجُلٍ حَتَّى مَا أَرَى مِنْ وَرَائِي مِنْ أَصْحَابِ مُحَمَّدٍ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَلَا غِبَارِهِمْ شَيْئًا ، حَتَّى يَمْدُلُوا قَبْلَ غُرُوبِ الشَّمْسِ إِلَى شَعْبٍ فِيهِ مَاءٌ يُقَالُ لَهُ ذَوْقَرْدٌ لِيَشْرَبُوا مِنْهُ وَمِنْ عِطَاشٍ ، فَنَظَرُوا إِلَيَّ أَعْدَاؤِي وَرَأَيْتُ فَعَجَلًا^(٤) مِنْهُمْ . فَاذْأَقُوا مِنْهُ قَطْرَةً ، وَيَخْرُجُونَ فَيَسْتَدُونَ فِي ثَنِيَّةٍ فَأَعْدُوا

(١) البرح : الشدة . (٢) يتخللون الشجر : يعمرون من خلاله .

(٣) لا يقطعوك : لا يأخذوك ويفردوا بك فيفصلوك عن أصحابك .

(٤) حلالهم : منعهم منه . والرواية في صحيح مسلم : فخلبتهم بقاب الهزرة ياء على غير

قياس وفسره في الصحيح بأن معناه : أجلبتهم منه .

فألقى رجلاً منهم فأمسكه بسهم في نفض كتفه^(١) قلت :
 خذها وأنا ابن الأكواع واليوم يوم الرضع
 قال يا شكيتة أمه أأكواعه بكرة؟^(٢) قلت : نعم يا عدو نفسه أكواعه^(٣)
 بكرة .

قال : وأردوا^(٤) فرسين على ثنية فجئت بهما أسوقهما إلى رسول الله
 صلى الله عليه وسلم ، ولحقني عامر بسطيحة فيها مذقة^(٥) من لبن وسطيحة فيها
 ماء فتوضأت وشربت ثم أتيت رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو على الماء
 الذي حلائلهم عنه قد أخذ تلك الإبل وكل شيء استنفذته من المشركين
 وكل رمح وكل بريدة ، وإذا بلال نحر ناقة من الإبل التي استنفذت من
 القوم ، وإذا هو يشوي^(٦) لرسول الله صلى الله عليه وسلم من كبدها وسماهها ،
 قلت : يا رسول الله خلني فأتخب من القوم مائة رجل فاتبع القوم فلا يبقى
 منهم نخبر إلا قتلته . فضحك رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى بدت نواجذه
 في ضوء النار قال : يا سلمة أتراك كدت فاعلاً ؟ قلت : نعم ، والذي أكرمك ،
 قال : إنهم الآن ليقرّون بأرض غطفان . قال : فجاء رجل من غطفان فقال :
 نحر لم فلان جزوراً فلما كشطوا جلدها رأوا غباراً فقالوا : أناكم القوم
 نخرجوا هاربين .

* * *

(١) النفض : الرقيق اللين من عظم الكتف .
 (٢) أكواعه بكرة : أي هذا الأكواع الذي كان يرتجز لنا به صباح هذا النهار قد
 عاد يرتجز لنا به آخره .
 (٣) رواية الصحيح : أكواعك بكرة .
 (٤) أردوا فرسين : أتبعوهما وأجهدوهما .
 (٥) السطيحة : نوع من المزاود . والمذقة : اللبن المزوج بالماء .
 (٦) صبيح مسلم : يشوي .

فلهما أصبحنا قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : كان خير فرساننا اليوم
أبو قتادة ، وخير رجالنا سلمة . ثم أعطاني رسول الله صلى الله عليه وسلم
سهمين سهم للفارس وسهم الراجل فجمعتهما الى جميعاً .

وذكر الزبير بن أبى بكر أن رسول الله صلى الله عليه وسلم مرّ في غزوة
ذى قرد هذه على ماء يقال له بيسان فسأل عنه ف قيل اسمه يا رسول الله بيسان
وهو مالح فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : لا بل اسمه نهمان وهو طيب .
فغير رسول الله صلى الله عليه وسلم الاسم وغير الله تعالى الماء . فاشتراه طلحة
ابن عبيد الله ثم تصدّق به وجاء إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم فأخبره
فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : ما أنت يا طلحة إلا قياض . فمضى
طلحة القياض .

* * *

وكان مما قيل من الشعر في يوم ذى قرد قول حسان بن ثابت :

أُظُنَّ عَيْنِيَّةَ إِذْ زَارَهَا بَأْسَ سَوْفَ يَهْدُمُ مِنْهَا ^(١) قُصُورًا
فَأَكْذَبَتْ مَا كُنْتَ صَدَّقْتَهُ وَقُلْتُمْ سَنَنْتُمْ أَمْرًا كَبِيرًا
فَعِغَتْ الْمَدِينَةُ إِذْ زُرَّتْهَا وَأَنْتَ الْأَشَدُّ فِيهَا زُنْبِيرًا
وَوَلَّوْا سِرَاعًا كَشَدَّ الْأَنْعَامِ وَلَمْ يَكْشِفُوا عَنْ مُلِيطٍ حَصِيرًا ^(٢)
أَمِيرٌ عَلَيْهِ رَسُولُ الْمَلِكِ أَحَبُّ بِذَلِكَ إِلَيْنَا أَمِيرًا
رَسُولٌ نَصَدَّقَ مَا جَاءَهُ وَنَقُولُ ^(٣) كِتَابًا مُضِيئًا مَدِيرًا

(١) ابن هشام : فيها .

(٢) اللط : الناقة ، من قولهم : أُلطت الناقة بذنبها إذا أدخلته بين رجلَيْها .
والحصير : ما يكف به حول الإبل من عيدان الحظيرة .

(٣) ابن هشام : ويتلو .

وقال كعب بن مالك :

أَتَحْسَبُ أَوْلَادُ اللَّاقِيطَةِ أَنَّنَا عَلَى الْخَلِيلِ لَسْنَا مِثْلَهُمْ فِي الْقَوَارِسِ
وَأَنَا أَنَا لَأَنْزَى لِلْقَتْلِ سُبَّةً وَلَا نَنْتَنِي عَبْدَ الرَّمَاحِ الْمَدَاعِسِ^(١)
وَأَنَا لَنَقْرَى الضَّيْفَ مِنْ قَمْعِ الدُّرَى

ونضرب رأسَ الأبلجِ المتشـاوسِ^(٢)

نَزِدَ كُفَاةَ الْمُعْلَمِينَ إِذَا انْتَحَوْا بِضَرْبِ بَسَلَى نَحْوَةِ الْمُتَقَاعِسِ^(٣)
بِكُلِّ فَتَى حَامِي الْحَقِيقَةِ مَاجِدٍ كَرِيمٍ كَسَرَحَانَ الْغَضَاءِ خَالِسِ^(٤)
يَذُودُونَ عَنْ أَحْسَابِهِمْ وَتِلَادِهِمْ بِيضِ تَقْدُ الْهَامِ تَحْتَ الْقَوَاسِ^(٥)
فَسَائِلُ بَنِي بَدْرٍ إِذَا مَا لَقِيَتْهُمْ بِمَا فَعَلَ الْإِخْوَانُ يَوْمَ التَّمَارِسِ^(٦)
إِذَا مَا خَرَجْتُمْ فَاصْذُقُوا مِنْ لَقِيمَتِهِمْ وَلَا تَسْكُمُوا أَخْبَارَكُمْ فِي الْمَجَالِسِ
وَقُولُوا زَلَّلْنَا عَنْ مَخَالِبِ خَادِرٍ بِهِ وَحَرَّ فِي الصَّدْرِ مَا لَمْ يَمَارِسِ^(٧)

وقال شداد بن عارض الجشمي في يوم ذي قرد لعُيَيْبَةَ بن حصن وكان
عييبة يكنى أبا مالك :

فَهَلَّا كَرَّرْتَ أَبَا مَالِكٍ وَخَيْلِكَ مُدْبِرَةَ تَقْتَلُ

(١) المداعس : الرماح التي لا تنتهي .

(٢) القمع : جمع قمة . وهي أعلى سنام البعير . والأبلج : المشرق .

والتشاوس : المتسكر . وفي ابن هشام : الأبلج .

(٣) السكاهة : القوارس . والمتقاعس : الذي لا يلين .

(٤) السرحان : الذئب . والغضاء : شجرة وجهها غففى . وتروى : الغضاء . وهو

شجر ضخم .

(٥) القواس : أعالي بيش الحديد .

(٦) التمارس : المجادلة في الحرب .

(٧) الخادر : الأسد الذي يلزم أجفاه . والوحر : الحقد .

ذَكَرْتَ الْإِيَابَ إِلَى عَسْجَدٍ وَهِيَّاتٍ قَدْ بَعْدَ الْمُقْقَلِ^(١)
 وَضَمَنْتَ نَفْسَكَ ذَا مَيْعَةٍ مَسَحَّ الْفَضَاءَ إِذَا يَرْسَلُ^(٢)
 إِذَا قَبَّضَتْهُ إِلَيْكَ الشَّمَالُ جَاشَ كَمَا اضْطَرَمَّ الْمَرْجَلُ
 فَلَمَّا عَرَفْتُمْ عَهَادَ الْإِلَهِ لَمْ يَنْظُرِ الْآخِرَ الْأَوَّلُ
 عَرَفْتُمْ فَوَارِسَ قَدْ عَوَّدُوا طِرَادَ السَّكَمَةِ إِذَا أُسْهِلُوا^(٣)
 إِذَا طَرَدُوا التَّلِيلَ تَشَقَّى بِهِمْ فَضَاحًا وَإِنْ يُطَرَّدُوا يَنْزَلُوا^(٤)
 قَيْمَتَهُمْ فِي سَوَاءِ الْمَقَامِ بِالْبَيْضِ أَخْلَصَهَا لِلْمَيْقِلِ^(٥)

(١) عَسْجَدٌ : موضع . وفي ابن هشام : عَسْجَر . بالراء .
 (٢) ذَا مَيْعَةٍ : يريد فرساً ذا نشاط وقوة . والمسح : السريح الجري .
 (٣) أُسْهِلُوا : نزلوا بالسهل .
 (٤) فَضَاحًا : فاضحة .
 (٥) أَخْلَصَهَا الْمَيْقِلُ : جلاها .

غزوة بنى المصطلق

وهي غزوة المُرَيْسِيع

وغزا رسولُ الله صلى الله عليه وسلم بنى المصطلق من خزاعة في شعبان سنة ست ، وكان بلغه أنهم يجمعون له ، وقائدهم الحارث بن أبي ضرار أبو جَوَيزِية زوج النبي صلى الله عليه وسلم .

فلما سمع بهم رسولُ الله صلى الله عليه وسلم خرج إليهم حتى لقيهم على ماء من مياههم يقال له المُرَيْسِيع فتزاحف الناسُ واقتتلوا ، فهزم الله بنى المصطلق وقتل من قتل منهم ونقلُ رسوله أبناءهم وساءهم وأموالهم .

وكان شعار المسلمين في ذلك اليوم : يامُصُورِ أُمِّتِ أُمَّت .

وأصاب يومئذ رجلٌ من الأنصار من رهط عبادة بن الصامت رجلاً من المسلمين من بنى كلب بن عوف بن عامر بن أمية بن إيث بن بكر يقال له هشام ابن صُبَّابة وهو يرى أنه من المدد فقتله خطأ .

[من كيد المنافقين]

فَبَيَّهَ النَّاسُ عَلَى ذَلِكَ الْمَاءِ وَرَدَتْ وَارِدَةُ النَّاسِ وَمَعَ عُمَرُ بْنُ الْخَطَّابِ أَجِيرٌ لَهُ مِنْ غِفَّارٍ يُقَالُ لَهُ جَهْمُجَاهُ بْنُ مَسْعُودٍ يَقُودُ فَرَسَهُ فَازْدَحَمَ جَهْمُجَاهُ وَسَيْنَانُ بْنُ وَبَرٍ الْجُهَنِيُّ حَلِيفُ بَنِي عَوْفٍ مِنَ الْخَزْرَجِ عَلَى الْمَاءِ فَاقْتَتَلَا ، فَصَرَخَ الْجُهَنِيُّ : يَامَعْشَرَ الْأَنْصَارِ . وَصَرَخَ جَهْمُجَاهُ : يَامَعْشَرَ الْمُهَاجِرِينَ . فَغَضِبَ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ أَبِي بَرْزَةَ قَالَ : أَدْعُوهُمْ ؟ قَدْ نَافَرُونَا وَكَافَرُونَا فِي بِلَادِنَا ، وَاللَّهِ مَا أَعْدُنَا وَجَلَّالَيْبِ قَرِيشٍ هَؤُلَاءِ إِلَّا كَمَا قَالَ الْأَوَّلُ : سَمَنْ كَلْبِكَ يَا كَلْبُكُ أَمَا وَاللَّهِ لئن

رجعنا إلى المدينة لِيُخْرِجَ الْأَعَزُّ مِنْهَا الْأَذْلَ . ثُمَّ أَقْبَلَ عَلَى مَنْ حَضَرَهُ مِنْ قَوْمِهِ
وَفِيهِمْ زَيْدُ بْنُ أَرْقَمَ غَلَامٌ حَدَّثَ قَطَالُ : هَذَا مَا فَعَلْتُمْ بِأَقْسَمِكُمْ أَخْلَقْتُمُوهُمْ بِلَادَكُمْ
وَقَاتَمْتُمُوهُمْ أَمْوَالَكُمْ ، أَمَّا وَاللَّهِ لَوْ أَمْسَكْتُمْ عَنْهُمْ مَا بَأَيْدِيكُمْ لِتَحْوِلُوا إِلَى غَيْرِ
دَارِكُمْ .

فَنَشَى زَيْدُ بْنُ أَرْقَمَ إِلَى رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَأَخْبَرَهُ الْخَبَرَ ،
وَذَلِكَ عِنْدَ فَرَاغِهِ مِنْ عُدْوَةٍ ، وَعِنْدَهُ عُمَرُ بْنُ الْخَطَّابِ فَقَالَ لَهُ مُرْ بِهِ عَبَادُ بْنُ
بِشْرِ فَلْيَقْتُلْهُ . فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : فَكَيْفَ يَا عُمَرُ إِذَا تَجَدَّدَتْ
النَّاسُ أَنْ مُحَمَّدًا يَقْتُلُ أَصْحَابَهُ ، لَا وَلَكِنْ أَذُنٌ بِالرَّحِيلِ . وَذَلِكَ فِي سَاعَةٍ لَمْ يَكُنْ
رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَرْتَحِلُ فِيهَا .

فَارْتَحِلَ النَّاسُ وَقَدْ مَشَى عَبْدُ اللَّهِ بْنُ أَبِي إِلَى رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ
حِينَ بَلَغَهُ أَنْ زَيْدًا بَلَغَهُ مَا سَمِعَ مِنْهُ خَلْفَ اللَّهِ مَا قُلْتُ مَا قَالَ وَلَا تَكَلَّمْتُ بِهِ .
وَكَانَ فِي قَوْمِهِ شَرِيفًا عَظِيمًا ، فَقَالَ مَنْ حَضَرَ مِنَ الْأَنْصَارِ مِنْ أَصْحَابِهِ : يَا رَسُولَ اللَّهِ
عَسَى أَنْ يَكُونَ لِلْغُلَامِ أَوْهَمٌ فِي حَدِيثِهِ وَلَمْ يَحْفَظْ مَا قَالَهُ الرَّجُلُ . حَدَّثَنَا عَلَى بْنُ أَبِي
وَدْفَعَا عَنْهُ .

فَلَمَّا اسْتَقْبَلَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَسَارَ لَقِيَهُ أُسَيْدُ بْنُ حُضَيْرٍ خُضَيْيًّا
بِتَحِيَّةِ اللَّبْوَةِ وَسَلَّمَ عَلَيْهِ ثُمَّ قَالَ : يَا نَبِيَّ اللَّهِ وَاللَّهِ لَرُحَّتَ فِي سَاعَةٍ مَفْكَرَةٌ مَا كَفَتْ
تَرْوِجُ فِي مِثْلِهَا . فَقَالَ لَهُ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : أَرَأَيْتَ مَا بَلَغَكَ مَا قَالَ
صَاحِبُكُمْ ؟ قَالَ وَائِيَّ صَاحِبِ يَارَسُولَ اللَّهِ ؟ قَالَ : عَبْدُ اللَّهِ بْنُ أَبِي . قَالَ : وَمَا قَالَ ؟
قَالَ : زَعَمَ أَنَّهُ إِنْ رَجَعَ إِلَى الْمَدِينَةِ أَخْرَجَ الْأَعَزُّ مِنْهَا الْأَذْلَ .

قَالَ : فَأَنْتَ وَاللَّهِ يَا رَسُولَ اللَّهِ تَخْرِجُهُ إِنْ شِئْتَ ، هُوَ وَاللَّهِ الْقَلِيلُ وَأَنْتَ

للمزير . ثم قال : يا رسول الله صلى الله عليك ارفق به ، فوالله لقد جاء الله بك وإن قومك لينظّمون له الخرز ليتوّجوه فإنه ليرى أن قد استلبته منك ١

ثم مشى رسول الله صلى الله عليه وسلم بالناس يومهم ذلك حتى أمسى وليلتهم حتى أصبح ، وسار^(١) يومهم ذلك حتى آذتهم الشمس ثم نزل بالناس فلم يلبثوا أن وجدوا مس الأرض فوقعوا نياماً ، وإنما فعل ذلك ليشغل الناس عن الحديث الذي كان بالأمس ثم راح بالناس ، فهبت عليهم ريح شديدة آذتهم وتخوفوها ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : لا تخافوها فإنما هبت لموت عظيم من الكفار . فلما قدموا المدينة وجدوا رفاعه بن زيد بن التابوت أحد بني قينقاع وكان من عظماء يهود وكمماً للمنافقين مات في ذلك اليوم .

ونزلت للسورة التي ذكر الله فيها المنافقين في عبد الله بن أبي ومن كان على مثل أمره . فلما نزلت أخذ رسول الله صلى الله عليه وسلم بأذن زيد بن أرقم ثم قال : هذا الذي أوفى الله بأذنه .

وبلغ عبد الله بن عبد الله بن أبي الذي كان من أمر أبيه ، فأنى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال : يا رسول الله إنه بلغني أنك تريد قتل عبد الله بن أبي فيما بلغك عنه ، فإن كنت فاعلا فرني فأنا أحمل إليك رأسه ، فوالله لقد علمت الخزرج ما كان بها من رجل أبرّ بوالده مني ، إني أخشى أن تأمر به غيري فيقتله فلا تدعني نفسي أنظر إلى قاتل عبد الله بن أبي يمشي في الناس فأقتله فأقتل مؤمناً بكافر فأدخل النار .

فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : بل نفرق به ونحسن صحبته ما بقي مملاً .

(١) ابن هشام : وسدر يومهم ذلك .

وجعل بعد ذلك إذا أحدث الحدث كان قومهم الذين يمانون به ويأخذونه ويعتقونه ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم لعمر بن الخطاب حين بلغه ذلك من شأنهم : كيف ترى يا عمر ؟ أما والله لو قتلته يوم قلت لي اقلته لأرعدت له أنف لو أمرتها اليوم بقتله لقتلته ! فقال عمر : قد والله علمتُ لأمر رسول الله صلى الله عليه وسلم أعظم بركة من أمرى .

* * *

وقدم مقيس بن صُبابة من مكة متظاهرا بالإسلام فقال : يا رسول الله جئتُك مسلما ، وجئتُك أطلب دية أخى قتل خطأ فأمر له رسول الله صلى الله عليه وسلم بدية أخيه هشام بن صُبابة ، فأقام عند رسول الله صلى الله عليه وسلم غير كثير ثم عدا على قاتل أخيه فقتله . ثم خرج إلى مكة مرتدًا وقال في شعره :

شَفَى النَّفْسَ أَنْ قَدَّ بَاتَ بِالْقَاعِ مُسْتَفِدَا
تَضَرَّجَ ثَوْبِيهِ دِمَاءَ الْأَخَادِعِ^(١)
وَكَانَتْ هُمُومُ النَّفْسِ مِنْ قَبْلِ قَتْلِهِ
تَلَمَّ فَتَحَمِيْنِي وِطَاءَ الْمَضَاجِعِ^(٢)
حَلَّتْ بِهِ وَتَرَى وَأَدْرَكَتْ ثَوْرَتِي
وَكُنْتُ إِلَى الْأَوْتَانِ أَوَّلَ رَاجِعِ
ثَارَتْ بِهِ فِهْرًا وَحَلَّتْ عَقْلَهُ
سَرَاةَ بَنِي الْجَارِ أَرْبَابَ فَارِعِ

(١) الأخادع : جمع أخدع ، وهو عرق في الحجبتين ، وهو شعبة من الوريد .

(٢) تحميني وطاء المضاجع : تسهذي وتمنعي النوم .

وقال أيضاً :

جلّته صرّة بانّت لها وشّل

من نافع الجوف بعلوه وينصرم^(١)

فقلت وللّوت ينشاه أيسرته

لا تأمننّ بنى بكر إذا ظلهوا^(٢)

وأصاب رسول الله صلى الله عليه وسلم من بنى المصطلق سبيّاً كثيراً ، فشا قسمه في المسلمين ، وكان فيمن أصاب يومئذ من السبايا جويرية بنت الحارث ابن أبي ضرار ، ف وقعت في السهم لثابت بن قيس بن الشّمس أولابن عم له ، فسكّابته على نفسها .

قالت عائشة رضى الله عنها : كانت ، تعنى جويرية ، امرأة حلوة ملاحه^(٣) لا يراها أحد إلا أخذت بنفسه ، فأنّت رسول الله صلى الله عليه وسلم تستمعينه في كتابتها ، فوالله ما هو إلا أن رأيتها على باب حجرنى فسكرتها^(٤) وعرفت أنه سيرى منها ما رأيت ، فدخلت عليه فقالت : يا رسول الله أنا جويرية بنت الحارث ابن أبى ضرار سيد قومه ، وقد أصابنى من البلاء ما لم يخف عليك ف وقعت في السهم لثابت بن قيس بن الشّمس أولابن عم له ، فسكّابته على نفسى فجئتك أسمة ينى على كتابتى . قال : فهل لك في خير من ذلك ؟ قالت : وما هو يا رسول الله ؟ قال أقضى كتابتك وأزوجك . قالت : نعم يا رسول الله . قال :

(١) كذا بالأصل . وى الطبرى وابن هشام : بامت ، والوشل : القطر : أى دم يسيل ويقطر ، ونافع الجوف : الدم . وينصرم : ينقطع .
(٢) الأسرة : العلامات والدلائل . وى ابن هشام : تنشاه .
(٣) اللّاحة : الشديدة اللّاحة ، وهى الجمال .
(٤) الطبرى : كرهاها .

قد فعلتُ . وخرج الخبرُ إلى الناس : أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قد تزوج جويرة . فقال الناس : أصهار رسول الله صلى الله عليه وسلم . فأرسلوا ما بأيديهم قالت فلقد اعتق بنزوجه^(١) إياها مائة أهل بيت من بنى المصطلق ، فأعلم امرأة كانت أعظم بركة على قومها منها .

[خبر الوليد بن عقبة]

وبعث إليهم رسول الله صلى الله عليه وسلم بعد إسلامهم الوليد بن عقبة بن أبي مَعِيْط ، فلما سمعوا به ركبوا إليه فلما سمع بهم هاجبهم فرجع إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم فأخبره أن القوم هموا بقتله ومنعوه ما قبلهم من صدقتهم ، فأكثر المسلمون في ذكر غزوم حتى تم رسول الله صلى الله عليه وسلم بأن يغزوم ، فبينما هم في ذلك قدم وفدٌهم على رسول الله صلى الله عليه وسلم فقالوا : يا رسول الله سمعنا برسولك حين بعثته إلينا ، فخرجنا إليه لسكرمه ونؤدى إليه ما قبلنا من الصدقة ، فانشمر راجعاً ، فبلغنا أنه زعم لرسول الله صلى الله عليه وسلم أنا خرجنا إليه لنقتله والله ما جئنا لذلك . فأنزل الله فيه وفيهم : « يا أيها الذين آمنوا إن جاءكم فاسق بنبأ فتبينوا أن تُصيبوا قوماً بجهالة فتصيبوا على ما فعلتم نادمين »^(٢) .

هكذا ذهب ابن إسحق أن رسول الله صلى الله عليه وسلم بعث إلى بنى المصطلق بعد إسلامهم الوليد بن عقبة ولم يمين مدة توجيئه إياه إليهم وقد يؤهم ظاهره أن ذلك كان بمحدثان إسلامهم ، ولا يصح ذلك ، إذ الوليد من مُسَلِّمة

(١) ابن هشام والطبري : بتزويجه . وما هنا أدق .

(٢) سورة الحجرات .

— ٢٢٢ —

الفتح وإنما كان الفتح في سنة ثمان بعد غزوة بني المصطلق وإسلامهم بسنتين ،
فلا يكون هذا التوجيه إلا بعد ذلك ولا بد .

وقد قال أبو عمر بن عبد البر : لا خلاف بين أهل العلم بتأويل القرآن فيما
علت أن قوله عز وجل : « إن جاءكم فاسق بنبأ » نزلت في الوليد بن عقبة حين
بعثه رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى بني المصطلق مصدقاً واقع سبجانه أعلم .

[حديث الإفك]

وأقبل رسول الله صلى الله عليه وسلم من سفره ذلك حتى إذا كان قريباً من المدينة قال أهل الإفك في الصديقة البراءة المطهرة عائشة بنت الصديق رضى الله عنهما ما قالوا .

فحدثت برحما الله قالت : كان رسول الله صلى الله عليه وسلم إذا أراد سفرًا أفرع بين نسائه فأيتين خرج سهمها خرج بها معه . فلما كانت غزوة بنى المصطلق أفرع بين نسائه كما كان يصنع فخرج سهمي عليهن معه فخرج بنى صلى الله عليه وسلم : وقالت كان النساء إذ ذاك إنما يأكلن العلق^(١) لم يهيجهن اللحم، وكنت إذا رحت^(٢) لى بعيرى جلست فى هودجى ثم يأتى القوم الذين يرحلون لى ويحملوننى فيأخذون بأسفل الهودج فيرفعونه فيضعونه على ظهر البعير فيشدونه بحباله ثم يأخذون برأس البعير فيطلقونه به .

فلما فرغ رسول الله صلى الله عليه وسلم من سفره ذلك وجّه قافلاً حتى إذا كان قريباً من المدينة نزل منزلاً فبات به بعض الليل ثم أذن فى الناس بالرحيل ، فارتحل الناس وخرجت لحاجتى وفى عنقى عقد لى فيه جَزَع ظَنَار^(٣) فلما فرغت أنسل من عنقى ولا أدرى ، فلما رجعت إلى الرّحّل ذهبت ألتمسه فى عنقى فلم أجده وقد أخذ الناس فى الرحيل ، فرجعت إلى مكانى الذى ذهبت إليه فألتمسته حتى وجدته ، وجاء خلافى القوم الذين يرحلون لى البعير وقد فرغوا من رحلته

(١) العلق : جم علقه ومى ما يتبلغم به من العيش . ويهيجهن : يضضهن ، هيجه تهيجها : وروى .

(٢) رحل : وضع عليه الرحل .

(٣) الجزع : الحُرْز وظمار : بلد باليمن قرب صنعاء لآله ينسب الجزع .

فأخذوا المودج وهم يظنون أنى فيه كما كنت أصنع ، فاحتملوه فشدّوه على البعير ولم يشكوا أنى فيه ثم أخذوا برأس البعير فانطلقوا به ورجعت إلى العسكر وما فيه داع ولا مجيب قد انطلق الناس ، قالت : فتلفّفت بجلبابى ثم اضطجعت فى مكانى وعرفت أنه لو افتقدت لرجع ^(١) إلى .

فوالله إلى اضطجعت إذ مرّ بى صفوان بن العطل السلمي ، وكان تخلف عن العسكر لمرض حاجته فلم يبت مع الناس ^(٢) ، فرأى سوادى ، فأقبل حتى وقف ، وقد كان يرانى قبل أن يضرب على الحجاب ، فلما رآنى قال : إنا لله وإنا إليه راجعون أظمينة ^(٣) رسول الله صلى الله عليه وسلم أنا متلففة فى ثيابى . قال : ما خلفك رحمك الله ؟ قالت : فما كلمته ، ثم قرّبت البعير فقال اركبى . واستأخر عنى ، فركبت وأخذ برأس البعير فانطلق سريماً يطلب الناس ، فوالله ما أدركنا الناس وما افتقدت حتى أصبحت ، ونزل الناس فلما اطمأنوا طلع الرجل يقودنى ، فقال أهل الإفك ما قالوا . فارتعج ^(٤) العسكر ، والله ^(٥) ما أعلم بشيء من ذلك .

ثم قدمنا المدينة فلم ألث أن اشتكيت شكواً شديداً لا يبلغنى من ذلك شيء ، وقد انتهى الحديث إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم وإلى أبوى لا يذكرون لى منه لا قليلا ولا كثيرا ، إلا أنى قد أنكرت من رسول الله

(١) الطبرى : أن لقد افتقدونى قد رجعوا إلى .

(٢) زاد الطبرى : فى العسكر .

(٣) الطبرى : أظمينة رسول الله .

(٤) ارتعج : تحرك واضطرب . وى الطبرى : ارتج .

(٥) ابن هشام : وولته .

حلى الله عليه وسلم بعض أطفه لى ، كدت إذا اشتكيت رحمنى واطف لى فلم يفعل ذلك فى شكوى^(١) ذلك فأنكرت ذلك منه ، كان إذا دخل لى وعندى أمى عرّضنى قال : كيف تيسم ، لا يزيد على ذلك حتى وجدت نفسى^(٢) حين رأيت ما رأيت من جفائه لى . فقلت : يا رسول الله لو أذنت لى فانتقلت إلى أمى فتمرضنى ؟ قال : لا عليك .

فانتقلت إلى أمى ولا علم لى بشىء مما كان ، حتى نقيت من وجمى بعد بضع وعشرين ليلة ، وكذا قوماً عرباً لا تتخذ فى بيوتنا هذه الكنف التى تتخذ الأماجم نوافها ونكرها ، إنما كنا نذهب^(٣) فى فصح المدينة ، وإنما كان النساء يخرجن كل ليلة فى حوائجهن ، فخرجت ليلة لبعض حاجتى ومعى أم مسطح بنت أبي رُم بن المطلب بن عبد مناف ، وكانت أمها خالة أبي بكر الصديق ، فوالله إنها التمشى معى إذ عثرت فى مِرطها فقالت : تيس مسطح . قلت : بئس لعمرك ما قلت لرجل من المهاجرين قد شهد بدراً . قالت : أو ما بلغك الخبر يا بنت أبي بكر ؟ قلت : وما الخبر ؟ فأخبرتني بالذى كان من قول أهل الإفك . قلت : أو قد كان هذا ؟ قالت : نعم والله لقد كان .

فوالله ما قدرت على أن أقضى حاجتى ورجعت ، فوالله ما زلت أبكى حتى ظننت أن البكاء سيصدع كهدى . وقلت لأمى : يغفر الله لك ما تحدثت

(١) ابن هشام والطبرى : فى شكواى تلك .

(٢) ابن هشام والطبرى : فى نفسى .

(٣) الطبرى : نخرج .

الناسُ بما تحدثوا به ولا تذكرين من ذلك شيئاً ؟ قالت : أى بنية خفّضى عليك الشأن ، فوالله لقلّ ما كانت امرأة حسناء عند رجل يحبها لها ضرائر إلا كثرن وكثر الناسُ عليها .

قالت : وقد قام رسولُ الله صلى الله عليه وسلم فى الناس فخطبهم ولا أعلم بذلك ، فحمد الله وأثنى عليه ثم قال : أيها الناس ما بال رجال يؤذوننى فى أهلى ويقولون عليهم غير الحق ، والله ما علمت منهم إلا خيراً ، ويقولون ذلك لرجل والله ما علمتُ منه إلا خيراً وما يدخل بيتى من بيوتى إلا وهو مئى . قالت : وكان كبير^(١) ذلك عند عبد الله بن أبى فى رجال من الخزرج مع الذى قال مستطع وحممة بنت جحش ، وذلك أن أختها زينب كانت عند رسول الله صلى الله عليه وسلم ولم يكن من نسائه امرأة تناصينى^(٢) فى المنزلة عنده غيرها ، فأما زينب فمعهما الله بدبها فلم تقل إلا خيراً ، وأما حممة فأشاعت من ذلك ما أشاعت تضادنى^(٣) لأختها ، فشعيت بذلك .

فلما قال رسول الله صلى الله عليه وسلم تلك المقالة قال أسيد بن حضير يا رسول الله إن يكونوا من الأوس نكفيهم ، وإن يكونوا من إخواننا من الخزرج فرنا بأمرك فوالله إنهم لأهل أن تضرب أعناقهم . فقام سعد بن عُبَادَة فقال : كذبتَ لعمر الله لا تضرب أعناقهم ، أما والله ما قلتَ هذه المقالة إلا أنك قد عرفت أنهم من الخزرج ، ولو كانوا من قومك ما قلتَ هذا .

(١) الكبير : الإثم الكبير . ومعظم الشيء .

(٢) تناصى : تساوى . من النساء وهى المساواة . وهذه الرواية هى الأصح كما قال

السهيل فى الروض . وتروى : تناصى .

(٣) الطبرى : تضارنى .

فقال أسيد : كذبت لعمر الله ولكنك مفاقي تجادل عن المنافقين . قالت :
وتشاور الناس حتى كاد يكون بين هذين الحيتين من الأوس والخزرج شر .
ونزل رسول الله صلى الله عليه وسلم فدعا علي بن أبي طالب وأسامة
ابن زيد فاستشارهما ، فأما أسامة فأنى خيراً ثم قال : يا رسول الله أهلك
ولا نعلم منهم ^(١) إلا خيراً ، وهذا الكذب والباطل . وأما علي فقال :
يا رسول الله إن النساء لكثير وإنك لتقدر أن تستغلف ^(٢) وسلي الجارية
فإنها ستصدقك . فدعا رسول الله صلى الله عليه وسلم بريرة ليسألها ، فقام إليها
علي فضربها ضرباً شديداً ويقول ^(٣) : اصدقني رسول الله صلى الله عليه وسلم ،
فتقول : والله ما أعلم إلا خيراً ، وما كنت أعيب علي عائشة شيئاً إلا أني
كنت أجهن مجيبي فأمرها أن تحفظه فتنام عنه فتأتي الشاة فتأكله .

قالت : ثم دخل علي رسول الله صلى الله عليه وسلم وعدى أبواي
وعدى امرأة من الأنصار فأنا أبكي وهي تبكي معي ، فجلس فحمد الله وأثنى
عليه ثم قال : يا عائشة إنه قد كان ما بلغك من قول للناس ، فاتق الله
وإن كنت قارفتِ سوءاً مما يقول الناس فتوبني إلى الله فإن الله يقبل التوبة عنه
عباده . قالت : فوالله إن هو إلا أن قال لي ذلك فقلص ^(٤) دمي حتى ما أحس
منه شيئاً . وانتظرتُ أبوي أن يجييا رسول الله صلى الله عليه وسلم فلم يتكلما .

قالت : وأيم الله لأننا كنت أحقر في نفسي وأصغر شأننا من أن ينزل الله
في قرآننا يقرأ به في المسجد ويصلي به ، ولكنني كنت أرجو أن يرى رسول الله

(١) الطبري : ولا نعلم عليهن إلا خيراً .

(٢) ابن هشام والطبري : لقادر على أن تستغلف .

(٣) الطبري : وهو يقول .

(٤) قلص : ارتفع .

صلى الله عليه وسلم في مدامه شيئاً يكذب الله به عني لما يعلم من براءتي أو بخبر
خبراً ، فأما قرآن ينزل في فوائده لنفسه كانت أحقر عدى من ذلك .

قالت : فلما لم أر أبوي يتكلمان قلت لهما : ألا تنجيان رسول الله صلى الله
عليه وسلم ؟ فقالا : والله ما ندري بماذا نجيه . قالت : والله ما أعلم أهل بيت
دخل عليهم ما دخل على آل أبي بكر في تلك الأيام . قالت : فلما استمعجبا
على استعجرت فبكيت ثم قلت : والله لا أنوب إلى الله بما ذكرت أبداً ، والله
إني لأعلم لئن أقررت بما يقول الناس والله يعلم أني منه بريئة لأقولن ما لم
يكن ، ولئن أنا أنكرت ما يقولون لا تصدقوني ، ثم التفت اسم يعقوب
فأذكره فقلت : ولكني سأقول^(١) كما قال أبو يوسف : « فصبّر جميل
والله المستعان على ما تصفون » .

قالت : فوالله ما برح رسول الله صلى الله عليه وسلم مجلسه حتى
تفشاه من الله ما كان يتفشاه ، فسجى بثوبه ووضعت له وسادة من آدم تحت
رأسه ، فأما أنا حين رأيت من ذلك ما رأيت فوالله ما فزعرت ولا باليت ،
قد عرفت أني بريئة وأن الله غير ظالم ، وأما أبواي فوالذي نفس عائشة بيده
ما سرّني عن رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى ظننت لتخرجن أنفسهما
فرقاً من أن يأتي من الله تحقيق ما قال الناس . ثم سرّني عن رسول الله
صلى الله عليه وسلم ، فجلس وإنه ليتحدّر منه مثل الجمان وفي يوم شات ،
فجعل يمسح العرق عن جبينه ويقول : « أبشري يا عائشة فقد أنزل الله
براءتك » . قلت : بحمد الله^(٢) .

(١) الطبري : ولكني أقول .

(٢) الطبري : بحمد الله وذمكم .

ثم خرج إلى الناس فخطبهم وتلا عليهم ما أنزل الله عليه من القرآن في ذلك ثم أمر بمسطح بن أثنانة وخمعة بنت جحش وحسان بن ثابت ، وكانوا ممن أفصح بالفاحشة ففُضربوا حدّهم .

قالت : فلما نزل القرآن ذكر من قال من الفاحشة ما قال من أهل الإفك فقال : « إِنَّ الَّذِينَ جَاءُوا بِالْإِفْكِ عُصْبَةٌ مِنْكُمْ لَا تَحْسَبُوهُ شَرًّا لَكُمْ بَلْ هُوَ خَبْرٌ لَكُمْ لِكُلِّ امْرِئٍ مِنْهُمْ مَا اكْتَسَبَ مِنَ الْإِثْمِ وَالَّذِي تَوَلَّى كِبْرَهُ مِنْهُمْ لَهُ عَذَابٌ عَظِيمٌ ^(١) » قيل إنه حسان بن ثابت وأصحابه ويقال : عبد الله بن أبي وأصحابه .

ثم قال : « أَوَلَا إِذْ سَمِعْتُمُوهُ ظَنَّ الْمُؤْمِنُونَ وَالْمُؤْمِنَاتُ بِأَنفُسِهِمْ خَيْرًا وَقَالُوا هَذَا إِفْكٌ مُبِينٌ » أى هلا قلتم إذ سمعتموه كما قال أبو أيوب الأنصاري وصاحبه أم أيوب ، وذلك أنها قالت لزوجها : يا أبا أيوب ألا تسمع ما يقول الناس في عائشة ؟ قال : بلى وذلك للكذب ، أ كمت يا أم أيوب فاعلمته ؟ قالت : لا والله ما كمت فاعلمته . قال : فعايشة والله خير منك .

ثم قال تعالى : « إِذْ تَلَقَّوْنَهُ بِالسِّنَةِ كُمْ وَتَقُولُونَ بِأَفْوَاهِكُمْ مَا لَيْسَ لَكُمْ بِهِ عِلْمٌ وَتَحْسَبُونَهُ هَيِّئًا وَهُوَ عِنْدَ اللَّهِ عَظِيمٌ » .

فلما نزل هذا في عائشة وفيمن قال لها ما قال قال أبو بكر رحمه الله ، وكان ينفق على مسطح لقربته وساحته : والله لا أنفق على مسطح أبداً ولا أنفقه بشفع أبداً بعد الذي قال لعائشة وأدخل عليها . قالت : فأنزل الله

في ذلك « ولا يأتلي أولو الفضل منكم والسعة أن يؤنوا أولى القربى والمساكين
والمهاجرين في سبيل الله وليعفوا وليصفحوا ألا تحبون أن يغفر الله لكم والله
غفور رحيم » قالت : فقال أبو بكر : بلى والله إني لأحب أن يغفر الله لي .
فرجع إلى مسطح نفقته التي كان ينفق عليه وقال : والله لا أنزعها منه أبدا .

* * *

وذكر ابن إسحق أن حسان بن ثابت مع ما كان منه في صفوان بن
المعطّل من القول السيئ قال مع ذلك شعرا يعرض فيه بصفوان ومن أـلم
من مُضر يقول فيه :

أَمْسَى الْجَلَالِيْبُ قَدْ عَزَّوْا وَقَدْ كَثُرُوا

وَابْنُ الْقُرَيْمَةِ أَمْسَى بَيْضَةَ الْبَلَدِ^(١)

فلما بلغ ذلك ابنَ المعطل اعترض حسانَ بن ثابت فضربه بالسيف
ثم قال :

تَلَقَّ ذُبَابَ السَّيْفِ عَنِّي فَإِنِّي غَلَامٌ إِذَا هُوَ جِيَتْ لِسْتُ بِشَاعِرٍ

فوثب عند ذلك ثابت بن قيس بن شماس على صفوان فجمع يديه إلى
عقه بحبل ثم انطلق به إلى دار بني الحارث بن الخزرج ، فلقبه عبد الله بن
رواحه فقال : ما هذا ؟ قال : أما أعجبتك ضرب حسان بالسيف ؟ والله ما أراه
إلا قد قتله . فقال له ابن رواحة : هل علم رسول الله صلى الله عليه وسلم بشيء
مما صعدت ؟ قال لا والله . قال : لقد اجترأت ، أطلق الرجل . فأطلقه .

ثم أتوا رسول الله صلى الله عليه وسلم فذكروا ذلك له ، فدعا حسان
وصفوان فقال صفوان : يا رسول الله آذاني وهجاني فاحتملني للغضب

(١) أم ابن هشام والطبري ذكر أبيات حسان انظر ابن هشام ٣/٣٠٤ .
والطبري ١٠٢٦ ط أوربا .

فضربته . فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم لحسان : يا حسان أنشؤنت على قومي أن هدام الله للإسلام ؟ ثم قال : أحسن يا حسان في القدي أصابك . قال : هي لك . فأعطاه رسول الله صلى الله عليه وسلم عوضاً منها بئرحاء^(١) ماء كان لأبي طلحة بالمدينة فتصدق به إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم ليضعه حيث شاء فأعطاه حسان في ضربته ، وأعطاه « سيرين » أمة قبطية ولدت له ابنة عبد الرحمن .

وقد روى من وجوه أن إعطاء رسول الله صلى الله عليه وسلم إياه سيرين إنما كان لذبة بلسانه عن النبي صلى الله عليه وسلم . والله تعالى أعلم . وكانت عائشة رحمها الله تقول : لقد سئل عن ابن المعتل فوجدوه حصوراً لا يأتي النساء ثم قتل بعد ذلك شهيداً .

وقال بعد ذلك حسان يمدح عائشة رضى الله عنها ويعتذر من الذي كان

في شأنها :

حَصَانُ رَزَانُ مَا تَزُنُ	بريبة	وتصبح فرثي من لحوم الغوافل ^(٢)
عَقِيلَةٌ حَيٌّ مِنْ لُؤَيٍّ بَنِ غَالِبٍ		كرام المساعي تجدهم غير زائل ^(٣)
مَهْدَبَةٌ قَدْ طَلِبَ اللَّهُ جَنِبَهَا		وطهرها من كل سوء وباطل
فَإِنْ كُنْتُ قَدْ قُلْتُ الَّذِي قَدْ زَعَمْتُ		فلا رفعت سوطي إلى أنامل
وَكَيْفَ وَوَدَى مَا حَيَّيْتُ وَنُصِرْتِي		لآل رسول الله زين المحافل
لَهُ رَتَبٌ عَالٍ عَلَى الدَّاسِ كُلِّهِمْ		تقاصر عنه سورة المتعاول
فَإِنَّ الَّذِي قَدْ قِيلَ لَيْسَ بِالْأُتَى		ولكنه قول امرئ بني ماحل ^(٤)

(١) حاء اسم رجل أضيفت إليه البئر . وفي ابن هشام : وهي قصر بني حذيلة اليوم بالمدينة .

(٢) الحصان : العفيفة . والرزان : الوقورة . وتزن : تنهم . والفرثي : الجائنة ، أي تمسك لسانها عن الأعراس .

(٣) ط : غير ذابل .

(٤) لا تظ : لاسق . والمالحل : الراشي .

وقال قائل من المسلمين في ضرب حسان وصاحبيه في فريتهم على عائشة رضي الله عنها :

أقد ذاق حسانُ الذي كان أهله وخمته إذ قالوا هجيرا ومسطح^(١)
تعاطوا أبرجهم الغيب زوج نبيهم

وسخطه ذى العرش الكريم فأترحوا^(٢)

وآذوا رسول الله فيها فجعلوا مخازي تبقَى عُمُومها وفضحوا
وصبَّت عليهم مُحَصَّدات كأنها شآبيب قطرم من ذُرَى اللزن تَسْفَح^(٣)

وقد ذكر أبو عمر بن عبد البر الحافظ أن قوماً أنكروا أن يكون حسان خاض في الإفك أو جُلد فيه ، ورووا عن عائشة رحمها الله أنها برأتها من ذلك . ثم ذكر عن الزبير بن بكار وغيره أن عائشة كانت في الطواف مع أم حكيم بنت خالد بن العاص وابنة عبد الله بن أبي ربيعة ، فذاكرن حسان فابتدرتاه بالسب فقالت لهما عائشة : ابن العُرَيْمَةِ تسبان ؟ إني لأرجو أن يدخله الله الجنة بذبة عن النبي صلى الله عليه وسلم بلسانه ، أليس للقائل :

هجوت محمداً فأجبتُ عنه وعند الله في ذلك الجزاء

فإن أبى ووالده وعرضى لارض محمداً منكم وِفاه

فقالتا لها : أليس ممن لعنه الله في الدنيا والآخرة بما قال فيك ؟ قالت :

لم يقل شيئاً ، ولكن الله القائل :

حسان رزان ما تزن برية وتصبح غرثي من لحوم الغوافل

فإن كان ما قد قيل عني قلته فلا رفعت سوطي إلى أناملي

(١) الهجير : الفاحش من القول .

(٢) أترحوا : أجزئوا ، من الترح .

(٣) المحصّدات : الشياطين الشديدة القتل . والشآبيب : جمع شؤبوب وهي الدفعة من

الطر . والمرن : السحاب .

غزوة الحديبية

وخرج رسول الله صلى الله عليه وسلم في ذي القعدة من سنة ست معتمراً لا يريد حرباً ، واستنفر العربَ ومن حوله من أهل البوادي من الأعراب ليخرجوا معه ، وهو يخشى من قريش الذي صنعوا^(١) ، أن يعرضوا له بحرب أو يصدّوه عن البيت .

فأبطأ عليه كثير من الأعراب ، وخرج بمن معه من المهاجرين والأنصار ومن لحق به من العرب ، وساق معه الهدى وأحرم بالعمرة ليأمن الناسُ من حربته ، وليعلم أنه إنما خرج زائراً لهذا البيت ومعظماً له .

حتى إذا كان بمُصَفَّانَ لقيه بُشَيْرُ^(٢) بن سفيان السكبي فقال : يا رسول الله هذه قريش قد سمعتُ بمسيرك فخرجوا معهم للعوذ المطافيل قد لبسوا جلود النمر وقد نزلوا بذى طُوًى يماهدون الله لا تدخلها عليهم أبداً ، وهذا خالد بن الوليد في خيلهم قد قدّموها إلى كُرَاعِ الغنيم . فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « يا ويح قريش ! لقد أكلتهم الحرب ، ماذا عليهم لو خلّوا بيني وبين سائر العرب فإن هم أصابوني كان الذي أرادوا ، وإن أظهرني الله عليهم دخلوا في الإسلام وافرين وإن لم يفعلوا قاتلوا وبهم قوة ؛ فما تظن قريش ؟ فوالله لا أزال أجاهد على الذي بعثنى الله به حتى يُظهِره الله أو تنفرد هذه السالفة^(٣) . »

ثم قال : من رجل يخرج بنا على غير طريقهم ؟ فقال رجل من أسلم : أنا

(١) الطبري : الذي صنعوا به .

(٢) ويقال له بشير . كما في ابن هشام ٣٠٩/٣

(٣) السالفة : صفعة النقب ، وهي كناية عن الموت .

فسلّك بهم طريقاً وعرّاً أجْرَل^(١) بين الشَّعَاب ، فلما خرجوا منه وقد شق عليهم وأفضوا إلى أرض سهلة عند منقطع الوادى قال رسول الله صلى الله عليه وسلم قولوا : نستغفر الله ونتوب إليه فقالوا ذلك ، فقال : والله إنها للْحِطَّةُ التي عُرِضَتْ على بنى إسرائيل فلم يقولوها .

فأمر رسول الله صلى الله عليه وسلم الناس فقال : اسلكوا ذات البين بين ظهري الخمض في طريق تخرج على ثنية المزار ، مهبط الحديبية من أسفل مكة . فسلّك الجيش ذلك الطريق فلما رأت خيلُ قريش قَتْرَةَ^(٢) الجيش قد خالفوا عن طريقهم ركضوا راجعين إلى قريش .

وخرج رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى إذا سلّك في ثنية المزار بركت ناقتة ، فقال الناس : خلّأت^(٣) . فقال : ما خلّأت وما هو لها بخلق ولكن حبسها حابس الغيل عن مكة ، لا تدعوني قريش اليوم إلى خطبة يسألون^(٤) فيها صلة الرحم إلا أعطيتهم إياها » ثم قال للناس : انزلوا قيل يا رسول الله ما بالوادي ماء نزل عليه . فأخرج صلى الله عليه وسلم سهماً من كفانته فأعطاه رجلاً من أصحابه فنزل في قلب من تلك القلوب ففرزه في جوفه فجاش بالرواء حتى ضرب الناسُ عنه بطن^(٥) .

[رسل قريش]

فلما اطمان رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه بدّل بن ورفاء في رجال من خزاعة فكلموه وسألوه ما الذى جاء به ، فأخبرهم أنه لم يأت يريد حرباً وإنما جاء زائراً للبیت

-
- (١) الأجرل : الصلب الفليظ . وى الطبرى : وعرجون .
 (٢) القتر : القبار .
 (٣) خلّأت : حرت وبركت من غير علة .
 (٤) ابن هشام والطبرى : يسألونى .
 (٥) ضرب الناس بطن : أناخوا حول الماء بعد السقى .

ومعظماً لحرمته ، ثم قال لهم محمداً لما قال لبشر بن سفيان ، فرجعوا إلى قريش فقالوا : إنكم تعجلون على محمد ، إن محمداً لم يأت لقتال إنما جاء زائراً لهذا البيت . فأنهموم وجبهوم وقالوا : إن كان جاء ولا يريد قتالاً فوالله لا يدخلها علينا عنوة أبداً ولا تحدث بذلك عنا العرب . ثم بعثوا إليه مكرز بن حفص ابن الأخيف أخا بني عامر بن لؤي ، فلما رآه رسول الله صلى الله عليه وسلم مقبلاً قال : هذا رجل غادر . فلما انتهى إليه وكلمه قال له رسول الله صلى الله عليه وسلم : فارجع إلى قريش فأخبرهم . ثم بعثوا إليه الحليّس بن علقمة أو ابن زبّان ، أحد بني الحارث بن عبد مناف بن كنانة وكان يومئذ سيد الأحابيش ، فلما رآه رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : إن هذا من قوم يتألهون فابعثوا للهدى في وجهه حتى يراه . فلما رأى الهدى يسيل عليه من عرض الوادي في قلانده قد أكل أوباره من طول الحبس عن محله ، رجع إلى قريش ولم يصل إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم إلا عظماً لما رأى ؛ فقال لهم ذلك فقالوا له : اجلس . فإنا أنت أعرابي لا علم لك : فغضب الحليّس عند ذلك وقال : يا معشر القوم والله ما على هذا حالناكم وما على هذا عاقبتناكم ، أبعثت عن بيت الله من جاء معظماً له ؟ والذي نفس الحليّس بيده لتتخلن بين محمد وبين ما جاء له أولاً نفرن بالأحابيش نفرة رجل واحد . فقالوا له : كف عنا يا حليّس حتى نأخذ لأنفسنا ما نرضى به .

ثم بعثوا إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم عروة بن مسعود الثقفي فقال : يا معشر قريش إني قد رأيت ما يلقي منكم من بعثتموه إلى محمد إذا جاءكم من التعنيف وسوء اللفظ ، وقد عرفت^(١) أنكم والد وأنى ولد ، وكان لسبيمة بنت عبد شمس ، وقد سمعت بالهدى نأبكم فجئت من أطاعني من قومي ثم

(١) ابن هشام : ولد عرقم .

جئتمكم حتى آسيتكم بنفسى . قالوا : صدقت ما أنت عندنا بمتهم . فخرج حتى أتى رسول الله صلى الله عليه وسلم فجلس بين يديه ثم قال : يا محمد أجمعت أوشاب الناس ثم جئت إلى بيضتك لتفضها بهم؟ إنما قریش قد خرجت معها العوذ المطافيل ^(١) قد لبسوا جلود النور يعاهدون الله لا تدخلها عليهم عنوة أبداً ، وأيم الله لساكنى هؤلاء قد انكشفوا عنك . فرد عليه أبو بكر الصديق رضى الله عنه وقال : أنحن نكشف عنه ! ثم جعل عروة يتناول لحية رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو يكلمه والمغيرة بن شعبه واقف على رأس رسول الله صلى الله عليه وسلم فى الحديد ، فجعل يقرع يده إذا فعل ذلك ويقول : اكفف يدك عن وجه رسول الله صلى الله عليه وسلم قبل أن لا تصل إليك . فيقول عروة : ويحك ما أفظلك وأغفلك . فتبسم رسول الله صلى الله عليه وسلم . فقال : من هذا يا محمد ؟ قال : هذا ابن أخيك المغيرة بن شعبه . قال : أى غدّر هل غسلت ^(٢) سوائتاك إلا بالأمس ! يريد أن المغيرة كان قتل قبل إسلامه ثلاثة عشر رجلاً من ثقيف فتهاجج الحَيَّان من ثقيف بنو مالك رهط اللقنولين والأحلاف رهط المغيرة ، فودى عروة اللقنولين ثلاث عشرة دية وأصاح ذلك الأمر .

وكلّم رسول الله صلى الله عليه وسلم عروة بنحو مما كلم به أصحابه ، وأخبره أنه لم يأت يريد حرباً ، فقام من عنده وقد رأى ما يصنع به أصحابه ،

(١) العوذ المطافيل : النوق ذوات اللبن ممها أولادها ، وهى كناية عن النساء ممها الأسفـال .

(٢) ابن هشام : وهل غسلت .

لا يتوضأ إلا ابتدروا وضوءه ، ولا ييصق بهاقاً إلا ابتدروه^(١) ولا يسقط من
شعره شيء إلا أخذوه ، فرجع إلى قريش فقال : يا معشر قريش إني قد جئتُ
كسرى في مُلكه وقيصر في مُلكه والنجاشي في ملكه ، وإني والله ما رأيت
ملكاً في قوم قط مثل محمد في أصحابه ! ولقد رأيت قوماً لا يُسلمونه لشيء
أبدأ فرّوا رايكم .

[بعث الرسول إلى قريش]

ودعا رسول الله صلى الله عليه وسلم خراش بن أمية الخزاعي فحمّله على
بعيره له وبعثه إلى قريش ليبلغ أشrafهم عنه ما جاء له ، فمقروا به الجمل وأرادوا
قتله فذمته الأحابيش ، فخلّوا سبيله حتى أتى رسول الله صلى الله عليه وسلم .

وبعث قريش أربعين رجلاً أو خمسين وأمروهم أن يُعطقوا بمسكر رسول
الله صلى الله عليه وسلم ليصيبوا لهم من أصحابه أحداً ، فأخذوا أخذاً ، فأتى بهم
رسول الله صلى الله عليه وسلم فخلّى سبيلهم .

ثم دعا عمر بن الخطاب ليعثه إلى مكة فيبلغ عنه أشraf قريش ما جاء له
فقال : يا رسول الله إني أخاف قريشاً على نفسي وليس بمكة من بني عدى
ابن كعب أحد يمدني ، وقد عرفت قريش عداوتي إياها وغاظتني عليها ، ولكنني
أدلك على رجل أعز بها مني : عثمان بن عفان .

فدعا رسول الله صلى الله عليه وسلم عثمان فبعثه إلى أبي سفيان وأشراف
قريش يخبرهم أنه لم يأت لحرب وإنما جاء زائراً لهذا البيت ومعظماً لحرمته ؛

(١) تحمل هذه الرواية على اللبابة في الحب والإجلال والتوقير ، ولكنها لا تتفق مع
ما أثر عن النبي صلى الله عليه وسلم وأصحابه من وضوء وطهر وتنزه .

فخرج عثمان إلى مكة فلقية أبان بن سعيد بن العاص حين دخل مكة أو قبل أن يدخلها فحمله بين يديه ثم أجاره .

وقال له فيما ذكره غير ابن إسحق :

أقبل وأدبر ولا تخف أحداً بنو سعيد أعزة الحرّ

فانطلق عثمان حتى أتى أبا سفيان وعظماء قريش فبلغهم عن رسول الله صلى الله عليه وسلم ما أرسله به ، فقالوا له حين فرغ : إن شئت أن تطوف بالبيت فطف . قال : ما كنت لأفعل حتى يطوف به رسول الله صلى الله عليه وسلم . فاحتبسته قريش عندها فبلغ رسول الله صلى الله عليه وسلم والمسلمين أن عثمان قد قُتل فقال حين بلغه ذلك : لا تبرح حتى نأجز القوم .

[بيعة الرضوان]

ودعا رسول الله صلى الله عليه وسلم الناس إلى البيعة ، فكانت بيعة الرضوان تحت الشجرة ، فكان الناس يقولون : بأبيهم على الموت . وكان جابر يقول : بأبينا على ألا نفر .

فبايع رسول الله صلى الله عليه وسلم الناس ولم يتخلف عنه أحد من المسلمين حضرها إلا الجدة بن قيس لصق بإبط ناقتة يستقر بها من الناس .

ثم أتى رسول الله صلى الله عليه وسلم أن الذي كان من أمر عثمان باطل . وقد كان رسول الله صلى الله عليه وسلم بايع عثمان ، ضرب بإحدى يديه على الأخرى وقال : هذه يد عثمان .

[الصلح]

ثم بعثت قريش سهيل بن عمرو وقالوا : إيت محمدا فصالحه ولا يكون في

صلحه إلا أن يرجع عنا طامه هذا، فوالله لا نتحدث عنا للعرب أنه دخلها علينا عَفْوَة أبدا .

فأني سميل فلما رآه رسول الله صلى الله عليه وسلم مقبلا قال : قد أراد القوم الصلح حين بعثوا إلينا هذا الرجل .

فلما انتهى إليه سميل تكلم فأطال الكلام وتراجعا ، ثم جرى بينهم الصلح .

فلما التأم الأمر ولم يبق إلا الكتاب وثب عمر بن الخطاب فأنى أبا بكر فقال : يا أبا بكر أليس برسول الله ؟ قال : بلى . قال : أو لسنا بالمسلمين ؟ قال : بلى . قال : أو ليسوا بالشركيين ؟ قال : بلى . قال : فعلام نعطي الدنية في ديننا ؟ قال أبو بكر : يا عمر الزم عَزْرَه ^(١) فإني أشهد أنه رسول الله قال عمر : وأنا أشهد أنه رسول الله .

ثم أتى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال : يا رسول الله ألسنت برسول الله ؟ قال : بلى . قال : أو لسنا بالمسلمين ؟ قال : بلى . قال : أو ليسوا بالشركيين ؟ قال : بلى . قال : فعلام نعطي الدنية في ديننا ؟ قال : « أنا عبد الله ورسوله لن أخالف أمره فيضيعني ^(٢) » فكان عمر يقول فإزالت أتصدق وأصوم وأصلي وأعتق من الذي صنعت يومئذ بخافة كلامي الذي تكلمت به حين رجوت أنه يكون خيرا .

(١) العز : ركاب من جلد توضع فيه الرجل ، أى اتبع أمره ولا تخالفه .

(٢) كذا بالأصل . وفى ابن هشام والطبرى : وان يضيعني .

ثم دعا رسول الله صلى الله عليه وسلم علي بن أبي طالب رضى الله عنه فقال
اكتب : بسم الله الرحمن الرحيم ، فقال سهيل بن عمرو : لا أعرف هذا
ولكن اكتب : باسمك اللهم . فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : اكتب
باسمك اللهم . فكتبها ثم قال : اكتب : هذا ما صالح عليه محمد رسول الله
سهيل بن عمرو . فقال سهيل : لو شهدت أنك رسول الله لم أقاتلك ولكن
اكتب اسمك واسم أبيك . فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم اكتب :
« هذا ما صالح عليه محمد بن عبد الله سهيل بن عمرو . اصطلحا على وضع الحرب
عن الناس عشر سنين يأمن فيهن الناس ويكف بعضهم عن بعض ، على أنه
من أنى محمداً من قريش بنذر إذن وليه رده عليهم ، ومن جاء قريشاً ممن
محمد لم يردوه عليه ، وأن يدينا عتيبة مكفوفة ^(١) وأنه لا إسلال ولا إغلال ^(٢)
وأنه من أحب أن يدخل في عقد محمد وعهده دخل فيه ومن أحب أن يدخل
في عقد قريش وعهدهم دخل فيه » .

فتوالت خزاعة فقالوا : نحن في عقد محمد وعهده . وتوالت بنو بكر
فقالوا : نحن في عقد قريش وعهدهم .

« وأنت ترجع عنا عامك هذا فلا تدخل علينا مكة ، وأنه إذا كان عام
قابل خرجنا عنها فدخلتها بأصحابك فأقت فيها ثلاثاً مئة سلاح الرائب :
السيوف في القرب لا تدخلها بغيرها » .

فبينما رسول الله صلى الله عليه وسلم يكتب الكتاب هو وسهيل بن عمرو
إذ جاء أبو جندل بن عمرو يرأس في الحديد قد انفلت إلى رسول الله صلى الله
عليه وسلم .

(١) العيبة : موضع السر . ومكفوفة : مطوية .

(٢) الإسلال : السرقة الخفية . والإغلال : الخيانة .

وقد كان أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم خرجوا وهم لا يشككون في الفتح لرؤيا رآها رسول الله صلى الله عليه وسلم، فلما رأوا ما رأوا من الصالح والرجوع وما يحمل^(١) عليه رسول الله صلى الله عليه وسلم في نفسه دخل الناس من ذلك أمر عظيم حتى كادوا يهلكون .

فلما رأى سهيل^٢ أبا جندل قام إليه فضرب وجهه وأخذ بتلابيه ثم قال يا محمد قد جئت القضية بيني وبينك قبل أن يأتيك هذا . قال : صدقت . فجعل يفتنه بتلابيه ويجرّه ليردّه إلى قريش ، وجعل أبو جندل يصرخ بأعلى صوته : يا معشر المسلمين أريد إلى المشركين يفتنونني في ديني ؟ فزاد الناس ذلك إلى ما بهم .

فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « يا أبا جندل اصبر واحتسب ، فإن الله جاعل لك ولئن ملك من المسلمين فرجاً ونجراً ، إنا قد عقدنا بيننا وبين القوم صلحاً وأعطيناهم على ذلك وأعطيناهم عهداً ، وإنا لا نقدرهم » .

فوثب عمر^٣ بن الخطاب مع أبي جندل يمشي إلى جبيه ويقول : اصبر يا أبا جندل ، فإنما هم المشركون وإنما دم أحدكم دم كلب !
— ويذني قائم السيف منه — يقول عمر : رجوت أن يأخذ السيف فيضرب به أباه ، فغضن الرجل بآبيه ونفذت القضية .

فلما فرغ من الكتاب أشهد رجالاً من المسلمين ورجالاً من المشركين ، أبو بكر الصديق وعمر بن الخطاب وعبد الرحمن بن عوف وعبد الله بن سهيل بن عمر ، وسعد بن أبي وقاص ومحمد بن مسلمة ، ومكرز بن حفص وهو مشرك

(١) الطبري وابن هشام : وما تحمل .

وعلى بن أبي طالب وهو كان كاتب الصحيفة .

وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم مُضْطَرِباً^(١) في الحل وكان يصلي في الحرم ، فلما فرغ من الصلح قام إلى هَذْبِهِ فَنَحَرَهُ ثُمَّ جَلَسَ لِحَلْقِ رَأْسِهِ وَأَهْدَى عَامِئْذٍ هَدَايَاهُ جَهْلًا لِأَبِي جَهْلٍ فِي رَأْسِهِ بُرَّةً مِنْ فِضَّةٍ لِيَغِيْظَ بِذَلِكَ الْمُشْرِكِينَ . فلما رآه الناس قد نحر وحلق تَوَاتَبُوا يَنْحَرُونَ وَيَحْلِقُونَ ، وكان فيهم يومئذ من قَصَّرَ فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : يَرْحَمُ اللَّهُ الْمُحَلِّقِينَ . قالوا : وَالْمَقْصِّرِينَ يَا رَسُولَ اللَّهِ ؟ قال : يَرْحَمُ اللَّهُ الْمُحَلِّقِينَ . قالوا : وَالْمَقْصِّرِينَ يَا رَسُولَ اللَّهِ ؟ قال : يَرْحَمُ اللَّهُ الْمُحَلِّقِينَ . قالوا : وَالْمَقْصِّرِينَ يَا رَسُولَ اللَّهِ ؟ قال : وَالْمَقْصِّرِينَ . فقالوا يَا رَسُولَ اللَّهِ ، فلم ظاهرتَ التَّرحِيمَ لِلْمَحَلِّقِينَ دُونَ الْمَقْصِّرِينَ ؟ قال لَمْ يَشْكُرُوا .

[سورة الفتح]

ثم انصرف رسول الله صلى الله عليه وسلم من وجهه ذلك قافلاً ، حتى إذا كان بين مكة والمدينة نزلت سورة الفتح : « إِنَّا فَتَحْنَا لَكَ فَتْحًا مُبِينًا . لِيُغْفِرَ لَكَ اللَّهُ مَا تَقَدَّمَ مِنْ ذَنْبِكَ وَمَا تَأَخَّرَ وَيَقَمَّ نِعْمَتَهُ عَلَيْكَ وَيَهْدِيكَ صِرَاطًا مُسْتَقِيمًا » .

ثم ذكر القصة فيه وفي أصحابه ، حتى إذا انتهى إلى ذكر البيعة فقال « إِنَّا الَّذِينَ يُبَايِعُونَكَ إِنَّمَا يُبَايِعُونَ اللَّهَ يَدُ اللَّهِ فَوْقَ أَيْدِيهِمْ ، فَمَنْ نَكَثَ فَإِنَّمَا يَنْكُثْ عَلَى نَفْسِهِ وَمَنْ أَوْفَى بِمَا عَاهَدَ عَلَيْهِ اللَّهُ فَمِثْقَلُ ذَرَّةٍ مِنْهُ لَأَجْرًا عَظِيمًا » . ثم ذكر من تخلف عنهم من الأعراب فاستوفى قصتهم ثم قال : « لَقَدْ رَضِيَ

(١) مضطرباً : أى أطم بخيائه و الحل .

اللهُ عن المؤمنين إذ يُبايعونك تحت الشجرة فعلم ما في قلوبهم فأنزل السكينةَ عليهم وأثابهم فتحاً قريباً ومغانمَ كثيرةً يأخذونها وكان الله عزيزاً حَكِيماً ، وعدكم الله مغنم كثيرةً تأخذونها فمجّل لکم هذه وكفّ أيدي الناسِ عنكم ولتكون آيةً للمؤمنين ويهديكم صراطاً مستقيماً وأخرى لم تقدروا عليها قد أحاط الله بها وكان الله على كل شيء قديراً » ثم قال : « وهو الذي كفّ أيديهم عنكم وأيديكم عنهم ببطن مكة من بعد أن أظفركم عليها وكان الله بما تعملون بصيراً » يعنى الذين وجهت قريش بهم ليصيبوا من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم أحدا فلم يبالوا شيئاً وأخذوا لرسول الله صلى الله عليه وسلم بمحلتهم وسيقوا إليه نفاقى سبيلهم .

ثم قال بعد : « إذ جعل الذين كفروا في قلوبهم الحمية حمية الجاهلية » يعنى سهيل بن عمرو حين حذى أن يكتب : بسم الله الرحمن الرحيم . وأن محمداً رسول الله » فأنزل الله سكينة على رسوله وعلى المؤمنين وألزمهم كلمة للتقوى وكانوا أحقّ بها وأهلها » أى للتوحيد : شهادة أن لا إله إلا الله وأن محمداً عبده ورسوله .

ثم قال : « لقد صدّق الله رسوله الرؤيا بالحق لتدخلن المسجد الحرام إن شاء الله آمنين محلقين رؤوسكم ومقصرين لا تخافون فعلم ما لم تعلموا » أى لرؤيا رسول الله صلى الله عليه وسلم التى رأى أنه سيدخل مكة آمناً لا يخاف . وقد قال لرسول الله صلى الله عليه وسلم لما قدم المدينة بعض من كان معه : ألم تقل يارسول الله أنك تدخل مكة آمناً ؟ قال :

جلى ، فقلتُ من عامى هذا ؟ قالوا : لا قال فهو كما قال لى جبريل . فحقق له سبحانه من موعده ما أجزه له بعد صدقه بقوله جل قوله « لَتَدْخُلَنَّ السَّجْدَ الْحَرَامَ إِنْ شَاءَ اللَّهُ آمِينَ مَخْلُقِينَ رُءُوسَكُمْ وَمَقْعَرِينَ » معه « فَعَلِمَ مَا لَمْ تَعْلَمُوا فَعَلْ مِنْ دُونِ ذَلِكَ فَتَعَا قَرِيبًا » صلح الحديبية .

يقول الزهري : فما فتح في الإسلام فتح قبله كان أعظم منه ، إنما كان القتال حيث التقى الناس ، فلما كانت المدينة ووضعت الحرب وأمن الناس [كلهم ^(١)] بعضهم بعضاً والتقوا فتقارضوا في الحديث والمنازعة ، فلم يكلم أحد بالإسلام بعقل شيئاً إلا دخل فيه ، فلقد دخل في نيتك السفتين مثل من كان في الإسلام قبل ذلك وأكثر ^(٢) .

قال ابن هشام : والدليل على ما قال الزهري أن رسول الله صلى الله عليه وسلم خرج إلى الحديبية في ألف وأربعمائة في قول جابر بن عبد الله ثم خرج عام فتح مكة بعد ذلك بستين في عشرة آلاف .

وذكر ابن عقيبة أنه لما كان صلح الحديبية قال رجال من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم : ما هذا بفتح ، لقد صُددنا عن البيت وصُدَّ هَدَبُنَا . فبلغ رسول الله صلى الله عليه وسلم قول أولئك فقال : بئس الكلام هذا ، بل هو أعظم الفتوح ، قد رضى المشركون أن يدفعوكم بالراح ^(٣) من بلادهم ويسألوكم القضية ويرغبوا إليكم في الأمان ، وقد رأوا

(١) ليست في ابن هشام . (٢) ابن هشام : أو أكثر .

(٣) الراح : الأكف . أي بدلا من السلاح .

منكم ما كرهوا وأظفركم الله عليهم وردكم سالمين مأجورين ، فهو أعظم
الفتوح ، أنذسون يومَ أحدٍ إذ تُصمِدون ولا تَلَوْن على أحد وأنا
أدعوكم في آخركم ١٢

أنسيم يومَ الأحزاب إذ جاءوكم من فوقكم ومن أسفل منكم وإذ
زاغت الأبصار وبلغت القلوب الحناجر وتظنون بالله الظنونا ؟ فقال المسلمون :
صدق الله ورسوله فهو أعظم الفتوح ، والله ما فكرنا فيما فكرت فيه
ولأنت أعلم بالله وأمره منا .

وفي الصحيح من حديث سهل بن حنيف أنه قال يوم صِفِّين : يا أيها
الناس انهموا رأيكم على دينكم ، فلقد رأيتني يوم أبي جندل ولو استطيع
أن أرد أمر رسول الله صلى الله عليه وسلم لرددته والله ورسوله أعلم^(١) .

وخرج البخاري من حديث السبراء بن عازب قال : تعدون أنتم
الفتح فتح مكة وقد كان فتح مكة فتحاً ، ونحن نعدّ الفتح بيعة الرضوان
يوم الحديبية ، صكنا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم أربع عشرة مائة
والحديبية بئر ، ففرحناها فلم نترك فيها قطرة ، فبلغ ذلك النبي صلى الله
عليه وسلم فأتاها فجلس على شفيرها ثم دعا بإناء من ماء فتوضأ ثم مضى
ودعا ثم صبه فيها فتركها غير بعيد ، ثم إنهما أضدرتنا ما شئنا
نحن وركابنا^(٢) .

وعن سالم ابن أبي الجعد عن جابر بن عبد الله قال : عطش الناس

(١) صحيح البخاري ٢١٠/٤ .

(٢) صحيح البخاري ٣٠/٣ .

يومَ الحديبية ورسول الله صلى الله عليه وسلم بين يديه ركوة فتوضأ منها ثم أقبل للناس نحوه فقالوا : يا رسول الله ليس عندنا ماء نتوضأ به ولا نشرب إلا ما في ركوتك . قال : فوضع النبي صلى الله عليه وسلم يده في الركوة فجعل الماء يفور من بين أصابعه كأمثال العيون . قال : فشربنا وتوضأنا فقلت لجابر : كم كنتم يومئذ ؟ قال : لو كنا مائة ألف لكفانا ، كنا خمس عشرة مائة^(١) .

وذكر ابن عُبَيْدٍ عن ابن عباس قال : لما رجع رسول الله صلى الله عليه وسلم من الحديبية كلمه بعض أصحابه فقالوا : جهدنا وفي الناس ظننهم فاجزء لنا فلنأكل كل من لحومهم ولندخن من شعومهم ولنحتذر من جلودهم . فقال عمر : لا تفعل يا رسول الله فإن للناس إن يسكن فيهم بقية ظهر أمثل . فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : ابسطوا أنطاعكم وعباكم ففعلوا [ثم قال : من كان عنده بقية من زاد وطعام فليفرغه ، ودعاهم^(٢)] ثم قال لهم : قربوا أوعيتكم . فأخذوا ما شاءوا^(٣) .

[أمر أبي بصير]

قال ابن إسحق : ولما قدم رسول الله صلى الله عليه وسلم المدينة يعني من الحديبية أتاه أبو بصير عتبة بن أسيد بن جارية^(٤) ، وكان ممن حبس بمكة ، فكتب فيه أزهر بن عبد هوف والأخنس بن شريق إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم وبعضا رجلا من بني عامر بن لؤي ومعه مولى

(١) صحيح البخارى ٣٠/٣ . (٢) من الخصائص الكبرى ١/٣٨ .

(٣) الخصائص : ما شاء الله . (٤) ط : ابن خزيمة .

لهم ، فقدموا على رسول الله صلى الله عليه وسلم بالكتاب فقال صلى الله عليه وسلم : « يا أبا بصير إننا قد أعطينا هؤلاء القوم ما قد علمت ولا يصلح لنا في ديننا العذر ، وإن الله جاعل لك ولن معك من المستضعفين فرجا ونجرجا » .

فانطلق معهما حتى إذا كان بذى الحليفة جلس إلى جدار وجلس معه أصحابه ، فقال أبو بصير . أصارم سيفك هذا يا أبا بني عامر ؟ فقال : نعم . قال : أنظر إليه [قال] إن شئت فاستله أبو بصير ثم علاه به حتى قتله .

وذكر ابن عقبة أن الرجل هو الذي سل سيفه ثم هزّه فقال : لأضربن بسيفي هذا في الأوس والخزرج يوماً إلى الليل ، فقال له أبو بصير : وصارم سيفك هذا ؟ فقال : نعم فقال ناو لفيه أنظر إليه فناوله إياه ، فلما قبض عليه ضربه به حتى برد . قال : ويقال بل تناول أبو بصير سيف الرجل بفيه وهو قائم فقطع بإساره ثم ضربه به حتى برد ، وطلب الآخر ، فجمز^(١) مرعوباً مستخفياً حتى دخل المسجد ورسول الله صلى الله عليه وسلم جالس فيه بطن^(٢) الحصباء من شدة سعيه ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم حين رآه : لقد رأى هذا ذُعراً . قال ابن إسحق : فلما انتهى إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : ويحك مالك ؟ قال : قتل صاحبكم صاحبي .

فوالله ما برح حتى طلع أبو بصير متوشحاً بالسيف فقال : يا رسول الله ، وقت ذمتك وأدى الله عنك ، أسلمتني بيد القوم وقد امتلعت بدني أن

(١) جز : أسرع .

(٢) بطن : يطير .

أُفْتِنَ فِيهِ أَوْ يُعْبَثَ بِي . فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : « وَبَلَدَهُ ^(١) مَحْشٍ ^(٢) »
حَرْبٌ لَوْ كَانَ مَعَهُ رِجَالٌ أَوْ

ثُمَّ خَرَجَ أَبُو بَصِيرٍ حَتَّى نَزَلَ الْعَمِيصَ مِنْ نَاحِيَةِ الْمَرْوَةِ عَلَى سَاحِلِ الْبَحْرِ
بِطَرِيقِ قَرِيشٍ الَّتِي كَانُوا يَأْخُذُونَ إِلَى الشَّامِ ، وَبَلَغَ الْمُسْلِمِينَ الَّذِينَ كَانُوا
أَحْتَبَسُوا بِمَكَّةَ قَوْلُ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لِأَبِي بَصِيرٍ : « وَبَلَدَهُ مَحْشٍ
حَرْبٌ لَوْ كَانَ مَعَهُ رِجَالٌ » فَخَرَجُوا إِلَى أَبِي بَصِيرٍ بِالْعَمِيصِ ، فَاجْتَمَعَ إِلَيْهِ قَرِيبٌ
مِنْ سَبْعِينَ رَجُلًا مِنْهُمْ .

وَذَكَرَ مُوسَى بْنُ عُقْبَةَ أَنَّ أَبَا جَنْدَلٍ بْنَ سُهَيْلٍ بْنِ عَمْرِو بْنِ الْقَيْسِ رَدَّ عَلَى قَرِيشٍ
مُسْكِرًا يَوْمَ الْقَضِيَّةِ هُوَ الَّذِي انْقَلَبَتْ فِي سَبْعِينَ رَأْسًا أَسْلَمُوا وَهَاجَرُوا فَلَحِقُوا
بِأَبِي بَصِيرٍ وَكَرِهُوا النَّوَاءَ بَيْنَ أَظْهَرِ قَوْمِهِمْ ، فَنَزَلُوا مَعَ أَبِي بَصِيرٍ فِي مَنْزِلٍ
كَرِيهِهِ إِلَى قَرِيشٍ فَقَطَعُوا مَا دَتَهُمْ مِنْ طَرِيقِ الشَّامِ . قَالَ : وَكَانَ أَبُو بَصِيرٍ زَعَمُوا
وَهُوَ فِي مَكَانِهِ ذَلِكَ يَصِلُ لِأَسْحَابِهِ ، فَلَمَّا قَدِمَ عَلَيْهِمْ أَبُو جَنْدَلٍ كَانَ
هُوَ بِؤْمَهُمْ .

وَاجْتَمَعَ إِلَى أَبِي جَنْدَلٍ نَاسٌ مِنْ غِفَارٍ وَأَسْلَمَ وَجُمُيْنَةَ وَطَوَائِفَ مِنَ الْعَرَبِ
حَتَّى بَلَغُوا ثَلَاثِمِائَةَ مَقَاتِلٍ وَهُمْ مُسْلِمُونَ ، فَأَقَامُوا مَعَ أَبِي جَنْدَلٍ وَأَبِي بَصِيرٍ ،
لَا يَمُرُّ بِهِمْ غَيْرُ أَقْرَبِ إِلَّا أَحْذَوْهَا وَقَتَلُوا أَصْحَابَهَا . وَقَالَ فِي ذَلِكَ أَبُو جَنْدَلٍ
فِيمَا ذَكَرَهُ غَيْرُ ابْنِ عُقْبَةَ :

(١) وَبَلَدُهُ : وَبَلْ أَمَهُ . وَهِيَ هُنَا كَلِمَةٌ مَدْحٌ

(٢) مَحْشٍ حَرْبٌ : مَوْقِدُهَا وَمَسَرُّهَا . وَتُرْوَى : مَسَرُّ حَرْبٍ .

أبلغ قريشاً عن أبي جندل أنا بذى المروة بالساحل
في معشر تحقق أيمانهم بالبيض فيها واللقا الذابل
بأنون أن يبقى لهم رققة من بعد إسلامهم للواصل
أو يجعل الله لهم مخرجاً والحق لا يغلب بالباطل
فيسلم المراء بإسلامه أو يقتل المراء ولم يأنل

فأرسلت قريش إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم أبا سفيان بن حرب
يسألونه ويتضرعون إليه أن يبعث إلى أبي بصير وإلى أبي جندل بن سهيل
ومن معهم فيقدموا عليه وقالوا : من خرج منا إليك فأمسكه في غير حرج فإن
هؤلاء الركب قد فتحوا علينا باباً لا يصلح إقراره .

فلما كان ذلك من أمرهم علم الذين كانوا أشاروا على رسول الله صلى الله
عليه وسلم أن يبعث أبا جندل من أبيه بعد القضية أن طاعة رسول الله صلى الله
عليه وسلم خير فيما أحبوا وفيما كرهوا ، وأن رأيه أفضل من رأيهم ومن رأى
من ظن أن له قوة ورأياً ، وعلم أن ما خص الله به نبيه من اللعن والكرامة
أفضل .

وكتب رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى أبي جندل وأبي بصير بأمرهم
أن يرجعوا إلى بلادهم وأهلهم ولا يعرضوا لأحد منهم من قريش
وعيراتها ، فقدم كتاب رسول الله صلى الله عليه وسلم ، زعموا ، على أبي جندل
وأبي بصير وأبو بصير يموت ، فات وكتاب رسول الله صلى الله عليه وسلم في
يده يقرئه . فدفنه أبو جندل مكانه وجعل عند قبره مسجداً .

وقدم أبو جندل على رسول الله صلى الله عليه وسلم معه أناس من أصحابه

ورجع سائرهم إلى أهلهم وأمفت عيرات قريش .

فلم يزل أبو جندل مع رسول الله صلى الله عليه وسلم وشهد ما أدرك من المشاهد بعد ذلك وشهد الفتح ، ورجع مع رسول الله صلى الله عليه وسلم فلم يزل معه بالمدينة حتى توفي صلوات الله عليه وسلامه وقدم أبوه سميل بن عمرو للمدينة أول إمارة عمر بن الخطاب رضى الله عنه فكث بها شهراً ثم خرج مجاهداً إلى الشام وخرج معه ابنه أبو جندل فلم يزالا مجاهدين حتى ماتا جميعاً هناك برحمة الله .

[المهاجرات بعد الحديبية]

وهاجرت إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم في تلك المدة أم كلثوم بنت عقبة ابن أبي مَظِيط ، فخرج أخوها عمارة والوليد ابنا عقبة حتى قدما على رسول الله صلى الله عليه وسلم يسألانه أن يردها عليهما بالعهد الذى بيده وبين قريش في الحديبية ، فلم يفعل ، أبى الله ذلك وأنزل فيه على رسوله « يا أيها الذين آمنوا إذا جاءكم المؤمنات مهاجرات فامتنعوهن الله أعلم بإيمنهم ، فإن علمتموهن مؤمنات فلا ترجعهن إلى الكفار لانهن حلال لهن ولأهمن يحملون لمن ، وآتوهن ما أنفقوا ، ولا جناح عليكم أن تنكحوهن إذا آتيتوهن أجورهن ، ولا تفسكوا بمعصم الكوافر واسألوا ما أنفقتم ولا تسألوا ما أنفقوا ، ذلكم حكم الله بحكم بينكم والله عليم حكيم ^(١) » .

غزوة خيبر

ولما قدم رسولُ الله صلى الله عليه وسلم المدينة من الحديبية مكث بها
 ذا الحجة مُتسلخ سنة ست ، وبعض الحرم من سنة سبع .
 ثم خرج في بقية منه إلى خيبر غزياً .

وكان الله وعده إياها وهو بالحديبية بقوله عز من قائل : « وعدكم الله مغانم
 كثيرة تأخذونها فغلب لكم هذه » بمعنى بالمعجل صلح الحديبية ، والناسم
 للوعود بها فتح خيبر .

فخرج إليها رسول الله صلى الله عليه وسلم مستنجزاً ميعاد ربه وواثقاً
 بكفايته ونصره ، ودفع الراية إلى علي بن أبي طالب وكانت بيضاء ، فسلك
 على عصر^(١) فبنى له فيها مسجداً ، ثم على الصهباء . ثم أقبل بجيشه حتى نزل
 به بواد يقال له الرّجيس فنزل بينهم وبين غطفان ليحول بينهم وبين أن يمدّوا
 أهل خيبر وكانوا لهم مظاهرين على رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فذكر
 أن غطفان لما سمعت بمدّله من خيبر جمعوا ثم خرجوا ليظاهروا يهود عليه حتى
 إذا ساروا منقلة^(٢) سمعوا خلفهم في أموالهم وأهلهم حسّاً ظفوا أن القوم قد
 خالفوا إليهم ، فرجموا على أعقابهم فأقاموا في أهلهم وأموالهم وخلوا بين رسول
 الله صلى الله عليه وسلم وخيبر .

قال أبو معتب بن عمرو : لما أشرف رسول الله صلى الله عليه وسلم على
 خيبر قال لأصحابه وأنا فيهم : قفوا . ثم قال : « اللهم رب السموات السبع وما

(١) عصر : جبل بين المدينة ووادى القرع .

(٢) المنقلة : الرحلة من الطريق .

أظللن ورب الأرضين السبع وما أفلنن ورب الشياطين وما أضللن ورب الرياح وما أذرنن فإننا نسألك خيرَ هذه القرية وخير أهلها وخير ما فيها ونعوذ بك من شرّها وشر أهلها وشر ما فيها » ثم قال : « أقدموا بسم الله » قال : وكان يقولها لكل قرية دخلها .

وقال أنس بن مالك : كان رسول الله صلى الله عليه وسلم إذا عزا قوماً لم يُعزّ عليهم حتى يصبح ، فإن سمع أذاناً أمسك وإن لم يسمع أذاناً أغار ، فنزلنا خير ليلاً فبات رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى إذا أصبح لم يسمع أذاناً فركب وركبنا معه ، فركبت خلف أبي طاحنة وإن قدمي لتمسّ قدّم رسول الله صلى الله عليه وسلم واستقبلنا عمال خير غادين قد خرجوا بمساحيهم ومكانلهم ، فلما رأوا رسول الله صلى الله عليه وسلم والجيش قالوا : محمد والخميس معه . فأدبروا هرباً ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « الله أكبر خربت خير ! إنا إذا نزلنا بساحة قوم فساء صباح المنذرين » .

قال ابن إسحق : وتدنّى^(١) رسول الله صلى الله عليه وسلم الأموال يأخذها مالا مالا ويفتحها حصفاً حصفاً ، فكان أول حصونهم افتتح حصن ناعم ، وعنده قُتل محمود بن مسلة أقيت عليه رحيّ منه فقلته ، ثم القموص حصن أبي الحقيق^(٢) وأصاب رسول الله صلى الله عليه وسلم منهم

(١) تدنّى : جعل يأخذ الأدنى فالأدنى .

(٢) الطبرى : حصن ابن أبي الحقيق . وابن هشام : حصن بن أبي الحقيق .

سبايا منهن صفية بنت حُيَّ بن أخطب ، وكانت عند كدانة بن الربيع ابن أبي الحقيق وبنى عم لها ، فاصطفى صفية لنفسه بعد أن سأله إياها دحية الكلبي ، فلما اصطفاها لنفسه أعطاه ابنتي عمها ، وكان بلال هو الذي جاء بصفية وبأخرى معها فمرَّ بهما على قتلى من قتل يهود ، فلما رآهم التي مع صفية صاحت وصكَّت وجهها وحثت التراب على رأسها ، فلما رآها رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : أغربوا عن هذه الشيطانة وأمر بصفية فحيزت خلفه وألقى عليها رداؤه ، فمرف المسلمون أنه قد اصطفاها لنفسه فذكر أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لبلال حين رأى بتلك اليهودية ما رأى : « أزعّت منك الرحمة يا بلال حين تمرّ بمرأيتين على قتلى رجالهما ١٩ » .

وكانت صفية قد رأت في المنام وهي عروس بكنانة بن الربيع بن أبي الحقيق أن قرأ وقع في حِجْرها ، فمرضت رؤياها على زوجها فقال : ما هذا إلا أنك تمدين ملاك الحجاز محمداً ! فلطم وجهها لطمه خَضَرَ عَيْنُهَا منها . فأتى بها رسول الله صلى الله عليه وسلم وبها أثر منه فسألها ما هو فأخبرته الخبر .

ولما أعرض بها رسول الله صلى الله عليه وسلم بخيبر أو ببعض الطريق وبات بها في قُبَّة له ، بات أبو أيوب الأنصاري متوشحاً السيف يحرسه ويطيّف بالقبة حتى أصبح رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فلما رأى مكانه قال : مالك يا أبا أيوب ؟ قال : يا رسول الله خِفْتُ عليك من هذه المرأة ، وكانت امرأة قد قتلت أباهَا وزوجها وكانت حديثه عهد بكفر

فخفتمُها عليك . فزعموا أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : « اللهم احفظ أبا أيوب كما بات يحفظني » .

وأثنى رسول الله صلى الله عليه وسلم بكفانة بن الربيع وكان عنده كنز بنى النضير فسأله عنه فجحد أن يكون يعلم مكانه ، فأثنى رسول الله صلى الله عليه وسلم برجل من يهود فقال : إني رأيت كفانة بعليفا بهذه الخبرة كلَّ غداة . فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم لكفانة : أرايت إن وجدناه عندك أقتلك ؟ قال : نعم . فأمر رسول الله صلى الله عليه وسلم بالخربة فحفرت فأخرج منها بعض كدزهم ثم سأله ما بقي فأبى أن يريه ، فأمر به الزبير بن العوام فقال : عذِّبه حتى تستأصل ما عنده . فكان الزبير يقدح بزند في صدره حتى أشرف على نفسه ثم دفعه رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى محمد بن مسلمة فضرب عنقه بأخيه محمود ابن مسلمة .

[تحريم الحر الأهلية]

وقُتِلَت السبايا من خيبر في المسلمين وأكل المسلمون لحومَ الحر من حرها .

قال ابن عقبة : كانت أرضا وخيمة شديدة الجهد ، فجهد المسلمون جهداً شديداً وأصابتهم مَسْغَبَةٌ شديدة فوجدوا أحرة إنسية ليهود لم يكونوا أدخلوها الحصن فانتصروها ، ثم وجدوا في أنفسهم من ذلك ، فذكروها لرسول الله صلى الله عليه وسلم فنهام عن أكلها .

قال أبو سليط فيما ذكر ابن إسحق : أنا نأنا نهى رسول الله صلى الله عليه وسلم عن أكل لحوم الجر الإنسانية والقصور تفور بها فكفأناها على وجوها .

وذكر أيضا أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قام يومئذ في الناس فنهاهم عن أمور سماها لهم ، قال مكحول : نهاهم يومئذ عن أربع : إتيان الحبالى من النساء^(١) ، وعن أكل الحمار الأهلى ، وعن أكل كل ذى ناب من السباع ، وعن بيع اللغائم حتى تقسم .

وحدث جابر بن عبد الله ولم يشهد خيبر أن رسول الله صلى الله عليه وسلم حين نهى الناس عن أكل لحوم الجر أذن لهم في لحوم الخيل . وافتتح رؤيغ بن ثابت قرية من قرى المغرب يقال لها جربة^(٢) فقام خطيبا فقال : يا أيها الناس إني لا أقول لكم إلا ما سمعت من رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول فينا يوم خيبر ، قام فينا فقال :

« لا يحمل لامرى يؤمن بالله واليوم الآخر أن يصيب امرأة من السبي حتى يستبرئها ، ولا يحمل لامرى يؤمن بالله واليوم الآخر أن يبيع متعنا حتى يُقسم ، ولا يحمل لامرى يؤمن بالله واليوم الآخر أن يركب دابة من فئ المسلمين حتى إذا أجمعها ردّها فيه ، ولا يحمل لامرى يؤمن بالله واليوم الآخر أن يلبس ثوبا من فئ المسلمين حتى إذا أخلقه رده فيه » .

(١) أى من السبايا قبل استبرائهن بالوضع .

(٢) جربة : جزيرة بالمغرب من ناحية فاس .

وقال عبادة بن الصامت : نهانا رسول الله صلى الله عليه وسلم يوم خيبر أن نبيع أو نبتاع ثبر الذهب بالذهب العَيْن ، وثبر الفضة بالورق العين ، وقال : « ابتاعوا ثبر الذهب بالورق العين ، وثبر الفضة بالذهب العين » .

ولما أصاب المسلمين بخيبر ما أصابهم من الجهد أنى بدو سهم من أسلم رسول الله صلى الله عليه وسلم . فقالوا : يا رسول الله لقد جُهدنا وما بأيدينا من شيء . فلم يجدوا عند رسول الله صلى الله عليه وسلم شيئاً يعطيهم إياه فقال : اللهم إنك قد عرفت حالهم وأن ليست بهم قوة وأن ليس بيدي شيء أعطيهم إياه فافتح عليهم أعظم حصونها عنهم غداً وأكثرها طعاماً ووداً . فعدا للناسُ وفتح الله عليهم حصن الصَّعب بن معاذ ، وما بخيبر كان أكثر طعاماً ووداً كما منه .

[المبارزة]

ولما افتتح رسول الله صلى الله عليه وسلم من حصونهم ما افتتح وحاز من الأموال ما حاز انتهوا إلى حصنهم « الوطيط » و « السَّلام » وكانا آخر حصون أهل خيبر افتتحا ، فعاصرم رسول الله صلى الله عليه وسلم بضلع هشة ليلة ، وخرج مَرْحَب اليهودي من حصنهم قد جمع سلاحه وهو ينادى : من يبارز ويرتجز :

فد علمت خيبر أَى مَرْحَبُ شاكى السلاح بطل مجرَّبُ
أطعنُ أحياناً وحيناً أضربُ إذا الليوث أقبلت تجرَّبُ
إنَّ حَيَّاهى للحمى لا بَقْرَبُ

فأجابه كعب بن مالك فقال :

قد علمتُ خيرُ أنى كعبُ مفرِّجُ النِّمَّا جرىءُ صُلْبُ
حينَ تشبَّ الحربُ ثم الحربُ مميَّ حُسامٌ كالتَّعْيِيقِ عَصْبُ
نطوؤُكمُ حتى يَذلَّ الصَّعْبُ نعلَى الجِزاءِ أو يَفْءاءُ النَّهْبُ
بكفِّ ماضٍ ليس فيه عَثْبُ

فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : من لهذا ؟ قال محمد بن مسلمة : أنا
له يا رسول الله ، أنا والله الموتور الثائر قتل أخى بالأمس . قال : فقم إليه اللهم
أعنه عليه . فلما دنا أحدهما من صاحبه دخلت بينهما شجرة عُمرية^(٢) من
شجر العُشر^(١) فجعل أحدهما يلوذ بها من صاحبه كلما لاذ بها منه اقتطع صاحبه
بسيفه مادونه منها حتى برز كل واحد منهما لصاحبه وصارت بينهما كالرجل
اللقائم ما فيها فَنَن ، ثم حل مرحب على محمد بن مسلمة فاتقاه بدِرْقته فوق سيفه
فيها فعضت به فأمسكته ، وضربه محمد بن مسلمة حتى قتله .

ثم خرج بعد مَرَّحِب أخوه ياسر وهو يقول : من يبارز ؟ فخرج إليه
الزبير بن العوام ، فيما ذكر هشام بن عروة ، فقالت أمه صفية بنت عبد
المطلب : يقتل ابني يا رسول الله ؟ قال : بل ابلك يقتله إن شاء الله . فخرج الزبير
فالتقيا فقتله الزبير .

(١) ابن هشام : إذ شبت الحرب نلتها الحرب .

(٢) ابن هشام : أو ينفذ النهب . وما هنا أدق .

(٣) عمرية : قديمة ممررة .

(٤) العشر : شعر فيه حراق لم يقتدح الناس في أجود منه .

[هلى- يحمل الراية]

وحدث سدة بن عمرو بن الأكوع قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم يوم خيبر : « لأعطين الراية غداً رجلاً يحب الله ورسوله يفتح الله على يديه ليس بفرار » فدعا هلى بن أبى طالب رضى الله عنه وهو أرمد فتفل فى عينه ثم قال : خذ هذه الراية فامض بها حتى يفتح الله عليك . فخرج وهو يهرول بها هرولةً ولما خلفه نتبع أثره ، حتى ركز رابته فى رَضَم من حجارة تحت الحصن ، فاطلع إليه يهودى من رأس الحصن فقال : من أنت ؟ قال : أنا هلى بن أبى طالب . قال اليهودى : علونم وما أنزل على موسى . أو كما قال . فارجع حتى يفتح الله على يديه .

وقال أبو رافع ، مولى رسول الله صلى الله عليه وسلم : خرجنا مع هلى رضى الله عنه حين بعثه رسول الله صلى الله عليه وسلم برباطه ، فلما دنا من الحصن خرج إليه أهله فقاتلهم فضربه رجل من يهود فطرح ترسه من يده ، فتناول هلى بابا كان عند الحصن فترس به عن نفسه ، فلم يزل فى يده وهو يقاتل حتى فتح الله عليه ثم ألقاه من يده حين فرغ ، فلقد رأيتنى فى نفر معى سبعة ثامنهم نجهد هلى أن تقلب ذلك الباب فما تقلبه .

وحدث أبو اليسر كعب بن عمرو قال : إننا لمع رسول الله صلى الله عليه وسلم بخيبر ذات عشيّة إذ أقبلت غم لرجل من يهود تريد حصنهم ونحن محاصروهم ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم . من رحل يُطعمنا من هذه الغنم ؟ فقال أبو اليسر : أنا يا رسول الله . قال : فافعل قال : فخرجت أشد مثل الظالم ، فلما رآنى رسول الله صلى الله عليه وسلم مولئاً قال : اللهم أمقئها

(١) قال ابن كثير : وى هذا الخبر جهالة وانقطاع ظاهر . السيرة ٣/٢٥٩ .

به ا قال : فأدركتُ النعم وقد دخلتُ أولاها الحصن فأخذت شاتين من أخراها
فاحتضنتهما تحت يدي ثم أقبلت بهما أشد كآنه ليس معي شيء حتى ألقىتهما
عند رسول الله صلى الله عليه وسلم فذبحوهما فأكلوهما . فكان أبو اليسر من
آخر أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم موتاً ، فكان إذا حدث هذا
الحديث بكى ثم قال : أمتّعوا بي لعمرى حتى كنت من آخرهم ا

[استسلام يهود]

وحاصر رسول الله صلى الله عليه وسلم أهل خيبر في حصنهم « الوطيط »
و « السّلام » حتى إذا أيقنوا بالهلكة سألوه أن يسّروهم وأن يحقن لهم دماءهم
ففعل . وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم قد حاز الأموال كلها الشق ونظاة
والكتيبة ؛ وجميع حصونهم إلا ما كان من ذبّك الحصنين ، فلما سمع بهم
أهل فدك قد صنعوا ما صنعوا بعثوا إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم أن
يسّروهم وأن يحقن لهم دماءهم ويخلّوا له الأموال ففعل .

فلما نزل أهل خيبر على ذلك سألوا رسول الله صلى الله عليه وسلم أن
يعاملهم في الأموال على النصف ، وقالوا نحن أعلم بها منكم وأعمر لها ،
فصالحهم رسول الله صلى الله عليه وسلم على أنا إذا شئنا أن نخرجكم أخرجناكم
فصالحه أهل فدك على مثل ذلك ، فكانت خيبر فينا بين المسلمين .
وكانت فدك خالصة لرسول الله صلى الله عليه وسلم لأنهم لم يُجلبوا عليها
بجئيل ولا ركاب .

[سم اليهودية]

فلما اطمان رسول الله صلى الله عليه وسلم أهدت له زينب بنت الحارث

امرأة سلام بن مشكم شاة مصلية^(١) . وقد سألت أئى عضو من الشاة أحب إليه ؟ فقيل لها الذراع . فأكثرت فيه من السم . ثم سئمت سائر الشاة ، ثم جاءت بها فلما وضعتها بين يديه تناول الذراع فلاك منها مضغاً فلم يسقها ومعه بشر ابن البراء بن معرور قد أخذ منها كما أخذ رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فأما بشر فأحاطها وأما رسول الله صلى الله عليه وسلم فلفظها ثم قال : إن هذا العظيم ليخبرنى أنه مسموم . ثم دعا بها فاعترفت فقال : ما حلك على ذلك ؟ قالت : بلغت من قومي ما لم يخف عليك فقلت : إن كان ما سكا استرحت منه ؛ وإن كان نبياً فيخبر . فتجاوز عنها رسول الله صلى الله عليه وسلم .

ومات بشر بن البراء من أ كانه التى أ كل .

وذكر ابن عقبة أن رسول الله صلى الله عليه وسلم تناول الكتف من تلك الشاة فاتمش منها وتناول بشر عظماً فاتمش منه ؛ فلما استرط^(٢) رسول الله صلى الله عليه وسلم لقمته اشترط بشر ما فى فيه فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : ارفعوا أيديكم فإن كتف هذه الشاة يخبرنى أنى نُميت فيها . فقال بشر بن البراء : والذي أكرمك لقد وجدت ذلك فى أكتفى التى أكلت فما معنى أن ألفظها إلا أنى أعظمت أن أنفصك طعامك ، فلما أسفنت ما فى فمك لم أكن أرغب بنفسى عن نفسك ، ورجوت أن لا تكون استرطتها وفيها نَمى .

فلم يبق بشر من مكانه حتى عاد لونه مثل الطلياسان وماطله وجهه حتى كان لا يتحول إلا ما حوّل .

(١) مصلية - مشوية .

(٢) استرط : ابتلم .

قال جابر بن عبد الله : واحتجم رسول الله صلى الله عليه وسلم يومئذ على السكاهل ، حجه أبو طيبة مولى بني بياضة . وبقي رسول الله صلى الله عليه وسلم بعده ثلاث سنين حتى كان وجهه الذي توفي منه فدخلت عليه أم بشر بنت البراء بن معرور تموده فيما ذكر ابن إسحق فقال لما : يا أم بشر إن هذا لأوان وجدت انقطاع أبهري من الأكلة التي أكلت مع ابلك بخير .

قال : فإن كان المسلمون ليرون أن رسول الله صلى الله عليه وسلم مات شهيداً مع ما أكرمه الله به من النبوة .

[غزوة وادي القرى]

ولما فرغ رسول الله صلى الله عليه وسلم من خيبر انصرف إلى وادي القرى فحاصر أهله ليالي ثم انصرف راجعاً إلى المدينة .

قال أبو هريرة : لما انصرفنا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم عن خيبر إلى وادي القرى نزلها أصلاً^(١) مع مغرب الشمس ، ومع رسول الله صلى الله عليه وسلم غلام أهداه له رفاعة بن زيد الجذاعي ثم الضبيتي ، فوالله إنه ليضع رَحْلَ رسول الله صلى الله عليه وسلم إذ أتاه سهمٌ غَرَبَ فأسابه فقتله ، فقلنا : هيبكاً له الجنة . فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : كلاً والذي نفس محمد بيده إن شملته الآن لتُحرق عليه في النار كان غلاماً من قِـمَّةِ المسلمين يوم خيبر . فسمعا رجل من أصحاب رسول الله

(١) ابن هشام : أصيلاً .

صلى الله عليه وسلم فأتاه فقال له : يا رسول الله أصبْتُ شراكين لنعلين
لى . فقال : يُقَدِّ لك مثلهما من النار .

وخرج مسلم فى صحيحه من حديث عمر بن الخطاب رضى الله عنه
قال لما كان يوم خيبر أقبل نفر من صحابة النبي صلى الله عليه وسلم
فقالوا : فلان شهيد وفلان شهيد حتى مرّوا على رجل فقالوا : فلان
شهيد . فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : كلا إني رأيتُه فى النار فى
بُرْدَةٍ غلّها أو عباءة . ثم قال : يا بن الخطاب اذهب فنادِ فى الناس
إنه لا يدخل الجنة إلا للمؤمنون . قال : فخرجت فناديت ألا إنه لا يدخل
الجنة إلا المؤمنون^(١) .

[خروج النساء]

وشهد خيبر مع رسول الله صلى الله عليه وسلم نسائا من نساء المسلمات
فرضخ لهن عليه السلام من الفؤاد ولم يضرب لهن بسهم . حدثت بنت
[أبى] الصلت^(٢) عن امرأة غفارية سمّتها قالت : أتيت رسول الله صلى
الله عليه وسلم فى نسوة من بنى غفار وهو يسير إلى خيبر فقلنا :
يا رسول الله قد أردنا الخروج معك إلى وجهك هذا فنداوى الجرحى
ونعين المسلمين بما استطعنا . فقال : هلى بركة الله . قالت : فخرجنا معه

(١) صحيح مسلم كتاب الإيمان حديث رقم / ١٨٢

(٢) هى أمية بنت قيس بن أبى الصلت الغفارية ، مختلف فى حديثها . أسد الغابة
٤٠٥/٥ وقد روى خبرها هذا الواقدي وأبو داود فى سننه وابن كثير فى سيرته .
وفى ابن هشام (ط الحلبى) : أمية بن أبى الصلت . محرفة .

فلما افتتح خيبر رَضَّحَ لنا من اللقيء وأخذ هذه القلادة التي تزين في عنقي فأعطانيها وعلَّقها بيده في عنقي ، فوالله لا تفارقتني أبداً . قالت : فكانت في عنقها حتى ماتت ثم أوصت أن تُدفن معها .

[الشهداء]

واستشهد بخيبر من المسلمين نحو من عشرين رجلاً منهم عامر بن الأكوع عم سلمة بن عمرو بن الأكوع ؛ وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم قد قال له في مسيره إلى خيبر : انزل يا ابن الأكوع فخذ لنا من هَـنَاتِكَ^(١) ا فَنَزَلَ يَرْتَجِزُ بِرَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَقَالَ :

وَاللَّهِ لَوْلَا اللَّهُ مَا اهْتَدَيْنَا وَلَا تَصَدَّقْنَا وَلَا صَلَّيْنَا
إِنَّا إِذَا قَوْمٌ بَغَوْا عَلَيْنَا وَإِنْ أَرَادُوا فِتْنَةً أَبَيْنَا
فَأَنْزَلُنْ سَكِينَةً عَلَيْنَا وَثَبَّتْ الْأَقْدَامَ إِنْ لَا قَيْنَا

فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : يَرْحُكَ اللَّهُ . فَقَالَ عُمَرُ بْنُ الْخَطَّابِ : وَجِبَتْ وَاللَّهِ بِرَسُولِ اللَّهِ لَوْ أَمْتَعْتُنَا بِهِ أَفَقْتَلُ يَوْمَ خَيْبَرَ شَهِيداً ، وَكَانَ قَتْلُهُ أَنْ سَيْفُهُ رَجَعَ عَايِهِ وَهُوَ يَقَاتِلُ فَكَلَّمَهُ كَلِمَةً شَدِيداً فَمَاتَ مَعَهُ ، فَكَانَ الْمُسْلِمُونَ قَدْ شَكُّوا فِيهِ وَقَالُوا : إِنَّمَا قَتَلَهُ سِلَاحُهُ ، حَتَّى سَأَلَ ابْنُ أَخِيهِ سَلَمَةَ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عَنْ ذَلِكَ وَأَخْبَرَهُ بِقَوْلِ النَّاسِ فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : إِنَّهُ لَشَهِيدٌ وَصَلَّى عَلَيْهِ . فَعَمِلَى عَلَيْهِ الْمُسْلِمُونَ .

(١) هَنَاتِكَ : أشعارك أو أحاديثك .

ومنهـم الأسود الراعى من أهل خير ، وكان من حديثه أنه أنى رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو محاصر لبعض حصون خير ومعه غنم كان فيها أجيرا لرجل من يهود ، فقال : يا رسول الله اعرض على الإسلام فمرضه عليه فأسلم . وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم لا يَحْقِرُ أحداً أن يدعوهُ إلى الإسلام ويمرضه عليه ، فلما أسلم قال : يا رسول الله إني كنت أجيراً لصاحب هذه الغنم وهى أمانة عندى فكيف أصنع بها ؟ قال اضرب وجوهها فإنها سترجع إلى ربها . أو كما قال . فقام الأسود فأخذ حفنة من الحصباء فرمى بها فى وجوهها وقال : ارجعى إلى صاحبك فوالله لا أصحبك . وخرجت^(١) مجتمعة كأن سائفاً بسوقها حتى دخلت الحصن ثم تقدم الأسود إلى ذلك الحصن ليقاتل مع المسلمين فأصابه حجر فقتله ، وما صلى لله صلاة قط ، فأثنى به رسول الله صلى الله عليه وسلم فوضع خلفه وسجى بشملة كانت عليه فالتفت إليه رسول الله صلى الله عليه وسلم ومعه نفر من أصحابه ثم أعرض عنه فقالوا : يا رسول الله لم أعرضت عنه ؟ قال : إن معه الآن زوجتيه من الحور العين ا

وذكر ابن إسحق عن عبيد الله بن أبى نجيح أن الشهيد إذا ما أصيب نزلت زوجتاه من الحور العين عليه يفضضان التراب عن وجهه ويقولان : ترّب الله وجه من ترّبك وقتل من قتلك .

[أمر الحجاج بن علاط]

قل : ولما افتتحت خير كأم رسول الله صلى الله عليه وسلم الحجاج بن

(١) ابن هشام : نخرجت .

عِلَاطُ الشَّلَی ثُمَّ اللَّبَنَزَى فَقَالَ : يَا رَسُولَ اللَّهِ إِنْ لِي بِمَكَّةَ مَا لَا عَهْدَ صَاحِبِهَا
أُمَّ شَيْبَةَ بِنْتَ أَبِي طَلْحَةَ وَمَا لَا مَتْرَفَاقِي تِجَارَ أَهْلِ مَكَّةَ فَأُذِنَ لِي يَا رَسُولَ
اللَّهِ . فَأُذِنَ لَهُ قَالَ : إِنَّهُ لَا يَدَّ لِي يَا رَسُولَ اللَّهِ مِنْ أَنْ أَقُولَ .^(١)
قَالَ : قُلْ .

قَالَ الْحِجَاجُ : فَخَرَجْتُ حَتَّى إِذَا قَدِمْتُ مَكَّةَ وَجَدْتُ بِثَلَاثَةِ الْبَيْضَاءِ
رِجَالًا مِنْ قُرَيْشٍ يَتَسَمَّعُونَ الْأَخْبَارَ وَيَسْأَلُونَ عَنْ أَمْرِ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ
عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، وَقَدْ بَلَغَهُمْ أَنَّهُ سَارَ إِلَى خَيْبَرَ وَعَرَفُوا أَنَّهَا قَرْيَةُ الْحِجَازِ رِيفًا
وَمُدَّةً وَرِجَالًا ، فَهُمْ يَتَحَسَّسُونَ الْأَخْبَارَ وَيَسْأَلُونَ الرِّكْبَانَ ، فَلَمَّا رَأَوْنِي وَلَمْ
يَكُونُوا عَلِمُوا بِإِسْلَامِي قَالُوا : الْحِجَاجُ بْنُ عَلَاطٍ ؟ عِنْدَهُ وَاللَّهِ الْخَبِيرُ ،
أَخْبَرْنَا يَا أَبَا مُحَمَّدٍ فَإِنَّهُ قَدْ بَلَغَنَا أَنَّ الْقَاطِعَ سَارَ إِلَى خَيْبَرَ وَهِيَ بِلَدِ يَهُودَ
وَرِيفِ الْحِجَازِ . قُلْتُ : قَدْ بَلَغَنِي ذَلِكَ وَعِنْدِي مِنَ الْخَبِيرِ مَا يَسْرُكُمْ .
قَالَ : فَالْتَبَطُوا^(٢) بِيَحْيَى نَاقَتِي يَقُولُونَ : لِأَبِي يَاحْجَاجٍ ؟ قُلْتُ : هُزِمَ هَزِيمَةً لَمْ
يَسْمَعُوا بِمُتْلَاهَا قَطَ وَقُتِلَ أَصْحَابُهُ قَتْلًا لَمْ تَسْمَعُوا بِمُتْلَاهُ قَطَ وَأَسْرَ مُحَمَّدٌ أَسْرًا ،
وَقَالُوا : لَا نَقْتُلُهُ حَتَّى نَبْعَثَ بِهِ إِلَى مَكَّةَ فَيَقْتُلُونَهُ بَيْنَ أَظْهُرِهِمْ بَيْنَ كَانِ أَصَابَ
مِنْ رِجَالِهِمْ . قَالَ : فَقَامُوا وَصَاحُوا بِمَكَّةَ وَقَالُوا : قَدْ جَاءَكُمْ الْخَبِيرُ وَهَذَا
مُحَمَّدٌ إِنَّمَا تَنْظُرُونَ أَنْ يُقَدَّمَ بِهِ عَلَيْكُمْ فَيَقْتُلُ بَيْنَ أَظْهُرِكُمْ .

قَالَ : فَقُلْتُ أَعَيْنُونِي عَلَى جَمْعِ مَالِي بِمَكَّةَ عَلَى غَرْمَائِي فَإِنِّي أُرِيدُ أَنْ

(١) أقول : أى احتال عليهم بكلام لا أعتقده .

(٢) التبطوا : مشوا بجانبها .

أقدم خيبر فأصيب به من أهل^(١) محمد وأصحابه قبل أن يسبقني للتجار إلى ما هناك . فقاموا فجمعوا إلى مالي كأحسُّ جمعٍ سمعت به وجئت صاحبتي فقلت : مالي . وقد كان لي عندها مال موضوع لعلِّي ألحق بخيبر فأصيب من فُرص البيع قبل أن يسبقني التجار .

قال : فلما سمع العباس بن عبد المطلب الخبر وجاءه عنى أقبل حتى وقف إلى جنبى وأنا فى خيمة من خيام التجار فقال : يا حجاج ما هذا الذى جئت به ؟ قلت : وهل عندك حفظ لما وضعتُ عندك ؟ قال : نعم . قلت : فاستأخرْ عنى حتى ألقاك على خلاء فإنى فى جمع مالي كما ترى فأنصرف عنى حتى أفرغ . قال : حتى إذا فرغت من جمع كل شيء كان لى بمكة وأجمعت الخروج لقيتُ العباس فقلت : احفظ علىّ حديثى يا أبا الفضل ، فإنى أخشى الطلب ثلاثاً ثم قل ماشئت . قال : أفعل . قلت : فإنى والله لقد تركت ابن أخيك عروساً على بنت ملكهم يعنى صفية بنت حبي ، ولقد افتتح خيبر وانتقل^(٢) ما فيها وصارت له ولأصحابه . قال : ما تقول يا حجاج ؟ قلت : إى والله فاكتنم عنى ولقد أسلمتُ وما جئت إلا لأخذ مالي فرقاً من أن أغلب عليه ، فإذا مضت ثلاث فأظهرُ أمرك فهو والله على ما نحب .

قال : حتى إذا كان اليوم الثالث لبس للعباس حلة له وأخذ عصاه

(١) كذا بالأصل ، وى الطبرى وابن هشام : من فل محمد وأصحابه . وما هنا أوضح .
والقول : الجيش المنهزم .

(٢) انتقل : استخرج .

ثم خرج حتى أتى الكعبة فطاف به فلما رآوه قالوا : يا أبا الفضل هذا والله التجلد لحرّ المصيبة ! قال : كلاً والله الذي حلقتم به لقد افتتح محمد خيبر وترك عروساً على ابنة ملكهم وأحرز أموالهم وما فيها فأصبحت له ولأصحابه . قالوا : ما جاءك^(١) بهذا الخبر ، قال : الذي جاءكم بما جاءكم به ، ولقد دخل عليكم مسلماً وأخذ ماله فانطلق ليحلق بمحمد وأصحابه فيكون معه . قالوا : يالَ عباد الله ! انفلت عدو الله ، أما والله لو علمنا لكان لنا وله شأن . ولم ينشئوا أن جاءهم الخبر بذلك .

وقال كعب بن مالك الأنصاري في يوم خيبر :

ونحن وردنا خيبراً وفروضه

بكل فتى عارى الأشاجع مذود^(٢)

جواد لدى الغايات لا واهن القوى

جرى على الأعداء في كل مشهد

عظيم رماد القدر في كل شتوة

ضرُوب بتصل للشرقى للمهد

برى القتل مدحاً إن أصاب شهادة

من الله يرجوها وفوزاً بأحمد

(١) ابن هشام والطبري : من جاءك .

(٢) الفروض : مواضع الشرب من الأنهار ، والأشاجع : مروق ظهر الكف .
واللذود : المحامى والدافع .

— ٢٦٨ —

يلدود ويحمى عن ذِمَارِ مُحَمَّدٍ
ويُدْفَعُ عَنْهُ بِاللَّسَانِ وَالْيَدِ
ويُصْرَهُ مِنْ كُلِّ أَمْرٍ يَرِيهِ
يُجُودُ بِنَفْسٍ دُونَ نَفْسِ مُحَمَّدٍ

وذكر ابن عُثْبَةَ أَنَّ بَنِي فَزَارَةَ قَدِمُوا عَلَى أَهْلِ خَيْبَرَ فِي أَوَّلِ أَمْرِهِمْ
لِيُعِينُوهُمْ فَرَأَسَهُمْ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَنَّ لَا يَمِينُومُ وَأَنْ يُخْرِجُوا
عَنْهُمْ عَلَى أَنْ يَعْطِيَهُمْ مِنْ خَيْبَرَ شَيْئًا سِوَا سِمَاءِ لَهُمْ ، فَأَبَوْا عَلَيْهِ وَقَالُوا : جَبِرَانُنَا
وَحُلَفَاؤُنَا . فَلَمَّا فَتَحَ اللَّهُ خَيْبَرَ أَنَاهُ مِنْ كَانَ هُنَاكَ مِنْ بَنِي فَزَارَةَ فَقَالُوا :
الَّذِي وَعَدْتَنَا ؟ فَقَالَ : لَكُمْ ذُو الرَّقِيبَةِ ، لَجَلُ مِنْ جِبَالِ خَيْبَرَ . قَالُوا :
إِذْنِ نَقَاتِكَ قَالَ : مَوْعِدُكُمْ جَرَفَاءُ^(١) . فَلَمَّا سَمِعُوا ذَلِكَ مِنْ رَسُولِ اللَّهِ
خَرَجُوا هَارِبِينَ .

[تَقْسِيمُ الْقَنَاطِمِ]

قَالَ ابْنُ إِسْحَاقَ : وَكَانَتْ الْقَنَاسِمُ عَلَى أَمْوَالِ خَيْبَرَ عَلَى الشَّقِّ وَنَطَاطِ
وَالسَّكَنِيَّةِ ، وَكَانَتْ الشَّقِّ وَنَطَاطِ فِي سُهُْمَانِ الْمُسْلِمِينَ ، وَكَانَتْ السَّكَنِيَّةُ
خَمْسَ اللَّهِ وَسِتِّمِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَسُهُْمِ ذَوِي الْقُرْبَى وَالْمَسَاكِينِ^(٢)
وَطُغْمِ أَزْوَاجِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَطُغْمِ رِجَالٍ مَشَوْا بَيْنَ رَسُولِ اللَّهِ
صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَبَيْنَ أَهْلِ قَدِّكَ بِالصَّالِحِ .

(١) جَرَفَاءُ : قَالَ فِي مَعْجَمِ الْبُلْدَانِ : وَيَوْمَ جَرَفَاءَ مِنْ أَيَّامِ الْعَرَبِ ، وَلَعَلَّهُ مَوْضِعٌ .

(٢) زَادَ الطَّبْرِيُّ : وَابْنُ السَّيْلِ .

وَقُسِّمَتْ خَيْبِرُ عَلَى أَهْلِ الْحُدَيْبِيَّةِ مِنْ شَهِدِ خَيْبَرَ وَمَنْ غَابَ عَنْهَا ، وَلَمْ يَغِبْ عَنْهَا إِلَّا جَابِرُ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَمْرٍو بْنِ حَرَامٍ ، فَتَقَسَّمْ لَهُ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ كَسْبَهُمْ مِنْ حَضْرَتِهَا . وَفِي هَذِهِ الْغَزْوَةِ بَيْنَ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ سَهْمَانِ الْخَيْلِ وَالرِّجَالِ ، فَجُعِلَ لِلْفَرَسِ سَهْمَانِ وَلِلْفَارَسِ سَهْمَانُ وَاللِّرَاجِلِ سَهْمَانُ ، فَجُرَتْ الْقَاسِمُ عَلَى ذَلِكَ فِيمَا بَعْدَ ، وَيَوْمَئِذٍ عَرَّبَ الْعَرَبِيُّ مِنَ الْخَيْلِ وَهَجَّجَ الْمَجْعِينَ .

[قَدُومُ الْمُهَاجِرِينَ إِلَى الْحَبَشَةِ]

وَذَكَرَ ابْنُ عَقْبَةَ أَنَّهُ قَدِمَ عَلَى رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بِخَيْبَرَ نَفَرٌ مِنَ الْأَشْعَرِيِّينَ فِيهِمْ أَبُو عَامِرٍ الْأَشْعَرِيُّ قَدِمُوا إِلَى الْمَدِينَةِ مَعَ مَهَاجِرَةِ الْحَبَشَةِ وَرَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بِخَيْبَرَ فَمَضُوا إِلَيْهِ وَفِيهِمْ أَبَانُ بْنُ سَعِيدِ بْنِ الْعَاصِ وَالطَّفِيلُ يَعْنِي ابْنَ عَمْرٍو الدَّوْسِيُّ ذَا النُّورِ ، وَأَبُو هُرَيْرَةَ وَنَفَرٌ مِنْ دَوْسٍ فَرَأَى رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَرَأَاهُ الْحَقُّ أَنْ لَا يُخَيِّبَ مَسِيرَهُمْ وَلَا يَبْطُلَ سَفَرُهُمْ فَشَرَّكَهُمْ فِي مَقَاسِمِ خَيْبَرَ وَسَأَلَ أَصْحَابَهُ ذَلِكَ فَطَابَوْا بِهِ نَفْسًا .

وَلَمْ يَذْكُرْ ابْنُ عَقْبَةَ جَعْفَرَ بْنَ أَبِي طَالِبٍ فِي هَؤُلَاءِ الْقَادِمِينَ عَلَى رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بِخَيْبَرَ مِنْ أَرْضِ الْحَبَشَةِ وَهُوَ أَوْلَهُمْ وَأَفْضَلُهُمْ ، وَمَا مِثْلُ جَعْفَرَ بِتَخْطِئَةٍ ذَكَرَهُ ، وَمَنْ الْبَعِيدُ أَنْ يَغِيبَ ذَلِكَ عَنْ ابْنِ عَقْبَةَ ، فَاللَّهُ أَعْلَمُ بِمَعْنَاهِ .

وَقَدْ ذَكَرَ ابْنُ إِسْحَاقَ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ كَانَ بَعَثَ عَمْرُ بْنُ أُمَيَّةَ الضَّمْرِيُّ إِلَى الْبَجَاشِيِّ فَيَمْنُ كَانَ أَقَامَ بِأَرْضِ الْحَبَشَةِ مِنْ أَصْحَابِهِ لِحَمْلِهِمْ فِي سَفِينَتَيْنِ فَقَدِمَ بِهِمْ عَلَيْهِ وَهُوَ بِخَيْبَرَ بَعْدَ الْحُدَيْبِيَّةِ ، فَذَكَرَ جَعْفَرَ أَوْلَهُمْ وَذَكَرَ مَعَهُ سِتَّةَ عَشَرَ رَجُلًا قَدِمُوا فِي السَّفِينَتَيْنِ مَعَهُ .

وَذَكَرَ ابْنُ هِشَامٍ عَنِ الشَّعْبِيِّ أَنَّ جَعْفَرَ قَدِمَ عَلَى رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ

وسلم يوم فتح خيبر فقبّل رسول الله صلى الله عليه وسلم ما بين عينيه والتزمه وقال : ما أدرى بأيّهما أسرّ أفتتح خيبر أم بقدوم جعفر ؟

ولما جرت القاسم في أموال خيبر اتسع فيها المسلمون ووجدوا بها مرفقاً لم يكونوا وجدوه قبل ، حتى أقال عبد الله بن عمر رضى الله عنهما فيما خرج له للبخارى في صحيحه : ما شبهنا حتى فتحنا خيبر .

[اليهود في خيبر]

وأقرّ رسول الله صلى الله عليه وسلم يهود خيبر في أموالهم بعمولون فيها المسلمين على النصف مما يخرج منها كما تقدم

قال ابن إسحق : فكان رسول الله صلى الله عليه وسلم يبعث إلى أهل خيبر عبد الله بن رواحة خازماً بين المسلمين وبين يهود فيخرص عليهم فإذا قالوا تعدّيت علينا . قال : إن شئتم فلكم وإن شئتم فلنا . فتقول يهود : بهذا قامت السموات والأرض !

وإنما خرص عليهم عبد الله عاماً واحداً ثم أصيب بمؤنة يرجمه الله فكان جبار بن صخر أخو بني سلمة هو الذي يخرص عليهم بعده .

فأقامت يهود على ذلك لا يرى بهم المسلمون بأساً في معاملتهم حتى هدّوا في عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم على عبد الله بن سهل أخى بنى حارثة فقتلوه ، فاتهمهم رسول الله صلى الله عليه وسلم والمسلمون عليه وكتب إليهم أن يدوه أو يأذنوا بحرب . فكتبوا يحملون بالله ما قتلوه ولا يعلمون له قاتلاً ، فوداه رسول الله صلى الله عليه وسلم من عنده وأقرم على ما سبق من معاملته إياهم .

فلما توفى رسول الله صلى الله عليه وسلم أقرم أبو بكر الصديق على مثل ذلك حتى توفى ، ثم أقرم عمر صدراً من إمارته ، ثم باع عمر أن رسول الله

صلى الله عليه وسلم قال في وجهه الذي قبضه الله فيه : « لا يجتمعن بحزيرة العرب دينان » . ففحص عمر عن ذلك حتى بلغه التثبت فأرسل إلى يهود فقال إن الله قد أذن في جلالتكم ، قد بلغني أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : « لا يجتمعن بحزيرة العرب دينان » فن كان عنده عهد من رسول الله فليأني به أنفذه له ، ومن لم يكن عنده عهد من رسول الله فليتهجز للجللاء . فأجلى عمر منهم من لم يكن عنده عهد من رسول الله صلى الله عليه وسلم .

وقال عبد الله بن عمر : خرجت أنا والزيبر والقسداد بن الأسود إلى أموالنا بخيبر نتماعدها ، فلما قدمنا تفرقنا في أموال فعددي على نحت الليل فعدت يدي من مرفقي فلما أصبحت استصرخ على صاحبي فأنياني فأصلاها من يدي ؛ ثم قدما بي على عمر فقال : هذا عمل يهود ثم قام في الناس خطيبا فقال : أيها الناس إن رسول الله صلى الله عليه وسلم كان عامل يهود خيبر على أنا نخرجهم إذا شئنا وقد عدوا على عبد الله بن عمر فعدوا يديه كما بلغكم مع عدوتهم على الأنصارى قبله لانشك أنهم أصحابه ليس لنا هناك عدو غيرهم فن كان له مال بخيبر فليالحق به فإني أخرج يهود . فأخرجهم .

ولما أخرج عمر رضى الله عنه يهود خيبر ركب في المهاجرين والأنصار وخرج معه بجبار بن صخر وكان خالص أهل المدينة وحاسبهم ويزيد بن ثابت فهما قسما خيبر على أصحاب السهمان التي كانت عليها وذلك أن الشق والنطاة اللتين هما سهم المسلمين قسمت في الأصل على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى ثمانية عشر سهما : نطاة من ذلك خمسة والشق ثلاثة عشر سهما ؛ ثم قسم كل قسم من هذه الثمانية عشر سهما إلى مائة سهم لكل رجل سهم ولكل فرس سهمان ؛ وكانت عدة الذين قسمت عليهم ألف رجل وأربع مائة رجل ومائتي فرس فذلك ألف سهم وثمان مائة سهم .

(١) فعدت يده : اعوجت مفاصلها ، كأنها قد زالت عن مواضعها .

عمرة القضاء

وهي غزوة الأمن

قال ابن إسحق : ولما رجع رسول الله صلى الله عليه وسلم من خيبر إلى المدينة أقام بها شهرى ربيع وما بمسده إلى شوال ، يبعث فيما بين ذلك سراياه .

ثم خرج في ذى القعدة في الشهر الذى صدّه فيه المشركون معتمرا عمرة القضاء مكان عمرته التى صدّوه عنها ، وخرج معه المسلمون ممن كان صدّ معه في عمرته تلك ، وهى سنة سبع . فلما سمع به أهل مكة خرجوا عنه .

قال ابن عثمة : وتغيّب رجال من أشرفهم خرجوا إلى بوادى مكة كراهية أنه ينظروا إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم غيظا وحفا ونفاسة وحسدا .

وتحدثت قريش بينها فيما ذكر ابن إسحق : أن محمدا وأصحابه في عُسرة وجه ودشدة فصّوا له عند دار الهدوة لينظروا إليه وإلى أصحابه .

فلما دخل رسول الله صلى الله عليه وسلم المسجد اضطبع بردائه وأخرج عضده اليمنى ثم قال : « رحم الله امرأ أراهم لليوم من نفسه قوة » ثم استلم الركن وخرج يهرّول ويهرول أصحابه معه ، حتى إذا وراه البيت منهم واستلم الركن اليماني مشى حتى يستلم الركن الأسود ، ثم هَرّول كذلك ثلاثة أطواف ومشى سائرهما فكان ابن عباس يقول : كان الناس يظنون أنها ليست عليهم وذلك أن رسول الله صلى الله عليه وسلم إنما صدّعها لهذا الحى من قريش للذى بلغه عنهم حتى جمع حجة الوداع فلزمها فمضت السنة بها .

ولما دخل رسول الله صلى الله عليه وسلم مكة في تلك العمرة وعبد الله بن رواحة يرتجز بين يديه: ^(١)

خَلُّوا بَنَ الْكُفَّارِ عَنْ سَبِيلِهِ خَلُّوا فَكَلَّ الْخَيْرِ فِي رَسُولِهِ
يَا رَبِّ إِنِّي مُؤْمِنٌ بِقِيلِهِ أَعْرِفَ حَقَّ اللَّهِ فِي قَبُولِهِ ^(٢)

[زواج الرسول بميمونة بنت الحارث]

وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم قد بعث بين يديه جعفر بن أبي طالب إلى ميمونة بنت الحارث ابن حَزَنٍ الْهَلَالِيَّةِ ، فخطبها عليه فجعلت أمرها إلى العباس بن عبد المطلب وكانت اختها أم الفضل بنت الحارث ، وقيل جعلت أمرها إلى أم الفضل ، فجعلت أم الفضل أمرها إلى العباس فزوجهما للعباس رسول الله صلى الله عليه وسلم وأضدقها عنه أربعمائة درهم .

وقضى رسول الله صلى الله عليه وسلم نسكه ، وأقام بمكة ثلاث ليال ، وكان ذلك أجل القضية يوم الحديبية . فلما أصبح رسول الله صلى الله عليه وسلم من اليوم الرابع أناه سهيل بن عمرو وحُوَيْطِبُ بْنُ عَبْدِ الْعَزْزِيِّ . [في نفر من قريش] ^(٣) ورسول الله صلى الله عليه وسلم في مجلس الأنصار يتحدث مع سعد بن عُبَادَةَ فَصَاحَ حُوَيْطِبُ : نناشدك الله والعقد إلا خرجت من أرضنا فقد مضت الثلاث . فقال سعد : كذبت لا أم لك إنها ليست بأرضك ولا أرض أبيك

(١) الطبري وابن هشام : وعبد الله به رواحة آخذ بخطام ناقته وهو يقول .

(٢) اختصر المؤلف هذا الرجز وهو يتأمله ابن هشام ١٣/٤ والطبري ١٥٥٩ ط أوربا .

(٣) من ابن هشام والطبري .

والله لا يخرج إلا راضياً فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم وضحك : يا سعد لا تؤذ قوماً زارونا في رحالنا . ثم قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : وما عليكم لو تركتموني فأعزستُ بين أظهركم وصدعنا لكم طعماً فأحضرتوه ؟ قالوا : لا حاجة بنا لطعامك فأخرج عنا .

فأمر رسول الله صلى الله عليه وسلم أبا رافع موله فأذن بالرحيل ، وخاف أبا رافع على ميمونة حتى أتاه بها بسرٍ وقد أقيمت ومن معها عشاء وأذى من سفهاء المشركين وصبيانهم ، فبنى بها رسول الله صلى الله عليه وسلم بسرٍ^(١) ثم أدلج فسار حتى قدم المدينة . ثم كان من قضاء الله سبحانه أن ماتت ميمونة بسرٍ بعد ذلك بحين ، فتوفيت حيث بنى بها .

قال موسى بن عقبة : وذكر أن الله تعالى أنزل في تلك العمرة : « الشهر الحرام بالشهر الحرام والحرمات قصاص^(٢) » .

وذكر ابن هشام أنها يقال لها « عمرة القصاص » لأنهم صدّوا رسول الله صلى الله عليه وسلم عن العمرة في ذي القعدة في الشهر الحرام من سنة ست فاقص منهم رسول الله صلى الله عليه وسلم ودخل مكة في ذي القعدة في الشهر الحرام الذي صدّوه فيه من سنة سبع .

(١) سرف : موضع قرب التنعيم .

(٢) سورة البقرة ١٩٤ .

غزوة مؤتة من أرض الشام

ولما صدر رسول الله صلى الله عليه وسلم من عمرة القضاء إلى المدينة أقام بها نحواً من ستة أشهر ثم بعث إلى الشام في جمادى الأولى من سنة ثمان بعثة الذين أصيبوا بمؤتة واستعمل عليهم زيد بن حارثة وقال : إن أصيب زيد فجعفر بن أبي طالب على الناس ، فإن أصيب جعفر فمبىد الله بن رواحة .

فتجهز الناس ثم تهيأوا للخروج ، وهم ثلاثة آلاف ، فلما حضر خروجهم ودّع الناس أمراء رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فلما ودّع عبد الله بن رواحة بكى فقال : ما يبكيك يا بن رواحة ؟ فقال : والله ما بي حب الدنيا ولا صباية بكم ، ولكنى سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقرأ آية من كتاب الله يذكر فيها النار « وإن منكم إلا واردةا كان على ربك حتماً مقضياً ^(١) » فلوست أدري كيف لي بالعدّة بعد الورود ؟ فقال المسلمون : صحبكم الله ودفع عنكم وردكم إلينا صالحين . فقال عبد الله بن رواحة :

لكننى أسأل الرحمن مغفرةً وضربة ذات فرغ تقذف الزبد ^(٢)
أو طلعة بيدي حرّان ^(٣) مجهزة بحربة تُنفذ الأحشاء والكبد ^(٤)
حتى يقال إذا مروا على جدنى ما أرشد الله من غازٍ وقد رشد ^(٥)

(١) سورة مريم ٧١ .

(٢) ذات فرغ : ذات سمة

(٣) المران : الشديد .

(٤) ابن هشام : أرشده الله . والطبرى : أرشدك الله . وفي شرح اللوايح :
يا أرشد الله .

ثم إن القوم تهيأوا للخروج فأتى عبد الله بن رواحة رسول الله صلى الله عليه وسلم فودّعه ثم قال :

أنت الرسول فن يُحرم نوائله والوجه منه فقد أزرى به القدرُ
فثبت الله ما آتاك من حسنٍ في المرسلين ونصراً كالذي نصرُوا
إني تفرست فيك الخيرَ نافلةً فراسةً خالفت فيك الذي نظروا
بمعنى المشركين .

ثم خرج القوم ، وخرج رسول الله صلى الله عليه وسلم يشيعهم ، حتى إذا ودعهم وانصرف عنهم قال عبد الله بن رواحة :

خلف السلام على امرئ ودّعته في النخل خير مشيع وحليل
وحدث زيد بن أرقم قال : كنت بدياً لعبد الله بن رواحة في حجره ،
فخرج بي في سفره ذلك مُردّفي على حقيبة راحله ، فوالله إنه ليسير ليلاً إذ
سمعته يشهد أبيانه هذه :

إذا أدنيتني وحملت راحلي مسيرة أربع بعد الحساء^(١)
فشأناك فأنعمي^(٢) وخلأك ذم ولا أرجع إلى أهلي ورأى
وجاء المسلمون وغادروني بأرض الشام مُستهي التواء^(٣)
وردك كل ذي رحم قريب إلى الرحمن مقطع الرجاء^(٤)

(١) الحساء : سهل من الأرض يستنقع فيه الماء أو عاظم فوقه رمل يجمع ماء المطر .
(٢) ابن هشام والطبري وابن كثير : فشأناك أنعم ولا أرجع : مجزوم على الدماء .
(٣) مستهي التواء : لا يريد رجوعاً . وقد روى : مستهي التواء . قال السهيلي :
وهو مستعمل من النهاية والانتها . أي حيث انتهى مثواه .
(٤) ابن هشام والطبري وابن كثير : مقطع الإخاء .

هناك لا أبالي طلع بمل ولا نخل أسافلها رواء^(١)
 فلما سمعتهن بكيتُ خفقتني بالدرة وقال : وما عليك يا كنع أن يرزقني
 الله الشهادة وترجع بين شعبي الرّحل ١٢

ثم مضى القوم حتى نزلوا معان من أرض الشام فبلغ للناس أن هرقل
 قد نزل مأب من أرض البلقاء في مائة ألف من الروم وانضم إليه^(٢) من
 تلحم وجذام والقيين^(٣) وبهراء وبلي مائة ألف منهم .

فلما بلغ ذلك المسلمين أقاموا على معان ليلتين ينظرون في أمرهم وقالوا :
 نكتب إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم فنخبره بمدد عدونا فإما أن يمدّنا
 بالرجال وإما أن يأمرنا بأمره فامضى له . فشجع الناس عبد الله بن رواحة
 فقال : يا قوم والله إن الذي تكرهون لدى خرجتم تطلبون ، الشهادة ، وما
 نقاتل الناس بمدد ولا قوة ولا كثرة ، وما نقاتلهم إلا بهذا الدين الذي أكرمنا
 الله به فانطلقوا ، فإنما هي إحدى الحسنيين إما ظهور وإما شهادة . فقال الناس
 صدق والله ابن رواحة . ففضى الناس وقال عبد الله في مجلسهم ذلك :

جلبنا الخيل من أجأ وفرع تُقرّ من الحشيش لما للمكوم^(٤)

(١) البعل : ما يشرب بمروقه من الأرض . ورواء بكسر الميم صفة لنخل .

(٢) ابن هشام : وانضم اليهم .

(٣) الطبري : وبلقين .

(٤) أجأ : أحد جبلي طيء والآخر سلمى . وفرع : أطول جبل بأحأ وأوسطه .

ونمر : تطعم وتشبع . والرواية عند السهلي : نقر . بالقاف . وقال : نقر أي يجمع بعضها
 إلى بعض . والمكوم : جمع كعم وهو والجانب .

حَدَوْنَاهَا مِنَ الصَّوَانِ سَنَقَا
 أَزَلْ كَأَنَّ صَفْحَتَهُ أَدِيمٌ^(١)
 أَقَامَتْ لَيْلَتَيْنِ عَلَى مُمَاكَ
 فَأَعْقَبَ بِمَدِّ فَتْرَتِهَا بُحُومٌ^(٢)
 فَرُحْنَاهَا وَالْجِيَادُ مَسْوَمَاتُ
 تَنْفَسُ فِي مَسَاخِرِهَا السُّمُومُ
 فَلَا وَابِي مَأْبٍ لِلتَّائِبِينَ
 وَإِنْ كَانَتْ بِهَا عَرَبٌ وَرُومُ
 فَمَعِيَانَا أَعْنَتَهَا فِجَاءَاتُ
 عَوَابِسَ وَالْفَبَارِ لَهَا بَرِيمٌ^(٣)
 بَذَى لِحْجَبٍ كَانَ الْبَيْضُ فِيهِ
 إِذَا بَرَزَتْ قَوَانِسُهَا الْبُحُومُ^(٤)
 فَرَاضِيَّةٌ الْمَعِيشَةُ طَلَقَتْهَا
 أَسَنَقْنَا فَتَدَكَّحَ أَوْ تَنِيمُ^(٥)

* * *

-
- (١) حَدَوْنَاهَا : جَمَلْنَا لَهَا نَمَلًا مِنْ حَدِيدٍ . وَالصَّوَانُ : حِجَارَةٌ مَلْسٌ . وَالسَيْتُ : النَّمَالُ الَّتِي تَصْنَعُ مِنَ الْجُلُودِ الْمَدْبُوعَةِ . وَالْأَزَلُ : الْأَمْسُ . وَالْأَدِيمُ : الْجَدُّ .
 (٢) مَعَانٍ : مَوْضِعٌ بِالْهَامِ . وَالْمَتَرَةُ : السَّكُونُ وَالضَّعْفُ وَالْجُرْمُ : احْتِمَاقُ الْقُوَّةِ .
 (٣) الرِّيمُ : كُلُّ مَا فِيهِ لَوْنَانِ مُخْتَلِفَانِ . وَالْهَمْعُ الْمُخْتَلِطُ بِالْأَثْمَدِ .
 (٤) الْحِجَبُ : اخْتِلَاطُ الْأَصْوَاتِ مِنْ كَثْرَةِ الْجَيْشِ . وَالْقَوَانِسُ : حِمَى قَوْسٍ وَهُوَ أَعْلَى بَيْضَةِ الْحَدِيدِ .
 (٥) رَاضِيَةٌ الْمَعِيشَةُ : السَّيْفَةُ اللَّيْنَةُ الْمَطْمَئِنَّةُ . تَنِيمُ : تَبَقَّى دُونَ زَوْجٍ . يَرِيدُ أَنَّهُمْ قَدْ تَجَافَوْا عَنِ الدَّعَةِ وَالرَّاحَةِ .

ثم مضى الناس حتى إذا كانوا بتخوم البلقاء لقيتهم جموعٌ هرقل من الروم والعرب بقرية من قرى البلقاء يقال لها مَشَارَف . ثم دنا العدو وانحاز المسلمون إلى قرية يقال لها مُؤْتَنَة فالتقى الناس عندها . فتعجب لهم المسلمون فجعلوا على ميمتهم رجلاً من بني عُذْرَة يقال له قُطْبَة بن قَتَادَة وعلى ميسرتهم رجلاً من الأنصار يقال له عُبَايَة بن ملك ويقال عُبَادَة . ثم التقى الناسُ فاقتتلوا ، فقاتل زيدُ بن حارثةَ برايةَ رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى شاط في رماح القوم ، ثم أخذها جعفر فقاتل بها حتى إذا ألجمه القتال اقتحم عن فرس له شقراء . قال أحدُ بني مرة بن عوف وكان في تلك الغزوة : والله لكانى أنظر إليه حين اقتحم عنها ثم عقرها ثم قاتل القوم حتى قُتل وهو يقول :

يا هذا الجنةُ واقترابها طيبة وباردُ شرابها
والرومُ رومٌ قد دنا عذابها على أن لاقيتها ضرابها^(١)

وكان جعفر أول من عقر في الإسلام فرسه . ولما قُتل جعفر أخذ عبد الله بن رَوَاحَة الرايةَ ثم تقدم بها وهو على فرسه فجعل يستنزل نفسه ويتردد بعض التردد ثم قال :

أقسمتُ يا نفس اتنزلني اتنزلني^(٢) أو لتكرهني
إن أجلب الناسُ وشدوا للرنه^(٣)
مالي أركُ تكرهين الجنة

(١) قال ابن كثير : هذا الحديث قد رواه أبو داود من حديث ابن إسحق ولم يذكر الشرح . السيرة ٣ / ٤٦١ .
(٢) الطبري : طائفة أو لتكرهني
(٣) الرنة : الصوت . النطقة : الماء القليل الصافي والشنه القرية القديمة .

قد طال ما قد كنت مطمئنة هل أنت إلا نُطْفَةٌ شَتَّى
وقال أيضاً :

يا نفسُ إلا تَقْتُلِي نَمُوْنِي هذا حِجَامُ المَوْتِ قد صَلَّيْتُ
وما تَمْنَيْتِ فقد أعطيتِ إن تفعلِي فَعَلِمَهَا هُدَيْتِ

يعنى صاحبيه زيدا وجعفرًا . ثم نزل فأتاه ابنُ عم له بعرق من
لحم فقال شُدَّ بهذا صُلْبُكَ فَإِنَّكَ قد لقيت في أيامك هذه ما لقيت .
فأخذه من يده فأتهمس^(١) معه نَهْسةً ثم سمع الصَّخْطَةَ^(٢) في ناحية الناس
فقال : وأنت في الدنيا أأنت ألقاه من يده ثم أخذ سيفه فتقدم فقاتل
حتى قتل .

ثم أخذ الراية ثابت بن أرقم أخو بني العَجَلَانِ فقال : يا معشر
السليلين اصطَلِحُوا على رجل منكم . قالوا : أنت . قال ما أنا بفاعل
فاصطَلِحِ القوم على خالد بن الوليد . فلما أخذ الراية دافع القوم وخاشى
بهم^(٣) ثم انحاز وانحيز عنه ، حتى انصرف بالناس .

ولما أصيب القومُ قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : أخذ الراية
زيد بن حارثة فقاتل بها حتى قُتِلَ شهيداً ، ثم أخذها جعفر فقاتل بها حتى
قتل شهيداً ثم صمت رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى تغيرت وجوه

(١) اتهمس : أخذ منه بعمه يسيراً .

(٢) المطة : النزال والمضاربة . وقال أبو ذر : المطة : الكسرة .

(٣) خاشى بهم : حذر بينهم وبين الروم .

الأنصار وظنوا أنه قد كان في عبد الله بن رواحة بعض ما يكرهون
ثم قال : ثم أخذها عبد الله بن رواحة فقاتل بها حتى قتل شهيدا . ثم قال :
لقد رفعوا إلى الجنة فيما يرى النائم على سرر من ذهب فرأيت في سرير
عبد الله بن رواحة ازورارا عن سريري صاحبيه فقلت : عم هذا ؟
فقال لي : مضيا وتردد عبد الله بعض التردد ثم مضى .

وذكر ابن هشام أن جعفرا أخذ اللواء يمينه ففُطمت ، فأخذه بشماله
فقطعت ، فاحتضنه بمضديه حتى قُتل وهو ابن ثلاث وثلاثين سنة فأثابه
الله بذلك جناحين يطير بهما حيث شاء .

ويقال إن رجلا من الروم ضربه يومئذ ففُطمه نصفين .

وذكر ابن عقبة أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال بالمدينة لما
أصيبوا ، قبل أن يأتيه نبيهم : مر علي جعفر بن أبي طالب في اللائكة
يطير كما يطرون له جناحان . قال : وقدم بعلي بن أمية على رسول الله
صلى الله عليه وسلم بنجر أهل مؤنة فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم :
إن شئت فأخبرني وإن شئت أخبرتك . قال : فأخبرني يا رسول الله
فأخبره صلى الله عليه وسلم خبرهم كله ووصفه له فقال : والذي بعثك
بالحق ما تركت من حديثهم حرفا واحدا لم تذكره ، وإن أمرهم لكما
ذكرت فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : إن الله رفع لي الأرض حتى
رأيت مُعتركم .

وحدثت أسماء بنت عميس امرأة جعفر قالت : لما أصيب جعفر وأصحابه
دخل على رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال : ابقيني بيني جعفر . وقد كانت

غسلتهم ودهنتهم ونظفتهم . قالت فأنيته بهم فشمهم وذرفت عيها فقالت :
يا رسول الله بأبي أنت ما يبكيك ؟ أباغاك عن جعفر وأصحابه شيء ؟ قال :
« نعم أصيبوا هذا اليوم » . قالت : فقامت أصيح واجتمع إلى النساء . وخرج
رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى أهله فقال : لا تغفلوا آل جعفر من أن
تصنعوا لهم طعاماً فإنهم قد شغلوا بأمر صاحبهم .

وقالت عائشة رضي الله عنها : لما أنى نعى جعفر عرفنا في وجه رسول الله
صلى الله عليه وسلم الحزن .

[رجوع الجيش]

ولما انصرف خالد قافلاً بالناس وذنوا من المدينة تلقاهم رسول الله صلى الله
عليه وسلم والمسلمون ، ولقيهم الصبيان يشتدون ورسول الله صلى الله عليه وسلم
مقبل مع القوم على دابة ، فقال : خذوا الصبيان فاحملوهم وأعطوني ابن جعفر .
فأتى بمحمد بن جعفر فأخذه لحمله بين يديه وجعل الناس يمتحنون على
الجيش للتراب ويقولون : يا فرّار فررت في سبيل الله ا فيقول رسول الله صلى
الله عليه وسلم : « ليسوا بالفرّار ولستكنهم للسكرّار إن شاء الله » .

وقالت أم سلمة زوج النبي صلى الله عليه وسلم لامرأة سلمة بن هشام بن
المغيرة : مالي لا أرى سلمة يحضر الصلاة مع رسول الله صلى الله عليه وسلم ؟
قالت : والله ما يستطيع أن يخرج ، كلما خرج صاح به الناس : يا فرّار فررت
في سبيل الله ا حتى قعد في بيته فما يخرج .

وقد قال فيما كان من أمر للناس وأمر خالد ونخاشاته بالناس وانصرفه

بهم — قيسُ بن السخَر اليعمرى يعتذر بما صنع يومئذ وصنع الناس :

فوالله لا تنفك نفسي تلومني على موقفى والليل قابعة قبل
وقفت بها لا مستجيزاً^(١) فنافذاً ولا ما نعا من كان حمّ له القتل
هل أننى آسيتُ نفسي بخالد ألا خالد فى القوم ليس له مثل
وجاشت إلى النفس من نحو جعفر بمؤنة إذ لا ينفع النابل القبل
وضمّ إليها حُجْزَتَيْهِمْ^(٢) كليهما مهاجرة لا مشركون ولا عزل

فبين قيس فى شعره ما اختلف للناس فيه من ذلك : أن القوم حاجزوا
وكرهوا الموت وحقق انحياز خالد بمن معه .

[ما قيل من الشعر فى مؤنة]

وكان مما بُكى به أصحاب مؤنة قول حسان بن ثابت :

تأوينى^(٣) ليل يئرب أعسر وهم إذا ما هوى الناس مسير
لذكرى حبيب هيجت لى عبّرة سقوا وأسابيب البكاء التذكر
بلى إن فقدان الحبيب بليّة وكم من كريم يبتلى ثم يصبر
رايتُ خيار المؤمنين تواردوا شعوب وخلفا بعدم يتأخر^(٤)
فلا يُبعدن الله قتلى تباعدوا^(٥) جهيماً وأسابيب الملية مخاطر

(١) ابن هشام : لا مستجيزاً . ومستجيزاً : متجيزاً إلى طائفة .

(٢) حُجْزَتَيْهِمْ : جانبيهم .

(٣) تأوينى : عاودنى وطال على .

(٤) شعوب : علم على اللبّة . والرواية فى ديوان حسان :

شعوب وقد خلفت فيمن يؤخر

(٥) ابن هشام : تابعوا

غداة مضوا بالؤمنين بقودهم إلى الموت ميمون للنفية أزهرو
 أغر كضوء البدر من آل هاشم أبي إذا سيم للعلامة ينجس^(١)
 فطاعن حتى مال غير موشد بمعترك فيه قنا متكسر
 فصار مع المستشهدين ثوابه جنان وملفت الحداثق أخضر
 وكما نرى في جعفر من محمد وفاء وأسرأ حازماً حين بأمر
 وما زال في الإسلام من أهل هاشم دعائم عز لا يزأن ومفتخر
 ثم جبل الإسلام والناس حولهم رضام إلى طود بروق وبقمر^(٢)
 بهاليل منهم جعفر وابن أمه على ومنهم أحمد المتخير
 وحزة والعباس منهم ومنهم عقيق وماء العود من حيث يعصر
 ثم تفرج اللاواء في كل مأزق

عمايس إذا ما ضاق بالناس مصدر^(٣)

هم أولياء الله أنزل حكمه عليهم وفيهم ذا الكتائب المطهر

* * *

وقال كعب بن مالك في ذلك :

نام العميون ودمع عيذك بهمل سحاً كما وكف العلاب بالخصل^(٤)
 في ليلة وردت على همومها طوراً أحن وتارة أنململ
 واعتادني حزن فبيت كأنني ببسات نمنش والسماك مؤكل^(٥)

(١) ابن هشام : مجسر .

(٢) الرضام : الحجارة النرا كمة . والطود : الجبل .

(٣) اللاواء : الشدة والأس . والعباس : الأمر لا يقام له ولا يبتدى لوجهه .

(٤) العلاب : السحاب جمع طاباة . والخصل : الكثير ماؤه .

(٥) بنات النش السكرى : سبعة كواكب : أربعة منها نمنش وثلاث بنات . وكذا الصغرى . والسماك الأعزل والرامح : نجمان .

وكانا بين الجوانح والحشا مما تأوَّبني شهابٌ مُدْخَلُ
 وجدّا على الفقَر الذين تَتَابَعُوا يومًا بمؤنة أُسْفِدُوا لم يُنْقَلُوا
 صَلَّى إِلَهُ عَلَيْهِمْ مِنْ فَتِيَةٍ وسقى عظامهمُ القَمامُ المسِيلُ
 صَدَرُوا بِمُؤنةِ الْإِلَهِ نفوسهم حذر الرَّدَى وخِفافَةً أَنْ يَنْكَلُوا
 فَمَضُوا أَمَامَ الْمَسْلَمِينَ كَأَهِم فَنَقَّ عَلَيْهِمُ الْحَدِيدُ الْمُرْقَلُ^(١)
 إِذْ يَهْتَدُونَ بِجَهَنَّمَ وَلَوَانَهُ قَدَامُ أَوَّلِهِمْ فَفَنِمَ الْأَوَّلُ
 حَتَّى تَفَرَّجَتِ الصَّفُوفُ وَجَهَنَّمُ حيثُ التَّقَى وَعَثَّ الصَّفُوفُ مَجْدَلُ^(٢)
 فَتَمَيَّرَ الْقَمَرُ الْمُنِيرُ لَفَقْدِهِ وَالشَّمْسُ قَدْ كَسَفَتْ وَكَادَتْ تَأْفِلُ^(٣)
 قَرَنٌ عَلَا بِنْيَانُهُ مِنْ هَاشِمٍ فَرَعًا أَشْمَ وَسُودَدَا مَا يُنْقَلُ^(٤)
 قَوْمٌ بِهِمْ عَصَمَ الْإِلَهِ عِبَادَهُ وَعَلَيْهِمْ نَزَلَ الْكِتَابُ الْمُنَزَّلُ
 فَضَلُّوا الْمَاشِرَ عَرَةً وَتَكَرَّمَا وَتَغَمَّدَتْ أَحْلَامُهُمْ مِنْ يَجْهَلُ
 لَا يُطْلِقُونَ إِلَى السَّفَاهِ حَبَابَهُمْ وَبُرَى خَطِيئَتُهُمْ بِحَقِّ بَفْصِيلُ
 بِيضُ الْوُجُوهِ تَرَى بَطُونَ أَكْفَهُمْ تَنْفَدَى إِذَا اعْتَذَرَ الزَّمَانُ الْمَحْجِلُ
 وَبَهْدِهِمْ رَضِيَ الْإِلَهِ تَخْلُقُهُ وَبِحَدِّهِمْ يُصِرُّ النَّبِيُّ الْمُرْسَلُ

* * *

وقال حسان بن ثابت يبيكي جعفرا :

ولقد بكيتُ وعَزَّ مَهْلَكَ جَعْفَرُ حَبَّ النَّبِيِّ عَلَى اللَّبِيَةِ كُلِّهَا

-
- (١) الفتنق : جمع فتيق وهو العجل المسكروم لا يؤذى لكرامته على أهله ولا يركب .
 والمرقل : السابغ .
 (٢) الوعث : العسر والمشقة .
 (٣) تأفل : تغرب .
 (٤) الفرم : السيد .

والقد جَزِعتُ وقالت حين نُميتَ لي من الجِلادِ لَدَى المَقابِ ^(١) وظلَّها
 بالبَيْض حين تُسَلَّ من أَعْمادها ضرباً وإسْهالِ الرماحِ وَعَلَّها ^(٢)
 بعدَ ابنِ فاطمة المِبارَكِ حَمَفرٍ خِيرَ البريةِ كُلِّها وَأَجَلَّها
 رُزْماً وأَكْرَمَها جِيعاً مَحْتَدَاً وأَمْرَها مَظْلَمًا وأَدَلَّها
 للحقِّ حين يَنْوِبُ غيرُ تَفْعَلٍ مَكْذِباً وأَنْدَها بَدَاً وأَفَلَّها
 فُحْشًا وأَكْثَرها إذا ما يُجْتَدَى فَضْلاً وأَنْدَها ^(٣) بَدَاً وأَبَلَّها
 بِالْمَرْفِ غيرِ عَمْدٍ لا مِثْلَهُ خَيَّ من أَحياءِ البريةِ كُلِّها

* * *

وقال شاعر من المسلمين ممن رحل عن غزوة مؤتة :
 كفى حَزناً ألى رَجعت وجَمَفرُ وزيد وعبد الله في رَمَسِ أَقْبُرِ
 قَضُوا نَحْبَهُمْ لما مَضُوا إِسْيلَهُمْ وخَلَقَتْ لِابْلِوى مع المَنْزِيرِ
 واستشهد يوم مؤتة من المسلمين سوى الأمراء الثلاثة رضى الله عنهم
 من قریش ثم من بنى عدى بن كعب : مسعود بن الأسود بن حارثة . ومن
 بنى مالك بن حِسل : وهب بن سعد بن أبى سَرح . ومن الأنصار : عباد
 ابن قيس من بنى الحارث بن الخزرج والحارث بن إساف من بنى غنم بن
 مالك بن النجار وسُرَاقَة بن عمرو بن عطية بن خنساء من بنى مازن بن
 النجار ، وأبو كَلَيْب ويقال أبو كلاب وجابر ابنا عمرو بن زيد بن عوف بن
 مبدول وهما لأب وأم . وعمرو وعامر ابنا سعد بن الحارث بن عباد من بنى مالك
 ابن أنصى . وهؤلاء الأربعة عن ابن هشام .

(١) المقاب : اسم راية الرسول صلى الله عليه وسلم

(٢) لإسْهالِ الرماح : سقيها من دماء الأعداء . وعَلَّها : سقيها مرة بعد مرة .

(٣) ابن هشام : وأبْدَلها ندى .

غزوة الفتح

وأقام رسول الله صلى الله عليه وسلم بعد بعثته إلى مؤتة جمادى الآخرة ورجباً .

ثم عدت بنو بكر بن عبد مناف بن كنانة على خزاعة ، ولم يزالوا قبل ذلك مُتَمَادِينَ ، وكان الذي هاج ما بينهم أن حليفاً للأسود بن رزن الدبلى خرج تاجراً ، فلما توسط أرض خزاعة عدوا عليه فقتلوه وأخذوا ماله ، فعدت بنو بكر على رجل من خزاعة فقتلوه ، فعدت خزاعة قبيل الإسلام على بنى الأسود ابن رزن سلى وكلثوم وذؤيب وهم منخر بنى كنانة وأشرفهم كانوا فى الجاهلية يودون دينين لفضلهم فى قومهم ، فقتلتهم خزاعة بمعرفة عند أنصاب الحرم ثم حجز بينهم الإسلام وتشاغل الناس به .

فلما كان صلح الحديبية دخلت خزاعة فى عقد رسول الله صلى الله عليه وسلم ، ودخلت بنو بكر فى عقد قريش . فلما كانت المدينة اغتصمتها بنو الدبلى فخرجوا حتى ببيتوا خزاعة على الوثير ، ماء لهم ، فأصابوا منهم رجلاً ونحاحزوا واقتتلوا ورفدت قريش بنى بكر بالسلاح وقاتل معهم من قريش من قاتل بالليل مستخفياً .

فلما تظاهرت بنو بكر وقريش على خزاعة ونقضوا ما كان بينهم وبين رسول الله صلى الله عليه وسلم من العهد واليثاق بما استحلوا منهم وكانوا فى عقده وعهده ، خرج عمرو بن سالم الخزاعى السكبي حتى قدم على رسول الله صلى الله عليه وسلم المدينة فوقف عليه وهو جالس فى المسجد بين ظهري الناس فقال :

يَا رَبِّ إِنِّي نَاشِدُ عَمْدًا حَلَفَ أَبِيهَا وَأَبِيهِ الْأَنْدَا^(١)
 قَدْ كُنْتُمْ وَلَدًا وَكُنَّا وَلَدًا ثَمَّتْ أَسْلَمًا فَلَمْ نَنْزِعْ يَدًا
 فَانْصَرِ هَذَاكَ اللَّهُ نَصْرًا أَعْتَدَا^(٢) وَادْعُ عِبَادَ اللَّهِ يَا نَوَا مَدَدَا
 فِيهِمْ رَسُولَ اللَّهِ قَدْ نَجَرَدَا [أَبْيَضَ مِثْلَ الْبَدْرِ بِسَمَوِصَمَدَا]^(٣)
 إِنْ سِيمَ خَسَفًا وَجْهَهُ تَرَبَدَا^(٤) فِي قَيْلِقٍ كَالْبَحْرِ يَجْرِي مَزِيدَا
 إِنْ قَرِيشًا أَخْلَفُواكَ الْمَوْعِدَا وَتَقَضُوا مِيثَاقَكَ الْمُؤَكَّدَا
 وَجَعَلُوا لِي فِي كَدَاءٍ^(٥) رَصَدَا وَزَعَمُوا أَنْ لَسْتُ أَدْعُو أَحَدَا
 وَمَنْ أَدَلَّ وَأَقْلَعَ عَدَدَا هُمْ بَيَّتُونَا بِالْوَتِيرِ هُجْدَا
 وَفَتَلُونَا زُكَّامًا وَسُجْدَا

يقول : قَتَلْنَا وَقَدْ أَسْلَمْنَا .

فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : « نَصَرْتُ يَا عَمْرُو بْنُ سَالِمٍ » ثُمَّ
 عَرَضَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عَدَانًا مِنَ السَّمَاءِ فَقَالَ : إِنْ هَذِهِ السَّحَابَةُ
 لَتَنْتَهَلَ بِنَصْرِ بْنِ كَعْبٍ . ثُمَّ خَرَجَ بُدَيْلُ بْنُ وَرْقَاءَ فِي نَفَرٍ مِنْ خُزَاعَةَ حَتَّى قَدِمُوا
 عَلَى رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ الْمَدِينَةَ فَأَحْبَبُوهُ بِمَا أَصِيبَ مِنْهُمْ وَمُظَاهَرَةً
 قَرِيشَ بْنِ بَكْرِ عَلَيْهِمْ ثُمَّ انْصَرَفُوا رَاجِعِينَ إِلَى مَكَّةَ .

وَقَدْ قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : « كَأَنَّكُمْ بِأَبِي سَفْيَانَ قَدْ جَاءَكُمْ
 لِيَشْدَ الْعَقْدَ وَلِيَزِيدَ فِي الْمَدَةِ » .

(١) الْأَنْدَا : الْقَدِيمُ .

(٢) الْأَعْتَدَا : الْمَاصِرَ الْإِهْيَآ .

(٣) أَيْسَتْ فِي ابْنِ هِشَامٍ .

(٤) تَرَبَدَ : تَغَيَّرَ لَوْنُهُ .

(٥) كَدَاءٌ : مَوْضِعٌ بِأَعْلَى مَكَّةَ .

ومضى بديل بن ورقاء في أصحابه حتى اتقوا أبا سفيان بمُسنان قد بعثته
قريش إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم ليشده للعقد ويزيد في المدة وقد رهبوا
الذي صنعوا ، فلما لقي أبو سفيان بديلا قال : من أين أقبلت يا بديل ؟ ووطن أنه
أتى رسول الله صلى الله عليه وسلم : قال : سِرت^(١) في خزاعة في هذا للساحل
وفي بطن هذا الوادي . قال : أو ما جئت محمدا ؟ قال : لا . فلما راح بديل إلى
مكة قال أبو سفيان : لئن كان بديل جاء المدينة لقد علف بها الدوى . فأنى مبرك
راحلته فأخذ من يمرها ففتته فرأى فيه الدوى فقال : أحلف بالله لقد جاء
بديل محمدا .

ثم خرج أبو سفيان حتى قدم المدينة فدخل على ابنته أم حبيبة ، فلما ذهب
ليجلس على فراش رسول الله صلى الله عليه وسلم طوته عنه فقال : يا بنية
ما أدرى أرغبت بي عن هذا الفراش أم رغبت به عني ؟ قالت : بل هو فراش
رسول الله صلى الله عليه وسلم وأنت رجل نجس مشرك ، فلم أحب أن تجلس
عليه . قال : والله يا بنية لقد أصابك بعدى شرا

ثم خرج حتى أتى رسول الله صلى الله عليه وسلم فكلّمه فلم يردّ عليه شيئا
ثم ذهب إلى أبي بكر فكلّمه أن يكلم له رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال :
ما أنا بفاعل . ثم أتى عمر بن الخطاب فكلّمه فقال : أنا أشفع لكم إلى رسول
الله صلى الله عليه وسلم ؟ فوالله لو لم أجد إلا الذر^(٢) لجاهدتكم به . ثم خرج
حتى دخل على علي بن أبي طالب وعنده فاطمة بنت رسول الله صلى الله عليه

(١) ابن هشام : سِرت .

(٢) الذر : صغار النمل .

وسلم وعندها حسن بن علي غلام يدب بين يديها فقال : يا علي إني أرى القوم بي رجحا وإني قد جئت في حاجة فلا أرجع كما جئت فاشفع لي ، قال ويحك يا أبا سفيان والله لقد عزم رسول الله صلى الله عليه وسلم علي أمر ما نستطيع أن نكلمه فيه . فالتفت إلى فاطمة فقال : يا بنت محمد هل لك أن تأمرى بنيك هذا فيجبر بين الناس فيكون سيد العرب إلى آخر الدهر . قالت : والله ما بلغ بني ذلك أن يجبر بين الناس ، وما يجبر أحداً علي رسول الله صلى الله عليه وسلم . قال : يا أبا حسن إني أرى الأمور قد اشتدت علي فانهضني . قال : والله ما أعلم شيئاً يغني عنك . ولكنك سيد بني كنانة فقم فأجرب بين الناس ثم الحق بأرضك قال : أو ترى ذلك مغنياً عني شيئاً ؟ قال : لا والله ما أعلمه ولكني لا أجد لك غير ذلك . فقام أبو سفيان فقال : أيها الناس إني قد أجرت بين الناس . ثم ركب بعيره فانطلق . فلما قدم علي قريش قالوا : ما وراءك ؟ قال : جئت محمداً فكلمته فوالله ما رد علي شيئاً ثم جئت ابن أبي قحافة فلم أجد فيه خيراً . ثم جئت ابن الخطاب فوجدته أذن المدو ويقال : أعدى المدو ، ثم أنبت علياً فوجدته ألبين القوم ، وقد أشار علي بشيء صفعته فوالله ما أدري هل يغني شيئاً أم لا ؟ قالوا : وبم أمرك ؟ قال : أمرني أن أجبر بين الناس ففعلت . قالوا : فهل أجاز ذلك محمد ؟ قال : لا . قالوا : وبلك ! والله ما زاد الرجل علي أن يحب بك فما يغني عنك ما قلت . قال لا والله ما وجدت غير ذلك .

[تجهز المسلمين]

وأمر رسول الله صلى الله عليه وسلم الناس بالجهاز وأمر أهله أن يجوه
فدخل أبو بكر علي ابنته عائشة وهي تحرك بعض جهاز رسول الله صلى الله عليه

وسلم فقال : أئني بنيت أمركم رسول الله صلى الله عليه وسلم أن تجهزوه ؟ قالت : نعم فتجهز . قال : فأين تريد يريده ؟ قالت : لا والله ما أدري .

ثم إن رسول الله صلى الله عليه وسلم أعلم الناس أنه سائر إلى مكة وأمرهم بالجدّة والتهيؤ وقال : « اللهم خذ العيون والأخبار عن قريش حتى نبتقنها في بلادها » فتجهز الناس .

[أمر حاطب]

وكتب حاطب بن أبي بلتعة عند ذلك كتابا إلى قريش يخبرهم بالذي أجمع عليه رسول الله صلى الله عليه وسلم من الأمر في السير إليهم ثم أعطاه امرأة وجعل لها جملا على أن تبغله قريشا . فجعلته في رأسها ثم قتلت عليه قرونها ثم خرجت به . وأتى رسول الله صلى الله عليه وسلم الخبر من السماء بما صنع حاطب فبعث على بن أبي طالب والزبير بن العوام فقال : أدركا امرأة كتب معها حاطب إلى قريش يحذرهم ما أجمعناه في أمرهم . فخرجا حتى أدركاها فاستنزلاها والتسا في رخلها فلم يجدوا شيئا فقال لها على : أحلف بالله ما كذب رسول الله ولا كذبتنا ولتخرجن هذا الكتاب أو لكشفك . فلما رأت الجدة منه استخرجت الكتاب من قرون رأسها فدفعته إليه . فأنى به رسول الله صلى الله عليه وسلم . فدعا رسول الله صلى الله عليه وسلم حاطبا فقال : يا حاطب ما حملك على هذا ؟ قال : يا رسول الله أما والله إني لمؤمن بالله ورسوله ما غيرت ولا بدلت ولكفي كفت امرأ ليس لي في القوم من أصل ولا عشيرة ، وكان لي بين أظهرهم ولد وأهل فصانعتهم عليه فقال عمر : يا رسول الله دعني فلا أضرب

عنه فإن الرجل نأفق^(١) . فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « وما يدريك يا عمر لعل الله قد أطلع على أصحاب بدر فقال : اعملوا ما شئتم فقد غفرت لكم »
فأنزل الله في حاطب : « يا أيها الذين آمنوا لا تتخذوا عدوئى وعدوكم أولياء تلقون إليهم بالمودة وقد كفروا بما جاءكم من الحق » الآيات كلها إلى قوله : « قد كان لكم أسوة حسنة فى إبراهيم والذين معه إذ قالوا لقومهم إنا برآء منكم وما نعبدون من دون الله ككفرنا بكم وبدا بيننا وبينكم العداوة والبغضاء أبداً حتى تؤمنوا بالله وحده » . إلى آخر القصة .

ثم مضى رسول الله صلى الله عليه وسلم لسفره حتى نزل بمر الظهران فى عشرة آلاف من المسلمين ، وقيل فى اثنى عشر ألفاً ، فسبغت سُلَيْمٌ وقيل ألفت^(٢) وألفت مَزِينَةٌ ، وفى كل القبائل عدد وإسلام . وأوعب مع رسول الله صلى الله عليه وسلم المهاجرون والأنصار فلم يتخلف عنه منهم أحد .

[إسلام أبى سفيان بن الحارث]

وقد كان ابن عمه أبو سفيان ابن الحارث بن عبد المطلب وابن عمته عبد الله ابن أبى أمية بن المغيرة أقياء بذيق العقاب فيما بين مكة والمدينة ، فالتسا الدخول عليه وكلمته أم سلمة فيهما وهى أخت عبد الله منهما فقالت : يا رسول الله ابن عمك وابن عمتك وصهرك قال : لا حاجة لى بهما ، أما ابن عمى فهتك عرضى وأما ابن عمتى وصهرى فهو الذى قال لى بمكة ما قال^(٣) . فلما خرج الخبر إليهما بذلك

(١) ابن هشام : قد نأفق .

(٢) سبغت : سار منها فى الجيش سبمائة . وألفت سار منها ألف .

(٣) قال له : « والله لا أمنت لك حتى تتخذ سبيلاً إلى السماء فتخرج منه وأنا أنظر ، ثم أتى بك وأربعة من الملائكة يشهدون أن الله قد أرسلاك » . الروس الألف ٢/٢٦٧ .

قال أبو سفيان - ومعه بُنَيَّ له - والله ليأذنينَّ لي أو لآخذن بيد بني هذا ثم لنذهبن في الأرض حتى نموت عطشاً وجوعاً . فلما بلغ ذلك رسول الله صلى الله عليه وسلم رقَّ لها ثم أذن لها فدخلت عليه فأسلمت وأنشده أبو سفيان :

لَعَمْرُكَ إِنِّي بَوْمَ أَحْمَلِ رَايَةَ لَتَغْلِبَ خَيْلُ اللَّاتِ خَيْلَ عُمَرَ
لِكَالِدَيْنِجِ الْخَيْرَانِ أَظْلَمَ لَيْلُهُ فَهَذَا أَوَانِي حِينَ أَهْدَى وَأَهْتَدِي
هَدَانِي هَادٍ غَيْرِ نَفْسِي وَقَادَنِي مَعَ اللَّهِ مِنْ طَرْدَتْ كُلَّ مُطَرِّدٍ
فَزَعَمُوا أَنَّهُ لَمَّا أَنْشَدَهُ هَذَا الْبَيْتَ ضَرَبَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فِي
صَدْرِهِ وَقَالَ : أَنْتَ طَرَدْتَنِي كُلَّ مُطَرِّدٍ !

* * *

[إسلام أبي سفيان بن حرب]

وعُميت الأخبار عن رسول الله صلى الله عليه وسلم على قريش ، فلا يأتيهم خبر عنه ولا يدرون ما هو فاعل .

وخرج في تلك الليالي أبو سفيان بن حرب وحكيم بن حزام وبديل بن ورقاء يتحسسون الأخبار . وكان العباس بن عبد المطلب قد لقي رسول الله صلى الله عليه وسلم ببعض الطريق مهاجراً بعياله ، وكان قبل ذلك مقبلاً بمكة على سقايته ورسول الله صلى الله عليه وسلم عنه راض .

قال العباس : فلما نزل رسول الله صلى الله عليه وسلم مرة للظهران قلت : واصباح قريش والله إن دخل رسول الله صلى الله عليه وسلم مكة عَنُوة قبل أن يأنوه فيستأمنوه إنه لهلك قريش إلى آخر الدهر . فجلست على بغلة رسول الله صلى الله عليه وسلم البيضاء فخرجت عليها حتى جئت الأراك فقلت لعلي أجد

بعض الخطابة أو صاحب ابن أودا حاجة يأتي مكة فيخبرهم مكان رسول الله صلى الله عليه وسلم ليخرجوا إليه فيستأمنوه . فو الله إنى لأسير عليها والتمس ما خرجت له إذ سمعت كلام أبي سفيان وبديل بن ورقاء وهما يتراجمان وأبو سفيان يقول : ما رأيت كالأيلة نيراناً قط ولا عسكراً . قال يقول بديل : هذه والله خزاعة حسنتها الحرب^(١) فيقول أبو سفيان : خزاعة أقلّ وأدل من أن تكون هذه نيرانها وعسكراها . قال : فمرفت صوته فقلت : يا أبا حفظة فمرف صوتي فقال : أبو الفضل ؟ قلت : نعم . قال : مالك فذاك أبي وأمي ؟ قلت : ويحك يا أبا سفيان هذا رسول الله صلى الله عليه وسلم في الناس واصباح قریش والله . قال : فما الحيلة فذاك أبي وأمي ؟ قلت : والله إن ظفر بك ليضربن عناقك فاركب في مجز هذه البغلة حتى آتي بك رسول الله صلى الله عليه وسلم فاستأمن لك . فركب خلفي ورجع أصحاباه ، فبعثت به كلما مرّ بدار من نيران المسلمين قالوا : من هذا ؟ فإذا رأوا بغلة رسول الله صلى الله عليه وسلم وأنا عليها قالوا : عم رسول الله على بقلته . حتى مررت بدار عمر بن الخطاب فقال : من هذا ؟ وقام إلى ، فلما رأى أبا سفيان على مجز الدابة قال : أبو سفيان عدوّ الله ! الحمد لله الذي أمكن منك بغير عقد ولا عهد . ثم خرج يشتد نحو رسول الله صلى الله عليه وسلم وركضت البغلة فسبقته بما تسبق الدابة البطيئة الرجل البطيء فافتحمت عن البغلة فدخلت على رسول الله صلى الله عليه وسلم ودخل عليه عمر فقال : يا رسول الله هذا أبو سفيان قد أمكن الله منه بغير عهد ولا عقد فدعني فلا أضرب عنقه . قلت يا رسول الله إنى قد أجرتنه

(٢) حسنتها الحرب . اشتدت عليها . وتروى : حسنتها بالشين المعجمة .

ثم جلست إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم فأخذت برأسه فقلت : والله لا يتاجيه الليلة رجل دوني . فلما أكثر عمر في شأنه قلت : مهلا يا عمر فوالله لو كان من رجال عدي بن كعب ما قلت هذا ، ولكنك قد عرفت أنه من رجال بني عبد مناف . فقال : مهلا يا عباس فوالله لإسلامك يوم أسلمت كان أحب إلي من إسلام الخطّاب لو أسلم ، وما بي إلا أني عرفت أن إسلامك كان أحب إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم من إسلام الخطّاب فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : اذهب به يا عباس إلى رَحْلِكَ فإذا أصبحت فائتني به فذهبت به إلى رَحْلِي فبات عندي ، فلما أصبحت غدوت به إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم فلما رآه قال : ويحك يا أبا سفيان ألم يأن لك أن تعلم أن لا إله إلا الله ؟ قال : بآبي أنت وأمي ما أحملك وأكرمك وأوصلك والله لقد ظننت أن لو كان مع الله إله غيره لقد أغنى شيئاً بعدُ . قال : ويحك يا أبا سفيان ألم يأن لك أن تعلم أني رسول الله ؟ قال : بآبي أنت وأمي ما أحملك وأكرمك وأوصلك ، أما والله ^(١) هذه فإن في نفسي منها شيئاً حتى الآن ^(٢) . قال له العباس : ويحك أسلم واثمهد ^(٣) أن لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله قبل أن تضرب عنقك . قال : فشهد شهادة الحق وأسلم .

قال العباس : قلت : يا رسول الله إن أبا سفيان رجل يحب الفخر ، فاجعل له شيئاً . قال : « نعم ، من دخل دار أبي سفيان فهو آمن ، ومن أغلق عليه بابه فهو آمن ، ومن دخل المسجد فهو آمن » .

(١) ابن هشام : أما هذه والله .

(٢) الطبري : في النفس منها شيء .

(٣) الطبري : وبك تشهد شهادة الحق .

فلما ذهب ليصرف قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « يا عباس احبس به مضيق الوادي عند خَطْمُ الجبل حتى تمر به جفودُ الله فيراها » قال فخرجت فحبسته حيث أمرني رسول الله صلى الله عليه وسلم أن احبسه ، فمرت للقبائل على راياتها كلما مرت قبيلة قال : يا عباس من هذه ؟ فأقول : سليم . فيقول : مالي وسليم . ثم تمر القبيلة فيقول : من هؤلاء ؟ فأقول : مزينة . فيقول : مالي ولزينة . حتى نفذت للقبائل ما تمر قبيلة إلا سألتني عنها فإذا أخبرته بهم قال : مالي وابني فلان . حتى مر رسول الله صلى الله عليه وسلم في كتيبتة الخضراء فيها المهاجرون والأنصار لا يرى منهم إلا الحدق من الحديد قال : سبحان الله يا عباس من هؤلاء ؟ قلت هذا رسول الله صلى الله عليه وسلم في المهاجرين والأنصار . قال : ما لأحد بهؤلاء قبل ولا طاقة والله يا أبا الفضل لقد أصبح مُلكُ ابن أخيك الغداة عظيما . قلت يا أبا سفيان إنها للنبوة . قال نعم إذن . قلت : اللُّجاء إلى قومك . حتى إذا جاءهم صرخ بأعلى صوته : يامعشر قريش هذا محمد قد جاءكم فيملا قبيل لِسكم به ، فمن دخل دار أبي سفيان فهو آمن . فقامت إليه هند بنت عتبة فأخذت بشاربه فقالت : اقتلوا الحميت^(١) الدَّرس الأحمس قتيح من طليعة قوم . قال : ويحكم لا تفر نسكم هذه من أنفسكم ، فإنه قد جاءكم مالا قبل لِسكم به ، فمن دخل دار أبي سفيان فهو آمن . قالوا : قاتلك الله وما تُعني عنا دارك ؟ قال : ومن أغلق عليه بابهُ فهو آمن ، ومن دخل المسجد فهو آمن . فتفرق الناس إلى دورهم وإلى المسجد .

(١) الحميت . الزق . أو وعاء السن . والدسم : السمين والأحمس : السكتير الأحمر .

[الرسول يدخل مكة]

ولما انتهى رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى ذى طوى وقف على راحلته معجباً بشقة بُرد حبرة حمراء ، وإنه ليضع رأسه تواضعا لله حين رأى ما أكرمه الله به من الفتح حتى إن عُنُونَهُ^(١) ليكاد يسُّ وسط الرّاحل .

ولما وقف هناك قال أبو قحافة ، وقد كُفَّ بصره ، لابنة له من أصغر ولده أى بنية اظهرى بى طى أبى قُبَيْس . فأشرفت به عليه فقال : أى بنية ماذا تَرَيْنِ ؟ قالت : أرى سوادا مجتمعا قال : تلك الخليل . قالت : وأرى رجلا يسعى بين يدى السواد مُقبلا ومدرا . قال : أى بنية ذلك الوازع الذى يأمر الخليل ويتقدم إليها . ثم قالت : قد والله انتشر السواد . فقال : قد والله إذن دَفَعَت الخليلُ فأسرعى بى إلى بيتى . فأنحطت به ، وتلقاه الخليل قبل أن يصل إلى بيته وفى عنق الجارية طوق من وَرِق فيلقاها رجل فيقتطعه من عنقها .

قالت : فلما دخل رسول الله صلى الله عليه وسلم مكة ودخل المسجد أتاه أبو بكر بأبيه يقوده ، فلما رآه صلى الله عليه وسلم قال : هَلَّا تَرَكْتَ الشَّيْخَ فى بيته حتى أكون أنا آتية فيه ا فقال أبو بكر : يا رسول الله هو أحق أن يمشى إليك من أن تمشى إليه . قال : فأجلسه بين يديه ثم مسح صدره ثم قال له : أسلم . فأسلم . وراه رسول الله صلى الله عليه وسلم وكان رأسه ثَمَامَةً^(٢) فقال : غَيِّرُوا هذا من شعره . ثم قام أبو بكر فأخذ بيد أخته فقال : أنشد الله

(١) العُنُون : الحجة أو ما فضل منها بعد العارضين .

(٢) الثَّمَامَةُ : واحدة الثمام . وهو نبت أبيض .

والإسلام طَوْقُ أَخِي فلم يجبه أحد فقال : أى أخية احتسبى طوقك فوالله
إن الأمانة اليوم فى الناس لقليل !

* * *

وأمر رسولُ الله صلى الله عليه وسلم حين فرق جيشه من ذى طَوْى
الزبيرَ بن العوام أن يدخل فى بعض الناس من كَذْبَى وكان على الجنبَةِ اليسرى
وأمر سعدَ بن عبادَةَ أن يدخل فى بعض الناس من كَدَاءَ . فدكروا أن سعدا
حين وجَّه داخلًا قال :

اليومُ يومُ الملحمة اليومُ تُستعملُ الحرمه

فسمعها رجل من المهاجرين ، قيل هو عمر بن الخطاب رضى الله عنه فقال
يا رسول الله اسمعْ ما قال سعد ، ما نأمن أن نَكُون له فى قريش صَوْلَةٌ . فقال
رسول الله صلى الله عليه وسلم لعل بن أبى طالب : أدركه فنخذ الراية فكن
أنت تدخل بها . ويقال إنه أمر الزبير بذلك وجعله مكان سعد على الأنصار
مع المهاجرين . فسار الزبير حتى وقف بالحجُون وغرز بها راية رسول الله
صلى الله عليه وسلم .

وذكر غير ابن إسحاق أن خِرَارَ بن الخطاب قال يومئذ شعرا استعطف
فيه رسول الله صلى الله عليه وسلم على قريش حين سمع قول سعد ، وهو من
أجود شعرا قاله ^(١) :

(١) لب السهلى هذه الأبيات إلى خِرَار بن الخطاب ، فى الروم ٢٧١/٢ .
والكن ابن كثير روى هذه القصة عن المافظ بن عساكر و تاريخ دمشق ، و ترجمة يعقوب
ابن إسحاق دبنار ، عن موسى بن عقبة وسب هذا الشعر إلى امرأة . سيرة ابن كثير
٣ / ٥٥٩ .

يَا بَنِي الْهَدْيِ إِلَيْكَ لَجَاحِي قُرَيْشٍ وَلَاتَ حِينَ كَلْبَاءِ
 حِينَ ضَاقَتْ عَلَيْهِمْ سَعَةُ الْأَرْضِ وَعَادَاهُمْ إِلَهُ السَّمَاءِ
 وَلَاقَتْ حَلَقَتَا الْبَطَانِ عَلَى الْقَوَامِ وَنُودُوا بِالصَّيْلِ الصَّلَاحِ^(١)
 إِنْ سَعِدَا يَرِيدَ قَاصِمَةَ الْفَلْهِ رِ بَأَهْلِ الْحَبُونِ وَالْبَطْحَاءِ
 خَزَرَجِيٍّ لَوْ يَسْتَطِيعُ مِنَ الْغَيْظِ رَمَانَا بِالذَّسْرِ وَالْعَوَاءِ^(٢)
 فَانْهَيْتَهُ فَإِنَّهُ الْأَسَدُ الْأَسَدُ وَدُ وَاللَيْثُ وَالْغُ فِي الدَّمَاءِ^(٣)
 فَلَنْ أَتَحِمَّ الْعَوَاءَ وَنَادَى يَا تُحَاةَ الْعَوَاءِ أَهْلَ الْعَوَاءِ
 لَتَكُونَنَّ بِالْبَطْحَاءِ قُرَيْشٍ قَقْمَةُ الْقَفَاعِ فِي أَكْفِ الْإِمَاءِ^(٤)
 لَخَيْفَتُ أَنْتَزِعَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ الرَّايَةَ مِنْ سَعْدِ بْنِ عُبَادَةَ فِيمَا
 ذَكَرُوا . وَاللَّهُ أَعْلَمُ .
 وَأَمَرَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ خَالِدَ بْنَ الْوَلِيدِ وَكَانَ عَلَى الْجَنْبِ
 الْيَمْنِيِّ فَدْخَلَ مِنَ اللَّيْلِ أَسْفَلَ مَكَّةَ فَلَقِيَتْهُ بَنُو بَكْرِ فَقَاتَلُوهُ فَقُتِلَ مِنْهُمْ قَرِيبُ
 مِنْ عَشْرِينَ رَجُلًا وَمِنْ هَذِيلٍ ثَلَاثَةٌ أَوْ أَرْبَعَةٌ انْهَزَمُوا وَقَتَلُوا بِالْخَزُورَةِ حَتَّى
 بَاقَ قَتْلُهُمْ بَابَ الْمَسْجِدِ ، وَهَرَبَ قَضَضُهُمْ^(٥) حَتَّى دَخَلُوا الدَّوْرَ ، وَارْتَفَعَتْ طَائِفَةٌ
 مِنْهُمْ عَلَى الْجِبَالِ وَاتَّبَعَهُمُ الْمُسْلِمُونَ بِالسِّيُوفِ .
 وَأَقْبَلَ أَبُو عُبَيْدَةَ بْنُ الْجَرَّاحِ بِالصَّفِّ مِنَ الْمُسْلِمِينَ يَنْصَبُ لِمَكَّةَ بَيْنَ يَدَيْ

(١) الصيام : الدامية . والصلحاء : المشهورة .

(٢) العواء : السكب .

(٣) من الروس الأنف .

(٤) الققمة : كعنة : الأبيض الرخو من السكامة . ويقال للذليل : هو أذل من فقع

بقرقرة لأنه لا يمتنع على من اجتناه ، أر لأنه يوطأ بالأرجل . والقاع : الأرض السهلة .

(٥) القفض : التفرق المنتشر من كل شيء ، أى الرجال الذين تفرقوا بعد الهزيمة .

رسول الله صلى الله عليه وسلم .

ودخل رسول الله صلى الله عليه وسلم من أذاخر في المهاجرين الأولين حتى نزل بأعلى مكة وضربت هناك قبته . ولما علا رسول الله صلى الله عليه وسلم ثنية كدّاء نظر إلى البارقة على الجبل مع فضض المشركين فقال : ما هذا وقد نهيت عن القتال ؟ فقال المهاجرون : نظن أن خالدا قوتل وبُدئ بالقتال فلم يكن بدّ من أن يقاتل من قاتله ، وما كان يا رسول الله ليمصيك ولا ليخالف أمرك . فهبط رسول الله صلى الله عليه وسلم من الثنية فأجاز على الحُجُور .

واندفع الزبير بن العوام بمن معه حتى وقف بباب الكعبة .

وصرّح رجلان من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم .

[الذين أهدر للذي دماءهم]

وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم قد عهد إلى أمرائه من المسلمين حين أمرهم أن يدخلوا مكة أن لا يقاتلوا إلا من قاتلهم ، إلا أنه قد عهد في نفر ستمهم أمر بقتلهم وإن وجدوا تحت أستار الكعبة منهم : عبد الله بن سعد بن أبي سرح وكان قد أسلم وكتب الوحيَ ارسول الله صلى الله عليه وسلم ثم ارتد مشركا ففر يومئذ إلى عثمان بن عفان وكان أخاه من الرضاعة فغيبه حتى أتى به رسول الله صلى الله عليه وسلم بعد أن اطمأن الناس فاستأمن له . فزعموا أن رسول الله صلى الله عليه وسلم صمت طويلا ثم قال : نعم . فلما انصرف عنه عثمان قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لمن حوله من أصحابه : لقد صمت ليقوم إليه

بعضكم فيضرب عنقه . فقال رجل من الأنصار : فهلاً أومات يا رسول الله ؟
فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « إن الذي لا يقتل بالإشارة » . وفي رواية :
« إن الذي لا ينبغي أن تكون له خائفة أعين ^(١) » .

ومنها : عبد الله بن خطل ، رجل من بني تميم بن غالب كان مسلماً فبعثه
رسول الله صلى الله عليه وسلم مُصَدِّقاً ^(٢) وكان معه رجل مسلم يخدمه فأمره
أن يصنع له طعاماً ونام ، فاستيقظ ولم يصنع له شيئاً فعدا عليه فقتله ثم ارتد
مشركاً وكانت له قيفتان ^(٣) تغنيان بهجاء رسول الله صلى الله عليه وسلم ،
فأمر بقتلهما فقتلت إحداهما وهربت الأخرى حتى استؤمن لها من رسول الله
صلى الله عليه وسلم فأمنها .

وقيل يومئذ لرسول الله صلى الله عليه وسلم : إن ابن خطل متعلق بأستار
الكعبة فقال : اقتلوه . فقتله سعيد بن حُرَيْث الخزومي وأبو بَرْزَةَ الأسلمي
اشتركا في دمه .

ومنها : الحَوْبَرِثُ بْنُ نُقَيْذِ بْنِ وَهَبِ بْنِ عَبْدِ بْنِ قَعِيٍّ وكان ممن
يؤذى رسول الله صلى الله عليه وسلم بمكة ، ولما حل العباسُ بْنُ عَبْدِ المطلب
فاطمةَ وأم كلثوم بنتي رسول الله صلى الله عليه وسلم من مكة يريد بهما المدينة
نخس بهما الحَوْبَرِثُ هذا فرمى بهما إلى الأرض ، فقتله يوم الفتح عليُّ بْنُ
أبي طالب .

(١) قال ابن هشام : وقد حسن إسلامه بذلك وولاه عمر بعض أعماله ثم ولاء عثمان .

(٢) مصدقاً : جانياً للصدقات .

(٣) اسم إحداهما : فرتي .

ومنهـم : مِقْبِس بن صَبَّابة اللبثى ، وكان أخوه هشام بن صَبَّابة قد قتله رجل من الأنصار خطأ فقدم مِقْبِس بعد ذلك على رسول الله صلى الله عليه وسلم المدينة مُظهراً الإسلام حتى إذا وجد غُرَّة من قاتل أخيه هـدأ عليه فقتله ثم لحق بقریش مشركاً . وقد تقدم ذلك ^(١) فلأجله أمر رسول الله صلى الله عليه وسلم بقتله ، فقتله مُمَيْلَة بن عبد الله رجل من قومه ، فقالت أخت مِقْبِس في ذلك :

أعمرى لقد أخزى مُمَيْلَة رَحْمَةً وفتح أضياف الشتاء بمِقْبِس
فله عَيْنًا من رأى مثل مِقْبِس إذا النفساء أصبحت لم تُخرس ^(٢)
ومنهـم سارة مولاة ابني عبد المطلب والحكمة بن أبي جهل ، وكانت تؤذى رسول الله صلى الله عليه وسلم فاستؤمن لها فأمها وبقيت حتى أوطأها رجل من الناس فرسا في زمن عمر بن الخطاب بالأبطح فقتلها .
وكان صفوان بن أمية وعكرمة بن أبي جهل وسُمَيْل بن عمرو قد جمعوا أناساً بالخذمة ليقاتلوا ، فيهم جحاس بن قيس بن خالد أخو بني بكر ، وكان قد أعد سلاحاً وأصلح منها فقالت له امرأته : لماذا تعد ما أرى ؟ قال الحمد وأصحابه . قالت : والله ما أراه يقوم لحمد شيء اقل : والله إنى لأرجو أن أخدمك بعضهم ا ثم قال :

إن يُقبلوا اليوم فإلى عِله هذا سلاحٌ كامل وآله ^(٣)
وذو غرارٍ من سرب السَّله ^(٤) .

(١) انظر من هذا الجبل .

(٢) لم تحرر : لم يصنع لها طعام عند ولادها ، وذلك من الشدة والجذب

(٣) الآلة : جميع أداء الحرب .

(٤) الغرار : حذاء معج والسيف والسهم يرد : سيفاً .

ثم شهد للخدمة ، فلما لقيهم المسلمون من أصحاب خالد بن الوليد
ناوشوم شيئا من قتال ، فقتل كرز بن جابر وخنيس بن خالد كانا في
خيل خالد فشدّا عنه وسلكا طريقا غير طريقه فقتلا جميعا وأصيب سلة
ابن الميلاء الجهمي من خيل خالد ، وأصيب من المشركين ناس ثم
انهزموا فخرج حُكاس منهزما حتى دخل بيته وقال لامرأته : أغلق
على بابي .

قالت : فأين ما كنت تقول ؟ فقال :

إليك لو شهدت يومَ الخدمة
إذ فرَّ صفوانُ وفرَّ عكرمة
واستقبلتهم بالسيفِ المسلة
يَقطعن كلَّ ساعدٍ وجمجمة
ضربا فلا تسمع إلا غمغه
لهم نهيت خلفا وهمهمه^(١)
لم تنطق في اليوم أدنى كلمة

وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم لخالد بن الوليد : لم قاتلت وقد
نهيتك عن القتال ؟ قال هم بدأونا ووضعوا فينا السلاح وأشعرونا النبل ،
وقد كففت يدي ما استطعت . فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم :
قضاء الله خير .

(١) النهيت : الزئير . هذا وقد اختصر المؤلف هذا الرجز ونامه في ابن هشام ٤٠٨ / ٢ .

[أمان رسول الله]

وفراً يومئذ صفوان بن أمية عامدا للبحر وعكرمة بن أبي جهل عامداً لليمن ، فأقبل عُمَيْرُ بْنُ وَهَبٍ بن خلف إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال . يا نبي الله إن صفوان بن أمية سيّد قومه وقد خرج هارباً منك ليقذف نفسه في البحر فأمنّه صلى الله عليه وسلم فأبى الله عليك فإليك قد أمّنت الأحمر والأسود . فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : أدرك ابن عمك فهو آمِن قال : يا رسول الله فأعطني آيةً يعرف بها أمانك . فأعطاه رسول الله صلى الله عليه وسلم عمامته التي دخل فيها مكة . فخرج بها عمير حتى أدركه [مُجَدَّة]^(١) وهو يريد أن يركب البحر فقال : يا صفوان فذاك أبي وأمي ! الله الله في نفسك أن تهلكها فهذا أمان من رسول الله صلى الله عليه وسلم قد جئتُك به قال : وبلاك اغرب عني فلا تسكمني .

قال : أي صفوان فذاك أبي وأمي ! أفضل الناس وأبَرّ الناس وأحلم الناس وخير الناس ابن عمك ، عزّه عزك وشرفه شرفك ومُلكه مملكك . قال : إني أخافه على نفسي . قال : هو أحلم من ذلك وأكرم . فرجع معه حتى وقف به على رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال صفوان : إن هذا يزعم أنك أمّنتني . قال : صدق قال : فأجملني فيه بالخيار شهرين .

قال : أنت بالخيار أربعة أشهر .

وأقبلت أم حكيم بنت الحارث بن هشام وكانت تحت عكرمة بن أبي جهل وهي مسلمة يومئذ فقالت : يا رسول الله آمين زوجي واثني لي في طلبه . فأذن لها وأمنه فأدركته ببعض تهامة وقيل باليمن فأقبل معها وأسلم ، فلما رآه رسول الله صلى الله عليه وسلم وثب إليه فرحاً وما عليه رداء .

وكانت فاختة بنت الوليد تحت صفوان بن أمية ، وكانت أسلمت أيضا ، فلما أسلم عكرمة وصفوان أقر رسول الله صلى الله عليه وسلم كل واحدة منهما عند زوجها على النكاح الأول .

وقالت أم هانئ بنت أبي طالب وكانت عند هبيرة بن أبي وهب
المخزومي : لما نزل رسول الله صلى الله عليه وسلم بأعلى مكة فرَّ إلى رجلان
من أحماني من بني مخزوم فدخل على أخى على بن أبي طالب فقال : والله
لأقتلنهما فأغلقت عليهما بيوتى ثم جئت رسول الله صلى الله عليه وسلم
وهو بأعلى مكة فوجدته يغتسل من جفنة إن فيها لأثر للمجنيين وفاطمة
ابنته تستره بثوبه ، فلما اغتسل أخذ ثوبه فتوشَّع به ثم صلى ثمانى ركعات
من الضحى ثم انصرف إلى فقال : مرحبا وأهلا يا أم هانئ ، ما جاء
بك ؟ فأخبرته خبر الرجلين وخبر على فقال : قد أجرنا من أجرت يا أم
هانئ وأمنا من أمنت فلا يقتلنهما .

قال ابن هشام : هما الحارث بن هشام وزهير بن أبي أمية
ابن النخيلة .

[الرسول يدخل البيت]

ولما نزل رسول الله صلى الله عليه وسلم مكة واطمأن للناس خرج حتى جاء البيت فطاف به سبعا على راحلته ليستلم للركن بمحجن في يده ، فلما قضى طوافه دعا عثمان بن طلحة فأخذ منه مفتاح الكعبة ففتحت له فدخلها فوجد فيها حمامة من عيـدان فكسرها بيده ثم وقف على باب الكعبة فقال :

« لا إله إلا الله ، صدق الله وعده ، ونصر عبده ، وهزم الأحزاب وحده ،
الآن كل مأثرة أو دم أو مال يُدعى فهو تحت قدمي هاتين إلا سداثة
البيت وسقاية الحاج ، والآ وقيل الخطأ شبه^(١) للتمد السوط واللعن
فيه الدية مغلظة مائة من الإبل أربعون منها في بطونها أولادها ، يامعشر
قريش إن الله قد أذهب عنكم نخوة الجاهلية وتغطأها بالآباء ، الناس
لآدم وآدم من تراب . ثم تلا هذه الآية :

« يا أيها الناس إنا خلقناكم من ذكرٍ وأنثى وجعلناكم شعوبا وقبائل
لتعارفوا إن أكرمكم عند الله أتقاكم إن الله عليم خبير^(٢) » .

ثم قال : يامعشر قريش ما ترون أنى فاعل فيكم^(٣) ؟ قالوا : خيرا
أخ كريم وابن أخ كريم . ثم قال : اذهبوا فأنتم الطلقاء^(٤) .

(١) الطبرى : مثل اللعد .

(٢) سورة الحجرات ١٣ .

(٣) الطبرى : بكم .

(٤) قال الطبرى : وقد كان الله أمكم من رقابهم عنوة ، وكانوا له فينا ، فبذلك يسمى

أهل مكة الطلقاء .

ثم جلس رسول الله صلى الله عليه وسلم في المسجد قدام إليه على بن أبي طالب رضى الله ومفتاح الكعبة في يده فقال : يا رسول الله اجع لنا الحجابة مع السقاية صلى الله عليك . فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : «أين عثمان بن طلحة ؟ فدعى له فقال : «هاك مفتاحك يا عثمان ، اليوم يوم برّ ووفاء . ثم قال لعل فيما حكى ابن هشام : « إنما أعطيتكم ما تُرزأون لا ما تُرزأون »^(١) .

وذكر ابن عتبة أن رسول الله صلى الله عليه وسلم لما قضى طوافه نزل فأخرجت الراحلة فركع ركعتين ثم انصرف إلى زمزم فاطلع فيها وقال : «لولا أن يُقلب بدو عبد المطلب على سقايتهم لنزعت منها يدي» . ثم انصرف إلى ناحية المسجد قريباً من مقام إبراهيم وكان اللقار لا صقاً بالكعبة فأخذه رسول الله صلى الله عليه وسلم ودعا بسجل من ماء فشرب ونوضاً والمسلمون يبتدرون وضوءه يصبونه على وجوههم والشركون ينظرون إليهم ويمسحون ويقولون : ما رأينا مِلَكاً قط بلغ هذا ولا سمعنا به !

وذكر ابن هشام أيضاً أن رسول الله صلى الله عليه وسلم دخل البيت يوم الافتح فرأى فيه صور الملائكة ، فرأى إبراهيم مصوراً في يده الأزام يستقسم بها فقال : «قاتلهم الله ! جعلوا شيخنا يستقسم بالأزام !؟ ما شأن إبراهيم والأزام » ما كان إبراهيم يهودياً ولا نصرانياً ولكن كان حنيفاً مسلماً وما كان من المشركين^(٢) » ثم أمر بتلك الصور كلها فطمست .

(١) أى أعطيتكم السقاية التى تحتاج إلى مؤن ، ولم أعطكم السدانة التى يرزأ لها الناس بالبعث إليها يعنى كسوة البيت .

(٢) سورة آل عمران ٦٧ .

وعن ابن عباس قال : دخل رسول الله صلى الله عليه وسلم مكة يوم الفتح على راحلته فطاف عليها وحول البيت أصنام مشدودة بالرصاص فجعل النبي يشير بقضيب في يده إلى الأصنام وهو يقول : « جاء الحق وزهق الباطل إن الباطل كان زهوقاً^(١) » فإشار إلى صنم منها في وجهه إلا وقع لقفاه ولا أشار إلى قفاه إلا وقع لوجهه ، حتى ما بقي صنم إلا وقع . فقال تميم بن أسد الخزاعي :

وفي الأصنام معتبر وعلم لمن يرجو للثواب أو العقاب

[من معجزات الرسول]

وأراد فضالة بن عُمير بن الملوّح اللبني قتلَ للنبي صلى الله عليه وسلم وهو بالبيت عام الفتح ، فلما دنا منه قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : أفضالة ؟ قال : نعم فضالة يا رسول الله . قال : ماذا كنت تحدث نفسك ؟ فقال : لا شيء كنت أذكر الله . فضحك النبي صلى الله عليه وسلم ثم قال : استغفر الله . ثم وضع يده على صدره فسكن قلبه . فكان فضالة يقول : والله مارفع يده عن صدرى حتى ما من خلق الله شيء أحبّ إلىّ منه . قال فضالة : فرجعت إلى أهل فررت بامرأة كنت أحدث إليها فقالت : هلم إلى الحديث . فقلت لا . وانهمت فضالة يقول :

قالت هلم إلى الحديث فقلت لا يَا بَنِي حَلِيكَ اللَّهُ وَالْإِسْلَامُ

أَوْ مَارَاتِ مُحَمَّدًا وَقَبِيلَهُ بِالْفَتْحِ يَوْمَ تُكْسَرُ الْأَصْنَامُ
رَأَيْتَ دِينَ اللَّهِ أَنْحَى بَيْنَنَا وَالشُّرْكَ يَفْشَى وَجْهَهُ الْإِظْلَامُ

وأمر رسول الله صلى الله عليه وسلم لما دخل للكعبة عام الفتح بلالا أن يؤذن ، وكان دخل معه ، وأبو سفيان بن حرب وعَتَابُ بْنُ أُسَيْدٍ والحارث بن هشام جلوس بفناء للكعبة فقال عَتَابُ : لقد أكرم الله أسيدا أن لا يكون سمع هذا فيسمع منه ما يغيظه . فقال الحارث : أما والله لو أعلم أنه مُحَقَّقٌ لاتبعته . وقال أبو سفيان : لا أقول شيئا لو تكلمت به لأخبرته عنى هذه الحصباء . فخرج عليهم النبي صلى الله عليه وسلم فقال : قد علمتُ الذي قلتم ثم ذكر ذلك لهم ، فقال الحارث وعَتَابُ : نشهد أنك رسول الله والله ما اطلع على هذا أحدٌ كان معنا فنقول أخبرك .

[الرسول والأنصار]

وقام رسول الله صلى الله عليه وسلم حين افتتح مكة على الصفا يدعو وقد أحذقت به الأنصار ، فقالوا فيما بينهم : أترون رسول الله صلى الله عليه وسلم إذ فتح الله عليه أرضه وبلده يقيم بها .

فلما فرغ من دعائه قال : ماذا قلتم ؟ قالوا : لا شيء يا رسول الله . فلم يزل بهم حتى أخبروه فقال : معاذ الله ! الحياءُ تحياكم والمات ممانكم^(١) .

[حرمة مكة]

وعدتُ خزاعةُ للفدَا من يوم الفتح على رجل من هذيل يقال له ابن

(١) حديث الأنصار هذا يوم الفتح رواه الإمام أحمد في مسنده وسلم والنسائي . انظر سيرة ابن كثير ٥٨١/٣ .

الأنوع فقتلوه وهو مشرك برجل من أسلم يقال له أحرّ بأساً^(١) وكان رجلاً شجاعاً وكان إذا نام غطّ غطيظاً مُنْسكرأ لا يخفى مكانه فكان يبيت في حية مُتَنَزّاً^(٢) ، فإذا بَيْتَ الحَيّ صرخوا : يا أحرّ . فيثور مثل الأسد لا يقوم لسبيله شيء . فأقبل عزمي من هذيل يريدون حاضره ، حتى إذا دنوا من الحاضر قال ابن الأنوع الهذلي : لا تَعْجَلُوا حتى أنظر فإذا كان في الحاضر أحرّ فلا سبيل إليهم فإنّ له غطيظاً لا يخفى . فاستمع فلما سمع غطيظه مشى إليه حتى وضع للسيف في صدره ثم تحامل عليه حتى قتله . ثم أغاروا على الحاضر فصرخوا : يا أحرّ ولا أحرّ لهم ! فلما كان الغد من يوم الفتح أتى ابن الأنوع الهذلي حتى دخل مكة ينظر ويسأل عن أمر الناس وهو على شركه فرأته خزاعة فعرّفوه فأحاطوا به وهو إلى جنب جدار من جدر مكة يقولون أنت قاتل أحرّ ؟ قال : نعم أنا قاتل أحرّ فمه . إذ أقبل خِرَاش بن أمية مشتملاً على السيف فقال : هكذا عن الرجل . قال بعض من حضرهم : ووالله ما نظن إلا أنه يريد أن يفرّج الناس عنه ، فلما تفرّجوا حمل عليه فطعمه بالسيف في بطنه ، فوالله لكانني أنظر إليه وحشوته^(٣) تسيل من بطنه وإن عيفيه لترنقان^(٤) في رأسه وهو يقول : أقد فعلتموها يا معشر خزاعة ! حتى انجمف^(٥) فوقع .

(١) أحرّ بأساً : اسم مركب كتأبط شراً .

(٢) مُتَنَزّاً : متنحياً في جانب .

(٣) الحشوة : ما في البطن .

(٤) ترنقان : تتحركان .

(٥) انجمف : صرع .

فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم لما بلغه ما صنع خراش بن أمية : « إن خراشاً لقتل . يعيبه بذلك . وقام صلى الله عليه وسلم في الناس خطيباً فقال : « يا أيها الناس إن الله حرّم مكة يوم خلق السموات والأرض ، فهي حرام من حرام [الله] ^(١) إلى يوم القيامة ، فلا يحلّ لأمرئ يؤمن بالله واليوم الآخر أن ينفك فيها دماً ولا يعصدها شجراً ، لم تحلل لأحد كان قبلي ولا تحلّ لأحد يكون بعدي ، ولم تحلّ لي إلا هذه الساعة غضباً على أهلها ؛ ألا نتم قد رجعت كحرمتها بالأمس فليباغ الشاهد منكم الغائب ، فمن قال لكم : إن رسول الله قد قاتل . فقولوا : إن الله قد أحلّها رسوله ولم يحلّها لكم . يامعشر خزاعة ارفعوا أيديكم عن القتل فقد كثّر القتل إن نفع ^(٢) لقد قتلتم قتيلاً لأديبه ؛ فمن قُتل بعد مقامى هذا فهم بخير اللطيرين إن شاءوا فدم قاتله وإن شاءوا فعقّله » .

ثم ودّى رسول الله صلى الله عليه وسلم ذلك الرجل الذي قتل خزاعة وأقام رسول الله صلى الله عليه وسلم بمكة بعد فتحها خمس عشرة ليلة يقهر الصلاة . وكان فتحها لعشر ليال بقين من رمضان سنة ثمان .

[ما قيل من الشعر]

وكان ما قيل من الشعر في فتح مكة قول حسان بن ثابت ، وذكر ابن هشام أنه قالها قبل الفتح :

(١) من ابن كثير . السيرة ٥٧٩/٣ .

(٢) ابن هشام : فلقد كثّر إن نفع .

هَفَّتْ ذَاتُ الْأَصَابِعِ فَالْجَوَاهِ إِلَى عَذْرَاءٍ مِنْزِلًا خَلَاهُ^(١)
 دِيَارٌ مِنْ بَنِي الْحَسَنِاسِ قَفَرٌ تَمَقِّيهِ الرُّوَامِسُ وَالسَّمَاءُ^(٢)
 وَكَانَتْ لَا يَزَالُ بِهَا أَنْيْسٌ خِلَالَ مَرْوَجِهَا نَعْمَ وَشَاهِ
 فَدَعَّ هَذَا وَلَسَكَنَ مَنْ لَطِيفٍ يُوْرِقُنِي إِذَا ذَهَبَ الْمِشَاهِ
 اشْتَهَاءُ الَّتِي قَدْ تَيَمَّمَتْهُ فَلَيْسَ لِقَابِهِ مِنْهَا شِفَاهِ
 كَانَ سَيِّئَةً^(٣) مِنْ بَيْتِ رَأْسٍ يَكُونُ مِزَاجُهَا عَسَلٌ وَمَاهِ
 إِذَا مَا الْأَشْرَبَاتُ ذُكِرْنَ يَوْمًا فَهِيَ لَطِيبُ الرَّاحِ الْفِسَاهِ
 نَوَائِيهَا لِلْسَّلَامَةِ إِنْ أَلَمْنَا إِذَا مَا كَانَ مَفْتٌُّ أَوْ إِجَاهِ^(٤)
 وَنَشْرِبُهَا فَتَقَرُّ كَمَا مَسْلُوكَا وَأَسْدًا مَا يُفْتَنُهَا^(٥) الْاِقْسَاهِ
 هَدَمْنَا خَيْلَنَا إِنْ لَمْ تَرَوْهَا تَتَّيْرُ النَّقَمَ مَوْعِدَهَا كَدَاهِ
 يَنَازِعُنِ الْأَعْنَةَ مُصْنَفِيَاتٍ عَلَى اكْتِفَافِهَا الْأَسْدَ^(٦) الظَّاهِ
 تَظَلُّ جِيَّادَنَا مَتَمَطَّرَاتٍ يَلْعَلُهُنَّ بِالْخُمُرِ الْاِنْسَاهِ^(٧)

(١) الجواه والمذراء : موسم بالنام .

(٢) الروامس : الرياح . والسما : الطر .

(٣) السيئة : الخمر . ورواية ابن هشام : كَأَنَّ خَبِيْثَةً . وهي كذلك عند ابن كثير

٥٨٧ / ٣ .

(٤) أَلَمْنَا : نَعَلْنَا مَا اسْتَجَى عَلَيْهِ الْأَوَم . وَلَمْتُ : الضرب باليد . والاحاء : الملاحة

بالسان .

(٥) يَفْتَنُهَا : يَرْدُنَا وَمَعْنَاهَا .

(٦) كَذَا بِالْأَسْلِ . ورواية ابن هشام : الْأَسْلُ الظَّاهِ . وَالْأَسْلُ : الرماح .

(٧) مَتَمَطَّرَات : مَسْرَعَات : تَطْلُرُ الْعَرَسَ مَطَرًا وَمَطُورًا : أَسْرَعَ . وَيَلْعَلُهُنَّ : لَعَلَّهَا مِنْ لَعَلٍّ بِمَعْنَى مَرَبٍ . وَالْخَمْرُ : حَمٌّ حَارٌّ وَهُوَ مَا تَقَطَّى بِهِ لِلرَّأَةِ رَأْسُهَا . قَالَ السَّهْلِيُّ : وَقَالَ ابْنُ دُرَيْدٍ : الْجَهْرَةُ : كَأَنَّ الْخَلِيلَ رَحْمَةُ اللَّهِ يَرَوِي بَيْتَ حَسَّانَ : « يَلْعَلُهُنَّ بِالْخَمْرِ » ، وَيُسَكَّرُ « يَلْعَلُهُنَّ » وَيَجْعَلُهُ بِمَعْنَى : يَهْضُمُ الْإِسَاءَ . بِمَعْنَى مَا عَلَيْهِنَ مِنْ غُبَارٍ أَوْ نَحْوِ ذَلِكَ .

فإِذَا تُعْرَضُوا عَنَّا اعْتَزَلْنَا
وإِلَّا فَاصْبِرُوا لِحُلَاكِ يَوْمٍ
وجبريلُ رَسولُ اللَّهِ فِيْنَا
وقَالَ اللَّهُ قَدْ أَرْسَلْتُ عَبْدًا
شَهِدْتُ بِهِ قَقُومُوا صِدْقُوه
وقَالَ اللَّهُ قَدْ بَسَّرْتُ جُنْدًا
لَنَا فِي كُلِّ يَوْمٍ مِّنْ مَّعَدَّةٍ
فَنُفِخْكُمْ بِالْقَوَافِي مِنْ هِجَانَا
إِلَّا أَبْلُغْ أَبَا سَفْيَانَ عَمِّي
هَجُوتَ مُحَمَّدًا وَأَجَبْتُ عَفَا
أَتَهْجُوهُ وَلَسْتُ لَهُ بِكَفَاءٍ
هَجُوتَ مَبَارَكًا كَمَا بَرًّا حَنِيفًا
أَمَنْ يَهْجُو رَسُولَ اللَّهِ مِنْكُمْ
فَإِنَّ أَبِي وَوَالِدَهُ وَعِرْضِي
لِسَانِي صَارُمْ لَا عَيْبَ فِيهِ
وكانَ الْفَتْحُ وانكشفَ الْفُطْلُ
يعزَّ اللَّهُ فِيهِ مِنْ بِشَاءٍ
ورُوحُ الْقُدْسِ لَيْسَ لَهُ كِفَاءُ
يَقُولُ الْحَقُّ إِنَّ نَفْعَ الْبَلَاءِ
فَقَلَّمُ : لَا تَقُومُ وَلَا نَشَاءُ
هَمُّ الْأَنْصَارِ عُرْضَتُهَا الْإِقَاءُ
سَبَابٌ أَوْ قِتَالٌ أَوْ هِجَاءُ
وَتَضْرِبُ حِينَ تَخْتَلِطُ الدَّمَاءُ
مُخَلَّلَةٌ^(١) فَقَدْ بَرَحَ الْخِفَاءُ
وَعَدَدَ اللَّهُ فِي ذَاكَ الْجَزَاءُ
فَشَرُّهُ كَمَا تَلْخِيطُ كَمَا الْفِدَاءُ
أَمِينَ اللَّهُ شَيْعَتُهُ الْوَفَاءُ
وَيَمْدَحُهُ وَيَنْصُرُهُ سِوَاءُ
لِعَرْضِ مُحَمَّدٍ مِنْكُمْ وَقَاءُ
وَبَحْرِي لَا تَسْكَدُ رَهْ الدَّلَاءُ

وقول ابن هشام : إن حسان قال هذا الشعر قبل الفتح ظاهر في غير
ما شيء من مقتضياته ، ومن ذلك : مقاولته لأبي سفيان وهو ابن الحارث بن
عبد المطلب ابن عم رسول الله صلى الله عليه وسلم . وقد أسلم قبل الفتح في

طريق رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى مكة كما تقدم .
وكذلك ذكر ابن عتبة أن حسان قاله في تخرج رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى مكة ، وأن رسول الله صلى الله عليه وسلم لما دخل مكة نظر إلى النساء يَلْطَمُنَ الخليل بالتمرُ فالتفت إلى أبي بكر فتبسم لقول حسان في ذلك :
يَلْطَمُنَ بالتمرُ النساء .

* * *

وقال أنس بن زعيم الدبلي يمتدح إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم بما قال فيهم عمرو بن سالم الخزاعي :

أنت الذي شهدي مَعْدًا بأمره	بل الله يَهْدِيهم وقال لك أشهد
وما حلت من ناقةٍ فوق رَحْلها	أبرَ وأوفى ذمّةً من محمد
أحسّ على خير وأسبغ نائلا	إذا راح كالسيف الصّاعِل المهد
وأكسى لبُرْد الخلال قبل ابتذاله	وأعطى رأس السابق المتجرّد ^(١)
تعلم رسول الله أنك مُدركي	وأن وعيدًا منك كالأخذ باليد
تعلم رسول الله أنك قادرٌ	على كل صِرْمٍ مُتَهَمين ومُتَجِدٍ ^(٢)
تعلم بأن الرّكب ركب عُوَبر	هم الكاذبون المُخلفوا كلّ مَوْعد
ونبؤا رسول الله أني هجّوتُه	فلا حلت سوطي إلى إذا بدى

(١) الخال : ضرب من برود الين ، وهو من ربيع الثياب . والسابق المتجرّد : الفرس السريع الشيط .

(٢) الصرم : الطائفة من البيوت . والتمم : من نزل تهامة . والمنجد : من نزل نجداً .

سوى أننى قلت وبلم فتية أصيبوا بنحس لا يطوب بأسعد^(١)
ذوب وكثوم وسلى تتابعوا جميعاً فإن لا تذمع العين أكرم
أصابهم من لم يكن لدماهم كفاء فعزت عبرى وتبلدى

وقال يحر بن زهير بن أبى سلمى فى يوم الفتح :
نقى أهل الحبلى كل فج مزينة غدوة وبلو خفاف^(٢)
ضرباهم بمكة يوم فتح النسي الخير بالبيض الخفاف
صبتاهم بسبع من سليم وألف من بنى عثمان وإف
نظاً أكتافهم ضرباً وطعنا ورشقا بالريشة^(٣) اللطاف
ترى بين الصفوف لما حافية

كما انصاع الفواق من الرصاف^(٤)
فرحنا والجياد تجول فيهم بأرماع مقومة الثفاف
فأبنا غامين بما اشتبهنا وآبوا نادمين على الخلاف
وأعطينا رسول الله متاً موثقاً على حسن التصافى

(١) النحس : ضد السعد . واللائط : اللاصق لللازم . والأسعد : شاق كالجرب يأخذ
البعر فيهرم منه .

هنا ورواية البيت فى ابن هشام والروى وابن كثير :

أصيبوا بنحس لا بطلق وأسعد

ولعل رواية السكلاعى أسوب وأوضح .

(٢) الحبلى : أرض يسكنها قبائل من مزينة وقيس . واللباق أيضاً : الغنم الصغار .
وامله أراد أصحاب الغنم .

(٣) الريشة : السهام فيها الريش .

(٤) انصاع : ذهب . والفواق : قال السهيلي : أراد به الفوق وهو غريب . والرصاف :
جم رصفة وهى العفة التى تلوى فوق مدخل سنخ النصل فى السهم .

وقد سمعوا مقاتلتهم فهُمْؤَا غَدَاةَ الرَّوْعِ مِنْهَا بِانْصِرَافٍ

* * *

وقال عباس بن مرداس السلمي في فتح مكة :

مِنَا بِمَكَّةَ يَوْمَ فَتَحَ مُحَمَّدٍ أَلْفٌ نَسِيلٌ بِهِ الْبَطَاحُ مُسَوِّمٌ
نَصَرُوا الرِّسُولَ وَشَاهَدُوا أَيَّامَهُ^(١)

وشعارهم يوم اللقاء مقدمٌ
في منزل ثبتت به أقدامهم
جرت سبابكهما ببجد قبلها
حتى استمادها الحجاز الأذم^(٢)
الله مكنته له وأدله
حكم السيوف أينا وجدت مزحم^(٣)
وقال نجيد بن عمران الخزاعي :

وقد أنشأ الله للسحاب بعصرنا
رُكَّامَ سحاب الميذب المتراكب^(٤)
وهجرتنا في أرضنا عندنا بها
كتاب أنى من خير ممل وكاتب
ومن أجلها حلت بمكة حرمة
أبدرك نأراً بالسيوف القواضب

(١) رواية ابن كثير : وشاهدوا آياته .

(٢) الهام : الروس . والميذب : الميطل .

(٣) رواية ابن كثير : حتى استقام لها .

(٤) المزحم : الغالب .

(٥) الميذب : القريب .

[سرية خالد بن الوليد وما وقع فيها]

ولما فتح الله على رسول الله صلى الله عليه وسلم مكة بعث السرايا فيما حولها بدعو إلى الله ، ولم يأمرهم بقتال .

وكان ممن بعث خالد بن الوليد ، وأمره أن يسير بأسفل تهامة داعياً ولم يبعثه مقاتلاً ، ومعه قبائل من العرب ، فوطئوا بني جذيمة بن عامر بن عبد مناة بن كنانة . فلما رآه القوم أخذوا السلاح ، فقال خالد : ضموا السلاح فإن الناس قد أسلموا . فقال رجل منهم يقال له جعدهم : وبلسكم يا بني جذيمة إنه خالد والله ما بعد وضع السلاح إلا الإِسار ، وما بعد الإِسار إلا ضَرْب الأعناق ، والله لا أضع سلاحى أبداً . فأخذهم رجال من قومه فقالوا : يا جعدهم أنريد أن تسفك دماءنا ؟ إن الناس قد أسلموا ووضع الحرب وأمن الناس فلم يزالوا به حتى نزعوا سلاحه ووضع القوم السلاح لقول خالد .

فلما وضعوه أمر بهم خالد عند ذلك فكثفوا ثم عرضهم على السيف فقتل من قتل منهم . وقال لهم جعدهم حين وضعوا سلاحه ورأى ما يصنع بهم : يا بني جذيمة ضاع الضرب ! قد كدت حذرتكم ما وقعتم فيه .

فلما انتهى الخبر إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم رفع يديه إلى السماء ثم قال : « اللهم إني أبرأ إليك مما صنع خالد بن الوليد » . وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم لرجل انفلت منهم فأتاه بالخبر : هل أنكر عليه أحد ؟ فقال : نعم ، قد أنكر عليه رجل أبيض رُبْمَة^(١) فنهّمه خالد فسكت عنه ، وأنسكر

(١) الرُبْمَة : بين الطويل والقصير . ونهّمه : زجره .

عليه رجل أحر مضطرب فراجعه فاشتدَّت مراجعتهما . فقال عمر بن الخطاب أما الأول يا رسول الله فابني عبد الله ، وأما الآخر فسلم مولى أبي حذيفة .

وذكروا أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : « رأيتُ كأنى أقمْتُ أقمَةً من حَيْسٍ فالتذذْتُ طعمها فاعترض في حَلْقِي منها شيء حين ابتلعها فأدخل على يده فنزعه » . فقال أبو بكر : هذه سرية من سراياك تبعها فيأتيك منها بعضٌ ما تحب ويكون في بعضها اعتراض فتبعه علياً فيسمله .

ثم لما كان من خالد في بني جذيمة ما كان دعا رسول الله صلى الله عليه وسلم على بن أبي طالب فقال : « يا على اخرج إلى هؤلاء القوم فانظر في أمرهم واجعل أمر الجاهلية تحت قدميك » . فخرج على حتى جاءهم ومعه مال قد بعث به رسول الله صلى الله عليه وسلم فودى لهم الدماء وما أصيب من الأموال حتى إنه ليؤدى لهم مِيلة للكلب ، حتى إذا لم يبق شيء من دم ولا مال إلا وداه بقيت معه بقية من المال فقال لهم على حين فرغ منه : هل بقي دمٌ أو مال لم يودَ لكم ؟ قالوا : لا قال فإني أعطيتكم هذه للبقية من هذا المال احتياطاً لرسول الله صلى الله عليه وسلم بما لا يعلم ولا تعلمون .

[ففعل^(١)] ثم رجع إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم فأخبره الخبر فقال أصبَتْ وأحسنْتَ .

ثم قام رسول الله صلى الله عليه وسلم فاستقبل القبلة قائماً شاهراً يديه حتى

إنه يُرى ما تحت منكبيه يقول : اللهم إني أبرأ إليك مما صنع خالد بن الوليد ثلاث مرات .

وقد قال بعض من يعذر خالداً : إنه قال : ما قاتلتُ حتى أمرتُ بذلك عبدُ الله بن حذافة السهمي وقال : إن رسول الله صلى الله عليه وسلم أمر أن نقاتلهم لامتناعهم من الإسلام .

وحدث ابن أبي حدرّد الأسلمي قال :

كنت يومئذ في خيل خالد بن الوليد فقال لي فتى من بني جذيمة وهو في سبي وقد جمعت يداه إلى عنقه برمة^(١) ونسوة^(٢) مجتمعات غير بعيد منه يافتي . قلت : ما تشاء ؟ قال : هل أنت آخذ بهذه الرمة فقايدى إلى هؤلاء للنسوة حتى أقضى إليهن حاجة ثم تردني بعدُ فتصنعوا بي ما بدا لكم ؟ قال

(١) ذكر الإمام أحمد في رواية له أن خالد بن الوليد دعا بني جذيمة إلى الإسلام فلم يحسنوا أن يقولون : أسلمنا . فغملوا يقولون : صبياناً صبياناً ! وخالد يأخذهم أسراً وقتلاً .

كما ذكر ابن إسحق أنه كان بين خالد وبين عبد الرحمن بن عوف - فيها بلغة - كلام في ذلك فقال له عبد الرحمن : عمت بأمر الجاهلية في الإسلام ؟ فقال : إنما تأرت بأبيك . فقال عبد الرحمن : كذبت ! قد قتلت قاتل أبي ، ولكنك تأرت لعمك الفاكه بن المغيرة . حتى كان بينهما شر . فبلغ ذلك رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال : « مهلاً يا خالد ! دع عنك أصحابي ، فواقع لو كان لك أحد ذهباً ثم أغففته في سبيل الله ما أدركت غدوة رجل من أصحابي ولا روحته » .

قال ابن كثير : « والمظنون بكل منهما - أي خالد بن الوليد وعبد الرحمن بن عوف - رضي الله عنهما - أنه لم يقصد شيئاً من ذلك وإنما يقال هذا في وقت الخصامة ، فإنما أراد خالد بن الوليد نصرة الإسلام وأهله ، وإن كان قد أخطأ في أسرهم واعتقد أنهم ينتقصون الإسلام بقولهم صبياناً صبياناً . ولم يفهم عنهم أنهم أسلموا » .

(٢) الرمة : الحبل .

قلت : والله ليسير ما طلبت . فأخذت برُمته بها حتى أوقفته عليهن فقال :
اسلمى حُبَيْش على نقد^(١) العيش .

أربتك إذ طالبتكم فوجدتكم بحلية أو أقيتكم بالخوانق^(٢)
ألم يك أهلاً أن يُتَوَلَّ عاشقٌ

تسكف لإدلاج السرى والودائق^(٣)
فلا ذنب لي قد قلت إذ أهلنا معاً

أبيي بودّ قبل إحدى الصفائق^(٤)
أبيي بودّ قبل أن تشحط للنوى^(٥)

ويأى الأميرُ بالحبيب المفارق^(٦)

فقلت : وأنت لحيت سبعا وعشرا وترا وعمانيا تترى . قال : ثم
انصرفت به فضربت عنقه . فحدث من حضرها أنها قامت إليه حين ضربت
عنقه فما زالت تقبله حتى ماتت عنده .

وخرج النسائي هذه القصة في مصنفه في باب « قتل الأسارى » من
حديث ابن عباس أن النبي صلى الله عليه وسلم بعث سرية فقدموا وفيهم رجل
قال : إني لست منهم عشقت امرأة فلحقها فدعوني أنظر إليها نظارة ثم اصدموا

(٣) ت : قبل نقد العيش . وى ابن هشام (ط الحلى) : على نقد من العيش . والنقد :
الفناء والذهاب والانتفاء .

(٤) حلية والخوانق : موضعان بتهامة .

(٥) السرى : سير عامة الليل . والودائق : جمع وديقة وهى شدة الحر في نصف النهار .

(٦) الصفائق : الدوامى .

(٧) تشحط : تبعث .

(٨) ذكر ابن هشام بيتين بعد هذا البيت .

بى مابدآ لكم . قال فإذا امرأة طويلة أذماء فقال . اسلمى حُبَيْش على نَفَد العيش وذَكَرَ بعض الشعر المتقدم وبعده : قالت : نعم فَذُبُك . قال فقدّموه ففَضَرُوا عُنُقَهُ فجاءت المرأة فوقفت عليه فشبهت شهقة أو شهقتين ثم مات ، فلما قدِموا على رسول الله صلى الله عليه وسلم أخبروه الخبر فقال صلى الله عليه وسلم : « أما كان فيكم رجل رحيم » .

[هدم العزى]

ثم بعث رسول الله صلى الله عليه وسلم خالد بن الوليد إلى العزى وكانت بدخلة ، وكان بيتاً تعظمه قريش وكفانة ومُضَرُّ كُلِّهَا ، وكان سدتها وحجباها بنى شيبان من بنى سليم حلفاء بنى هاشم ، فلما سمع صاحبها للشلمى بسير خالد إليها علّق عليها سيفه وأسند في الجبل الذى هو فيه وهو يقول :

ياعزّ شُدّى شدة لا شوى^(١) لما على خالد ألقى الإقباغ وشمري

ياعزّ إن لم تقتلى المرء خالداً فبؤنى يأنم عاجلٍ أو تنصرى

فلما انتهى إليها خالد هدمها . ثم رجع إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم^(٢)

(١) الشوى : أن يصيب غير المقاتل ، يريد : أنها لا تبقى على شيء .

(٢) وكان هدم العزى - كما قال الطبرى - لخمس بقين من رمضان سنة ثمان .

غزوة حنين

ولما سمعت هوازن برسول الله صلى الله عليه وسلم وما فتح الله عليه من مكة جمعها مالك بن عوف النضري^(١) فاجتمع إليه مع هوازن ثقيف كلها واجتمعت نضر وجشم كلها وسعد بن بكر وناس من بني هلال وهم قليل ، ولم يشهدوها من قيس عيلان إلا هؤلاء . وفي بني جشم دُرَيْدُ بْنُ الصِّمَّةِ شَيْخٌ كبير ليس فيه شيء إلا التَّيْمَنُ بِرَأْيِهِ ومعرفة بالحرب ، وجِجَاعُ أُمِّ النَّاسِ إِلَى مَالِكِ بْنِ عَوْفٍ . فلما أجمع السيرَ إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم حَطَّ مع النَّاسِ أَمْوَالُهُمْ ونِسَاءَهُمْ وأَبْدَانَهُمْ ، فلما نزل بأوطاس جتمع إليه النَّاسُ وفيهم دُرَيْدُ بْنُ الصِّمَّةِ فِي شِجَارٍ^(٢) لَهُ يُقَادُ بِهِ . فلما نزل قال : فِي أَيْ وَادٍ أَنْتُمْ ؟ قَالُوا : بِأَوْطَاسٍ . قَالَ : نَعَمْ بِجِبَالِ الْخَيْلِ لِأَحْزَنِ خَيْرَسٍ وَلَا سَهْلَ دَهَسٍ^(٣) مَالِي أَسْمَعُ رِغَاءَ الْبَعِيرِ وَنُهَاقَ الْخَيْرِ وَبَكَاءَ الصَّغِيرِ وَيُعَارِ الشَّاءِ ؟ قَالُوا : سَاقِ مَالِكُ بْنُ عَوْفٍ مَعَ النَّاسِ أَمْوَالَهُمْ ونِسَاءَهُمْ وأَبْدَانَهُمْ . قَالَ : ابْنُ مَالِكٍ ؟ فَدَعِيَ لَهُ فَقَالَ : يَا مَالِكُ إِنَّكَ أَصْبَحْتَ رَئِيسَ قَوْمِكَ ، وَإِنْ هَذَا يَوْمٌ لَهُ مَا بَعْدَهُ ، مَالِي أَسْمَعُ رِغَاءَ الْبَعِيرِ وَنُهَاقَ الْخَيْرِ وَبَكَاءَ الصَّغِيرِ وَيُعَارِ الشَّاءِ ؟ قَالَ : سَقَتْ مَعَ النَّاسِ أَمْوَالَهُمْ ونِسَاءَهُمْ وأَبْدَانَهُمْ أَرَدْتُ أَنْ أَجْعَلَ خَلْفَ كُلِّ رَجُلٍ مِنْهُمْ أَهْلَهُ وَمَالَهُ لِيُقَاتِلَ عَنْهُمْ قَالَ : فَأَنْقَضَ^(٤) بِهِ وَقَالَ^(٥) : رَاعِي ضَائِنِ اللَّهِ وَاهِلِ بَرْدِ الْمَنْهَزِمِ شيء ؟

(١) ت: النضري . عرفة .

(٢) الشجار : مركب شبه الهودج .

(٣) الحزن : ما غلظ من الأرض . والضرس : الخشب . والدهس : اللب .

(٤) انقض به: زجره .

(٥) ابن هشام والطرقي : ثم قال .

لإنها إن كان لك لم ينفكك إلا رجلٌ بسيفه ورمحه ، وإن كانت عليك
فُضحتَ في أهلك ومالك .

ثم قال : ما فعلتُ كعبٌ وكلاب ؟ قالوا : لم يشهدا منهم أحد . قال :
غاب الحدوُّ والجِدُّ أو كان يومَ علَاء ورفعة لم تنب عنه كعب وكِلَاب ،
لَوَدِدْتُ أنكم فعلتم ما فعلتُ كعب وكلاب ، فن شهدا معكم ؟ قالوا :
همرو بن عامر وعوف بن عامر . قال : ذاك الجُدعان^(١) لا ينفعان ولا
يَصْرَآن يا مالك إنك لم تصنع بتقديم بيضة هوازن إلى نحور الخيل شيئاً
أرفعهم إلى مُتَمَنِّعٍ بلادهم وعُلياء^(٢) قومهم ثم للق للضبَاء^(٣) على مُتُون الخيل
فإن كانت لك لحق بك من وراءك ، وإن كانت عليك أفساك ذلك وقد
أحرزت أهلك ومالك .

قال : والله لا أفعل ، إنك قد كبرتَ وقد كبر عقلك^(٤) والله أتعطيمتني
يا ممشر هوازن أو لأتكنن على هذا السيف حتى يخرج من ظهري . وكره أن
يكون له رُبْد فيها ذكر أو رأى ، قالوا : أطفئناك .

فقال دريد : هذا يومٌ لم أشهده ولم يفتني .

[يا ليتني]^(٥) فيها جَذَعٌ أَخْبُ^(٦) فيها واضعٌ

(١) الجذع : الشاب الحدث .

(٢) ابن هشام والطبري : وعلياً قومهم .

(٣) يريد الرسول صلى الله عليه وسلم وأصحابه .

(٤) الطبري : وقد كبر عقلك .

(٥) سقطت من ت .

(٦) أَخْب : أسرع .

ثم قال مالك للناس : إن رأيتموهم فاكسروا جفون سيوفكم ثم
شدوا شدة رجل واحد .

وبعث مالك بن عوف عيوناً من رجاله فاتوه وقد تفرقت أوصالهم
فقال : ويلكم ما شأنكم ؟ قالوا : رأينا رجالاً بيضاً على خيل بلى والله
ما تملكنا أن أصابنا منرى .

فوالله ما ردّه ذلك عن وجهه أن مضى على ما يريد .

ولما سمع بهم نبي الله صلى الله عليه وسلم بعث إليهم عبد الله بن أبي حذرد
الأسلمى وأمره أن يدخل في الناس ويقيم فيهم حتى يعلم علمهم ثم يأتيه بخبرهم
فانطلق ابن أبي حذرد فدخل فيهم حتى سمعهم يعلم ما قد أجمعوا عليه من حرب
رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وسمع من مالك وأمر هوازن ما هم له ^(١)
ثم أقبل حتى أتى رسول الله صلى الله عليه وسلم فأخبره الخبر .

فلما أجمع رسول الله صلى الله عليه وسلم السير إلى هوازن ذكر له أن عدد
صفوان بن أمية أدرعا وسلاحاً فأرسل إليه وهو يومئذ مشرك فقال : يا أبا أمية
أعزنا سلاحك هذا نأق فيه عدونا غداً فقال صفوان : أعصبا يا محمد ؟ فقال :
بل عارية مضمونة حتى تؤديها إليك قال : ليس بهذا بأس . فأعطاه مائة درع
بما يكفيها من السلاح ، فزعموا أن رسول الله صلى الله عليه وسلم سأله أن يكفيهم
سلاحاً ففعل .

ثم خرج رسول الله صلى الله عليه وسلم عامداً لحلين معه اتقان من

(١) ت : يا أم عليه .

أهل مكة وعشرة آلاف من أصحابه الذين فتح الله بهم مكة ، فكانوا اثني عشر ألفا .

وذكر أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال حين فصل من مكة إلى حنين ورأى كثرة من معه من جنود الله : « انْ تَلَبَّ الْيَوْمَ مِنْ قِلَّةٍ » . وزعم بعض الناس أن رجلا من بني بكر قالما .

واستعمل رسول الله صلى الله عليه وسلم عتّاب بن أسيد بن أبي العيص ابن أمية بن عبد شمس على مكة أميرا على من تخلف عنه من الناس .

ثم مضى رسول الله صلى الله عليه وسلم على وجهه يريد لقاء هوازن .

قال ابن عتبة : وكان أهل حنين يظنون حين دنا منهم رسول الله صلى الله عليه وسلم — بمعنى في توجهه إلى مكة — أنه بادي بهم ، وصنع الله لرسوله ما هو أحسن من ذلك ، فتح له مكة فأقر بها عينه وحكبت بها عدوه .

فلما خرج رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى حنين خرج معه أهل مكة رُكباناً ومشاةً ، حتى خرج معه النساء يمشين على غير دين نظارا ينظرون ويرجون الغنائم ، ولا يكرهون أن تكون للصدمة رسول الله صلى الله عليه وسلم وأصحابه .

وحدث أبو واقد اللّيثي قال : خرجنا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى حنين ونحن حديثوا عهد بالجاهلية ، وكانت لسكفار قريش ومن سوام من العرب شجرة خضراء عظيمة يقال لها ذات أنواط . يملقون

عليها أسلحتهم ويزبحون عندها ويمكفون عليها يرما ، قال : فرأينا ونحن
نسير معه سِدْرَةَ خضراء عظيمة فتبادلتنا من جنبات الطريق : اجعل
لنا ذات أنواط كما لهم ذات أنواط . فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم :
« الله أكبر ! قلتم والذى نفس محمد بيده كما قال قوم موسى : « اجعل لنا
إلهاً كما لهم آلهة » ، قال : إنكم قوم تجهلون » فإنها للسُّنن لتركبن سنن
من كان قبلكم^(١) .

* * *

وحدث جابر بن عبد الله قال : لما استقبلنا وادى حنين انحدرنا في
وادي من أودية تهامة أجوف حطوط إنما نهدر فيه انحدارا قال : وذلك
في عمّاية الصبح ، وكان القوم قد سبقونا إلى الوادي فكلموا لنا في
شِمَابِه وأجَنَابِه^(٢) ومَضَابِقِه ، قد أجمعوا وتهاووا ، فوالله مارعا ونحن
منحطون إلا الكتائب قد شدوا^(٣) عليها شدة رجل واحد ،
وانشمر^(٤) اللباسُ راجعين لا يُلَوِي أحد على أحد .

وانحاز رسول الله صلى الله عليه وسلم ذات اليمين ثم قال : « أيها الناس هلم إلينا

(١) روى هذا الحديث الترمذي في صحيحه ، وقال : حسن صحيح ، والنسائي في سننه .
ورواه ابن أبي حاتم في تفسيره وانظر سيرة ابن كثير ٦١٦/٣ .

(٢) ابن هشام والطبري : وأحنائه .

(٣) الطبري : قد شدت .

(٤) اشمروا : فروا وانهزوا .

أنا رسول الله ، أنا محمد بن عبد الله ، قال : فلا شيء ! حلت^(١) الإبل
بعضها على بعض وانطلق الناس ، إلا أنه قد بقي مع رسول الله صلى الله
عليه وسلم نفرٌ من المهاجرين والأنصار وأهل بيته ، وفيمن ثبت معه من
المهاجرين : أبو بكر وعمر ومن أهل بيته علي بن أبي طالب والعباس
وأبو سفيان بن الحارث وابنه والفضل بن عباس وريبعة بن الحارث وأسامة
ابن زيد وأيمن بن عبّيد وهو ابن أم أيمن قُتل يومئذ .

قال : ورجل من هوازن على جمل له أحمر بيده راية سوداء في
رأس رمح طويل أمام هوازن وم خلفه ، إذا أدرك طَمَنَ برمحه وإذا
فاته الناس رفع رمحه لمن وراه فاتبعوه ، فبينما ذلك الرجل يصنع ما يصنع
يأذ أهوى له علي بن أبي طالب ورجل من الأنصار يريدانه قال : فيأني
علي من خلفه فضرب عُرْقُوبِي الجمل فوقع على عَجْزِهِ ووثب الأنصاري
على الرجل فضربه ضربةً أطن^(٢) قدمه بنصف ساقه فانجحف عن رَحْله .

[المنهزمون]

قال ابن إسحق : فلما انهزم الناس ورأى من كان مع رسول الله
صلى الله عليه وسلم من جُفَاة أهل مكة الهزيمة تسكلم رجالٌ منهم بما في
أنفسهم من الضعْفَن فقال أحدهم : لا تنتهي هزيمتهم دون البحر . وإنَّ

(١) الطبرى : احتملت الإبل بعضها بعضا .

(٢) أطن : أطار .

الأزلام لعله في كِنَانَتِهِ . وصرخ آخر منهم : أَلَا بَطَلُ السَّحَرِ الْيَوْمَ !
فقال له صفوان بن أمية وهو يومئذ مشرك في المدة التي جَمَلَ له رسول
الله صلى الله عليه وسلم : اسكت فضَّ الله فاك ! فوالله لأنَّ يَرْبِيَّ (١)
رجلٌ من قريش أحبُّ إلى من أن يربى رجلٌ من هَوازِن .

وقال شيبة بن عثمان بن أبي طلحة ، أخو بني عبد الدار وكان أبوه
قُتِلَ يوم أحد : قلت : اليوم أدرك نأرى لليوم أقتل محمدا . قال فأدَّرتُ
برسول الله لأتقتله فأقبل شيء حتى تفشَّى فؤادى فلم أطق ذلك وعلت
أى مملوع منه .

وذكر ابن أبي خيثمة حديث شيبة هذا ، قال : لما رأيت النبي
صلى الله عليه وسلم يوم حنين أغرى (٢) ذَكَرْتُ أبى وعى قتلمها حمزة ،
قلت : اليوم أدرك نأرى في محمد (٣) . فجئته عن يمينه فإذا أنا بالعباس
قائما عليه دِرْعٌ بيضاء ، قلت : عمه ان يخذله . فجئته عن يساره فإذا أنا
بأبي سفيان ابن الحارث ، قلت : ابن عمه ان يخذله ، فجئته من خلفه فدبوتُ
ودنوت حتى لم يبق إلا أن أسور سورة (٤) بالسيف فرفع إلى شواظ من
نار كأنه للبرق فكسعت على عقبى اللقمة . فالتفت رسول الله صلى

(١) يربى : يمسكى .

(٢) أغرى : نفرق الناس من حوله . ورواية ابن كثير عن البيهقي : قد أغرى .
ون ت : أغرى . معرفة .

(٣) رواية البيهقي : من محمد .

(٤) أسور : أنب . وعبد ابن كثير : أساوره سورة .

الله عليه وسلم فقال : يا شيبه اذنه . فدنوت فوضع يده على صدري فاستخرج الله الشيطان من قلبي فرفعت إليه بصرى فلهو أحب إلى من سمى وبصرى فقال لي : يا شيبه قاتل الكفار . فقاتلت معه صلى الله عليه وسلم .

[نداء للعمر]

وحدث العباس بن عبد المطلب قال : إني لمع رسول الله صلى الله عليه وسلم آخذٌ بحِصَّةٍ^(١) بغلقه البيضاء قد شَجَرَتْهَا^(٢) بها وكنت امرأاً جَسِيماً شديد الصوت ورسول الله صلى الله عليه وسلم يقول حين رأى ما رأى من أمر الناس : أين أيها الناس ؟ فلم أر الناس يَلْعُون على شيء فقال : يا عباس اصرخ : يا معشر الأنصار يا معشر أصحاب السُّمُرَةِ . قال : فأجابوا : لبيك لبيك . قال : فيذهب الرجل لِيَتَنَى بعيره فلا يقدر على ذلك فيأخذ درعه فيقذفها في عنقه ويأخذ سيفه وترسه ويقف عن بعيره ويحلى سبيله فيؤمُّ الصوت حتى ينتهي إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم ، حتى إذا اجتمع إليه منهم مائة استقبلوا الناس فاقتتلوا ، فكانت الدعوى أول ما كانت للأنصار^(٣) ثم خلصت آخرياً للخزرج وكانوا صُبراً عند الحرب ، فأشرف رسول الله صلى الله عليه وسلم في ركائبه ففطر إلى مُجْتَلَدِ القوم فقال : الآن حِمَى الوَطِيس .

(١) الحِصَّة : ما أحاط بخنجر الفرس ونحوه .

(٢) شجر الدابة : ضرب لجامها فيكفها حتى فتحت فاهها .

(٣) ت : بالأنصار .

قال جابر بن عبد الله في حديثه : واجتَلَدَ للنَّاسُ ، فوالله ما رجعتُ راجعة للناس من هزيمتهم حتى وجد والأسارى مكتفين عند رسول الله صلى الله عليه وسلم !

قال : والتفت رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى أبي سفيان بن الحارث وكان حسن الإسلام ومن صبر يومئذ معه وهو آخذ بشِقْرِ^(١) بقلته فقال : من هذا ؟ قال : أنا ابن أمك يا رسول الله .

وذكر ابن عتبة أن رسول الله صلى الله عليه وسلم لما غَشِيَهُ القتال يومئذ قام في الرُّكَّابِينَ وهو على البعثة . ويقولون نزل . فرفع يديه إلى الله بدعوه يقول : اللهم إني أُنشِدُكَ ما وعدتني ، اللهم لا ينينى لهم أن يظهروا علينا . ونادى أصحابه فذَمَّهم^(٢) : يا أصحاب للبيعة يومَ الحديبية ، يا أصحاب سورة البقرة ، يا أنصار الله ورسوله يا بني الخزرج . وقبض قبضة من الحصباء فحصب بها وجوه المشركين ونواحيهم كلها . وقال : شأنت الوجوه . فهزم الله أعداءه من كل ناحية حصَّ بهم منها رسول الله صلى الله عليه وسلم ، واتبعهم المسلمون يقتلونهم وغنمهم الله أنساءهم وذرائعهم وشاههم وإبلهم ، وفر مالك بن عوف حتى دخل حصن الطائف في ناس من أشرف قومه .

(١) الثغر : السيرى . وآخر السرج .

(٢) الأصل : و الراكلتين . وما ألبته من سيرة ابن كثير ٦٢٦/٣ نقل عن ابن عتبة .

(٣) ذمهم : حفضهم على القتال .

وأسلم عند ذلك ناس كثير من أهل مكة وغيرهم حين رأوا نصر الله ورسوله^(١) وإعزاز دينه .

وحدث جُبَيْر بن مُطْعَم قال : لقد رأيت قبل هزيمة القوم والناس يقتتلون مثل البجَاد^(٢) الأسود أقبل من السماء حتى سقط بيننا وبين القوم ، فنظرت فإذا نمل أسود مَبْثُوث قد ملأ الوادي ولم أشك أنها لللائكة ، فلم تكن إلا هزيمة القوم .

[شجاعة أم سليم]

واللتفت رسول الله صلى الله عليه وسلم يومئذ فرأى أمَّ سُلَيْمٍ بنت مِلْحَانَ ، وكانت مع زوجها أبي طلحة وهي حازمة وسطها بُرْد لها ولأنها لحامل بعبد الله بن أبي طلحة ، ومعها جل أبي طلحة قد خشيت أن يَمْرَها^(٣) فأدنت رأسه منها فأدخلت يدها في خِزَامَتِهِ مع الخطام فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : أم سليم !

قالت : نعم بأبي أنت وأمي يا رسول الله اقتل هؤلاء الذين يهزمون عنك كما تقتل الذين يقاوتونك فإنهم لذلك أهل . فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : أو يكفى الله يا أم سليم .

وقال لها أبو طلحة : ما هذا الخبيج يا أم سليم ؟ للخبيج رآه عندها .

(١) الرواية عند ابن كثير : حين رأوا نصر الله ورسوله وإعزازه دينه . السيرة ٤/٦٢٦

(٢) البجَاد : كماء من صوف .

(٣) يمرها : يظلبها أو يغلث منها .

قالت : خابجر اتخذته إن دنا مني أحد من المشركين بِمَجْبُته^(١) به .
فقال أبو طلحة : ألا تسمع يا رسول الله ما تقول أم سليم !

* * *

وحدث أنس أن أبا طلحة استلب وحده يوم حنين عشرين رجلا .

وقال أبو قتادة : رأيت يوم حنين رجلين يقتتلان مسلما ومشركا ، فإذا رجل من المشركين يريد أن يُمين صاحبه المشرك على المسلم فأتيته فضربت يده فقطعتها واعتنقني بيده الأخرى ، فوالله ما أرسلني حتى وجدتُ ریحَ الدم . وبرى : ریح الموت . فلولا أن الدم نَزَفَه لَقَتَلَنِي ، فسقط فضربته فقتلته وأجهضني^(٢) عنه القتال . فلما وضعت الحرب أوزارها وفرغنا من القوم ، قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : من قَتَلَ قتيلا فله سلبه . فقلت : يا رسول الله والله لقد قتلت قتيلا ذا سلب فأجهضني عنه القتال فما أدرى من استلبه . فقال رجل من أهل مكة : صدق يا رسول الله فأرضه عني من سلبه . فقال أبو بكر : لا والله لا أرضيه منه نَعَمْد إلى أسد من أسد الله يقاتل عن دين الله تُقَاسمه سلبه ! ارددْ عليه سلب قتيله . فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : صدق اردد عليه سلبه .

(١) بِمَجْبُته : شقته .

(٢) أجهضني : علي وأبعدني

قال أبو قتادة : فأخذته معه فبعته فاشتريت بشمه ^(١) مخزفاً فإنه لأول مال اعتقده ^(٢) .

[هزيمة للمشركين]

ولما انهزمت هوازن استعرت للقتل من ثقيف في بني مالك ، قتل منهم سبعون رجلا تحت رايتهم ، منهم عثمان بن عبد الله بن ربيعة ومعه كانت راية بني مالك .

وكانت قبله مع ذى الخمار ، فلما قُتل أخذها عثمان فقاتل بها حتى قُتل ، فلما بلغ رسول الله صلى الله عليه وسلم قتله قال : أبعد الله عنه كان يُبغض قريشا . وكانت راية الأحلاف مع قارب بن الأسود ، فلما انهزم الناس هرب هو وقومه من الأحلاف فلم يُقتل منهم غير رجلين يقال لأحدهما وهب والآخر الجلاح ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم حين بلغه قتل الجلاح : قتل اليوم سيد شباب ثقيف إلا ما كان من ابن هنييدة . يعنى الحارث بن أويس .

ولما انهزم المشركون أتوا الطائف ومعهم مالك بن عوف وعسكر بعضهم بأوطاس وتوجه بعضهم نحو نخلة ، وتبعته خييل رسول الله صلى الله عليه وسلم من سلك في نخلة من الناس ولم تتبع من سلك الثنايا ، فأدرك ربيعة بن رُفيع - وكان يقال له ابن الدغدة وهي أمه غلبت على اسمه

(١) المخرف : السكة بين صفين من النخل

(٢) كذا : ورواية البخارى ومسلم فإنه لأول مال تأتله

أدرك دُرَيْدَ بن الصَّمَّةِ فأخذ بمخاطم جملته وهو يظن أنه امرأة ، وذلك أنه كان في شِجار له ، فأناخ به فإذا شيخ كبير وإذا هو دُرَيْدٌ ولا يعرفه الغلام ، فقال له دريد : ماذا تريد بي ؟ قال : أقتلك . قال : ومن أنت ؟ قال أنا ربيعة بن رُفَيْع السُّلَمِي . ثم ضربه بسيفه فلم يُغن شيئاً فقال : بدس ما سلحتك أمك اخذ سيفي هذا من مؤخر الرجل ثم اضرب به وارفع عن العظام واخفض عن الدماغ ، فإني كذلك كمت أضرب الرجال ، ثم إذا أتيت أمك فأخبرها أنك قتلت دُرَيْدَ بن الصَّمَّةِ فَرُبُّ والله يومٍ قد منعتُ فيه نساءك .

فزعم بدو سليم أن ربيعة قال : لما ضربته فوقم تكشف فإذا عَجَّانُه^(١) ويطون نغذيه مثل القرطاس من ركوب الخيل أعراء . فلما رجع ربيعة إلى أمه أخبرها بقتله إياه فقالت : أما والله لقد اعتق أمهات لك ثلاثاً .

وقالت عَمْرُو^(٢) بنت دريد ترى أباه :

قالوا قتلاً دُرَيْدًا قات قد صدقوا فظل دمي على السُّرْبَالِ يحدُر^(٣)
لولا الذي قهر الأقوامَ كلهم رأت سليم وكعبٌ كيف يأنمر^(٤)

(١) العجَّان : ما بين الحصى والدب .

(٢) ابن هشام : عمرة

(٣) السُّرْبَال : القميص

(٤) ت : نأتمر

[غزوة أوطاس]

وبعث رسول الله صلى الله عليه وسلم في آثار من تَوَجَّه قِبَل
أوطاس أبا عامر الأشعري فأدرك بعضَ النهزمة ففاوضوه للقتال فرُمى
بهم فقتِلَ فأخذَ الرابية أبو موسى الأشعري ففتح الله عليه
وهزمهم الله .

ويزعمون أن سلمة بن دُرَيْد هو الذي رمى أبا عامر .

وذكر ابن هشام عن يثق به أنه أبا عامر الأشعري لقي يوم
أوطاس عشرة إخوة من المشركين ، فحمل عليه أحدهم فحمل عليه أبو
عامر وهو يدعوهُ إلى الإسلام ويقول اللهم اشهد عليه . فقتله أبو عامر
ثم حمل عليه آخر فحمل عليه أبو عامر وهو يدعوهُ إلى الإسلام ويقول :
اللهم اشهد عليه . فقتله أبو عامر ثم جعلوا يحملون عليه رجلاً بعد رجل
ويحمل أبو عامر ويقول ذلك حتى قتل تسعة وبقي العاشر ، فحمل على أبي
عامر وحمل عليه أبو عامر وهو يدعوهُ إلى الإسلام ويقول : اللهم اشهد
عليه . فقال الرجل : اللهم لا تشهد على . فكف عنه أبو عامر فأفلت
ثم أسلم بعدُ فحسن إسلامه فكان رسول الله صلى الله عليه وسلم إذا
رآه قال : هذا شريد أبي عامر .

ورمى أبا عامر يومئذ ، فيما ذكر ابن هشام ، أخوان من بني
جُشم بن معاوية فأصاب أحدهما قلبه والآخر ركبته فقتلاه ، وولى للناس
أبو موسى الأشعري فحمل عليهما فقتلهما .

وذكر ابن إسحق أن القتل استعصر في بني نصر بن رثاب ، فزعموا
أن عبد الله بن قيس الذي يقال له ابنُ المَوْرَاء وهو أحد بني وهب
ابن رثاب قال : يا رسول الله هلكتُ بدو رثاب فزعموا أن رسول الله
صلى الله عليه وسلم قال : اللهم اجْزُ مصيبتهم

* * *

وخرج مالك بن عوف عند المزيمة فوقف في فوارس من قومه على
ثنية من الطريق وقال لأصحابه : قفوا حتى يمضي ضعفاؤكم وتلحق آخركم .
فوقف هنالك حتى مضى من كان لحق بهم من مُنهزمة الناس .

قال ابن هشام : وبلغني أن خيلاً طلعت ومالك وأصحابه على الثنية
فقال لأصحابه : ماذا ترون ؟ قالوا : نرى قوما واضعي رماحهم بين آذان
خيالهم طويلة بَوَادِم^(١) . فقال : هؤلاء بدو سليم ولا بأس عليكم منهم
فلما أقبلوا سلكوا بطن الوادي ، ثم طلعت خيلٌ أخرى تتبعها فقال
لأصحابه : ماذا ترون ، قالوا : نرى أقواماً عارضى أرماحهم أغفالا على
حيلهم . قال : هؤلاء الأوس والخزرج ولا بأس عليكم منهم ، فلما انتهوا
إلى أصل الثنية سلكوا طريق بني سليم ثم اطلع فارسٌ فقال لأصحابه :
ماذا ترون ؟ قالوا : نرى فارساً طويلاً البادٍ واضعاً رمحاً على عاتقه
عاصباً رأسه بملاءة حمراء . فقال : هذا الزبير بن العوام وأحلف باللات
ليخالفكم فاثبتوا له . فلما انتهى الزبير إلى أصل الثنية أبصر القوم فصعد
لم فلم يزل بطاعنهم حتى أراحهم عنها .

(١) كذا والبواد : حم باد ، وهو باطل المخذ .

[أخت الرسول من الرضاعة]

وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم يومئذ : إن قدرتم على إيجاد ، رجل من بني سعد بن بكر ، فلا يُفْلِتْكُمْ وكان قد أحدث حدثا . فلما ظفر به المسلمون ساقوه وأهله وساقوا معه الشَّيْءَ بنت الحارث بن عبد العزى أخت رسول الله صلى الله عليه وسلم من الرضاعة ، فعَنَقُوا عليها في السَّيَاق فقالت للمسلمين : تعلّموا والله أنى لأخت صاحبكم من الرضاعة . فلم يصدّقوها حتى أتوا بها النبي صلى الله عليه وسلم فلما انتهوا بها إليه قالت : يا رسول الله إني أختك . قال : وما علامة هذا ؟ قالت : عَصَـة عضّنتُ بها في ظهري وأنا مُتَوَرِّكُكَ فعرف رسول الله صلى الله عليه وسلم العلامة فبسط لها رداءه فأجلسها عليه وخبرها وقال : إذا أحببتِ فعندي مُحَبَّبَةٌ مَكْرَمَةٌ وإن أحببت أن أمتك وترجى إلى قومك فعلتُ .

قالت : بل تمتعني وتردني إلى قومي . فتعها رسول الله صلى الله عليه وسلم وردّها إلى قومها . فزعمت بنو سعد أنه أعطاها غلاما يقال له مكحول وجارية فزوجت أحدهما الآخر فلم يزل فيهم من نسلهما بقية .

[ما نزل من القرآن]

وأنزل الله تبارك وتعالى في يوم حنين : « لقد أنصركم الله في مواطن

كثيرة ويوم حُتَيْنِ إِذْ أُعْجِبْتُمْ كَثَرَتَكُمْ فَلَمْ تُغْنِ عَنْكُمْ شَيْئًا وَضَاقَتْ
عَلَيْكُمْ الْأَرْضُ بِمَا رَحُبَتْ نَمِ وَلَيْتُمْ مُذْبِرِينَ . نَمِ أَنْزَلَ اللَّهُ سَكِينَتَهُ عَلَى
رَسُولِهِ وَعَلَى الْمُؤْمِنِينَ وَأَنْزَلَ جُنُودًا لَمْ تَرَوْهَا وَعَذَّبَ الَّذِينَ كَفَرُوا وَذَلِكَ
جَزَاءُ الْكَافِرِينَ ^(١) .

[الشهداء]

واستشهد من المسلمين يوم حنين من قريش نَمِ من بنى هاشم : أَيْمَنُ
ابن عُبَيْدٍ مَوْلَاهُ . وَمِنْ بَنِي أَسَدِ بْنِ عَبْدِ الْعُزَّى يَزِيدُ بْنُ زَمْعَةَ بْنِ الْأَسَدِ
ابن الْأَسَدِ بْنِ الْمَطْلَبِ ، جَمَعَ بِهِ فَرَسٌ يُقَالُ لَهُ الْجَلْبَاحُ فَقُتِلَ .

وَمِنْ الْأَنْصَارِ : سُرَّاقَةُ بْنُ الْحَارِثِ الْكَلْبِيُّ . وَمِنْ الْأَشْعَرِيِّينَ
أَبُو عَامِرٍ الْأَمْرِيُّ .

* * *

نَمِ جَمَعَتْ إِلَى رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ سَبَايَا حُنَيْنٍ وَأَمْوَالَهَا
فَأَمَرَ بِهَا إِلَى الْجِثْرَانَةِ فَخُبِسَتْ بِهَا حَتَّى أَدْرَكَهَا هَذَاكَ مُنْصَرِفَةً عَنِ الطَّائِفِ
عَلَى مَا يَذْكُرُ بَعْدَ إِنْ شَاءَ اللَّهُ تَعَالَى .

[ما قيل من الشعر]

وَقَالَ عَبَّاسُ بْنُ مِرْدَاسٍ السُّلَمِيُّ فِي يَوْمِ حُنَيْنٍ :

(١) سورة التوبة ٢٥ . ٢٦ .

عَفَا مِجْدُلٌ مِنْ أَهْلِهِ فَمَتَّالِحُ فِطْلًا أَرِيكَ قَدْ خَلَا فَاَلْمَصَانِعُ^(١)
 دِبَارُ لَنَا يَجْعَلُ إِذْ جُلُّ عَيْشِهَا رَخِيٌّ وَصَرَفَ الدَّهْرَ لِلْحَيِّ جَامِعُ
 حَبِيبَةِ أَلَوْتُ بِهَا غُرْبَةَ اللَّتَوَى
 كَبِينِ فَهَلْ مَاضٍ مِنَ الْعَيْشِ رَاجِعُ
 فَإِنْ تَبَتَّغَى^(٢) الْكُفَّارَ غَيْرَ مَلُومَةٍ
 فَإِنِّي وَزِيرٌ لِلنَّبِيِّ وَتَابِعُ
 دَعَانَا إِلَيْهِ خَيْرٌ وَقَدْ عَلِمْتُمْ^(٣)
 خَزَنَتُنَا وَالْمَرَارَ مِنْهُمْ وَوَاسِعُ
 فَجَنَّا بِالْفِ مِنْ سُلَيْمٍ عَلَيْهِمْ
 أَبُوسَ لَهُمْ مِنْ نَسَجِ دَاوُدَ رَائِعُ
 نَبَايِمُهُ بِالْأَخْشَبِينَ وَإِنَّمَا يَدُ اللَّهِ بَيْنَ الْأَخْشَبِينَ نَبَايِعُ
 فَجَنَّا مَعَ الْمَسْدِيِّ مَكَّةَ عَنُودَ
 بِأَسْيَافِنَا وَالْقَنْعِ كَابٍ وَسَاطِعُ^(٤)
 عَلَانِيَةً وَالْخَيْلَ يَفْشَى مَقُونَهَا
 حَمِيمٌ وَأَنَّ مِنْ دَمِ الْجَوْفِ نَاقِعُ

(١) مجدل ومثال : موضعان . والمطال : يقصر ويمد : مسيل ضيق من الأرض .
 أو الأرض السهلة . وأريك : واد .
 (٢) ابن هشام : فإن يتغى . وفي ت : فإن يتبع . وما أثبتته من ط .
 (٣) كذا في ط . وفي ت وابن هشام : علمتهم .
 (٤) القنع : القبار . والسكابي : العالي . والساطع : المنتشر .

— ٣٤٠ —

وَبِوَمَ حُتَيْنِ حِين سَارَت هَوَازِنُ
إِلَيْهَا وَضَاقَتْ بِالْهَوَسِ الْأَضَالِحُ
صَبَرْنَا مَعَ الضَّحَّاكِ^(١) لَا يَسْتَفْزِنَا
لَوْلَا كَتُذْرُوفُ^(٢) السَّعَابَةِ لَا مَعُ
عَشِيَةِ ضَحَّاكِ بْنِ سَفِيَّانٍ مُعْتَصِ^(٣)
بَسِيفِ رَسُولِ اللَّهِ وَلِلْوَتِ كَانِعِ^(٤)
نَذُودِ أَخَانَا عَنْ أَخِيَا وَلَوْ نَزَى
مِصَالَا لَكُنَّا الْأَقْرَبِينَ نَتَابِعُ^(٥)
وَلَكِنَ دِينَ اللَّهِ دِينُ مُحَمَّدٍ
رَضِينَا بِهِ فِيهِ الْهَدَى وَالشَّرَائِعُ
أَقَامَ بِهِ بِمَدِّ الضَّلَالَةِ أَمْرَنَا
وَابِسَ لِأَمْرِ حَمْمِهِ اللَّهُ دَافِعُ

* * *

(١) الضحَّاك : من أسماء الرسول صلى الله عليه وسلم ، سمي به أكثره تيمنه .

(٢) التذروف . برق لامع في السحاب .

(٣) ت : متص . عثرة . والمعنى : الضارب .

(٤) الكاتم : القريب .

(٥) يريد أنه من بني سليم ، وسليم من قيس كما أن هوازن من قيس ، والمصال .
مفعل من الصولة .

وقال عباس أيضا :

تَقَطَّعَ باقِي وَصَلَ أُمُّ مُؤَمِّلٍ
 بِعَاقِبَةِ اسْتَبَدَلْتُ نِيَّةَ خَلْفَا^(١)
 وَقَدْ حَلَمْتُ بِاللَّهِ لَا تَقَطَّعِ النَّوَى^(٢)
 فَمَا صَدَقْتُ فِيهِ وَلَا بَرْتُ لِاخْتَلَفَا
 خُفَايَةِ بَطْنِ الْعَمِيقِ مَصِيفُهَا
 وَتَحْتَلُّ فِي الْبَادِيَةِ وَجَرَّة^(٣) فَالْعُرْفَا
 فَإِنْ تَتَّبِعِ الْكَفَّارَ أُمُّ مُؤَمِّلٍ
 فَقَدْ زَوَّدَتْ قَلْبِي عَلَى نَائِبِهَا شَغَفَا
 وَسَوْفَ يُنَبِّئُهَا الْخَبِيرُ بِأَنَّا
 أَيْنَا وَلَمْ نَطْلُبْ سِوَى رَبِّنَا خَلْفَا
 وَإِنَّا مَعَ الْمَادِي لِلنَّبِيِّ مُحَمَّدٍ
 وَفِينَا وَلَمْ نَسْتَوْفِهَا^(٤) مَعِشْرُ الْفَا
 بِفَتَيَانِ صِدْقٍ مِنْ سُلَيْمٍ أَعَزَّة
 أَطَاعُوا فَمَا يَمْنُونُ مِنْ أَمْرِهِ حَرْفَا

(١) نية : من النوى وهو البعد عنه .

(٢) ت : لا تقطع القوى . محرفة .

(٣) ت : رجوة . محرفة . والخفاية : نسبة إلى خفاف ، حى من سليم . والبادون
 المقيدون في البادية . ووجرة والعرف : موضعان .

(٤) ابن هشام وابن كثير : ولم يستوفها .

خَفَافٌ وَذَكَوَانٌ وَعَوَفٌ تَحَالَمُ
 مَصَاحِبُ زَاغَتْ فِي طَارُوقَتِهَا كُفْلًا^(١)
 كَانَ النَّسِيجُ الشُّنْبُ وَاللَّيِّضُ مَلْبَسُ
 أَسْوَدًا تَلَاكَتْ فِي مَرَاصِدِهَا غُضْفًا^(٢)
 بَلَا عَزَّ دِينَ اللَّهِ غَيْرَ تَنْحَلُّ
 وَزِدْنَا عَلَى الْحَيِّ الَّذِي مَعَهُ ضِعْفًا
 بِمَكَّةَ إِذْ جِئْنَا كَانَ لَوَاءُنَا
 عُقَابٌ أَرَادَتْ بِعَدِّ تَحْلِيْقَتِهَا خَطْفًا
 عَلَى شَخْصِ الْأَبْصَارِ نَحْسَبُ بَيْنَهَا
 إِذَا هِيَ جَالَتْ فِي مَوَارِدِهَا عَرْفًا^(٣)
 غَدَاةَ وَطِنُنَا الْمَشْرِكِينَ وَلَمْ نَجِدْ
 لِأَمْرِ رَسُولِ اللَّهِ عَدْلًا وَلَا صَرْفًا
 بِمَعْتَرِكٍ لَا يَسْمَعُ الْقَوْمُ وَسْطَهُ
 لَنَا زَجْمَةٌ إِلَّا التَّذَامُرُ وَاللَّتْفُ^(٤)

(١) للمصاحب : الفحول وزاغت : تبخترت في مشيها والطارقة الناقة التي بامت
 أن يطرقها الفحل والسكاف : حم كفاء وهي الناقة التي كلفت حمرتها فلم تصف ومضى
 البيت على هذا مضطرب

(٢) الغضف : المسترخية أجفانها على أعينها غضباً وكراً .

(٣) كفلاً في ط وى ابن هشام : مرادها عرفاً : وى ت عرفاً .

(٤) الرجمة : النيسة بكلمة . والقف : كسر الهامة عن الدماغ أو ضربها أشد الضرب .

— ٣٤٣ —

ببيضٍ تطير المِمام عن مُسَقَرِّها
وتقطف أعناق الكِماء بها قَطْفًا
فكائن تركنا من قَتِيل مُلَحَّب^(١)
وأرسلت تدعو على بَملها لَهْفًا
رضا الله ننوى لارضا الناس نبتغى
ولله ما يبدو جميعًا وما يحفى
وقال عباس [بن مرداس^(٢)] أيضًا :
ما بال عينيك فيها عارٍ سَهِر
مثل الحماطة أغصى فوقها الشُّقُر^(٣)
عينٌ تأوبها من شَجْوِها أرق
فاللأء يَغمرها طوراً وينحدرُ
كانه نَظْم دُرٍّ عند ناظمه
تقطع السَّلك مدًى فهو مُنْقَرُ
ما بعد منزل من ترجو مودته
ومن آلى دونه الصَّمان فالحفر^(٤)
دَع ما تقدَّم من عهد الشباب فقمَد
ولَّى الشبابُ وزار الشَّيبُ والزَّعر^(٥)

(١) ملحَب : مقطوع .

(٢) من ت

(٣) المائر : كل ما أعل العين والحماطة : مشب خشن المس أو تبين الذرة . والشفر
أصل منبت الشعر في الجفن

(٤) الصمان والحفر : موضعان

(٥) الزعر : قلة الشعر

— ٣٤٤ —

واذكر بلاء سُلَيم في موطنها
 وفي سُلَيم لأهل الفخر مفتخر
 قومٌ همُ نصروا الرحمن واتبعوا
 دينَ الرسول وأمرُ الناس مُستجِر
 الضاربون جنودَ الشَّرك ضاحية
 يبعثن مـمكة والأرواح تُبتدر
 حتى رفعنا وقتلهم كأنهم
 نخلٌ بظاهرة البطحاء مُنقمر
 ونحن يوم حنين كان مشهدنا
 للدين عزًّا وعند الله مُدخر^(١)
 إذ نَزَّكَب الموتَ نُخَضِرًا بطائفه
 والليل يعباب عنها ساطع كدر
 تحت الأوامع^(٢) والضحاك يقدمنا
 كما مشى الأيُّ في غاباته الخلد^(٣)
 في مَازِق من بجرِّ الحرب كلِّكلمها
 تكاد تأفل منه الشمسُ والقمَرُ
 وقد صبرنا بأوطاس أسفنا
 لله نصبر من شئنا وننتصر

(١) سقط من ت .

(٢) كذا بالأصل و ابن هشام وابن كثير : تحت الأواء مع الضحاك يقدمنا .

(٣) المدر : الداخل في خدره .

حتى تأوب أقوامٌ مـأزلم
 لولا اللدك ولولا نحن ما صدروا
 فما ترى معشراً قُلُوا ولا كثروا
 إلا قد أصبح منا فيهم أثر^(١)
 وقال عباس بن مرداس أيضاً رضى الله عنه :
 يا أيها الرجل الذى تهوى به
 ووجناء مُجَمَّرة الماسم عِرمس^(٢)
 إنا أتيت على النبى قتل له
 حقاً عليك إذا اطمأن المجلسُ
 يا خير من ركب المطى ومن مشى
 فوق التراب إذا تعدَّ الأُنفسُ
 إنا وفيما بالذى عاهدتنا
 والخيل تُقدِّع بالسكاة وتُضرس^(٣)
 إذ سال من أفناء بهيمة كلها
 بجمع تظل به المخارم ترجس^(٤)

(٩) من ت .

(١٠) الوجناء : البارزة الوجنات ، والناسم : أطراف خف البعير والحجرة : المستوية
 والعِرمس : الناقة للشابة .

(١١) تقدع : تكبج وتضرس : تجرح .

(١) بهيمة : حى من سليم والمخارم : الطرق فى الجبال . وترجس : تهتز .

(٢) الأشوس : المتكبر .

(٣) الدخال : نسج الدرع .

(٤) العِرمس : القوى

— ٣٤٦ —

حتى صَبَحْنَا أَهْلَ مَكَّةَ فَنَلَقَا
 شُهَبَاءَ يَقْدِمُهَا الْهَامُ الْأَشْوَسُ^(٥)
 مِنْ كُلِّ أَغْلَبٍ مِنْ سُلَيْمٍ فَوْقَهُ
 بِيضَاءُ تُحْكِمَةُ الدُّخَالِ وَقَوْنُسُ^(٦)
 وَعَلَى حَنِينٍ قَدْ وَفَى مِنْ جَعْدَا
 أَلْفُ أَمِيدٍ بِهِ الرِّسُولُ عَرْنَدُسُ^(٧)
 كَانُوا أَمَامَ الْمُؤْمِنِينَ دَرِيَّةَ
 وَالشَّمْسِ يَوْمَئِذٍ عَلَيْهَا أَشْمُسُ^(٨)
 نَمَضَى وَيَجْرُسُ الْإِلَهِ بِحِفْظِهِ
 وَاللَّهُ لَيْسَ بِضَالِّهِ مِنْ يَجْرُسُ
 وَلَقَدْ حُبِسْنَا بِالْمَسَاقِبِ مَحْبَسًا
 رَضَى الْإِلَهِ بِهِمْ فَدَعَمَ الْحَبْسُ^(٩)
 وَغَدَاةَ أَوْطَاسٍ شَدَّدْنَا شِدَّةَ
 كَفَتْ لِلْعَدُوِّ وَقِيلَ مِنْهَا يَحْبِسُ^(١٠)
 تَدْعُو هَوَازِنُ بِالْإِخَاءِ^(١١) يَبْنِي
 تَدْعَى تَمَسِدُ بِهِ هَوَازِنُ أَيْبَسُ

(٥) الدريئة : السكتية المدافعة ورواية ابن هشام : عليهم أشمس .

(٦) اللاناب : طريق الطائف من مكة ورواية ابن هشام رضى الإله به .

(٧) ابن هشام : يا : احببوا .

(٨) ت : بالإخاء .

— ٣٤٧ —

حتى تركنا جمعهم وكأنه
غير تعاقبه السباع مفرس

وقال عباس بن مرداس أيضا :
نصرنا رسول الله من غضب له
بألف كمي لا تمذ حوامره
حلنا له في عامل الرمح راية
يدود بها في حومة الموت ناصره
ونحن خضبناها دماً فهو لونها
غداة حنين يوم صفوان شاجره
وكنّا على الإسلام ميمّة له
وكان لنا عقد اللواء وشاهره
وكنّا له يوم الجنود بطانة
بشاورنا في أمره ونشاوره
دعانا فسمّانا للشعار مقدّما
وكنّا له عوناً على من يُناكره
جزى الله خيراً من نبيّ محمداً
وأيدّه بالبصر والله ناصره

غزوة الطائف

ولما قدم قُلٌّ ثقيف الطائف أغلقوا عليهم أبواب مدينتها وصعدوا
الصنائع للقتال ، ولم يشهد حُذَيْفًا ولا الطائف^(١) عروة بن مسعود ولا
غَيْلان بن سلمة كانا بمجرش يتعلمان صناعة الدبابات والحجانيق
والضُبُور^(٢) .

ثم سار رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى الطائف حين فرغ من
حنين ، فقال كعب بن مالك حين أجمع رسولُ الله صلى الله عليه وسلم
السَّير إليها :

قَضَيْنَا مِنْ نِهَامَةِ كُلِّ رَبِّبٍ
وَحَيْرٍ نَمِ أُنْجَمُنَا لَاسِيُوفًا
نَحْيَرُهَا وَارِ نَطَقَتْ أَلْقَاتِ
قَوَاطِمُنْ : دَوْسًا أَوْ ثَقِيفًا
فَلَسْتُ لِحَاضِنٍ^(٣) إِنْ لَمْ تَرَوْهَا
بِسَاحَةِ دَارِكُمْ مَتَا أَلُوفًا

(١) ابن هشام : ولا حصار الطائف .

(٢) الضبور : الدبابات التي تقرب للحصون انتخب من تحتها .

(٣) الحاضن : لأم تحضن ولدها ، وذلك كناية عن الشرف والاسب .

قال أبو ذر : وأمله : الحاضن — بالصاد — وهي المرأة العفيفة كأنه يقول :
است لرشدة .

ونفزع السروش ببطن وجّ
وتصبح دوركم منا خلوقاً
ويأتكم لنا سرعان خيل
يفادر خلفه جمعاً كثيفاً
إذا نزلوا بساحتكم سمعتم
لها ما أناخ بها رجيفاً
بأيديهم قواضب مرهفات
يُزرن المصطلين بها الختوقاً
كأمثال العقائق أخلصها
قيونُ الهدد لم تُضرب كتيفاً^(١)
تمثال جدية الأبطال فيها
غداة الرّوع جادياً مدوفاً^(٢)
أجدّم أليس لهم نصيح
من الأقوام كان بها عريفاً
يجزّهم بأنا قد جمعنا
عساق الخيل والفجّب للطروقاً^(٣)
وأنا قد أتيسام بزحف
يحيط بسور حصنهم صفوقاً

(١) الكتيف : الضبة . قال الهيلي : وهي صفحة صغيرة .

(٢) الجدية : الدم السائل . والجاري : الزعفران . والدوق : المبالول . ورواية
ابن هشام : غداة الزحف .

(٣) الطروف : الكرام من الخيل .

رئيسهم الذي وكان صُلْبًا
نقى القلب مُصْطَبِرًا عَزُوفًا
رشيد الأمر ذا حُكْمٍ وعِلْمٍ
وحِلْمٍ لم يكن نَزَقًا خَفِيفًا
نطيع نبينا ونطيع ربًّا
هو الرحمن كان بنا رؤفًا
فإن تَلَقَّوْا إِلَيْنَا لَسَلَّمْ تَقْبَلُ
ونجملكم لنا عَضْدًا وَرِيفًا^(١)
وإن تأبوا نُجَاهِدْكُمْ وَنَصْبِرُ
ولا يك امرنا رَعِشًا ضَعِيفًا
نُجَاهِدْ مَا بَقِيْنَا أَوْ تَنْبِيُوا
إلى الإسلام إِذْعَانًا مُضِيْفًا^(٢)
نُجَاهِدْ لَا نُبَالِي مَا أَقْبَى
أَاَهْلَكْنَا التَّلَادُ أَمْ الطَّرِيفُ^(٣)
وَكَمْ مِنْ مَعَشَرٍ أَبَوْا عَايِنَا
صَمِيمِ الْجِيذِمِ مِنْهُمْ وَالْحَالِيفُ^(٤)
أَتُونَا لَا يَرُونَ لَهِمْ كَفْسَامًا
فَجَدَّعْنَا السَّمَاءَ وَالْأَنْوَا

(٤) الريب : الحصب . واصل النظمه : وريفا : بمتدا واسمًا .

(١) مضيفا : ماجئا .

(٢) التلاد : القديم . والطريف : الجديد .

(٣) الجذم : الأصل .

— ٣٥١ —

بكل مهتد لين صقيـل
 نسوقهم بها سَوْقا عيـفا
 لأمر الله والإسلام حتى
 يقوم الدين معتدلا حنيفا
 وتُنسى اللاتُ والمُزَي وَوَدَّ
 ونَسْلُهَا للقلائد والشُّوفا^(١)
 فأمسوا قد أقرّوا واطمأنوا
 ومن لا يمتنع يقبل خسوفا

* * *

وسلك رسول الله صلى الله عليه وسلم على نخلة البمانية ، وانتهى إلى بُحْرة
 للرُّغَاء فابتنى بها مسجداً فصلى فيه وأقاد فيه يومئذ بدم رجل من هذيل قتله
 رجل من بني ليث فقتله به ، وهو أول دم أُقيد به في الإسلام ، وأمر في طريقه
 بحصن مالك بن عوف فهدم . ثم سلك في طريق فسأل عن اسمها فقيل له الضيعة
 فقال بل هي اليسرى . ثم خرج حتى نزل تحت سدرة يقال لها الصادرة قريباً من
 مال رجل من ثقيف فأرسل إليه رسول الله صلى الله عليه وسلم : إما أن نخرج
 وإما أن نحرب عليك حائطك . فأبى أن يخرج فأمر بإخراجه .

ثم مضى حتى نزل قريباً من اللطائف فحضر به عسكره ، فقتل ناساً من
 أصحابه بالنبل ، وذلك أن العسكر اقترب من حائط اللطائف ، فكانت النبل
 تنالهم ، ولم يقدر المسلمون على أن يدخلوا حائطهم أغلقوه دونهم .

فلما أصيب أولئك النفر من أصحابه بالنبل وضع عسكره عند مسجده الذي

(٤) الشنوف : جمع شنف وهو القرط .

بالطائف اليوم فحاصرهم بضعا وعشرين ليلة . وقيل ابضع عشرة ليلة ومعه امرأتان من نساءه ، إحداهما أم سلمة ، فضرب لهما قبضين ثم صلّى بينهما ، فلما أسلمت ثقيف بنى عمرو بن أمية بن وهب بن معتب بن مالك على مصلّاه ذلك مسجد . وكانت فيه سارية فيما يزعمون لا تطامع الشمس عليها يوما من الدهر إلا سُمِع لها نقيض .

فحاصرهم رسول الله صلى الله عليه وسلم وقاتلهم قتالا شديدا ، وتراموا بالنبيل ، ورامهم رسول الله صلى الله عليه وسلم بالمجديق فيما ذكر ابن هشام . قال : وهو أول من رمى به في الإسلام إذ ذاك .

حتى إذا كان يوم الشذخة عند جدار الطائف دخل نفر من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم تحت دبابة ثم رجموا بها إلى جدار الطائف ليعرقوه ، فأرسلت عليهم ثقيف سكك الحديد عمّاة بالدار ، فخرجوا من تحتها فرمّتهم بالنبل فقتلوا منهم رجالا ، فأمر رسول الله صلى الله عليه وسلم بقطع أعقاب ثقيف فوق الناس فيها يقطعون ، وتقدم أبو سفيان بن حرب والمغيرة بن شعبة إلى الطائف فناديا ثقيفا أن آمِنونا حتى نسلككم فأمروهما . فدعوا نساء من قريش وبنى كنانة منهن ابنة أبي سفيان ليخرجن إليهما وهما يخافان عليهما للسب^(١) فأبى ، فلما أبى قال لهما الأسود بن مسعود : يا أبا سفيان وبأ مغيرة ألا أدلكما على خير مما جئتما له ؟ إن مال بني الأسود حيث علمنا ، وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم نازلا بيده وبين الطائف بواد يقال له اللّقيق ، إنه ليس بالطائف مال أبعد رشاء^(٢) ولا أشد مؤنة ولا أبعد همارة

(١) زاد ابن هشام : إذا فتح الحصن .

(٢) الرشاء : الجبل . وهي كناية عن سمته .

من مال بنى الأسود وإن محمداً إن قطعه لم يَعمُر أبداً ، فكلما فليأخذه لنفسه
أو ليدعنه لله ولأرحم فإن يبيننا ويدينه من القرابة مالا يجهل .

فزعمو أن رسول الله صلى الله عليه وسلم تركه لهم . وقال رسول الله صلى
الله عليه وسلم فيما ذكر لأبي بكر الصديق رضى الله عنه وهو مُحاصر ثقيفاً :
يا أبا بكر إني رأيت أنى أهديت^(١) إلى قعبي^(٢) مملوءة زبداً فقرها ديك فهراق
ما فيها . فقال : ما أظن أن تدرك منهم يومك هذا ما تريد . فقال رسول الله
صلى الله عليه وسلم : وأنا لا أرى ذلك .

ثم إن خويلدة بنت حكيم السلية ، امرأة عثمان بن مظعون قالت :
يا رسول الله أعطني إن فتح الله عليك الطائف حلّى بادية بنت غيلان أو حلّى
للقارعة ابنة عقيل . وكأننا من أحلى نساء ثقيف . فذكر أن رسول الله صلى
الله عليه وسلم قال لها : وإن كان لم يؤذن في ثقيف يا خويلدة ؟ فخرجت خويلدة
فذكرت ذلك لعمر بن الخطاب رضى الله عنه ، فدخل عمر على رسول الله صلى
الله عليه وسلم فقال : يا رسول الله ما حديثٌ حدثتني خويلدة ، زعمت أنك قلته ؟
قال : قد قلته . قال : أو ما أذن فيهم يا رسول الله ؟ قال : لا . قال : أفلا أؤذن
بالرحيل ؟ قال : بلى فأذن عمر بالرحيل فلما استقل الناس نادى سعيد بن عبيد :
ألا إن الحى مقيم . يقول عبيدة بن حصن : أجل والله بحجة كراماً ! فقال
له رجل من المسلمين : قاتلك الله يا عبيدة ؟ أتمدح المشركين بالامتناع عن رسول
الله صلى الله عليه وسلم وقد جئت تنصره ؟ قال : إني والله ما جئت لأقاتل
ثقيفاً معكم ، ولكنى أردت أن يفتح محمد الطائف فأصيب من ثقيف جارية

(١) القصب : القدح الضخم .

أَتَطَّهَّرُ لَهَا تَلَد لِي رَجُلًا فَإِنْ تَقِيَفًا قَوْمٌ مِمَّا كَبِرَ ^(١) .

ونزل على رسول الله صلى الله عليه وسلم في إقامته عليهم عبيدٌ لهم فأسلموا
فأعتقهم رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فلما أسلم أهل الطائف تسكلم نفر منهم
في أولئك العبيد ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : لا ، أولئك عتقاء الله .

واستشهد بالطائف من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم اثنا عشر
رجلا ، سبعة من قريش وأربعة من الأنصار ورجل من بنى ليث . ثم انصرف
رسول الله صلى الله عليه وسلم عن الطائف حتى نزل الجمرانة وإليها كان قدم
سبي هوازن وأموالهم ، وقال له رجل من أصحابه يوم ظن من هن ثقيف : يا رسول الله
ادع عليهم فقال : اللهم اهد ثقيفاً واث بهم ^(٢) .

| قدوم وفد هوازن |

ثم أتاه وفد هوازن بالجمرانة ، وقد أسلموا ، وكان معه من سبيهم
سنة آلاف من القُراري والنساء ومن الإبل والشاة ما لا يُدْرَى ما عدته ،
فقالوا : يا رسول الله إنا أهلٌ وعشيرة وقد أصابنا من البلاء ما لم يخف عليك
فادين عليك من الله عليك ، وفام رجل منهم من سعد بن بكر يقول له زهير ^(٣)
يكفى بأبي صرد : فقال : يا رسول الله إنما في الحظائر عتاتك وخالاتك
وحواضك اللاتي كن تَسْكُنُكَ ، ولو أنا ملحنا ^(٤) للعارث بن أبي شمر

(١) للتاكير : ذوو الدماء . هذا وقد ذكر ابن كثير عن البيهقي أن هيبنة بن حصن
استأذن رسول الله صلى الله عليه وسلم أن يأتي أهل الطائف فيدعوهم إلى الإسلام .
فأذن له ، فجاءهم فأمرهم بالثبات وحسنهم وقال : لا يهولنكم قطع ما قطع من الأشجار
و الكلام طوي . سيرة ابن كثير ٦٠٩/٣ .

(٢) وقد روى الترمذي في صحيحه عن جابر أن المسلمين قالوا : يا رسول الله أحرقتنا نبال
ثقيف فادع الله عليهم . فقال : « اللهم اهد ثقيفا » . ثم قال : هذا حديث حسن غريب .

(٣) ابن كثير : زهير بن صرد أبو صرد .

(٤) ملحنا : أرضنا .

أو للذهبان بن المنذر . ثم نزل^(١) مما يمثل ما نزلت به رجونا عطفه ، وعائده
عليها ، وأنت خير للكفولين . ثم أنشأ يقول^(٢) :

أمن علينا رسول الله في كرم فإنك المرء نرجوه وننتظر
أمن على بيضة قد عاقها قدر مفرق شملها في دهرها غير
أبقت لنا الحرب هتافاً على حزن على قلوبهم الغماء والغم^(٣)
إن لم تداركهم نعماء تنشرها يا أرجح الناس حلياً حين يختبر
أمن على نسوة قد كنت ترضعها إذ فوك تملأه من تحضها الدرر
إذ أنت طفل صغير كنت ترضعها وإذ يزيك ما تأنى وما تدر
لا تجملنا كن شالت نعماته واستبق منا فإننا مغمش زهر
إننا لشكر للغمى وقد كُفرت^(٤) وعندنا بعد هذا اليوم مدخر
فألبس العفو من قد كنت ترضعه من أمهاتك إن العفو يشتهر
إننا نؤمل عفواً مهلك تلبسه هذى البرية أن تعفو وتلتصر
فأعف عفا الله عما أنت راهبه يوم القيامة إذ يهدى لك الظفر

فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « أباؤكم ونسائكم أحب إليكم
أم أموالكم » ؟ فقالوا : يا رسول الله خيرتنا بين أموالنا وأحسابنا ، بل ترد
إلينا نساءنا وأبنائنا فهو أحب إلينا . فقال لهم : « أما ما كان لى ولبنى
عبد المطلب فهو لكم وإذا أنا صليت الظهر بالناس فقوموا فقولوا : إنا نستشفع
برسول الله إلى المسلمين وبالمسلمين إلى رسول الله في أبنائنا ونسائنا . فسأعطيك
عند ذلك وأسأل لكم » .

(١) ابن هشام : ثم نزل .

(٢) لم يذكر ابن هشام هذا الشعر .

(٣) الغمر : بالتحريك : الحقد .

(٤) ابن كثير : إنا لنشكر آلاء وإن كُفرت .

فلما صلى رسول الله صلى الله عليه وسلم الظهر قاموا فتكلموا بالذي
أمرهم به ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : أما ما كان لي ولبي
عبد المطلب فهو لكم . فقال المهاجرون : وما كان لنا فهو لرسول الله
صلى الله عليه وسلم . وقالت الأنصار : ما كان لنا فهو لرسول الله صلى الله
عليه وسلم . فقال الأقرع بن حابس : أما أنا وبدو تميم فلا . وقال
عبيدة بن حصن : أما أنا وبدو فزارة فلا .

وقال عباس بن مرداس : أما أنا وبدو سُلَيْم فلا . فقالت بدو سليم :
بلى ما كان لنا فهو لرسول الله صلى الله عليه وسلم . فقال عباس : وهنمتوني ؟
فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « أما من تمسك منكم بحقه من هذا
السبي فله بكل إنسان ست فرائض من أول شيء أصيبه فردوا إلى الناس
أبناءهم ونساءهم » .

وكان عبيدة بن حصن أخذ مجوزاً من مجازهم وقال حين أخذها : أرى
عجوزاً إنني لأحسب أن لها في الحى نسباً وعسى أن ينظم فداؤها . فلما
رد رسول الله صلى الله عليه وسلم السبايا بست فرائض أبي أن يردّها ، فقال
له زهير أبو مُرَدٍّ^(١) : خذها عنك فوالله ما قوها بيارد ولا تذيها بناهد
ولا بطنها بوالد ولا زوجها بواجد ولا درّها بأكد^(٢) . فردّها بست
فرائض حين ذل له زهير ما قال .

* * *

(١) ابن كثير : ابن مرد .

(٢) III كد : العزيز .

وسأل رسول الله صلى الله عليه وسلم وقد هوازن : ما فعل مالك بن عوف ؟ فقالوا : هو بالطائف مع ثقيف . فقال لهم : أخبروا مالكاً أنه إن أتاني مسلماً ردّدتُ عليه أهله وماله وأعطيته مائة من الإبل . فأتى مالك بذلك يخاف ثقيفاً أن يملؤا بما قال رسول الله صلى الله عليه وسلم فيحبسوه ، فأمر براحلته فهبّئت له وأمر بفرس له فأتى به بالطائف ، فخرج ليلاً على فرسه حتى أتى راحلته حيث أمر بها أن تحبس فركبها فلحق برسول الله صلى الله عليه وسلم فأدركه بالجرمانه أو بمكة ، فردّ عليه أهله وماله وأعطاه مائة من الإبل وأسلم فحسن إسلامه وقال :

ما إن رأيتُ ولا سمعتُ بمثله في الناس كلام بمثل محمد
أوفى وأعطى للجزيل إذا اجتدى
ومنى تشأ يُخبرك عما في غد
وإذا الكتيبة عرّدت أنبياءها
بالسممى وضرب كل مهتد^(١)
فكانه ليث على أشباله وسط الهباءة خادِر في مرصد^(٢)

فاستعمله رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم على من أسلم من قومه فكان يقاتل بهم ثقيفاً لا يخرج لهم سرح إلا أغار عليه حتى ضيق عليهم فقال أبو مخجن بن حبيب الثقفي^(٣) :

(١) عرّدت : اشتدت وضربت .

(٢) الهباءة : غبار الحرب . والحادر : اللقيم في عرينه .

(٣) أبو مخجن بن حبيب بن عمرو بن حمير الثقفي ، والبيتان مع ثالث في ابن هشام

و في تاريخ الطبري ١٦٧٨ (ط أوربا) .

هابت الأعـداء جانبنا ثم تـفـزونا بنـو سلمـة
وأنا مالـك بهـم نـاقـضا للعـهد والحـرمـة
[قـسـم الغـنائـم]

ولما فرغ رسول الله صلى الله عليه وسلم من ردّ سبايا حنين إلى أهلها
ركب واتبعه الناس يقولون : يا رسول الله أقسم علينا فيثنا . الإبل والغنم ، حتى
الجلأوه إلى شجرة فاختلفت عنه رداءه فقال . « ردّوا على ردائي أيها الناس
فوالله إنه لو كان لكم بعدد شجر نهامة نعماً اقسمته عليكم ثم ما ألفتهموني
بخيلاً ولا جباناً ولا كذوباً » . ثم قام إلى جيب بعير فأخذ وبرّة من نهامة
فرفها ثم قال : « أيها الناس والله مالي من فيئكم ولا هذه البرّة إلا الخمس
والخمس مردود عليكم فأدّوا ، الخائط^(١) والمخييط ، فإن للأنول يكون على
أهله عارا وشاكرا ونارا يوم القيامة » .

فجاء رجل من الأنصار بكبة^(٢) من خيوط شعر فقال : يا رسول الله
أخذت هذه للكبة أعمل بها برّذعة بعير لي دبر^(٣) . فقال : أما نصيب
منها فلك . قال : أما إذ بلغت ذلك فلا حاجة لي بها . ثم طرحها
من يده .

ويروى أن عقيل بن أبي طالب دخل يوم حنين على امرأته فاطمة

(١) كذا في ابن هشام والطبري : فأدوا الخياط والمخييط .

(٢) الكبة : الخيوط المجهّمة .

(٣) الدبر : للفروج .

بنت شيبه وسيفه متلطح دماً فقالت : إني قد عرفت أنك قد قاتلت فإذا أصبت من غنائم المشركين ؟ قال : دونك هذه الإبرة تخيطين ثيابك . فدفعها إليها فسمع منادى رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : من أخذ شيئاً فليردّه حتى الخائط والمخيط . فرجع عقيل فقال : ما أرى إبرتك إلا قد ذهبت ! وأخذها فألقاها في الغنائم .

* * *

وأعطى رسول الله صلى الله عليه وسلم المؤلفة قلوبهم ، وكانوا أشرافاً من أشراف الناس بتألفهم ويتألف بهم قومهم ، فأعطى أبا سفيان بن حرب وابنه معاوية وحكيم بن حزام والحارث بن كلدة ، والحارث بن هشام ، وسهيل بن عمرو ، وخوبط بن عبد المزى وصفوان بن أمية ، وكل هؤلاء من أشراف قريش والأفرع بن حابس النخعي وعيينة بن حصن الغزاري ومالك بن عوف النصراني ، كل واحد من هؤلاء المسلمين من قريش وغيرهم مائة بعير . وأعطى دون المائة رجلاً من قريش منهم مخزومه بن نوفل وعُمير بن وهب ، وأعطى سميد بن بربوع المخزومي وعدي بن قيس السهمي خمسين خمسين ، وأعطى عباس بن مرداس أبا عير فسخطها^(١) وقال يعاتب فيها للنبي صلى الله عليه وسلم :

كانت نهباً بآ تلاقيتها بكرى على المنى في الأجرع^(٢)
وإيقاظي القوم^(٣) أن يردوا إذا هجع الناس لم أهجع

(١) الطبري : فسخطها .

(٢) النهاب : جمع نهب . والأجرع : الأرض ذات المزونة .

(٣) ابن كثير : وإيقاظي الناس .

فأصبح نهبي ونهب العبيد بين عيينة والأقرع
وقد كنت في الحرب ذا تذريراً فلم أعط شيئاً ولم أمدع^(١)
إلا أفاًئلاً أعطيتُها عديد قوائمه الأربع^(٢)
وما كانت حصن ولا حابس يفوفان مبرداس في تجهم
وما كنت دون امرئ منهما ومن تهنم اليوم لا يرفع
فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : اذهبوا فاقطعوا عنى لسانه .
فأعطوه حتى رضى فكان ذلك قطع لسانه .

وذكر ابن هشام أن عباساً أتى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال له
رسول الله صلى الله عليه وسلم : أنت القاتل :

فأصبح نهبي ونهب العبيد بين الأقرع وعيينة
فقال أبو بكر : بين عيينة والأقرع . فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم :
هما واحد . فقال أبو بكر : أشهد أنك كما قال الله : « وَمَا عَلَّمْنَاهُ الشُّعْرَ
وَمَا يَنْبَغِي لَهُ » .

وذكر ابن عتبة أن عباساً أمر رسول الله صلى الله عليه وسلم بقطع
لسانه فزع لها وقال : من لا يعرف أمر عباس يمثل به . فأنى به إلى الغنائم
ف قيل له : خذ منها ما شئت . فقال عباس : إنما أراد رسول الله صلى الله عليه
وسلم أن يقطع لسانى بالمعطاء بعد أن تسكمت . فتسكروم أن يأخذ منها شيئاً
فبعث إليه رسول الله صلى الله عليه وسلم بحلة فقبلها ولبسها .

وقال لرسول الله صلى الله عليه وسلم قاتل من أصحابه : يا رسول الله :

(١) ذا تذريراً : ذا عناء ودفع .

(٢) الأفاًئل : الضعاف من الإبل .

أعطيت عبدة بن حصن والأقرع بن حابس مائة مائة وترك عقييل بن سراقه للضمري ؟ فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « أما والذي نفس محمد بيده لجعيل بن سراقه خير من طلاع الأرض كلهم مثل عبدة والأقرع ولكني تألفتها ليسلما ووكلت جعيل بن سراقه إلى إسلامه » .

[ذو الخويصرة]

وجاء رجل من بني تميم يقال له ذو الخويصرة فوقف على رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو يعطى الناس فقال : يا محمد قد رأيت ما صنعت في هذا اليوم . فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : أجل فكيف رأيت ؟ قال : لم أرك عدلت . فغضب رسول الله صلى الله عليه وسلم ثم قال : ويحك ! إذا لم يكن العدل عندى فعند من يكون ؟ ! فقال عمر بن الخطاب ألا نقتله ؟ فقال : لا دعوه فإنه سيكون له شيمة يتعمقون في الدين حتى يخرجوا منه كما يخرج السهم من الرمية، يُنظر في الفصل فلا يوجد شيء، ثم في القِدح فلا يوجد شيء، ثم في الفوق^(١) فلا يوجد شيء . سبق الفرث والدم .

[الأنصار والغنائم]

ولما أعطى رسول الله صلى الله عليه وسلم ما أعطى في قريش وفي قبائل العرب ولم يعط الأنصار شيئاً وجدوا في أنفسهم حتى كثرت منهم الغالة وحتى قال قائلهم : لقي والله رسول الله صلى الله عليه وسلم قومه . وذكر ابن هشام أن حسان بن ثابت قال يعاتبه في ذلك :

زاد المموم فناء العيين مُنحدر سحاً إذا حَفَلَتْهُ عَبْرَةٌ دَرٍ^(٢)

(١) الفوق : موضع الوتر من السهم .

(٢) ابن همام : زادت هموم . والسح : الصب . وحفلته : جمته .

وَجَدَا بِشَمَاءَ إِذْ شَمَاءَ بَهْكَكَةً هَيِّقَاءَ لَا ذَنْنَ فِيهَا وَلَا خَوْرٌ^(١)
 دَغَ عَلَيْكَ شَمَاءَ إِذْ كَانَتْ مَوْدَتَهَا نَزَرَا وَشَرُّ وَصَالِ الْفَزْرِ^(٢)
 وَائْتِ الرَّسُولَ فَقُلْ يَا خَيْرَ مُؤْتِمِنٍ الْمُؤْمِنِينَ إِذَا مَا عُدُّدُ الْبَشَرِ
 عَلَامٌ تُدْعَى سُلَيْمٌ وَهِيَ نَازِحَةٌ قُدَّامَ قَوْمٍ هُمْ آوُوا وَهُمْ نَعَرُوا
 سَمَاءُ اللَّهِ أَنْصَارًا يَنْصُرُهُمْ
 دِينَ الْهَدَى وَعَوَانُ الْحَرْبِ تَسْتَمِرُّ^(٣)
 وَسَارَعُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَاعْتَرَفُوا لِلدَّائِبَاتِ وَمَا خَافُوا وَمَا ضَجَّعُوا^(٤)
 وَالنَّاسُ إِنْ لَبَّ عَلَيْنَا فَيْكَ إِيَّاسَ لَنَا إِلَّا السِّیُوفُ وَأَطْرَافُ الْقَنَا وَزَرُ
 نَجَالِدِ النَّاسِ لَا نُبْقَى عَلَى أَحَدٍ وَلَا نَضْمِيعُ مَا تُوحِي بِهِ السُّورُ
 وَلَا تَهَزَّ جُنَاتُ الْحَرْبِ نَادِيْنَا وَنَحْنُ حِينَ تَلْقَى نَارُهَا سُمُرٌ^(٥)
 كَمَا رَدَدْنَا بِيَدٍ دُونَ مَا طَلَبُوا أَهْلَ الْإِنْفَاقِ وَفِيْنَا يَنْزِلُ الظُّفَرُ
 وَنَحْنُ جُنْدُكَ يَوْمَ النَّعْفِ^(٦) مِنْ أَحَدٍ
 إِذْ حَزَبَتْ بَطْرًا أَحْزَابَهَا مُضَرُّ
 فَمَا وَنِيْنَا وَلَا نَحْنَا^(٧) وَمَا حَسَبُوا
 مَتَا عِثَارَا وَكَأَلُ النَّفَاسِ قَدْ عَثَرُوا

(١) الْبَهْكَكَةُ : الشَّابَّةُ الْغَضَّةُ . وَالذَّنَنُ : الْقَذَرُ . وَالْخَوْرُ : الضَّعْفُ .

(٢) الْفَزْرُ : الْقَلِيلُ .

(٣) الْعَوَانُ : الْحَرْبُ الَّتِي قُوتِلَ فِيهَا مَرَّةً بَعْدَ أُخْرَى .

(٤) اعْتَرَفُوا : سَبَرُوا . وَابْنُ كَثِيرٍ : وَاعْتَرَضُوا لِلدَّائِبَاتِ .

(٥) تَهَزَّ : تَسَكَّرَ . وَجُنَاتُ الْحَرْبِ : أَبْطَالُهَا . وَالسُّورُ : مَنْ يُوَقِّدُونَ الْحَرْبَ .

(٦) النَّعْفُ : أَسْفَلُ الْجَبَلِ .

(٧) ابْنُ مَعْمَرٍ : وَمَا خَنَّا وَخَنَا : جَبِينَا .

فدخل سعد بن عبادَةَ على رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال : يا رسول الله إن هذا الحى من الأنصار قد وجدوا عليك لما صنعتَ في هذا الذى أصبت به ، قسمت في قوَمِكَ وأعطيت عطايا عظاما في قبائل العرب ولم يك في هذا الحى من الأنصار منها شيء . قال : فأين أنت من ذلك يا سعد ؟ قال : يا رسول الله ما أأنا إلا من قومي^(١) . قال : فاجمع لى قوَمِكَ في هذه الحظيرة . فخرج سعد فجمع الأنصار في تلك الحظيرة ، فجاء رجال من المهاجرين فتركهم فدخلوا وجاء آخرون فردَّهم ، فلما اجتمعوا له أعلمه سعدُ بهم فأتاهم رسول الله صلى الله عليه وسلم فحمد الله وأثنى عليه بما هو له^(٢) ثم قال : « يا معشر الأنصار ما قاله بَلَقْتَنِي عنكم وجِدَّةٌ^(٣) وجدتموها على في أنفسكم ؟ ألم آتكم ضَلَالًا فهداكم الله وعالَةً فأغناكم الله وأعداء فألَّفَ الله بين قلوبكم ؟ » قالوا : بل الله ورسوله آمَنَ وأفضل . ثم قال : ألا تجيبونى يا معشر الأنصار ؟ قالوا بماذا نجيبك يا رسول الله ، لله ورسوله المنُّ والفضل . فقال صلوات الله عليه : « أمّا والله لو شئتم لقلتم فلصدقتُم ولصدَّقتم : أتينا مكذِّبًا فصدَّقناك وغدولًا ففصرناك وطريدًا فأَوْفَيْنَاكَ وعائلاً فأَسَيْنَاكَ ، أوجدتم يا معشر الأنصار في أنفسكم في لُعاة^(٤) من الدنيا تألَّفْتُ بها قومًا ليسلموا ووكلتكم إلى إسلامكم ؟ ألا ترَضون يا معشر الأنصار أن يذهب الناس بالشاء والبمير وترجعوا برسول الله إلى رِحالكم ، فوالذى نفس محمد بيده لولا الهجرة لكفتُ امرؤاً من الأنصار ولو سلكَ الناسُ شِعْباً

(١) ابن كثير : ما أنا إلا امرؤ من قومي .

(٢) ابن هشام وابن كثير : بما هو أهله .

(٣) كذا بالأسل وابن هشام ، وفي الطبرى : وموجدة . قال أبو زر : الموجدة :

العتاب وتروى : جدة .

(٤) اللعاة : الجرعة من الشراب ، والكلاء الحفيف .

وسلكت الأنصار شعباً سلكتُ شعب الأنصار ، اللهم ارحم الأنصار وأبناء
الأنصار وأبناء أبناء الأنصار .

فبكى القوم حتى أخضلوا لحدهم وقالوا : رضينا برسول الله صلى الله عليه
وسلم قسماً وحطاً^(١) . ثم انصرف رسول الله صلى الله عليه وسلم ونفروا .

[عمره الجمرات]

ثم خرج رسول الله صلى الله عليه وسلم من الجمرات مغمراً ، وأمر ببقايا
النبي فحسب بمحنة بداحية | مرّ^(٢) للظلم ان ، فلما فرغ من عمرته انصرف
راجعاً إلى المدينة واستخلف عتاب بن أسيد على مكة وخلف معه معاذ بن جبل
بفقه الناس في الدين وبعلمهم القرآن ، وأتبع رسول الله صلى الله عليه وسلم
ببقايا النبي .

ولما استعمل رسول الله صلى الله عليه وسلم عتاباً على مكة رزقه في كل يوم
درهماً ، فقام عتاب خطيباً في الناس فقال : أيها الناس أجاج الله كبد من جاع
على درهم ، فقد رزقني رسول الله صلى الله عليه وسلم درهما كل يوم فليست بي
حاجة إلى أحد .

وكانت عمرة رسول الله صلى الله عليه وسلم في ذي القعدة ، وقدم المدينة
في بقيته أو في أول ذي الحجة .

وحج الناس تلك السنة على ما كانت العرب تحج عليه وحج عتاب بن
أسيد بالمسلمين فيها وهي سنة ثمان .

(١) ابن كثير : رضينا بالله ربا ورسوله نبيا .

(٢) من ابن هشام والعلوى .

وأقام أهل الطائف على شرّ كههم وامتناعهم في طائفهم ما بين ذى القعدة
إذ انصرف رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى رمضان سنة تسع .

[إسلام كعب بن زهير]

ولما قدم رسول الله صلى الله عليه وسلم من سفره هذا منصرفاً عن الطائف
كتب بُجَيْر بن زُهَيْر بن أَبِي سُلَيْمٍ إلى أخيه كعب بن زُهَيْر يخبره أن رسول
الله صلى الله عليه وسلم قد قَتَلَ رجلاً بِمَكَّةَ ممن كان يهجوّه ويؤذيه ، وأن من
بقي من شعراء قريش ابن الزَّبَرَمِيّ وهُبَيْرَةُ بن أبي وهب قد هربوا في كل
وجه ، فإن كانت لك في نفسك حاجة فطِرْ إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم
فإنه لا يقتل أحداً جاء تائباً إن أنت لم تفعل فانجُ إلى نجائك من الأرض .

فلما بلغ كعبا الكتاب ضاقت به الأرض وأشفق على نفسه وأرجف به
من كان في حاضره من عدوّه فقالوا : هو مقتول . فلما لم يجد من شيء بُدَأَ قال
قصيدته التي يمدح فيها رسول الله صلى الله عليه وسلم ويذكر فيها خوفه
وإرجاف الوشاة به ، ثم خرج حتى قدم المدينة فنزل على رجل من جُهَيْنَةَ كانت
بيده وبيته معرفة ، فعدا به إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم حين صلى الصبح
فصلى معه ثم أشار له إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال : هذا رسول الله فقم
إليه فاستأمنه . فذكر أنه قام إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم حين جلس إليه
فوضع يده في يده ، وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم لا يعرفه فقال : يا رسول
الله إن كعب بن زُهَيْر قد جاء ليستأمن منك تائباً مُسَلِّماً فهل أنت قائلٌ معه
إن أنا جئتك به ؟ قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : نعم . قال : أنا يا رسول
الله كعب بن زهير ، فوثب عليه رجل من الأنصار فقال : يا رسول الله دَعْنِي
 وعدوّ الله أضرب عنقه . فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : دَعْنِي عنك فإنه

قد جاءنا تائباً نازعاً . ففضب كعباً على الأنصار لما صنع به صاحبهم ومدح
 المهاجرين دونهم إذ لم يتكلم فيه رجل منهم إلا بخير .
 والقعيدة التي قلما كعب في ذلك وذكر أنه أنشدها رسول الله صلى الله
 عليه وسلم في المسجد :

بانت سعاد فقلبي اليوم متقبل
 متبم عسدها لم يُجَزْ مكبول^(١)
 وما سعاد غداة للبين إذ برزت^(٢)
 إلا أغن غصيص العارف مكبول
 تجلو عوارض ذى ظلم إذا ابتسمت
 كأنه منهل بالراح منلول^(٣)
 شجبت بذى شمس من ماء تخفية
 صاف بأبطح أضحتى وهو مشول^(٤)
 تنفى الرياح للندى عنه وأفرطه
 من صوب غادية يبيض بماليل^(٥)

(١) ابن هشام : متبم إثرها . و ابن هشام وابن كثير : لم يفد مكبول . وبانت :
 بعدت . ولانبول : السقم من الحب . والمكبول : المفيد .
 (٢) ابن هشام وابن كثير : إذ رحلوا . والأعن : الطابي .
 (٣) تجلوا : نكشف . والظلم : يريق الأسنان ويباضها . والراح : الحر .
 (٤) شجبت : مزحت . والشيم : الشديد البرد . والحنية : منعطف الوادى . والمشول :
 الذى ضربته ريح شمال حتى برد .
 (٥) أفرطه : سقى إليه . والصوب : المطر . والنادية : السحابة تملط غيرة .
 والماليل : السحاب البئيس .

وَبَلَّغَهَا خُلَّةً^(١) لَوْ أَنَّمَا صَدَقَتْ
 بوعدها أَوْ لَوْ أَنَّ النَّصِيحَ مَقْبُولُ
 لَكُنْهَا خُلَّةٌ قَدْ سَيِّطَ مِنْ دَمِهَا
 فَجَّعَ وَوَلَعَ وَإِخْلَافَ وَتَبْدِيلُ^(٢)
 فَسَا تَدْرُمُ عَلَى حَالٍ تَكُونُ بِهَا
 كَمَا تَلَوَّنَ فِي أَثْوَابِهَا الْغَوْلُ
 كَانَتْ مَوَاعِيدُ عُرْقُوبٍ لَهَا مِثْلًا
 وَمَا مَوَاعِيدُهَا إِلَّا الْأَبَاطِيلُ
 فَلَا يَغْفِرُ نَفْسُكَ مَا مَنَنْتَ وَمَا وَعَدْتَ
 إِنَّ الْأَمَانِيَّ وَالْأَحْلَامَ تَضَلِيلُ
 أُمَسْتَ سَعَادُ بَارِضٍ لَا تَبْلُغُهَا
 إِلَّا الْعِقَاقِي النَّفْجِيَّاتِ الْمَرَّاسِيلُ
 وَلَا يَبْلُغُهَا إِلَّا عُذَابُ الْغَزِيرَةِ
 فِيهَا عَلَى الْإِيْنِ إِرْقَالٌ وَتَبْغِيلُ^(٣)
 مِنْ كُلِّ نَضَّاخَةٍ الذَّفَرَى إِذَا عَرِقَتْ
 عُرُضَتِهَا طَامِسُ الْأَعْلَامِ مَجْهُولُ^(٤)

(١) ابن هشام وابن كثير : فيالها خلة .

(٢) الحلة : المجبة . وسيط : خاط . والنجم : الإصابة بالمكروه . والولع : الكذب .

(٣) العذابة : العظم الشديد من الإبل . والأين : التنب . والإرقال : الإسراع والتبغيل : ضرب من سير الإبل .

(٤) النضاخة : الغزيرة . والذفرى : العظم الشاخص خلف الأذن . وعرضتها : وجهتها . وطامس الأعلام : المنفير الذي لا يهتدى فيه .

— ٣٦٨ —

خَنُفَمُ مُقَلِّدُهَا قَفَمُ مُقَيِّدُهَا
 وَ خَلَقَهَا عَنْ بَنَاتِ الْفَجَلِ تَفْضِيلُ^(١)
 حَرْفُ أَخُوها أَبُوها مِنْ مُهْجَنَةٍ
 وَعُثْمَا خَالُهَا قَوْدَاهُ شِمْلِيلُ^(٢)
 كَانَ أَوْبُ ذِرَاعِهَا وَقَدْ عَرَفَتْ
 وَقَدْ تَلَمَّعَ بِالْقُورِ الْقَمَسَاقِيلُ^(٣)
 أَوْبُ يَدَيَّ شَمَطَاءَ مُمُولَةٍ
 قَامَتْ لِحَاوِهَا تُسَكِّدُ مَشَاكِيلُ^(٤)
 فَوَاحِي رَخْوَةِ الضَّبَبِينَ لَيْسَ لَهَا
 لَمَّا نَمَى بِسُكْرُهَا النَّعَاعُونَ مَعْقُولُ^(٥)
 تَقَرَّى اللَّابَّانَ بِكَفَّيْهَا وَمِذْرَعَهَا
 مُشَقَّقٌ عَنْ تَرَاقِيصِهَا رَعَايِيلُ^(٦)
 تَمَشَّى الْغَوَاةَ بِجَنْبَيْيْهَا^(٧) وَقَوْلُهَا
 إِنْكَ يَا ابْنَ أَبِي سُلَيْمٍ لَمَعَقُولُ

-
- (١) المقلد : موضح القلادة من العنق . والقفم : المقلد .
 (٢) الحرف : النافذة الضامرة أو العظيمة . والقوداء : الشديدة العنق . والخمليل : السريمة .
 (٣) الأوب : رجع القوائم في السير . والقور : جمع لارة وهو الجبل الصغير والمسايل : السراب .
 (٤) الشمطاء : التي خالطها الشيب . والمولة : الصائحة بالسكاء . والنسكد : جمع نسكداء وهي التي لا يبق لها ولد . والمشاكيل : جمع مشكلة وهي التي لزمها الشكل .
 (٥) الرخوة : المسترخية . والقسم : المضد .
 (٦) اللان : الصدر . والمدرع : القمص . والرهائيل : الممزق .
 (٧) ابن هشام وابن كثير : تسمى الغواة خنايبها .

وقال كلُّ صديقٍ صكت آمله
 لا أُلَهِينَكَ إني عَمَّكَ مَشْغُولُ
 فقلت خَلُوا طريقي لا أبا لكم
 فكل ما قَدَّرَ الرحمن مفعولُ
 كل ابنِ أبي وإن طالت سلامته
 يوماً على آلهِ حَسْبُكَ عَمَلُ
 بُنِيتُ أن رسولَ الله أُوْعِدُنِي
 والعفو عند رسولِ الله مأمولُ
 مهلاً هَذَا الذي أعطاك نافلةً لا قرآنَ فيها مواعِظُ وتفهصيلُ
 لا تأخذني بأقوال الوشاة ولم
 أُذنب ولو كُثرت في الأَقَابِلُ
 لقد أقوم مقاماً لو يقوم به
 يرى وَيَسْمَعُ^(١) ما قد أَسْمَعُ للقليلِ
 لظل يُرْعَدُ من خوفِ بَوادره
 إن لم يكن من رسولِ الله تنوِيلُ^(٢)
 حتى وضعتُ يميني ما أنازعها
 في كف ذي نَقَمَاتٍ قوله^(٣) للقليلِ

(١) ابن هشام : أرى وأسمع .

(٢) الرواية في ابن هشام وابن كثير :

لظل يُرْعَدُ إلا أن يكون له من الرسول بإذن الله تنوِيلُ

(٣) ابن هشام : قبله القيل .

فَلَهُوَ أَخْوَفُ عِنْدِي إِذَا كَلَّمَهُ
 وَقِيلَ إِنَّكَ مَنسُوبٌ وَمَسْئُولٌ
 مِنْ ضَيْفِهِمْ بِضَرَاءِ الْأَرْضِ تُخَذَرُهُ
 فِي بَطْنِ عَثْرٍ غَيْلٍ دَرْنَهُ غَيْلٌ^(١)
 إِنَّ الرِّسُولَ لِلْأَوْرَى بِسَقَطَاءِ بِهِ
 مُهَنَّدٌ مِنْ سَيْوِفِ اللَّهِ تَسْلُولُ
 فِي عُصْبَةٍ مِنْ قَرِيشٍ قَالَ فَاتْلُمُ
 بَطْنُ مَكَّةَ لِمَا أَسْلَمُوا زُلُوعًا
 زَالُوا فَمَا زَالَ أَنْكَاسٌ وَلَا كَشْفٌ
 عِنْدَ الْإِقَامِ وَلَا مَيْلٌ مَتَازِيلُ^(٢)
 يَمْشُونَ مَشَى الْجِبَالِ الرُّمَّةِ يَنْصَحُهُمْ
 ضَرْبُ إِذَا عَرَّدَ السَّوْدُ النَّبَايِلُ^(٣)
 شَمَّ الْقَرَانِينَ أَبْطَالُ لَبُؤَسِهِمْ
 مِنْ تَشْجِ دَاوُدَ فِي الْمُنِيجَا سَرَايِلُ
 رِيضٌ سَوَانِغٌ قَدْ شَكَّتْ لَهَا حَاقُ
 كَأَنَّهَا سَلَمَى الْقَنْمَاءِ مَجْدُولُ^(٤)

(١) الضراء : الأرس المستوية . واخذر : أجمه الأسد . وعثر : موضع كثير الأسود .
 والغيل : الشجر يتخذ به الأسد مأوى له .
 (٢) الأنكاس : جم نكس وهو الجبان . والمغازيل : الذين لا سلاح لهم .
 (٣) عرد : حرب . والنبايل : الفصار . مفردة : نبال .
 (٤) القنماء : شجرة يابست فيها حتى كادت الحواميم إلا أنها لا تلتقي .

أيسوا مَقَارِيحَ إِنْ نَالَتْ رِمَاحَهُمْ
 قَوْمًا وَيَسُوا مَجَازِيْعًا إِذَا نِيلُوا
 لَا يَقْعُ اللَّطْفُ إِلَّا فِي نَحْوَرِهِمْ
 لَيْسَ لَهُمْ عَنْ حِيَاضِ الْمَوْتِ تَهْلِيلٌ^(١)

* * *

ويروى أن كعباً لما أنشد رسول الله صلى الله عليه وسلم :
 إِنْ الرِّسُولَ لَنُورٌ يُسْتَفْضَاءُ بِهِ
 مَهْدٌ مِنْ سَيْفِ اللَّهِ مَسْلُوكٌ
 أشار رسول الله صلى الله عليه وسلم بيده إلى الخلق : أَيْ اسْمِعُوا . تَعْجَبًا
 بقوله .

ومن مُسْتَعْجَادِ شَعْرِ كَعْبِ بْنِ زُهَيْرٍ قَوْلُهُ أَيْضًا يَدْحُ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ
 عَلَيْهِ وَسَلَّمَ :

تَخْدِي^(٢) بِهِ الْغَافِقَةَ الْأَدْمَاءُ مُسْتَعْجِرًا
 بِالْبُرْدِ كَأَنبَدُرٍ جَلَّى لَيْلَةَ الظُّلَمِ
 وَفِي عِطَافِيَةٍ أَوْ أَثْنَاءِ بُرْدَتِهِ

مَا يَعْلَمُ اللَّهُ مِنْ دِينٍ وَمَنْ كَرَّمَ
 وَلَمَّا قَالَ كَعْبٌ فِي لَامِيَّتِهِ الْمُتَقَدِّمَةِ : إِذَا عَرَّدَ السُّودَ التَّنَائِيلَ . يَرِيدُ الْأَنْصَارَ
 وَخَصَّ الْمَاهِجِرِينَ بِدَحَّتِهِ دُونَهُمْ غَضِبَتْ عَلَيْهِ الْأَنْصَارُ فَقَالَ بَعْدَ أَنْ أَسْلَمَ يَدْحَهُمْ

(٢) ابن هشام : وما لهم من حياض الموت .. وفي ابن كثير : ولا لهم الخ ، والتهلل :
 النكوس والإحجام .

(٣) تخدي : تسرع .

(٤) الروض الأثف ٢ / ٣١٥ : وفي عطافيه .

ويذكر بلاءهم مع رسول الله صلى الله عليه وسلم ووضعهم من الدين ، وقال
إن رسول الله صلى الله عليه وسلم رحمه طوى ذلك وقال لما أشده للقصيدة
المقدمة : لولا ذلت الأصحاب لم يجد وإن الأنصار لذلك أهل ؟ فقال كتب هذه
الآيات :

من سره لم الحية فلا يزل
في بقاء^(١) من صالح الأنصار
ورثوا المكارم كالأرأ عن كابر
إن الخيـار هم بنو الأحيار
المكرهين للسهري^(٢) أروع
أسواق الهندى غير قصار^(٣)
والناظرين بأعين نجدة
كالبختر غير كيلة الإبحار
والبائمين نفوسهم للبيـم
الدوت بم تعافى وكرار
يتطهرون برونه نشكالهم
ندماء من غلقوا من الكهار
دروا كما ذربت ببطن خفية
عاب الرهاب من الأسود ضواري^(٤)

(١) القلب : الجماعة من الخيل .

(٢) السهري : الرمح الصلب . والهندى : العرب . وسواقه : حواشيه .

(٣) خفية : موسم كثير الأسود والقلب : الغلاظ الأعناق .

وإذا حَلَمْتَ ليمنعوك إليهم
 أصبحت عند مَعَاذِلِ الْأَغْفَارِ^(١)
 ضَرَبُوا عَلِيًّا يَوْمَ بَدْرٍ ضَرْبَةً
 دانت لوقعتها جميعُ نزارِ^(٢)
 لو يعلم الأفوامُ عِلْمِي كله
 فيهم لصَدَّقَنِي الدِّينُ أُمَارِي
 قومٌ إذا خوت النجومُ فإنهم
 للطارقين النازلين مَقَارِي
 في الغرّة من غَسَّانٍ في جُرْثُومَةٍ
 أَعْيَتْ مَحَافِرُهَا عَلَى الْمُخَفَّارِ^(٣)

[إسلام عبد الله بن الزبيري]

وكان عبد الله بن الزبيري السَّهْمِيُّ شاعر قيس ولسانها في مفاضة حسان
 ابن ثابت وغيره من شعراء رسول الله صلى الله عليه وسلم ، له في ذلك أشعار
 كثيرة ذكرها ابن إسحق في مواضعها وأضربنا نحن عنها وعن سائر أشعار
 الجاهلية لما فيها من تنقص الإسلام والذيل من أهله ، فلما كان عام الفتح فرَّ ابن
 الزبيري إلى نجران فرماه حسان بن ثابت ببیت واحد مازاد عليه وهو :

(١) الأغفار: جم غفر بفتح الغين وضها أكثر ، وهو ولد الأروية وهي أثنى الوعول .
 (٢) ضربوا علياً : يريد به علي بن مسعود بن مازن القسائي ولأبيه تنسب بنو كنانة ،
 يريد : ضربوا قريشاً لأنهم من بني كنانة .
 (٣) ابن هشام : على المقار .

لَا تَعْدَمَنْ رَجُلًا أَحَلَّكَ بَعْضُهُ
تَجْرَانِ وَ عِيشٍ أَخَذَ لَيْمٌ^(١)
فلما بلغ ذلك ابن الزُّبَيْرِ خرج إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم فأسلم
وقال في ذلك أشعاراً منها في أبيات :

يا رسول الملك إن لسانى
رَأَيْتُ مَا نَقَعْتُ إِذْ أَنَا نُورُ
إِذْ أَبَارَى الشَّيْطَانَ فِي سَنَنِ الْغَىِّ وَمِنْ مَالٍ مِثْلِهِ مَتَّبَعُورُ
وقال أيضاً حين أسلم :

مَعَ الرِّقَادِ بَلَابِلٌ وَهَمُومُ
وَالْإِيلِ مَتَلَجٌ الرُّوَقِ سِيمٌ^(٢)
مَا أَنَا أَنْ أَحَدَ لَامِنِ
فِيهِ فَبِتَ كَأَنِّي تَحْمُومُ
بَاخِرٍ مَنْ تَحَلَّتْ عَلَى أَوْصَالِهَا
غَيْرَانَةٌ سُرُحُ الْيَدَيْنِ غَشُومٌ^(٣)
إِنِّي لَمَقْسُذِرٌ إِلَيْكَ مِنَ الَّذِي
أَسْدَبْتُ إِذْ أَنَا فِي الضَّلَالِ أَهْمِ
أَبْسَامٍ تَأْمُرُنِي بِأَغْوَى خَطِيئَةٍ
سَتَمٌ وَتَأْمُرُنِي بِهَا مَخْزُومُ

(١) الأخذ : القليل المتقطع . وورط : أجعد .

(٢) متلج الرواق : عند الإمامة ، أى طويل . والبهيم : الغلام .

(٣) المعرانة من الإبل : الداجية ن اشاما . وسرح اليدين : سريتهما و المعى .

— ٣٧٥ —

وَأَمْدُ أَسْبَابِ الرَّدَى وَيَقُودُنِي
 أَمْرُ الْفُتُوَّةِ وَأَمْرُ مَشْنُومٍ
 فَالْيَوْمَ آمَنَ بِاللَّهِ مُحَمَّدٌ
 قَلْبِي وَخَطْبِي هَذِهِ مَحْرُومٌ
 مَضَتْ الْمَسَادَةُ فَانْقَضَتْ أَسْبَابُهَا
 وَدَعَتْ أَوَامِرُ يَبْدُهَا وَحُلُومُ
 خَافَقَرِ فِدَى لَكَ وَالِدَايَ كَلَامَا
 زَالِي فَإِنَّكَ رَاحِمٌ مَرْحُومٌ
 وَعَلَيْكَ مِنْ عِلْمِ الْمَلِكِ عِلَامَةٌ
 نُورٌ أَغْرَى وَخَانِمٌ مَخْفُومٌ
 أَعْطَاكَ بِمَعْرِفَةِ بَرَاهَانِهِ
 شَرْفًا وَبِرَهْمَانِ الْإِلَهِ عَظِيمِ
 وَلَقَدْ شَهِدْتُ بِأَنْ دِيْنَكَ صَادِقٌ
 حَقٌّ وَأَنْكَ فِي الْعِبَادِ جَسِيمٌ
 وَاللَّهِ يَشْهَدُ أَنَّ أَحْمَدَ مُصْطَفَى
 مُتَقَبَّلٌ فِي الْمَصْرِ الْحَيْنِ كَرِيمِ
 قَرْنٌ عِلَاً بَنِيهِ إِنَّهُ مِنْ هَاشِمٍ
 فَرَّعَ تَمَكَّنَ فِي الْقَدْرِ وَأُرُومِ^(١)

(٣) القرم : السيد . والأروم : الأصول . قال ابن هشام : وبعض أهل العلم بالعمري
 يشكرها له .

غـزوة تبوك

وأقام رسول الله صلى الله عليه وسلم بالمدينة بعد انصرافه من عمرة الجعرانة ما بين ذى الحجة إلى رجب ثم أسر أصحابه بالتمهيد لغزو الروم ، وذلك في زمان عشرة من الناس وشدة من الحر وجذب من البلاد ، وحين طابت للثمار والناس يحثون المقام في ثمارهم وظلالهم ويكرهون للشخص على الخذل من الزمان الذي هم عليه .

وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم قل ما يخرج في سنة ولا ورثي عنها وأخير أنه يريد غير الوجه الذي يعمد إليه ، إلا ما كان من غزوة تبوك ، فإنه يبتغي للناس أمد الشقة وشدة الزمان واثرة العدو الذي يصمد إليه ، ابتغاه للناس لذلك أهبطه .

فأمر الناس بالحماز ، وأحبرهم أنه يريد الروم .

[المذاقون]

فقال صلى الله عليه ذات يوم وهو في جماعته لالحديث بن قيس أحد بني سلمة : يا حديث هل لك العام في جلاد بني الأصفر ؟ فقال : ما رسول الله أو تأذن لي ولا نفقتي ، فوالله لقد عرف قومي أنه ما من رجل أشد شجبا بالنساء مني ، وإنني أحشى إن رأيت نساء بني الأصفر أن لا أصير . فأعرض عنه رسول الله صلى الله عليه وسلم وقال : قد أدنت لك ، ففقيه نرات : « ومنهم من يقول ائذن لي ولا نفقتي . إلا في العتمة سقطوا وإن جهنم لمحيطة بالكافرين^(١) » . أي إن كان إنما خشى^(٢) العتمة من نساء بني الأصفر وليس ذلك به فما سقط فيه

(١) سورة التوبة ٤٩

(٢) العارى : إنما يحشى .

من الفتنة أ كبر لتخلفه عن رسول الله صلى الله عليه وسلم والرغبة بنفسه عن نفسه ، يقول : وإن جهنم لمن ورائه .

وقال قوم من المنافقين بعضهم لبعض : لا تنفروا في الحرّ : زهادة في الجهاد وشكا في الحق وإرجافاً بالرسول ، فأنزل الله فيهم : « وقالوا لا تنفروا في الحرّ قل نار جهنم أشد حراً لو كانوا يفقهون فليضحكوا قليلا ولينبسكوا كثيراً جزاء بما كانوا يكسبون^(١) » .

وانع رسول الله صلى الله عليه وسلم أن أناساً من المنافقين يهتمعون في بيت شه يلم اليهودى بثبّطون الناس عنه في غزوة تبوك ، فبعث إليهم طلحة بن عبيد الله في نفر من أصحابه وأمره أن يحرق عليهم البيت وفعل طلحة ، فاقترح الضحك بن خليفة من ظهر البيت فانكسرت رجله واقتحم أصحابه فأفلتوا فقال للضحك في ذلك :

كادت وبيت الله نـارُ محمد
يشيط بها الضحك وابن أبيزي
وظلت وقد طهقت كبس^(٢) سويلم
أنوء على رجلي كسيرا ومرفق
سلامٌ عليكم لا أعود لثلها
أحاف ومن تشمل به النار يحرق

* * *

ثم إن رسول الله صلى الله عليه وسلم جدّ في سفره وأمر الناس بالجهار

(١) سورة التوبة ٨١ ، ٨٢ .

(٢) الكبس : بيت من طين .

والانكاش ، وحض " أهل الغنى على اللقطة والحملان فى سبيل الله ، فعمل رجال من أهل الغنى واحتسبوا ، وأنفق عثمان بن عفان فى ذلك نفقة عظيمة لم ينفق أحد مثلاً ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « اللهم ارض عن عثمان فإني عنه راضٍ » .

ثم إن رجالاً من المسلمين أتوا رسول الله صلى الله عليه وسلم وهم البكاءون وهم سبعة نفر من الأنصار وغيرهم ، سالم بن عمير وعذبة بن زيد وأبو إيلي بن كعب ، وعمرو بن حاتم ، وهرمي^(١) بن عبد الله ، وعبد الله بن مفضل المزني ، ويقال عبد الله بن عمرو المزني وعمر بن باقر بن سارية الخزاعي ، فاستعملوا رسول الله صلى الله عليه وسلم وهم أهل حاجة فقال : لا أجد ما أحللكم عليه ، فتواثروا وأعظم تفيض من الدمع حزناً أن لا يجدوا ما ينفقون ، فذكر أن ابن يامين ابن عمير الأنصري أتى أبا إيلي بن كعب وابن مفضل وهما يبكيان فقال : ما يبكيكما ؟ قالوا جئنا رسول الله صلى الله عليه وسلم ليعملنا فلم نجد عنده ما يعملنا عليه وليس عندنا ما نتقوى به على الخروج معه فأعطاهما ناضجاً له فازتحلاه وزودهما شيئاً من تمر فخرجا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم .

وجاء المعتذرون من الأعراب فاعتدروا إليه ، فلم يعذرهم الله ، وذكر أنهم نفر من بني غفار .

* * *

ثم استتب برسول الله صلى الله عليه وسلم سفره ، واجمع السير ونخاف عنه نفر من المسلمين من غير شك ولا ارتياب ، منهم كعب بن مالك أخو بني سلمة ومرارة بن الربيع أخو بني عمرو بن عوف ، وهلال بن أمية أخو بني واقف ،

(٢) و شرح المواهب ٦٧/٣ : وسرى بفتح الهمزة .

وأبو خَيْثَمَةَ أَخُو بَنِي سَالِمٍ ، وَكَانُوا نَفَرًا صِدْقٍ لَا يَتَّبِعُونَ فِي إِسْلَامِهِمْ .
فَلَمَّا خَرَجَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ضَرْبَ عَسْكَرِهِ عَلَى ثَلَاثَةِ الْوُدَاعِ
وَضَرْبَ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ أُتَيٍّْ مَعَهُ عَلَى حِدَّةٍ عَسْكَرِهِ أَسْفَلَ مِنْهُ نَحْوُ ذُبَابٍ ^(١) وَكَانَ
فَمَا يَزْعُمُونَ لَيْسَ بِأَقْلَ الْعَسْكَرِينَ ، فَلَمَّا سَارَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ
تَخَلَّفَ عَنْهُ عَبْدُ اللَّهِ فَيَمُنْ تَخَلَّفَ مِنَ الْمُنَافِقِينَ وَأَهْلَ الرَّيْبِ .

وَتَخَلَّفَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عَلَى بَنِي أَبِي طَالِبٍ عَلَى أَهْلِهِ وَأَمْرَهُ
بِالْإِقَامَةِ فِيهِمْ ، فَأَرْجَفَ بِهِ الْمُنَافِقُونَ وَقَالُوا : مَا خَلَفَهُ إِلَّا اسْتِغْنَالًا لَهُ وَتَخَفًا مِنْهُ
فَلَمَّا قَالُوا ذَلِكَ أَخَذَ عَلَى سِلَاحِهِ ثُمَّ خَرَجَ حَتَّى أَتَى رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ
وَهُوَ نَازِلٌ بِالْجُرْفِ فَقَالَ : يَا نَبِيَّ اللَّهِ زَعَمَ الْمُنَافِقُونَ أَنَّكَ إِنَّمَا خَلَفْتَنِي أَنَّكَ
اسْتَقْلَفْتَنِي وَتَخَفْتَنِي مِنِّي ، فَقَالَ : « كَذَبُوا وَلَكِنِّي خَلَفْتُكَ لِمَا تَرَكْتُ وَرَأَيْتُ ،
فَارْجِعْ فَاخْلُفْنِي فِي أَهْلِي وَاهْلِكَ ، أَفَلَا تَرْضَى يَا أَعْلَى أَنْ تَكُونَ مِنِّي بِمَنْزِلَةِ
هَارُونَ مِنْ مُوسَى إِلَّا أَنَّهُ لَا نَبِيَّ بَعْدِي » . فَرَجَعَ عَلَى إِلَى الْمَدِينَةِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ
وَمَضَى رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عَلَى سَفَرِهِ .

[أَمْرُ أَبِي خَيْثَمَةَ]

ثُمَّ إِنَّ أَبَا خَيْثَمَةَ بَعْدَ أَنْ سَارَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَيَّامًا رَجَعَ
إِلَى أَهْلِهِ فِي يَوْمٍ حَارٍّ ، فَوَجَدَ امْرَأَتَيْنِ لَهُ فِي عَرِيشَيْنِ لَهَا فِي حَائِطِهِ قَدِ رَشَّتْ
كُلُّ وَاحِدَةٍ مِنْهُمَا عَرِيشَهَا وَبَرَدَتْ لَهُ فِيهِ مَاءٌ وَهَيَّاتَ لَهُ طَعَامًا ، فَلَمَّا دَخَلَ
قَامَ عَلَى بَابِ الْعَرِيشِ فَنَظَرَ إِلَى امْرَأَتَيْهِ وَمَا صَنَعَتَا ، فَقَالَ : رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى
اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فِي الصُّبْحِ ^(٢) وَالرَّيْحُ وَالْحَرُّ ، وَأَبُو خَيْثَمَةَ فِي ظِلِّ ^(٣) بَارِدٍ وَطَعَامٍ
مَهِيًا وَامْرَأَةً حَسَنَاءَ فِي مَالِهِ مَقِيمًا مَا هَذَا بِالنِّصْفِ ثُمَّ قَالَ : وَاللَّهِ لَا أَدْخُلُ عَلَى

(١) ذُبَابٌ : جَبَلٌ بِالْجَبَابَةِ أَسْفَلَ مِنْ ثَلَاثَةِ الْوُدَاعِ .

(٢) الصُّبْحُ : مَا أَصَابَتْهُ الشَّمْسُ مِنَ الْأَرْضِ .

(٣) الظِّلُّ : وَهُوَ ظِلَالٌ بَارِدٌ وَمَاءٌ بَارِدٌ .

عريش واحدة متكما حتى ألحق برسول الله صلى الله عليه وسلم فميتا لي زادا .
فعلتا ثم قدّم ناضحه فارتحله ثم خرج في طلب رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى
أدركه حين نزل بقبوك .

وقد كان أدرك أبا خيثمة في الطريق عمير بن وهب الجعفي يطلب رسول
الله صلى الله عليه وسلم فترافقا ، حتى إذا دوا من قبوك قال أبو خيثمة لعمير :
إن لي ذنباً فلا عليك أن تخاف عني حتى آتي رسول الله صلى الله عليه وسلم
ففعل حتى إذا دنا من رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو نازل بقبوك قال
الناس : هذا راكب على الطريق مقبل . فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم :
كن أبا خيثمة . قالوا : هو والله أبو خيثمة يا رسول الله . فلما أناخ أقبل فسلم
على رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم : أؤلى
لك يا أبا خيثمة أنتم أخبره خبره فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم خيراً ودعا
له بخير . وروى أن أبا خيثمة قال في ذلك :

ولما ^(١) رأيت الناس في الدين تنفقا

أتيت التي كانت أعف وأكرما

وباعت باليمن يدي لمحمد

فلم أكنسب إثمًا ولم أغش نحرًا ^(٢)

تركض خضيباً في العريش وصيرمة

صفايا كراما بشرها قد نحمي ^(٣)

(١) ابن هشام : لما رأيت .

(٢) الخضيب : الرأس الخضوب والصرم : الطائفة من النخل والصفايا : كثيرة الحمل
وأصله في الإبل يقال نافقة صني إذا كانت غزيرة الدر وجهها صفايا . وواليسر : التمر قبل أن
يطيب ونعم : أخذ في الإرطاب فسود (شرح السيرة لأبي ذر) .

وكدت إذا شك المنافق أنتمحت
إلى الذين نفسى شطره حيث^(١) يَمَسُّ

* * *

وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم حين مرّ بالحجر نزلما واستقى الناس
من بئرهما فلما راوا قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « لا تشربوا من ماءها
ولا يتوضأ^(٢) منه للصلاة وما كان من عجين عجلتموه فاعلفوه الإبل ،
ولأننا كلوا منه شيئاً^(٣) ، ولا يخرج أحد منكم الليلة إلا ومعه صاحب له » .

ففعل الناس ما أصرهم رسول الله صلى الله عليه وسلم ، إلا أن رجلين من
بنى ساعدة خرج أحدهما لحاجته وخرج الآخر في طلب بعيره له ، فأما الذي
ذهب لحاجته فإنه خُلق على مذهبه ، وأما الذي ذهب في طلب بعيره فاحتملته
الريح حتى طرحته بجبلى طيء ، فأخبر بذلك رسول الله صلى الله عليه وسلم
فقال : ألم أهيكم أن يخرج أحد منكم إلا ومعه صاحبه ؟ ثم دعا للذي أصيب على
مذهبه فشفي ، وأما الذي وقع بجبلى طيء فإن طيئاً أهدته لرسول الله صلى الله
عليه وسلم حين قدم المدينة .

ولما مرّ رسول الله صلى الله عليه وسلم بالحجر سبّج ثوبه على وجهه ،
واستحث راحلته ثم قال : « لا تدخلوا بيوت الذين ظلموا إلا وأنتم باكون خوفاً
أن يصيبكم ما أصابهم » .

فلما أصبح الناس ولا ماء معهم شكوا إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم ،

(١) أتمحت : انتقلت . وشطره : نحره وقصده . ويمس : قصد .

(٢) الطبري وابن هشام : ولا يتوضأوا .

(٣) انظر روايات الحديث عن البخاري والإمام أحمد ومسلم ، وكما أوردهما ابن كثير

في سيرته ١٨/٤ .

فدعا فأرسل الله سبحانه سحابة فأمطرت حتى ارتوى الناس واحتملوا حاجتهم من الماء . قال محمود بن أبيب : لقد أخبرني رجلان من قومي عن رجل من المنافقين معروف بفاقه كان يسير مع رسول الله صلى الله عليه وسلم حيث سار ، فلما كان من أمر الماء بالحجر ما كان ودعا رسول الله صلى الله عليه وسلم حين دعا فأرسل الله السحابة فأمطرت حتى ارتوى الناس قالوا : أتينا عليه نقول : ويحك اهل بعد هذا شيء ؟ قال : سحابة مارة . قيل لمحمد : هل كان الناس يعرفون الاتفاق فيهم ؟ قال : نعم والله إن كان الرجل لا يعرفه من أخيه ومن أبيه ومن عمه وفي عشيرته ^(١) ثم يلبس بعضهم بعضاً على ذلك .

• • •

ثم إن رسول الله صلى الله عليه وسلم سار حتى إذا كان ببعض الطريق ضلت ناقته فخرج أصحابه في طلبها وعند رسول الله صلى الله عليه وسلم رجل من أصحابه يقال له عمارة بن حزم وكان عَقَبِيًّا بذُريًّا وهو عم بني عمرو بن حزم وكان في رحله زيد بن أُمَيَّة ^(٢) اللقيطاعي وكان منافقاً فقال زيد وهو في رحله عمارة وعمارة عند رسول الله صلى الله عليه وسلم : أليس محمد يزعم أنه نبي ويخبركم عن خبر السماء وهو لا يدري أين ناقته فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم وعمارة معه : « إن رجلاً قال : هذا محمد يخبركم أنه نبي ويزعم أنه يخبركم بأمر السماء وهو لا يدري أين ناقته إني والله لا أعلم إلا ما علمني الله وقد داني الله عليها وهي في الوادي من شئب كذا وكذا وقد حبستها شجرة بزمامها فانطلقوا حتى تأتوني بها » فذهبوا فجاءوا بها فرجع عمارة بن حزم إلى رحله فقال : والله أعجب من شيء حدثناه رسول الله صلى الله عليه وسلم آنفاً عن مقالة قائل أخبره

(١) الطبري : ومن عشيرته .

(٢) ابن هشام : ابن الأصميت . ويقال به أيضاً : ابن الصيب .

الله عنه . للذى قال زيد بن الأصميت . فقال رجل من كان في رحل عمارة ولم يحضر رسول الله صلى الله عليه وسلم : زيد والله قال هذه المقالة قبل أن تأني فأقبل عمارة على زيد يماً^(١) في عنقه ويقول : يا لعماد الله ! إن في رحلي لداهية وما أشعرا أخرج أى عدو الله من رحلي فلا تصحبني . فزعم بعض الناس أن زيدا تاب بعد ذلك وقال بعض : لم يزل منهما بشر حتى مات .

ثم مضى رسول الله صلى الله عليه وسلم سائراً فجعل يتخلف عنه الرجل فيقولون : يا رسول الله تخلف فلان فيقول : « دعوه فإن يك فيه خير فسيُلقه الله بكم ، وإن يك غير ذلك فقد أراحكم الله منه » حتى قيل : يا رسول الله تخلف أبو ذر وأبطأ به بعيره . فقال : دعوه فإن يك فيه خير فسيُلقه الله بكم وإن يك غير ذلك فقد أراحكم الله منه . وتلوّم^(٢) أبو ذر على بعيره فلما أبطأ عليه أخذ متاعه فحمّله على ظهره ثم خرج يقبع أثر رسول الله صلى الله عليه وسلم ماشياً ، ونزل رسول الله صلى الله عليه وسلم في بعض منازلهم ففطر ناظر من المسلمين فقال : يا رسول الله إن هذا الرجل يمشى على الطريق وحده . فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : كن أبا ذر . فلما تأمله القوم قالوا : يا رسول الله هو والله أبو ذر . فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « رحم الله أبا ذر يمشى وحده ويموت وحده ، ويبعث وحده » .

فقضى الله سبحانه أن أبا ذر لما أخرجه عثمان رضى الله عنه إلى الرَبَذَةِ^(٣) وأدركته بها مديته لم يكن معه أحد إلا امرأته وغلّامه ، فأوصاها أن أغسلاني وكفّني ثم ضماني على قارعة الطريق فأول ركبت يمر بكم فقولوا : هذا أبو ذر صاحب رسول الله صلى الله عليه وسلم فأعينونا على دفنه ، فلما مات فعلا ذلك

(١) يماً : يطعن .

(٢) تلوّم : انتظر .

(٣) الربذة : موضع قرب المدينة .

وأقبل عبد الله بن مسعود في رهط من للعراق عمار ، فلم يرعهم إلا بالجفازة على ظم الطريق قد كادت الإبل تطوؤها وفام إليهم الغلام فقال : هذا أبوذر صاحب رسول الله صلى الله عليه وسلم فأعينونا على دفنه فاستهل عبد الله بيبكى ويقول : صدق رسول الله : تمشي وحدك وتموت وحدك وتبعث وحدك ! ثم نزل هو وأصحابه فواروه . ثم حدثهم عبد الله بن مسعود حديثه^(١) وما قال له رسول الله صلى الله عليه وسلم في مسيره إلى تبوك .

* * *

وقد كان رهط من المنافقين منهم ودبة بن ثابت أخو بني عمرو بن عوف وحليف ابني سلمة من أشجع يقال له نخشن بن حجير ، ويقال نخشي ، يشيرون إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو مطلق إلى تبوك فقال بعضهم لبعض : انمحبون جيلاد بني الأصغر لقتال العرب بعضهم بعضاً ؟ والله لسكأننا بكم [غداً]^(٢) مقرئين في الحبال إرجافاً وتهيئاً للمؤمنين ، فقال نخشن بن حجير . والله أوددت أني أقاضي على أن يضرب كل رجل منا مائة جلدة وأنا نفقت أن ينزل فينا قرآن لمقاتلتكم هذه . وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم فيما بلغنا لعمار بن ياسر : أدرك القوم فإنهم قد احترقوا فقامهم عما قالوا ، فإن أنسكروا فقل : بلى قاتم كذا وكذا فانطلق إليهم عمار فقال ذلك لهم فأتوا رسول الله صلى الله عليه وسلم يمتدرون ، فقال ودبة بن ثابت ورسول الله صلى الله عليه وسلم واقف على ناقته فجعل يقول وهو آخذ بمقما : يا رسول الله إنما كنا نخوض ونلاعب . فأنزل الله عز وجل فيهم « وإنن سألهم ليقولن إنما كنا

(١) قال ابن كثير : إسناده حسن ولم يخرجوه . السيرة ١٥/٤ .

(٢) من الطبري وابن هشام .

نخوضُ ونلعب^(١) » ١١ وقال نخشن بن حير : يا رسول الله قعد بي اسمي واسم أبي . فكان الذي عني عنه في هذه الآية نخشن بن حير فتسمى عبد الرحمن ، وسأل الله أن يُقتله شهيداً لا يُعلم مكانه ، فقتل يوم اليمامة فلم يوجد له أثر .

[مصالحة أهل أيلة]

ولما انتهى رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى تبوك أتاه أبو حنينة بن ربيعة صاحب أيلة فصالح رسول الله صلى الله عليه وسلم وأعطى الجزية . وأتاه أهل جرباء وأذرح فأعطوا الجزية ، وكتب^(٢) لهم رسول الله صلى الله عليه وسلم كتاباً فهو عندهم : « بسم الله الرحمن الرحيم هذه أمانة من الله ومحمد النبي رسول الله ليُحنّ بن ربيعة وأهل أيلة سفنهم وسياراتهم في البر والبحر ، لهم ذمة الله ومحمد النبي ومن كان منهم من أهل الشام وأهل اليمن وأهل البحر فن أخذت منهم حَدَثاً فإنه لا يَحُولُ ماله دون نفسه وإنه طيبٌ لمن أخذ من الناس ، وإنه لا يَحِلُّ أن يُمنعوا ماء يَرِدونه ولا طريقاً يَرِدونه^(٣) من برٍّ أو بحر .

[سَرِيَّة خَالِدٍ إِلَى أَكِيدِر]

ثم دعا رسول الله صلى الله عليه وسلم خالد بن الوليد فبعثه إلى أَكِيدِر دَوْمة ، وهو أَكِيدِر بن عبد الملك رجل من كندة كان ملكاً عليها وكان نصرانياً ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم لخالد : إنك ستجده يصيد البقر . فخرج خالد حتى إذا كان من حصنه بمنظر التَّيْنِ في ليلة مُقَمَّرَةٍ صائفة وهو على

(١) سورة التوبة ٦٥ .

(٢) الطبري : وكتب رسول الله صلى الله عليه وسلم لكل كتاباً فهو عندهم .

وفي ابن هشام : فكتب ليحنّ بن ربيعة .

(٣) ابن هشام : يَرِدونه .

سطح له ومعه امرأته فباتت البقر تحك بقرونها باب القصر ، فقالت له امرأته هل رأيت مثل هذا قط ؟ قال : لا والله . قالت : فمن يترك هذه ^(١) ؟ قال : لا أحد . فنزل فأمر بفرسه فأشرج له وركب معه نفر من أهل بيته فيهم أخ له يقال له حسان فركب وخرجوا معه بمطاردهم ، فلما خرجوا تلقفتهم حيل رسول الله صلى الله عليه وسلم فأخذته وقتلوا أحاه ، وكان عليه قباء ديباج غوص بالذهب ، فاستلبه خالد فبعث به إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم قبل قدومه عليه ، فجعل المسلمون يلصقونه بأيديهم ويتمتعون منه ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : أنتم يحبون من هذا ؟ فوالذي نفسي بيده للمأكل سمد بن معاذي الجنة أحسن من هذا !

نم قدم خالد بآكيدر على رسول الله صلى الله عليه وسلم فحقن له دمه
وصالحه على الجزية ثم خلى سبيله .

فقال رجل من طيء: يقال له بُحَيْرِ بن بُحَيْرٍ يذكر قول رسول الله صلى الله عليه وسلم لخالد: إنك ستجدني يهيد للبقرة. وما صنعت البقرة تلك الليلة حتى استخرجته لتصدق قول رسول الله صلى الله عليه وسلم:

تبارك — اثنو للهقات انى

رأيتُ اللهَ يَهْدِي كُلَّ مَسْأَدِي

فَمِنْ بَيْنِكَ حَائِدًا مِنْ ذِي تَبَوُّكَ

فَإِنَّا قَدْ أَمَرْنَا بِالْجَمْعِ

١ رجوع الرسول عن تبوك ١

فأتاه رسول الله صلى الله عليه وسلم بقبولك بضلع عشرة ليلة ولم يجاوزها ،
ثم انصرف قافلاً إلى المدينة .

(١) الطبري : فن يترك هذا .

وكان في الطريق ماء يخرج من وشل^(١) يتروى الراكب والراكبين والثلاثة
براد يقال له وادي المشقق ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : من سبقنا إلى
الماء فلا يستقن منه شيئاً حتى نأتيه . فسبقه إليه نفر من المنافقين فاستقوا مافيه
فلما أتاه رسول الله صلى الله عليه وسلم وقف عليه فلم يرفيه شيئاً فقال : من
سبقنا إلى هذا ؟ فقيل : يا رسول الله فلان وفلان . فقال : أو لم أنهيكم أن تستقوا
منه شيئاً حتى آتيه ؟ ثم لعنهم رسول الله صلى الله عليه وسلم ودعا عليهم ، ثم نزل
فوضع يده تحت الوشل فجعل يصب في يده ما شاء الله أن يصب ثم فضعه به
ومسحه بيده ودعا بما شاء الله أن يدعو به ، فانخرق الماء كما يقول من سمعه
ما إن له حساً كحس الصواعق ، فشرب الناس واستقوا حاجتهم منه . فقال
رسول الله صلى الله عليه وسلم : « لئن بقيتم أو من بقي منكم لتسمعن بهذا الوادي .
وهو أخصب ما بين يديه وما خلفه » .

* * *

ومات في هذه الغزوة من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم : عبد الله
ذو البجادين ، لأنه كان يزارع إلى الإسلام فيمنه قومه من ذلك ويضيقون
عليه حتى تركوه في بجاد لبس عليه غيره ، والبجاد : الكساء الغليظ ، فهرب
منهم إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم فلما كان قريباً منه شق بجاده بانهين .
فانزروا واحد واشتمل بالآخر ، ثم أتى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقيل له
ذو البجادين لذلك . فكان عبد الله بن مسعود يحدث قال : قت من جوف
الليل وأنا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم في غزوة تبوك ، فرأيت شملة من
نار في ناحية العسكر فاتبعتها أنظر إليها ، فإذا رسول الله صلى الله عليه وسلم

(١) الوهل : حجر أو جبل يقطر منه الماء قليلاً قليلاً .

وأبو بكر وعمر، وإذا عبد الله ذو البجادين قد مات، وإذام قد حفروا له ورسول الله صلى الله عليه وسلم في حفرته وأبو بكر وعمر يدانيانه إليه وهو يقول: أذلياً إلى أخاك فدلّياه إليه، فلما هيأ له شقه قال: «اللهم إني قد أمسيت راضياً عنه» يقول عبد الله بن مسعود: ياليتني كنت صاحب الحفرة!

وقال أبو رهم للغفاري، وكان ممن بايع تحت الشجرة: غزوت مع رسول الله صلى الله عليه وسلم غزوة تبوك، فسرت ذات ليلة معه قريباً منه وألقي علينا اللباس، فطعقت أستيقظ وقد دنت راحلتني من راحلته عليه السلام فيفزعني دنوها مخافة أن أصيب رجلاه في الغرز، فما استيقظت إلا أقوله: حسن^(١) فقلت يارسول الله استعفر لي قال: سِرْ. فجهل بسألي عن تخلف من بني غفار فأخبره به، فقال وهو بسألي: ما فعل النفر الحذر الطوال للثطاط^(٢) حدثته بتخلههم، قال: فما فعل النفر للشد الجمد للقصار؟ قلت: والله ما أعرف هؤلاء منكم. قال: بل الذين لهم نعم بشبكة شدخ^(٣) فتدكرتهم في بني غفار فلم أذكرهم حتى ذكرت أسهم رهط أسلم كانوا حلفاء فيها، فقلت: يارسول الله أولئك رهط من أسلم حلفاء فيها فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «ممنع أحد أولئك حين تخلف أن يحمل على بعير من إله امرأ أشيطاً في سبيل الله؟ إن أمرأ أهمل على أن يتخلف على المهاجرين من قريش والأنصار وغفار وأسلم».

[مسعود الغراري]

قال ابن اسحق: ثم أقبل رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى نزل بذي أوان

(١) حسن: كلمة تدل على التألم.

(٢) الثطاط: جمع ثط، وهو الثبل عسر الاحية.

(٣) شبكة شدخ: ماء لأسام من بني غفار.

بلد بينه وبين المدينة ساعة من نهار وكان أصحاب المسجد الضَّرَّار قد أتوه وهو يتجهز إلى تبوك فقالوا : يا رسول الله إنا قد بقينا مسجداً لدى العلة والحاجة واليلة المطيرة واليلة الشامية وإنا نحب أن تأتينا فتصلي لنا فيه فقال : إني هلي جناح سفر وحال شغل . أو كما قال صلى الله عليه وسلم . ولو قد قدمنا إن شاء الله لأنينا كم فصلينا لكم فيه . فلما نزل بدى أوان أناه خبر المسجد فدعا رسول الله صلى الله عليه وسلم مالك بن الدُخْشَم أخا بنى سالم بن عوف ومثمن بن عديّ أو أخاه عاصم بن عدي أخا بنى العَجْلان فقال : انطلقا إلى هذا المسجد للظالم أهله فاهدماه وحرّقا فخرجا سريعين حتى أتيا بنى سالم بن عوف رهط مالك فقال مالك لمن : أنظرني حتى أخرج إليك بنار من أهلي . فدخل إلى أهله فأخذ سَعْفًا من النخل فأشعل فيه نارا ثم خرجا يشقان حتى دخلاه وفيه أهله فحرّقا وهدمناه وتفرقوا عنه ونزل فيهم من القرآن منازل : « والذين اتخذوا مسجداً ضرّارا وكفّرا وتفرقا بين المؤمنين ^(١) » إلى آخر القصة .

[المخلفون]

وقدّم رسول الله صلى الله عليه وسلم المدينة وقد كان تخلف عنه من تخلف من المنافقين ، وأولئك الرهطُ الثلاثة من المسلمين من غير شك ولا نفاق : كعب بن مالك ومُرارة بن الربيع وهلال بن أمية ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم لأصحابه : لا تُكَلِّمَنَّ أحداً من هؤلاء الثلاثة . وأناه من تخلف عنه من المنافقين فعملوا يخلفون له ويمتدّرون فصعّق عنهم رسول الله صلى الله عليه وسلم ولم يَعدّهم الله ولا رسوله ، فاعتزل المسلمون كلام أولئك الذفر الثلاثة .

فحدث كعب بن مالك قال : ما خلفتُ عن رسول الله في غزوة غزاها قط ، غير أني تخلفتُ عنه في غزوة بدر ، وكانت غزوة لم يعاقب الله فيها ولا رسوله أحداً تخلف عنها ، وذلك أن رسول الله صلى الله عليه وسلم لما خرج يريد غير قريش فجمع الله بينه وبين عدوه على غير ميعاد ، واقدم شهدت مع رسول الله صلى الله عليه وسلم المعركة حين توافقتا على الإسلام وما أحب أن لي بها شهيد بدر ، وإن كانت غزوة بدر هي أذكرك في الناس منها .

وكان من خبري حين تخلفتُ عنه في غزوة تبوك أني لم أكن قط أقوى ولا أبسر مني حين تخلفتُ عنه في تلك الغزوة ، والله ما اجتمعت لي راحتان قط حتى اجتمعنا في تلك الغزوة ، وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم قل ما يريد غزوة يفزوها إلا ورى بغيرها حتى كانت تلك للغزوة فغزاها رسول الله صلى الله عليه وسلم في حر شديد واستقبل سفراً بعيداً واستقبل غزواً عدواً كثير ، فجاء الناس أمرهم ايتأهبوا لذلك أهبطه وأحبرهم خبره بوجهه الذي يريد ، والمسلمون من تبع رسول الله صلى الله عليه وسلم كثير لا يحصونهم كتاب حافظ ، بمعنى بذلك الديوان ، فقل رجل يريد أن يقتيب إلا ظن أنه سيخفى له ذلك ما لم ينزل فيه وحى من الله تعالى .

وغزا رسول الله صلى الله عليه وسلم تلك الغزوة حين طابت الثمار وأجبت الظلال فالناس إليها صُفر^(١) ، فتجهز رسول الله صلى الله عليه وسلم وتجهز المسلمون معه ، وجعلت أعدوا لا تجهز معهم فأرجع ولم أفض حاجة فأقول في نفسي : أنا قادر على ذلك إذا أردت . فلم يزل ذلك بما دى بي حتى شمر بالناس

الجد^(١) وأصبح رسول الله صلى الله عليه وسلم غادياً والمسلمون معه ولم أقض من جهازى شيئاً فقلت : أنجهز بعده بيوم أو بيومين ثم ألحق بهم ، فعدوت بعد أن مضوا لأنجهز فرجعت ولم أقض شيئاً ، ثم عدوت فرجعت ولم أقض شيئاً ، فلم يزل ذلك بنمادى بى حتى أسرعوا وتفرد^(٢) للفرز فهممت أن أرتحل فأدركهم ، وليتني فعلت ، فلم أفعل ، وجعلت إذا خرجت في الناس بعد خروج رسول الله صلى الله عليه وسلم فطقت فيهم يُحزني أنى لا أرى إلا رجلاً ممنوم^(٣) عليه في الاتفاق أو رجلاً ممن عذر الله من الضملاء . ولم يذكروني رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى بلغ تبوك فقال وهو جالس في القوم بتبوك : ما فعل كعب بن مالك ؟ فقال رجل من بنى سلة : يا رسول الله حبسه بُرداه والظفر في عقيقته . فقال له معاذ : بئس ما قلت ، والله يا رسول الله ما علمنا منه إلا خيراً . فسكت رسول الله صلى الله عليه وسلم .

فلما بلغني أن رسول الله صلى الله عليه وسلم توجه قافلاً حضر لى بئى^(٤) فجعلت أذكرك الكذب وأقول : بماذا أخرج من سخط رسول الله صلى الله عليه وسلم غداً ؟ وأستمعن على ذلك كل ذى رأى من أهلى ، فلما قيل لى إن رسول الله صلى الله عليه وسلم قد أظلم قادمًا زاح عني للباطل وعرفت أن لا أنجو منه إلا بالصدق ، فأجعت أن أصدق .

وصيَّح رسول الله صلى الله عليه وسلم للمدينة ، وكان إذا قدِم من سفر بدأ

(١) ابن هشام : حتى شمر الناس بالجد . ورواية البخارى : حتى اشتد بالناس الجد

(٢) رواية البخارى : وتفردت للفرز . والمعنى : فات وسبق .

(٣) ممنوم : معطونا .

(٤) البخارى : حضر لى همى .

بالمسجد فرأى فيه ركعتين ثم جلس للناس ، فلما فعل ذلك جاء المخلفون من الأعراب فجعلوا يحلفون له ويعتدون ، وكانوا بصحة وثباتين : جلا ، فيقبل منهم رسول الله صلى الله عليه وسلم علانيتهم وإيمانهم ويستغفر لهم ويكل سرائرهم إلى الله ، حتى جئت فسلمت عليه فتعسم تبسم المذهب ثم قال لي : تعاله . فبعثت أمشي حتى جلست بين يديه فقال لي : ما خلفك ألم تسكن ابتعت ظهرك ؟ قلت : يا رسول الله والله لو جلست عند غيرك من أهل الدنيا لرأيت أني سأخرج من سخطه مبذرا وقد أعطيت جدلا ، ولسكن والله قد علمت أن حديثك اليوم حديثا صادقا أترضين عني وأيوشكن الله أن يسخط علي ، وإن حديثك اليوم حديثا صادقا نحمد على منه إلى لأرجو عقابي من الله فيه ، لا والله ما كان لي عذر ، والله ما كنت قط أقوى ولا أيسر مني حين تحدثت بذلك فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : أما هذا فقد صدقت فيه ، فقم حتى يقضى الله فيك . فقامت .

وثار معي رجال من بني سلمة فاتبعوني فقالوا : والله ما علمناك ذلك أذنبت ذنباً قبل هذا ، وقد عجزت أن لا تسكون اعتدلت إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم بما اعتدلت إليه المخلفون فقد كان كافيك ذنبك استمعنا رسول الله صلى الله عليه وسلم ؟ فوالله ما زالوا لي حتى أردت أن أجمع إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم فأكذب نفسي ، ثم قلت لهم : هل لقي هذا أحداً غيري ؟ قالوا : نعم جلان قال مثل ذلك وقيل لهما مثل ما قيل لك . قلت : من هما ؟ قالوا : مرة بن الربيع الغمري وهلال بن أمية الوافقي . فدكروا لي رجلين صالحين فبهما أسوة حسنة ، فقامت حين ذكرتهما . لي ونهى رسول الله صلى الله عليه وسلم عن كلامها أيها الثلاثة من بين من تخلف عنه ، فاجتنبوا الناس

وتغيروا لما حتى تنسكروا لى نفسى والأرضُ فما هى بالأرض التى كنت أعرف .

فلبئذا على ذلك خمسين ليلة ، فأما صاحبائى فاستكانا فقعدا فى بيوتهما ، وأما أنا فسكنت أشب القوم وأجلدتم فسكنت أخرج وأشهد الصلوات مع المسلمين وأطوف بالأسواق لا يكلمنى أحد ، وآتى رسول الله صلى الله عليه وسلم فأسلم عليه وهو فى مجلسه بعد الصلاة فأقول فى نفسى: هل حرك شفتيه برد السلام على أم لا ؟ ثم أصلى قريباً منه فأسارقه النظر ، فإذا أقبلت على صلاتى نظر إلى ، وإذا التفت نحوه أعرض عني .

حتى إذا طال ذلك من جفوة المسلمين مشيت حتى تسورت جدار حائط أبى قتادة وهو ابن عمى وأحب الناس إلى فسلمت عليه فوالله مارد السلام ، فقلت : يا أبا قتادة أنشدك الله هل تعلم أى أحب الله ورسوله ؟ فسكت فمدت فمأشده فقال : الله ورسوله أعلم . ففاضت عيني ووثبت فتسورت الحائط . ثم عدت إلى السوق فبينما أنا أمشى بالسوق إذا نبطى يسأل عني من نبط الشام ممن قدم بالطعام يبيعه بالمدينة يقول : من يدل على كعب بن مالك ؟ فجعل الناس يشيرون له إلى ، حتى جاءنى فدفع إلى كتاباً من ملك غسان فى سرقة^(١) من حرير فإذا فيه : أما بعد فإنه قد بلغنا أن صاحبك جفاك ولم يجعلك الله بدار هوان ولا مضئمة فالحق بنا نؤاسك . قلت حين قرأتها : هذا من البلاء أيضاً قد بلغ بى ما وقعت فيه أن طمع فى رجل من أهل الشرك فعمدت إلى تنور فسجرتة^(٢) بها .

(١) السرقة : شقة الحرير .

(٢) سجرتة : أشعلته .

فأقننا على ذلك حتى مضت أربعون ليلة من الخمين ، إذا رسول الله صلى الله عليه وسلم يأتي فقال: إن رسول الله صلى الله عليه وسلم بأمر أن تنزل امرأتك . فقلت : أطلقها أم ماذا ؟ قال : لا بل اعزلها ولا تقربها . وأرسل إلى صاحبي بمثل ذلك ، فقلت لامرأتي : الحق بأهلك وتكوني فيهم حتى يقضى الله في هذا الأمر ما هو قاض .

وجاءت امرأة هلال بن أمية رسول الله صلى الله عليه وسلم فقالت : يا رسول الله إن هلال بن أمية شيخ كبير ضائع إلا حادماً^(١) ، أفنذكره أن أحدهم ؟ قال : ولكن لا يقربك . قالت : يا رسول الله والله ما به من حركة ، والله ما زال يبكي منذ كان من أمره ما كان إلى يومه هد واقعد تحوشت على بصره . فقال لي بعض أهلي : لو استأذنت رسول الله صلى الله عليه وسلم لامرأتك فقد أذن لامرأة هلال بن أمية أن تخدمه فقالت : والله لا استأذن فيها ، ما أدرى ما يقول لي في ذلك إذا استأذنته وأنا رجلاً شاباً .

• • •

قال : فلبثنا بعد ذلك عشر ليال ، فأكملنا خمسون من حين نهى رسول الله صلى الله عليه وسلم المسلمين عن كلامها ، ثم صليت للصبح صبح خمسين ليلة على ظهر^(٢) بيت من بيوتنا على الحال^(٣) التي ذكر الله لها ، قد صاقت علينا الأرض بما رحبت وصاقت على نفسي ، وقد كنت ابتليت حيلة

(١) كذا بالأصل . ورواية ابن هشام : لا خادم له . ورواية البخاري : ليس له خادم .

(٢) البخاري : وأنا على ظهر .

(٣) البخاري : فبينما أنا جالس على الحال الخ .

في ظهر سَلْع ، فكنت أكون فيها إذ سمعت صوتَ صارخ أَوْفَى على سَلْع يقول بأعلى صوته : يا كعب بن مالك أبشر . فخررت ساجداً وعرفت أن قد جأني الفرج .

قال : وآذن رسولُ الله صلى الله عليه وسلم الناسَ بتوبة الله علينا حين صلى الفجر ، فذهب الناسُ يبشروننا وذهب نحو صاحبي مبشرون ، وركض رجلٌ إلى فرسٍ ومضى ساعٍ من أسلم ، حتى أوفى على الجبل فكان الصوتُ أسرع من الفرس ، فلما جأني الذي سمعتُ صوته يبشرنى نزعتُ ثوبي فكسوتهما إياه بشارَةً ، ووالله ما أملك يومئذٍ غيرها ، واستمرت ثوبين فلبستهما ، ثم انطلقتُ أتيتُم رسولَ الله صلى الله عليه وسلم ، وتلقاني الناسُ يبشرونني بالتوبة يقولون : ليهنك توبة الله عليك . حتى دخلتُ المسجد ورسول الله صلى الله عليه وسلم جالس حوله الناسُ فقام إلى طلحة بن عبيد الله فخياني وهناني ، ووالله ما قام إلى رجل من المهاجرين غيره . فكان كعب لا ينساها لطلحة .

قال كعب : فلما سلمت على رسول الله صلى الله عليه وسلم قال ووجهه يهتز من السرور : أبشر بخير يوم مرَّ عليك منذ يوم ولدتك أمك . قلت : أمن عندك يا رسول الله أم من عند الله ؟ قال : بل من عند الله . وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم إذا استبشر كأن وجهه قطعة قر ، وكنا نعرف ذلك منه .

قال : فلما جلست بين يديه ، قلت : يا رسول الله إن من توبتي إلى الله أن أنخلع من مالي صدقةً إلى الله وإلى رسوله . قال : أمسك عليك بعضَ

مالك فهو خير لك . قالت : إني مُنك سمي الذي بنيه . وقالت :
يا رسول الله إن الله قد نمتني بالصدق ، فإن توبى إلى الله أن لا أحدث
إلا صدقاً ما بقيت . والله ما أعلم أحداً من الناس إلا الله في صدق الحديث
منذ ذكرت لرسول الله صلى الله عليه وسلم ذلك أفصل مما أبلاني ، والله
ما تعمدت من كذبة منذ ذكرت ذلك لرسول الله صلى الله عليه وسلم إلى
يومى هذا ، وإني لأرجو أن يحفظني الله فيما بقى .

وانزل الله تبارك وتعالى : « لقد تاب الله على النبي والمهاجرين والأنصار
الذين اتبعوه في ساعة الكثرة من بعد ما كاد يزيغ قلوب فريق منهم
ثم تاب عليهم إنه بهم رؤوف رحيم » وعلى الثلاثة الذين خلفوا حتى إذا
ضاقت عليهم الأرض بما رحبت وضاقت عليهم أنفسهم وظنوا أن لا ملجأ
من الله إلا إليه ثم تاب عليهم ليتوبوا إن الله هو الغفور الرحيم • بئسها
الذين آمنوا اتقوا الله وكونوا مع الصادقين ^(١) . »

قال كعب : فوالله ما أنعم الله على نعمة قط بعد أن هداني الإسلام
كانت أعظم في نفسي من صدق رسول الله صلى الله عليه وسلم يومئذ ،
أن لا أكون كذنته فأهلك كما هلك الذين كذبوه ، فإن الله تبارك وتعالى
قال في الذين كذبوه شر ما قال لأحد : « سيخيلون بالله إنكم إذا انقلبتم إليهم
لنقرضوا عنهم فأعرضوا عنهم إنهم رجس ومأواهم معهم جزاء عما كانوا
يسكتون • يخيلون إنكم لترضوا عنهم فإن ترضوا عنهم فإن الله لا يرضى
عن القوم الفاسقين ^(٢) . »

(١) - سورة التوبة ١١٢ - ١١٩ .

(٢) - سورة التوبة ٩٥ ، ٩٦ .

قال : وكذا خُلِقْنَا أيها الثلاثة عن أمر هؤلاء الذين قَبِلَ منهم
 رسول الله صلى الله عليه وسلم حين حلفوا له فمَدَرَم واستغفر لهم ، وأَرْجَأُ
 رسولُ الله صلى الله عليه وسلم أَمْرَنَا حتَّى قَضَى اللهُ فِيهِ مَا قَضَى ، فَلِذَلِكَ قَالَ اللهُ
 تَبَارَكَ وَتَعَالَى : « وَعَلَى الثَّلَاثَةِ الدِّينَ خُلِقُوا » وليس الذي ذَكَرَ مِنْ تَخْلِيفِهَا
 لِتَخْلُقْنَا عَنِ الْغَزْوَةِ ، وَلَكِنْ لِتَخْلِفَهُ إِيَّانَا وَإِرجَاءَهُ أَمْرَنَا عَنْ مَنْ حَلَفَ
 لَهُ وَاعْتَدَرَ إِلَيْهِ فَقَبِلَ مَدَهُ .

ذكر إسلام ثقيف

وقدِم رسول الله صلى الله عليه وسلم المدينة من تبوك في رمضان وقدم عليه في ذلك الشهر وفدٌ ثقيف .

وكان من حديثهم أن رسول الله صلى الله عليه وسلم لما بعثهم اتبع أثره عروة بن مسعود حتى أدركه قبل أن يصل إلى المدينة ، فأسلم وسأله أن يرجع إلى قومه بالإسلام ، فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم كما يتحدث قومه : إنهم قاتلوك . وعرف رسول الله صلى الله عليه وسلم أن فيهم نخوة الامتناع الذي كان منهم . فقال عروة : يا رسول الله أنا أحب إليهم من أبقارهم . ويقال : من أبقارهم . وكان فيهم كذلك محبة مطاعاً .

فخرج يدعو قومه إلى الإسلام رجاء ألا يخالفوه لمرلته بينهم ، فلما أشرف لهم على غلبة له وقد دعاهم إلى الإسلام وأظهروا لهم دينه رموه بالثقل من آل وجه فأصابه سهم فقتله ، فقيل له : ما ترى في ذلك ؟ قال : كرامة أكرمني الله بها وشهادة ساقها الله إلى فليس في إلا ما في للشهداء الذين قتلوا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم قبل أن يرتحل عنكم فادفنوني معهم . فزعموا أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : « إن مثله في قومه أكمل صاحب يمين في قومه » .

ثم أقامت ثقيف بعد قتل عروة شهراً ، ثم إنهم انقموا بينهم وراوا أنهم لا طاقة لهم بحرب من حولهم من العرب ، وقد بايعوا وأسلموا ، فشى عمرو ابن أمية أخو بني عِلاج . وكان من أذى العرب إلى عبد ياليل بن عمرو

حتى دخل داره وكان قبلُ مهاجراً له الذي بينهما سيي^(١) ثم أرسل إليه ،
أن عمرو بن أمية يقول لك : اخرج إلى . فقال عبد البليل للرسول : وبك
أعمرؤ أرسلك إلى ؟ قال : نعم وها هو ذا واقفاً في دارك . قال : إن هذا
أشيء ما كنت أظنه ، أعمرو كان أمتع في نفسه من ذلك . فخرج إليه فلما
رآه رحّب به فقال له عمرو : إنه قد نزل بنا ما ليس معه هجرة ، إنه قد
كان من أمر هذا الرجل ما قد رأيت ، وقد أسلمت العرب كلها ، وليست
إسكم بحريهم طاقة فانظروا في أمركم .

فعمد ذلك انقمرت تقيف بينها وقال بعضهم لبعض : ألا ترون أنه
لا يآمن إسكم سرب ولا يخرج عنكم أحد إلا اقتطع ؟ فاثقروا بينهم وأجمعوا
أن يرسلوا إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم كما أرسلوا عروة . فكلّموا
عبد البليل وكان سنّ عروة ، وعرضوا عليه ذلك فأبى أن يفعل وخشى أن يصنع
به إذا رجع كما صنع بعروة فقال : است فاعلا حتى ترسلوا معي رجالا .
فأجمعوا أن يبعثوا معه رجلين من الأحلاف وثلاثة من بني مالك فيسكنوا
سنة ، فبعثوا مع عبد البليل الحكم بن عمرو بن وهب بن مُعْتَب ، وشرحبيل
ابن غيّلان بن سلمة بن مُعْتَب . ومن بني مالك : عثمان بن أبي العاص وأوس
ابن عوف ونُسَيْر بن خَرْشَة .

فخرج بهم عبدُ البليل وهو نابُ القوم^(٢) وصاحب أمرهم ، ولم يخرج
بهم إلا خشيةً من مثل ما صنع بعروة بن مسعود لكي يشغل كلَّ رجل منهم

(١) في شرح المواهب : شيء كان بينهما .

(٢) ناب القوم : كبيرهم والمدافع عنهم .

إذا رجعوا إلى الطائف رهطه ، فلما دنا من المدينة ونزلوا قناة^(١) ألّفوا بها
الغيرة بن شُعْبَةَ يرعى في نَوْبَتِهِ رِكَّابَ أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم
وكانت رِعْيَتُهَا نَوْبًا عليهم ، فلما رآهم ترك الركاب عند الثَّقَفِيِّينَ وَضَبِرَ^(٢)
بِشْتَدِّ يَشْرِرِ رسول الله صلى الله عليه وسلم بقدمهم ، فاقبه أبو بكر الصديق
قبل أن يدخل على رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فأخبره بقدمهم يريدون
للبيعة والإسلام وأن يشترطوا شروطاً ويكتبوا من رسول الله صلى الله عليه
وسلم كتاباً . فقال أبو بكر رضي الله عنه الغيرة : أقسمت عليك بالله لا تسبقني
إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى أكون أنا أحدثه . ففعل الغيرة .
فدخل أبو بكر على رسول الله صلى الله عليه وسلم فأخبره بذلك ثم خرج
الغيرة إلى أصحابه فروّج الظاهر معهم وعلمهم كيف يجيئون رسول الله صلى الله
عليه وسلم ، فلم يفعلوا إلا بتحية الجاهلية .

ولما قدموا على رسول الله صلى الله عليه وسلم ضرب عليهم قبة في ناحية
مسجده كما يزعمون ، فسكان خالد بن سعيد هو الذي يمشى بينهم وبين
رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى اكتفبوا كتبهم ، كتبه خالد بيده
وكانوا لا يَطْعَمُونَ طعاماً بأنبيهم من رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى يأكل
منه خالد حتى أسلموا وفرغوا من كتبهم .

وقد كان فيما سألو رسول الله صلى الله عليه وسلم أن يدع لهم الطاغية
وهي اللات لا يهدمها ثلاث سنين فأبى ذلك عليهم ، فاحرقوا بسألونه

(١) قناة : واد بالمدينة ، وهو أحد أوديتها الثلاثة ، عليه حرت ومال ، وقد يقال :

وادي قناة . معجم البلدان .

(٢) ضبر : أسرح . يقال : ضبر الفرس إذا هدا ، أو جمع قوائمه وولب .

سنة سنة وبأبى حتى سألوه شهراً واحداً بعد مقدمهم فأبى عليهم أن يدعها شيئاً مسمى ، وإنما يريدون بذلك فيما يظهرون أن يسألوا بتركها من سفهائهم ونسأهم وذراريهم وبكرهون أن يرؤعوا قومهم بهدمها حتى يدخلهم الإسلام ، فأبى عليهم رسول الله صلى الله عليه وسلم إلا أن يبعث أبا سفيان بن حرب والمغيرة بن شعبة فيهدماها . وقد كانوا سألوه مع ترك الطاغية أن يُغفبهم من الصلاة وأن لا يكسروا أوثانهم بأيديهم فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « أما كسر أوثانكم فضعفكم منه ، وأما الصلاة فلا خير في دين لا صلاة فيه ^(١) » .

فلما أسلموا وكتب لهم رسول الله صلى الله عليه وسلم كتاباً أمر عليهم عثمان بن أبي العاص وكان من أخذتهم سباً فقال أبو بكر لرسول الله صلى الله عليه وسلم : يا رسول الله إني قد رأيت هذا الغلام من أحرصهم على التفتة في الإسلام وتعلم القرآن . فحدث عثمان بن العاص قال : كان من آخر ما عهد إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم حين بعثني على ثقيف أن قال : « يا عثمان تجاوز في صلاتك واقدر للناس بأضعفهم فإن فيهم الكبير والصغير والضعيف وذا الحاجة » .

فلما فرغوا من أمرهم وتوجهوا راجعين إلى بلادهم بعث رسول الله صلى الله عليه وسلم معهم أبا سفيان بن حرب والمغيرة بن شعبة في هدم الطاغية ، فخرجوا مع القوم حتى إذا قدموا الطائف أراد المغيرة أن يقدم أبا سفيان ،

(١) زاد ابن هشام والطبري : فقالوا : يا محمد أما هذه فسنؤتيكها وإن كانت دناءة .

فأبى ذلك عليه أبو سفيان وقال : ادخل أنت على قومك . وأقام أبو سفيان
بما له بذى الهمد^(١) ، فلما دخل علاها بفريها بالمحول وقام دونه قومه بذو
مُعَقَّب خشية أن يُرْمَى أو يصاب كما أصيب عروة ، وخروج نساء ثقيف حُسُرا
يبيكين عليها ويقلن :

اُتَيْسَكَيْنِ دُقَاعِ اسْلَمَا الرَضَاع^(٢)
لَمْ يُحْسِدُوا الصَّاع^(٣)

فلما هدمها المغيرة وأخذ مالها وحايها أرسل إلى أبي سفيان وحايها
المجموع^(٤) [وما لها من الذهب والجزع^(٥)].

وقد كان أبو مليح ابن عروة وقارب بن الأسود قديما على رسول
الله صلى الله عليه وسلم قبل وقد ثقيف حين قُتل عروة يريدان فرث ثقيف
وأن لا يُجَامِعَا على شيء أبدا . فأسلما فقال لهما رسول الله صلى الله عليه وسلم
توليا من شئنا فقالا : نتولى الله ورسوله فقال رسول الله صلى الله
عليه وسلم : وخالكما أبا سفيان بن حرب . فقالا : وخالنا أبا سفيان . فلما
أسلم أهل الطائف ووحى رسول الله صلى الله عليه وسلم أما سفيان والمغيرة
إلى هدم الطاغية سأل أبو مليح رسول الله صلى الله عليه وسلم أن يقص

(١) كذا في الأصل . وافدا لابن هشام وابن كثير . وفي المتن ط أورد : بذى الحرم .
والهمد : ماء وراه وادى القري . تأ . و . معجم اللغات .
(٢) السرى : ألا انكسر . وفي ابن كثير : انكسر : والدعج : الدعج : السليم يدغم
به مثله . وصحوا بذلك لظنهم أنها هدم عنهم . والرماع : اللائم .
(٣) الصاع : الضرب .
(٤) من الطبرى وابن هشام .
(٥) الجرع : الخرز . يابى الصدى له سواد ويابس .

عن أبيه عروة دينا كان عليه من مال الطاغية . فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : نعم . فقال له قارب بن الأسود : وعن الأسود يارسول الله فاقضه . وعروة والأسود أخوان لأب وأم . فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « إن الأسود مات مشركا » . فقال قارب : يارسول الله لكن تعيل مسلما ذا قرابة . يعنى نفسه . إنما الدين على وإنما أنا الذى أطلب به . فأمر رسول الله صلى الله عليه وسلم أبا سفيان أن يقضى دين عروة والأسود من مال الطاغية فلما جمع المنيرة مالها ذكرَّ أبا سفيان بذلك فقضى منه عنهما .

[رواية موسى بن عقبة]

هكذا ذكر ابن إسحق إسلام أهل الطائف بمقب غزوة تبوك في رمضان من سنة تسع قبل حج أبي بكر بالناس آخر تلك السنة . وجعل ابن عقبة قدوم عروة على رسول الله صلى الله عليه وسلم ومقتله في قومه وإسلام تقيف كل ذلك بعد صدر أبي بكر عن حجة . وبين حديثه وحديث ابن إسحق بعض اختلاف ، رأيت ذكر حديث ابن عقبة وإن كان أكثره مُعاداً لأجل ذلك الاختلاف ، ثم أذكر بعده حجة أبي بكر في الموضع الذى ذكرها فيه ابن إسحق .

قال موسى بن عقبة : فلما صدر أبو بكر من حجة بالناس قدم عروة ابن مسعود النخعي على رسول الله صلى الله عليه وسلم فأسلم ثم استأذن رسول الله صلى الله عليه وسلم في الرجوع إلى قومه فقال له : إني أخاف أن يقتلوك قالى : لو وجدوني نائما ما أيقظوني . فأذن له فرجع إلى الطائف وقدمها

عشاءاً فجاءته ثقيف يسلمون عليه فدعاهم إلى الإسلام ونصّح لهم فاتهموه وأعضّوه^(١) وأسعموه من الأذى ما لم يكن بخشاء منهم فخرجوا من عنده حتى إذا أشعروا وسطع للفجر قام على غرفة في داره فأذن بالصلاة ونشّده فرماه رجل من ثقيف^(٢) بهم فقتله فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم لا يُلغى قتله : « مثل عُرْوَة مثل صاحب ياسين ، دعا قومه إلى الله ، فقتلوه » .

وأقبل بعد قتله وفد من ثقيف بضمّة عشر رجلاً هم أشراف ثقيف ، فيهم كنانة بن عبد باليل وهو رأسهم يومئذ ، وفيهم عثمان بن أبي النضر وهو أصغر القوم حتى قدموا على رسول الله صلى الله عليه وسلم المدينة يريدون الصلح حين رأوا أن قد فتحت مكة وأسلم عائمة العرب ، فقال المغيرة بن شُعبة : يا رسول الله أنزل على قومي أكرمهم بذلك فإنّ حدث الجرم فيهم^(٣) . قال : لا أملك أن تكرم قومتك ولكن تُنزّلهم حيث يسعون القرآن . فأنزلهم رسول الله صلى الله عليه وسلم في المسجد وبني لهم خياماً اسكن يسعون القرآن ويروا الناس إذا صلّوا . وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم إذا خطب لم يذّكر نفسه ، فلما سمعه وفد ثقيف قالوا : يا أمّنا أن نشهد أنه رسول الله

(١) أعضّوه : قالوا له : اعضض كذا . مما كانت العرب تسب به بعضها .

(٢) قال الواقدي : يقال له وهب بن جابر . ويقال : رماه أوس بن عوف من بني مالك وهذا أثبت عندنا . مناقب الواقدي ٣ / ٩٦١ .

(٣) قال الواقدي : وكان جرم المغيرة أنه خرج في ثلاثة عشر رجلاً من بني مالك ، فدعوا على المقولس لحيا بني مالك وجفاء وهو من الأحناف ، وكان معه رجلان القمريه ودميون ، فلما كانوا بسباق وضوا شراهما لهم فساقم المغيرة بيده ، لجل يهتف عن نفسه ويخرج إلى مالك حتى ثملوا وناموا ، فلما ناموا وب إليهم فقتلهم . مناقب الواقدي ٣ / ٩٦٤ .

ولا يشهد به في خطبته ١ فلما بلغه قولهم قال : فإني أول من يشهد أني رسول الله .

وكانوا يقدون على رسول الله كل يوم ويختلفون عثمان بن أبي العاص على رحلهم لأنه أصغرهم ، فسكر عثمان كما رجع الوفد إليه وقالوا بالمهاجرة عهد إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم فسأله عن الدين واستقرأ القرآن ، فاختلف إليه عثمان مراراً حتى فقه في الدين وعلم . وكان إذا وجد رسول الله صلى الله عليه وسلم نائماً عمد إلى أبي بكر ، وكان يكنم ذلك من أصحابه ، فأعجب ذلك رسول الله صلى الله عليه وسلم وأحبّه .

فسكرت الوفد يختلفون إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو يدعوهم إلى الإسلام ، فقال له كنانة بن عبد اليل : هل أنت مُقاضيها حتى نرجع إلى قومنا ثم نرجع إليك ؟ فقال : « نعم إن أنتم أقررتم بالإسلام قاضيتكم وإلا فلا قضية ولا صلح بيني وبينكم » . قالوا : أرأيت الزنا ؟ فإننا قومٌ نغترب ولا بد لنا منه . قال : هو عليكم حرام إن الله يقول : « ولا تقربوا الزنا إنه كان فاحشة وساء سبيلاً ^(١) » .

قالوا : فالربا ؟ قال : والربا . قالوا : إنه أموالنا كلها . قال : فلكم ردوس أموالكم ، قال الله : « يا أيها الذين آمنوا اتقوا الله وذروا ما بقى من الربا إن كنتم مؤمنين ^(٢) » قالوا فالخمر ؟ فإنها عصير أرضنا ولا بد لنا منها . قال إن الله قد حرمها قال الله : « يا أيها الذين آمنوا إنما الخمرُ والميسرُ والأنصابُ والأزلامُ

(١) سورة الإسراء ٣٢ .

(٢) سورة البقرة ٢٧٨ .

رِجْسٌ مِّنْ عَمَلِ الشَّيْطَانِ فَاجْتَنِبُوهُ لَعَلَّكُمْ تَفْلَحُونَ^(١) .

فارتفع القوم نخلا بعضهم إلى بعض وقالوا : وبمحكم إنا نخاف إن خالفناه يوماً كيوم مكة ، انطلقوا فأعطوه ماسأل وأجيبوه . فأتوا رسول الله صلى الله عليه وسلم فقالوا : لك ماسأت . أرايت الربة ماذا نصنع فيها ؟ قال : اهدموها قالوا : هيهات لو تعلم الربة أنا نريد هدمها اقتلت أهلنا . فقال عمر : وبمحك يا بن عبد ياليل ما أحقك إنا الربة حجرة قال : إنا لم نأتك يا بن الخطاب . ثم قال : يا رسول الله نول أنت هدمها فأما نحن فلن نهدمها أبداً . قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : فسأبعث إليكم من يكفيكم هدمها . قال كدانة ائذن إذا قبل رسولاك ثم ابعث في آثارنا ، فإني أعلم بقومي . فأذن لهم رسول الله صلى الله عليه وسلم وأكرمهم وحملهم . قالوا : يا رسول الله أمر علينا رجلاً يؤمنا . فأمر عليهم عثمان بن أبي العاص لما رأى من حرصه على الإسلام وقد كان علم سؤراً من القرآن قبل أن يخرج .

وقال كدانة لأصحابه : أنا أعلمكم بتقريف فاكتموم إسلامكم وخوفهم الحرب والمقاتل وأخبرهم أن محمداً سألنا أموراً أيقناها عليه ، سألنا أن نهدم اللات ونبطل أموالنا في الربا ونحرّم الخمر .

حتى إذا دنوا من الطائف خرجت إليهم ثقيف يتلقونهم ، فلما رأوهم قد ساروا العتق^(٢) وقطروا الإبل وتغشوا ثيابهم كهيئة قوم قد حزنوا أو كذبوا قالت ثقيف بعضهم لبعض : ما جاءكم بخير . فلما دخلوا حصنهم عمدوا للآلات

(١) سورة المائدة ٩٠ .

(٢) العتق من السير : المبطل .

(٣) قطروا الإبل : أربوا بعضها إلى بعض على نسق .

فجلسوا عندها ، والللات بيتٌ كانوا يمدونه وبسترونه ويهدون له للهدى
يُضاهون به بيت الله . ثم رجع كل واحد منهم إلى أهله فجاء كل رجل حامية
من ثقيف فسألوه : ماذا جئتم به ؟ قالوا : أتينا رجلاً فظاً غليظاً يأخذ من أمره
ما شاء قد ظهر بالسيف وأدخ العرب ودان له الناس ، فعرض علينا أموراً شديداً
هَدَمَ الللات وترك الأموال في الربا إلا رهوس أموالكم وحرّم الخمر والزنا .
قالت ثقيف : والله لا نقبل هذا أبداً . قال الوفد : أصلحوا السلاح وتهيئوا
للقِتال ورُمُوا حصنكم .

فكثت ثقيف بذلك يومين أو ثلاثة تريد للقتال ثم ألقى الله الرعب في
قلوبهم وقالوا : والله ما لنا به طاقة أدخ العرب كلها فارجموا إليه فأعطوه ماسأل
وصالحوه عليه . فلما رأى الوفد أنهم قد رُعبوا واختاروا الأمن على الخوف وعلى
الحرب ، قالوا لهم : إنا قد فرغنا من ذلك ، قد قاضينا وأسلمنا وأعطانا
ما أحببنا واشترطنا ما أردنا وجدناه اتقى الناس وأوفاهم وأرحمهم وأصدقهم
وقد بورك لنا ولكم في مسيرنا إليه وفيما قاضينا عليه . فقالت ثقيف : فلم
كتمتمونا هذا الحديث وغتمتمونا بذلك أشدّ الغم ؟ قالوا : أردنا أن ينزع الله
من قلوبكم نخوة الشيطان ، فأسلموا مكانهم واستسلموا .

فكثوا أياماً ثم قدم عليهم رُسُل رسول الله صلى الله عليه وسلم قد أمر
عليهم خالد بن الوليد وفيهم المغيرة بن شعبة ، فلما قدموا عليهم عمدوا إلى الللات
ليهدموها وانكفأت ثقيف كلها الرجال والنساء والصبيان حتى خرج العواتق
من الحِجَال وهم لا يرون أنها تُهدم ويظنون أنها ستمتع . فقام المغيرة بن شعبة
وقال لأصحابه : لا نضركم من ثقيف فأخذ الكرز^(١) ففصر به ثم أخذ

(١) الكرز : العول .

برتكض فارتجأ أهل اللطائف بصبيحة واحدة وقالوا : أبعد الله المنيعة قد قتلتها
 للربدة وفرحوا حين رأوه ساقطاً وقالوا : من شاء منكم فليقترب ويجهد على هدمها
 فوالله لا تستطاع أبداً . فوثب المنيعة فقال : قبحكم الله يامعشر ثقيف إنما
 هي السكاع حجارة ومدراة ثم ضرب الباب فكسره ثم علا على سورها وعلا
 للرجال معه ، فزالوا يهدمونها حجراً حجراً حتى سووها بالأرض وجعل
 صاحب المفاتيح يقول : ايضضين الأساس فليضضن بهم . فلما سمع ذلك المنيعة
 قال لخالد : دعني أحفر أساسها . فحفروها حتى أخرجوا ترابها وأخذوا حليها
 وثيابها . فهبت ثقيف .

وانصرف الوفد إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم بحاليتها وكسوتها فقصه
 رسول الله صلى الله عليه وسلم من يومه وحمد الله على نصر نبيه وإعزاز دينه .

ذكر حج أبي بكر الصديق

رضي الله عنه بالناس سنة تسع وتوجيه رسول الله صلى الله عليه وسلم
على بن أبي طالب بعده بسورة براءة

وبعث رسول الله صلى الله عليه وسلم أبا بكر أميرا على الحج من
سنة تسع ليقيم للمسلمين حجهم ، ونزلت بعد بعثه إياه « براءة » في نقض
ما بين رسول الله صلى الله عليه وسلم وبين المشركين من العهد الذي كانوا
عليه فيما بينهم : أن لا يُعَصَّدَ عن البيت أحدٌ جاءه ولا يخاف على
أحد في الشهر الحرام ، وكان ذلك عهداً عاماً بينه وبين أهل الشرك ،
وكان بين ذلك عهدٌ خصائص بينه وبين قبائل العرب إلى آجال مُسمّاة
فنزلت فيه وفيمن تخلف من المنافقين عن تبوك وفي قول من قال منهم
فكشف الله سرائر قوم كانوا يَسْتَخْفُونَ بغير ما يُظهرون .

فتميل لرسول الله صلى الله عليه وسلم : لو بعثت إلى أبي بكر ؟ فقال :
لا يؤدى عني إلا رجل من أهل بيتي . ثم دعا علي بن أبي طالب فقال :
« اخرج بهذه القصة من صدر براءة وأذن في الناس يوم النحر إذا اجتمعوا
بعضي : أنه لا يدخل الجنة كافر ولا يهيج بعد العام مُشرك ولا يطوف
بالبيت عريان ، ومن كان له عند رسول الله صلى الله عليه وسلم عهدٌ فهو
إلى مدته » .

نخرج على ناقة رسول الله صلى الله عليه وسلم للتعباء حتى أدرك

أبا بكر الصديق بالطريق ، فلما رآه أبو بكر قال : أمير أم مأمور ؟ قال : بل مأمور . ومضى .

فأقام أبو بكر للناس الحج ، والعرب في تلك السنة على منازلهم من الحج التي كانوا عليها في الجاهلية ، حتى إذا كان يوم النحر قام علي بن أبي طالب فأذن في الناس بالذي أمر به رسول الله صلى الله عليه وسلم وأجل للناس أربعة أشهر من يوم أذن فيهم ليرجع كل إلى قومه إلى ثمنهم وبلادهم ، ثم لا عهد لمشرك ولا ذمة إلا أحد كذا له عند رسول الله صلى الله عليه وسلم عهد إلى مدة فهو له إلى مدته .

فلم يعجج بعد ذلك للعام لمشرك ولم يطف بالبيت عريان ، وكانت براءة تسمى في زمان رسول الله صلى الله عليه وسلم « البراءة » لا تكشف من سراير الناس .

| عدد غزوات الرسول |

وكانت تبوك آخر غزوة غزاها رسول الله صلى الله عليه وسلم .

وكان جميع ما غزا رسول الله صلى الله عليه وسلم بنفسه سبعا وعشرين غزاة : (١) غزوة ودان وهي غزوة الأنواء ، ثم غزوة بواط من ناحية رضوى ،

(١) قال الطبري : وكانت غزواته (س) بنفسه سبعا وعشرين غزوة .

ويقول بعضهم : من سبع وعشرون غزوة ، من قال سبعا وعشرين جعل غزوة النهي صلى الله عليه وسلم وغزوة من خيبر إلى وادي القرى غزوة واحدة . . ومن قال من سبع وعشرين غزوة جعل غزوة بدر غزوة وعزوة وادي القرى غزوة أخرى . . تاريخ الطبري ١٧٥٦ (ط أوربا) .

ثم غزوة العشيرة من بطن ينبع ثم غزوة بدر [الأولى ^(١)] يطلب كُرُز ابن جابر ، ثم غزوة بدر التي قتل الله فيها صناديد قريش ، ثم غزوة بني سليم حين بلغ الكدُر ، ثم غزوة السويق يطلب أبا سفيان بن حرب ، ثم غزوة غطفان [إلى نجد ^(٢)] وهي غزوة ذي أمر ، ثم غزوة بخران متعدين بالحجاز ، ثم غزوة أحد ، ثم غزوة حمراء الأسد ، ثم غزوة بني النضير ، ثم غزوة ذات الرقاع من نخل ، ثم غزوة بدر الآخرة ^(٣) ، ثم غزوة دومة الجندل ، ثم غزوة الخندق ، ثم غزوة بني قريظة ، ثم غزوة بني إحيان من هذيل ، ثم غزوة ذي قرد ، ثم غزوة بني المصطلق من خزاعة ، ثم غزوة الحديبية لا يريد قتالا فصدّه المشركون ، ثم غزوة خيبر ، ثم عمرة القضاء ^(٤) ، ثم غزوة الفتح ، ثم غزوة حنين ، ثم غزوة الطائف ، ثم غزوة تبوك .

قاتل صلى الله عليه وسلم في تسع غزوات منها : بدر ، وأحد ، والخندق ، وقريظة ، وبني المصطلق وخيبر ، والفتح ، وحنين ، والطائف . وهذا الترتيب عن ابن إسحق ، وخالفه ابن عتبة في بعضه .

[سرايا رسول الله]

وكانت بعوث رسول الله صلى الله عليه وسلم وسراياه ثمانية وثلاثين

(١) من الطبري .

(٢) من الطبري .

(٣) الطبري : الأخرى .

(٤) الطبري : ثم اعتمر عمرة القضاء .

من بين بَعَثَ وسَرِيَّة : غزوة عبيدة بن الحارث أسفل ثنية المرأة ، وغزوة حمزة بن عبد المطلب ساحل البحر من ناحية الميصر ، وبعض الناس يقدم غزوة حمزة قبل غزوة عبيدة . وغزوة سعد بن أبي وقاص للخزرج ، وغزوة عبد الله بن جعش نخلة ، وغزوة زيد بن حارثة القرظة ، وغزوة محمد بن مسلمة كعب بن الأشرف ، وغزوة مرثد بن أبي مرثد الغنوي الرجيع ، وغزوة المنذر بن عمرو بدر ممونة ، وغزوة أبي عبيدة بن الجراح ذا القعدة ، من طريق العراق ، وغزوة عمر بن الخطاب ثربة من أرض بني عامر ، وغزوة علي بن أبي طالب اليمن .

[غزوة غالب بن عبد الله إلى السكديد]

وغزوة غالب بن عبد الله السكدي كلب ايث ، السكديد . فأصاب بني الملوح وكان من حديثها أن رسول الله صلى الله عليه وسلم بعثه في سرية وأمره أن يشن الغارة على بني الملوح وهم بالسكديد . قال جندب بن مسكين الجعفي ، وكان مع غالب في سرية هذه : فخرجنا حتى إذا كنا بفدبد أقيما الحارث بن مالك وهو ابن العيص الأبي فأنذناه فقال : إني جئت أريد الإسلام وما خرجت إلا إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم . فقالنا له : إن تلك مسلما فإن يضرك رباط أيلة ، وإن نك على غير ذلك كما قد استوتقنا منك فشد ذنابه رباطا ثم خلفنا عليه رجلاً من أصحابنا وقالنا له : إن هازك^(١) فاحترز رأسه .

قال : ثم سرنا حتى أتينا السكديد عند غروب الشمس فكلمتنا في ناحية الوادي وبهني أصحابي ربيعة لهم ، فخرجت حتى آتينا مشرفاً على

(١) هازك : غالبك .

الحاضر فأشدت فيه فعلوت في رأسه فنظرت إلى الحاضر فوالله إنى لمبطح على التل إذ خرج رجل منهم من خبائه فقال لاسرائه : إنى لأرى على التل سواداً مارأيت في أول يومى فانظري إلى أوعيتك هل تفقدين شيئاً لانكون الكلاب جررت بعضها . فنظرت فقالت : والله ما أفقد شيئاً . قال : فناوليني قوسى وسهمين . فناولته فأرسل سهماً فوالله ما أخطأ جبهى^(١) فأنزعه وأضعه وثبت مكانى . ثم أرسل الآخر فوضعه في مكبى فأنزعه وأضعه وثبت مكانى . فقال لاسرائه : لو كان ريثة نحر^(٢) لقد خالطه سهمى ، لأبالك إذا أصبحت فابتغيهما^(٣) فخذيهما لا يعضفهما الكلاب . ثم دخل .

وأمرلناهم حتى إذا اطمأنوا وناموا وكان في وجه السحر شذباً عليهم الفارة فقتلنا واستقمنا للدم وخرج صريح للقوم ، فجاءنا دهم^(٤) لأقبل لنا به ومضينا بالدم ، ومررنا بابن البرصاء وصاحبه فاحتملناهما معنا . وأدركنا للقوم حتى قربوا منا فما بيننا وبينهم إلا وادى قذبد فأرسل الله الوادى بالسيل من حيث شاء الله تبارك وتعالى من غير سحابة نراها ولا مطر فجاء بشيء ليس لأحد به قوة ولا يقدر على أن يجاوزه ، فوقفوا ينظرون إلينا وإنا لنسوق نهمهم وما يستطيع منهم رجل أن يميز إلينا حتى قُتْناهم . فقدمنا بها على رسول الله صلى الله عليه وسلم .

(١) ابن سعد : ما أخطأ بين عيني .

(٢) ابن هشام : لو كان ريثة لقوم لقد نحر .

(٣) ابن سعد : فانظريهما .

(٤) الدم : الجماعة الكثيرة .

وغزوة على بن أبي طالب بنى عبد الله بن سعد من أهل فُذَك ، وغزوة أبي^(١) العوجاء للشلى أرض بنى سليم فأصيب بها هو وأصحابه جميعاً . وغزوة عكاشة بن محصن الغنمرة ، وغزوة أبي سلة بن عبد الأسد قطناً ماء من مياه بنى أسد من ناحية نجد قُتِل فيها مسعود بن عروة ، وغزوة محمد بن مسلمة القرطام من هوازن ، وغزوة بشر بن سعد بنى مُرة بفُذَك ، وغزوته أيضاً بناحية خير ، وغزوة زيد بن حارثة الجوم من أرض بنى سليم . وغزوته أيضاً جذام من أرض خشين ويقال من أرض جشمى .

وكان من حديثها كما حدث رجل من جذام كانوا علماء بها أن رفاعه بن زيد الجذامى لما قدِم على قومه من عند رسول الله صلى الله عليه وسلم بكتابه يدعوهم إلى الإسلام فاستجابوا له لم يابث أن قدم دخية بن حليفة السلمى من عند قيصر صاحب الروم حين بعثه رسول الله صلى الله عليه وسلم ومعه تحارة له ، حتى إذا كان بوادٍ من أوديتهم^(٢) أغار عليه المنيد وابنه^(٣) الصلبي بطن منهم وابنه غوص ، فأصابا كل شيء كان معه ، فبان ذلك قوماً من بنى العُشْبِيْب رهاب رفاعه من أن أسلم وأجاب ، فنفروا إلى المنيد وابنه واستساقدا ما كان في أيديهما من دونه على دخية ، فخرج دخية حتى قدم على رسول الله صلى الله عليه وسلم فأخبره خبره واستساقده دم المنيد وابنه ، فبعث رسول الله صلى الله عليه وسلم زيد بن حارثة وبعث معه حبشاً فثاروا فجمعوا ما وجدوا من مال أو أسلح وقتلوا المنيد وابنه وزحلين معهم ، فلما سمعت بذلك بدو

(١) الضبى : ابن أبى العوجاء

(٢) يقال له شدار . ط ١ ، ابن هشام .

(٣) ابن سعد : المنيد بن عارس وابنه عارس بن المنيد .

للضَّبَّيْب ركب نفر منهم فيهم حسان بن مَلَّة فلما وقفوا على زيد بن حارثة قال
حسان : إنا قومٌ مسلمون فقال له زيد : فاقرا أم الكتاب . فقرأها حسان . فقال
زيد بن حارثة : نادوا في الجيش : إن الله قد حرم علينا ثُفرة القوم التي جاءوا
منها إلا من خَتَرَ^(١) . وإذا أخت حسان في الأسارى فقال له زيد : خذها .
فقال أم الفزr الضليمة : أنطالقون بيناتكم وتذرون أمهاتكم ؟ فقال أحد
بنى الضَّبَّيْب : إنها بنو الضَّبَّيْب وسحر ألسنتهم سائر اليوم فسمعها بعض
الجيش فأخبر بها زيدا فأمر بأخت حسان وقد كانت أخذت بحَقْوَى أخيها
فَقُكَّت يداها من حقويه وقال لها : اجلسي مع بنات عمك حتى يحكم الله
فيكُن حكمه .

فرجعوا ونهى الجيش أن يهبطوا إلى واديهم الذي جاءوا منه فأمسوا في
أهليهم ، فلما شربوا عثمتهم^(٢) ركبوا إلى رفاعة بن زيد فصَبَّحوه فقال له حسان
ابن مَلَّة : إنك لجالس تحلب المعزى ونساء جُذام أسارى قد غرَّها كتابك
الذي جئت به ا فدا رفاعة يُحمل له فُشْدٌ عليه رحله وهو يقول :

• هل أنت حَيٌّ أو نقادى حَيًّا •

ثم غدا وهم معه مبكرين فساروا إلى جوف المدينة ثلاث ليال ، فلما دخلوا
على رسول الله صلى الله عليه وسلم ورآهم ألح إليهم بيده أن تعالوا . من وراء
الناس ، فلما استفتح رفاعة بن زيد المنطق قال رجل من الناس : يا رسول الله

(١) ثُفرة القوم : ناحيتهم التي يحمونها .

وختر : نقض العهد (عن شرح السيرة لأبي ذر الحثني ص ٤١٥)

(٢) أى شربوا لبنهم الذي انتظروه إلى ذلك الوقت . وأصل الاستحمام التأخير . قال
أبو ذر : ومن رواء : « عيبتهم » فيعني اللبن الذي أزال عنهم شوق اللبن .

إن هؤلاء اللداس قومٌ سَخَرَة . فَرَدَّدها مرتين . فقال رفاعه : رحم الله من لم يَحْذَنَا^(١) في يومها هذا إلا خيراً .

ثم دفع رفاعه إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم كتابه الذي كان كتب له ، فقال : دونك يا رسول الله قديماً كتابه حديثاً غُدْرَه . فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : اقرأ يا غلام وأعلن . فلما قرأ كتابه استجبرهم فأخبره فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : كيف أصبح بالقتلى ؟ ثلاث مرات فقال رفاعه : أنت أعلم يا رسول الله لا نحرّم عليك حلالاً ولا نحلّ لك حراماً . فقال أبو زيد ابن عمرو أحد من قدم مع رفاعه : أطلقنا يا رسول الله من دن حَيًّا ومن قُتِلَ فهو تحت قدمي هده . فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم . صدق أبو زيد أرباب مهمم يا عليّ . فقال له عليّ : يا رسول الله إن زيدا ابن بطيهمي . قال : فخذ سيفي هذا . فأعطاه سيفه .

نفر جوا فإذا رسولٌ زبدي بن حارثة على ناقه من إبلهم وأنزلوه عنهما فقال : يا علي ما شأنى ؟ فقال : ما لهم عرفوه فأخذوه . ثم ساروا فلقوا الجيش فأخذوا ما بأيديهم حتى كانوا يلتزمون أئبيد المرأة من تحت الرُّسُل .

• • •

وغزوة زيد بن حارثة أيضاً للطرف من ناحية نخل من طريق العراق ، وغزوته أيضاً وادى القرى التي فيه نى فزارة فأصيب بها ناس من أصحابه وارتث^(٢) زيد من بين القتلى فلما قدم زيد آلى أن لا يمس رأسه غسل من

(١) لم يحذنا : لم يعلنا ولم ينفنا .

(٢) ارتث : نعا .

جهاة حتى يغزو بني فزارة ، فلما استقبل من جراحه بعثه رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى بني فزارة في جيش فقتلهم بوادي القرى وأصاب فيهم .
[غزوة عبد الله بن رواحة إلى خيبر]

وغزوة عبد الله بن رواحة خيبر مرتين ، إحداهما التي أصاب فيها لليسير ابن رزام ويقال ابن رازم ، وكان من حديثه أنه كان بخيبر يجمع غطفان لغزو رسول الله صلى الله عليه وسلم فبعث إليه رسول الله صلى الله عليه وسلم عبد الله بن رواحة في نفر من أصحابه منهم عبد الله بن أنيس حليف بني سلمة ، فلما قدموا عليه كلموه وقرّبوا إليه وقالوا له : إلك إن قدمت على رسول الله صلى الله عليه وسلم استعملك وأكرمك . فلم يزالوا به حتى خرج معهم في نفر من يهود ، فحمله عبد الله بن أنيس على بعيره ، حتى إذا كان بالقرقرة من خيبر على ستة أميال ندم الليسير على مسيره إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم ، ففطن له عبد الله بن أنيس وهو يريد للسيير فاقبض به ثم ضربه بالسيف فقطع رجله وضربه الليسير بمنخرش في يده من شَوْحط فأَمَهُ^(١) ومال كل رجل من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم على صاحبه من يهود فقتله إلا رجلاً واحداً أفلت على رجله^(٢) . فلما قدم عبد الله بن أنيس على رسول الله صلى الله عليه وسلم نقل على شجته فلم تقح ولم تؤذه .

وغزوة عبد الله بن عتيك خيبر فأصاب بها أبا رافع بن أبي الحقيق .
[غزوة عبد الله بن أنيس إلى خالد بن سفيان]

وغزوة عبد الله بن أنيس خالد بن سفيان بن نُبَيْح بعثه رسول الله صلى الله عليه وسلم إليه وهو بنخله أو بمرنة يجمع لرسول الله صلى الله عليه وسلم

(١) المهرش : المهجن . والشوخط : شجر تتخذ منه القسي أو ضرب من النج .
وأمه : أسابه في رأسه . وفي الطبري : فأمه في رأسه .
(٢) الطبري : أفلت على راحلته .

فقال : إنه بلغني أن ابن سُفْيَانَ بنِ بَيْيَحٍ الأَهْدَلِيَّ يجمع لي الناس ليفزوني وهو بخله أو بقرته فأنته فاقله . فقلت : يا رسول الله أمتي لي حتى أعرفه . قال : إنك إذا رأيته أدركك الشيطان وأية ما بينك وبينه إنك إذا رأيته وجدت له قسمة ريرة . قال : فخرجت متوشحاً سيفي حتى دفعت إليه وهو في ظُلمن^(١) يرتاد لمن مدلاً وكان وقت العصر ، فلما رأيته وجدت ما قال لي رسول الله صلى الله عليه وسلم من القسمة ريرة فقبّلت وحشيت أن تسكون بيني وبينه فبجولة شملني عن الصلاة فصليت وأنا أمشي نحوه وأومئ برأسي . فلما انتهيت إليه قال : من الرجل ؟ قلت : حل من العرب سمع بك ويحتملك لهذا الرجل لخدمك لذلك . قال : أجل أنا في ذلك . قال : فشيت معه شيئاً حتى إذا أمكنني حملت عليه بالسيف فقتلته ، ثم خرجت وتركت ظمائه ففسيكات عليه . فلما قدّمت على رسول الله صلى الله عليه وسلم فرآني قال : أدايح الوجه أقلت : قد قتلت به رسول الله . قال : صدقت . ثم قام لي فأدخلني بيته فأعطاني عصا فقال : أمسك هذه العصا عندك يا عبد الله بن أنيس . قال : فخرجت بها على الناس وقالوا : ما هذه العصا ؟ قلت : أعطانيها رسول الله صلى الله عليه وسلم وأمرني أن أمسكها عهدي قالوا : أفلا ترجع إليه تسأله لم ذلك ؟ فخرجت فقلت : يا رسول الله لم أعطيني هذه العصا ؟ قال : أبة بني ويدك يوم القيامة إن أول الناس بالنعمة من^(٢) يومئذ . فمسها عبد الله بن أنيس بسيفه فلم يزل معه حتى مات ثم أمر بها فصليت في

(١) الظلم : الغش

(٢) النعمون : القوم ، يعطون النعم ، وهي المعنى

وقال عبد الله في ذلك :

تركتُ ابن ثور كالحوار وحوله
نوائح تفرى كل جيب مُقدِّد^(١)
تساوَلته والظنن خلنى وخلفه
بأبيض من ماء الحديد مهذِّد
عجُوم لهم الدارعين كأنه
شهابُ غصا من مُلهب متوقِّد^(٢)
أقول له والسيف يتعمم رأسه
أنا ابن أنيس فارساً غير قعدِّد^(٣)
وقلت له خذها بضربة ماجد
حليف على دين النبي محمد
وصكفت إذا همّ النبي بكافر
سبقت إليه بالأساب وباليد

* * *

ومن للبعوث أيضاً : بعث مؤنة حيث أصيب جعفر بن أبي طالب
وأصحابه ، وغزوة كعب بن عُمر الفخاري ذات أطلاق من أرض قشام
أصيب بها هو وأصحابه جميعاً ، وغزوة عُمَيْيَّة بن حصن بنى للمعتمر من تميم .

(١) الحوار : ولد الناقة . وتفرى : تشق .

(٢) عجوم : عضوض . والمهم : الرهوس . والدارعون : من يلبسون الدروع في
الحرب . والشهاب : القطعة من النار .

(٣) القعدد : الأثيم الجبان .

وكان من حديثهم أن رسول الله صلى الله عليه وسلم بعثه إليهم فأخا.
عليهم وأصاب منهم أناساً وسقى منهم أناساً . وكانت عائشة لرسول الله
صلى الله عليه وسلم : يا رسول الله إن عليّ رقية من ولد إسماعيل . قال : هذا
سقى بن العبد يقدم الآن فتمطيك منهم إنساناً فتمتعيه . فلما قدم بسببهم
ركب فيهم وفد من بني نعيم منهم ربيعة بن رقيع ، وسبرة بن عمرو والقهماع
ابن معبد ووزدان بن نجرز وقيس بن عاصم ومالك بن عمرو والأفرع
ابن حابس وفيراس بن حابس ، فكلّموا رسول الله صلى الله عليه وسلم
فيهم فأعققتهم بمضاً وأقضى بمضاً وذلك هو الذي يقول الفرزدق :

وعند رسول الله عام ابن حابس بنظرة سوار إلى الجدد حازم^(١)
له أطلق الأشرى التي في حباله معلقة أعناقها وللشكائم
كفى أمهات الخائفين^(٢) عليهم غلاء الفسادي أو سقم المقاسم .

* * *

أغزوه غالب بن عبد الله إلى بني مرة |
وعزوة غالب بن عبد الله السكابي أرض بني مرة . وفيها قتل أسامة
ابن زيد حليماً لم يقل له مرداس بن أبيك بن الحرقمة من جهينة . قال :
أدركته أنا ورجل من الأنصار ، فلما شمت عليه السلاح قال أشهد
أن لا إله إلا الله . فلم يسرع عنه حتى قتلاه .

هكدا ذكر ابن إسحق في حديثه . وخرج مسلم في صحيحه عن أسامة
ابن زيد قال : فكف عنه الأنصاري وطعنته برمحى حتى قتله ، فلما قدمنا

(١) قال أبو ذر : المعلقة . الحسلة . والسوار : الذي يرمى ويذب .

(٢) قال أبو ذر : يريد الذين يحمون أهلهم . ويروي : الخائفين .

بانح ذلك النبي صلى الله عليه وسلم فقال : يا أسامة أقتلته بعد ما قال لا إله إلا الله ؟ قلت : يا رسول الله إنما كان متعوذاً . فقال : أقتلته بعد ما قال لا إله إلا الله ؟ فما زال يكررها على حتى تمنيت أني لم أكن أسلمت قبل ذلك اليوم^(١) ، وفي بعض طرق مسلم أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لأسامة : لم تقتله ؟ قال : يا رسول الله أوجع في المسلمين وقتل فلاناً وفلاناً وفلاناً وسمي له نفراً وإني حملت عليه فلما رأى السيف قال : لا إله إلا الله . قال رسول الله صلى الله عليه وسلم أقتلته ؟ قال : نعم . قال : فكيف تصنع بلا إله إلا الله إذا جاءت يوم القيامة ؟ قال : يا رسول الله استغفرني . قال : وكيف تصنع بلا إله إلا الله إذا جاءت يوم القيامة ؟ فجعل لا يزيدني على أن يقول : كيف تصنع بلا إله إلا الله إذا جاءت يوم القيامة .

وفي حديث ابن إسحق أن أسامة قال : أنظرني يا رسول الله ، إني أعاهد الله أن لا أقتل رجلاً يقول لا إله إلا الله .

[غزوة ذات السلاسل]

وغزوة عمرو بن العاص ذات السلاسل من أرض بني عُدرة^(٢) ، وكان من حديثه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم بعث يستنصر العرب إلى الشام ، وذلك أن أم أبيه للعاص بن وائل كانت امرأة من كَلْبِ فبعثه رسول الله صلى الله عليه وسلم إليهم يستألفهم لذلك ، حتى إذا كان على ماء بأرض جُدَّام يقال له السُّلْسُل وبذلك سميت تلك الغزوة ذات

(١) صحيح مسلم كعقاب الإيمان حديث رقم ٩٧ (ط الحلي) .

(٢) قال ابن سعد : وراء وادي القرس ، وبينها وبين المدينة عشرة أيام .

السلال ، خاف فبعث إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم يستمده فبعث إليه
أبا عبيدة ابن الجراح في المهاجرين الأولين فيهم أبو بكر . وقال لأبي
عبيدة حين وجهه : لا تختلنا . فخرج أبو عبيدة حتى إذا قدم عليه قال له
عمرو : إنما جئت مدداً لي . قال أبو عبيدة : لا واسكى على ما أنا عليه
وأنت على ما أنت عليه . فقال له عمرو : بل أنت مدد لي . فقال له أبو عبيدة
وكان رجلاً ليلاً سهلاً عليه أمر الدنيا : يا عمرو إن رسول الله صلى الله عليه
وسلم قال لي لا تختلنا وإنك إن عصيتي أطعتك . قال : فإني لأمر عليك
وأنت مدد لي . قال : فدعوك . فعلى عمرو بالأناس .

وحدث رافع بن أبي رافع الطائي وهو رافع بن عميرة قال : كنت
أمرأى نصرانياً فلما أسلمت خرجت في تلك الغداة ، بمى غزوة ذات
السلال ، فقات : والله لأختارن النفس صاحباً فصصحت أبا بكر . فكنت
معه في رحله فكانت عليه عبادة له قد كنية فكان إذا نزاد بسطها وإذا
ركبنا لبسها ثم شكها^(١) عليه بحلال له وذلك الذي يقول أهل نجد حين
ارتدوا كفاراً بعد موت النبي صلى الله عليه وسلم ومباينة الناس بعده لأبي
بكر : أنحن نهابع ذا العبادة اجملوا يومئذ أن فضل السكال ليس في ظاهر
اللباء وأن الفضل بيد الله يؤتيه من يشاء .

قال رافع : ولما دنونا من المدينة قافلين قلت : يا أبا بكر إنما صصحتك
ليقتضى الله بك فاصصحنى وعلمنى . قال : لو لم تسألنى ذلك لعمرك ، أمرتك

(١) الروايتان : وإذا ركب خاها عليه . أى مع بين ملابها بحلال من مود أو حديد .
معارى الروايتان ص ٧٧٢ .

أن توحد الله لا تشرك به شيئا ، وأن تقيم الصلاة وتؤتي الزكاة وتصوم رمضان وتحج هذا البيت وتمتسل من الجنابة ولا تقامر^(١) على رجلين من المسلمين أبدا .

قال قلت : يا أبا بكر أما أنا والله فإني أرجو أن لا أشرك بالله أبدا ، وأما الصلاة فلن أتركها أبدا إن شاء الله ، وأما الزكاة فإن يكن لي مال أوذيها إن شاء الله ، وأما الحج فإن استطعت أحج إن شاء الله ، وأما الجنابة فستغتسل منها إن شاء الله ، وأما الإمارة فإني رأيت الناس يا أبا بكر لا يشرفون عند رسول الله صلى الله عليه وسلم وعند الناس إلا بها فلم تنهي عنها ؟ قال : إنما استجهدتني لأجهد لك ، وسأخبرك عن ذلك : إن الله تبارك وتعالى بعث محمدا صلى الله عليه وسلم بهذا الدين فجاهد فيه حتى دخل الناس فيه طوعا وكرها فلما دخلوا فيه كانوا عو^(٢)اد^(١) الله وجيرانه وفي ذمته ، فأياك أن تخفّر الله في جيرانه فيتبعك الله في خفركه ، فإن أحدكم يخفّر في جاره فيظل نائنا عضله^(٣) غضبا لجاره إن أصيب له شاة أو بعير ، فالله أشدّ غضبا لجاره قال : ففارقته على ذلك فلما قبض رسول الله صلى الله عليه وسلم وأمر أبو بكر على الناس قدمت عليه فقلت : يا أبا بكر ألم تسكن نهيقني عن أن أتأمر على رجلين من المسلمين ؟ قال : بلى وأنا الآن أنهارك عن ذلك . فقلت : فما حلاك على أن تلي أمر الناس ؟ قال : لا أجِد من ذلك بُدا خشيت على أمة محمد الفرقة .

(١) أي لا تطلب الإمارة .

(٢) عواد : جمع عائد ، أي استجاروا بالله من الظلم :

(٣) نائنا : مرتفعا منتفضا . والعضل : جمع عضلة وهي القطعة العديدة من اللحم

شرح السيرة لأبي ذر ص ٤٤٤)

وفي هذه الغزاة أيضا صحب عوف بن مالك الأشجعي أبابكر وعمر رضي الله عنهما قال : فررت بقوم على جزور لهم قد نهبوها وهم لا يقدرُونَ على أن يمسوها^(١) فقلت : أنعطوني منها عُشيراً على أن أقسمها ببيعتكم ؟ قالوا : نعم . فأخذت للشفرتين فحزأتها وأحسدت منها جزءاً فحملته إلى أصحابي فاطبختناه فأكلناه ، فقال أبو بكر وعمر : أتى لك هذا الإجماع بأعوف ؟ فأجبرتهما خبره فقالا : والله ما أحسنت حين أطعمتهما هذا ، ثم قاما يتقيآن ماى بطونهما من ذلك فلما قهل الناس أدت أول قدم على رسول الله صلى الله عليه وسلم فجثته وهو مصلى في بيته فقلت : السلام عليك يا رسول الله ورحمة الله وبركاته قال : أعوف بن مالك ؟ قالت نعم بأبي أنت وأمي يا رسول الله قل : اصاحب الجزور ؟ ولم يزدني رسول الله صلى الله عليه وسلم على ذلك .

| غزوة ابن أبي حذرد |

وغزوة ابن أبي حذرد وأصحابه بطن إضم ، وكانت قبل الفتح قال عبد الله بن أبي حذرد : بعث رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى إضم في أمر من المسلمين فيهم أبو قتادة ومحمم بن جثامة ، فخرجنا حتى إذا كنا ببطن إضم مررنا بدار عامر بن الأضبط الأشجعي على قومود له معه متيع له ووطب من ابن^(٢) فسلم علينا بتحيةة للإسلام فأمسكنا منه وحمل عليه بحمل بن جثامة فقتله أشي . كان بينهما واحد بميرة ومتيعه . فلما قدمنا على رسول الله

(١) يمسوها : يمسوها : قال أبو بكر : التميمية : الفصة : (شرح السيرة ص ٤٥٤)

وأخبرناه الخبر نزل فينا : « يا أيها الذين آمنوا إذا صرَبتم في سبيل الله فتبَيَّنوا ولا تقولوا لمن ألقى إليكم السلام لست مؤمناً تبتغون عرض الحياة الدنيا^(١) » . إلى آخر الآية .

وعن ضَمِيْرَة بن سعد السُّلَبي عن أبيه ، وكان شهد حُنَيْنًا قال : صلى بنا رسول الله صلى الله عليه وسلم الظهر ثم عمد إلى ظل شجرة فجلس تحتها وهو يحنن فقام إليه الأقرع بن حابس وعُيَيْنَة بن حصن يختصمان في عامر بن الأضبط يطلب بدمه ، وهو يومئذ رئيس غطفان ، والأقرع يدفع عن مُحَلِّم بن جَثَامَة لمكانه من خَيْدَف ، فتداولا المصومة عند رسول الله صلى الله عليه وسلم ونحن نسمع ، فسمعنا عِيْنَة يقول : والله لا أدعه حتى أذيق نساءه من الحَرِّ^(٢) مثل ما أذاق نساءي ، ورسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : بل تأخذون الهدية خسين في سفرنا هذا وخسين إذا رجعنا . وهو يأبى عليه ثم ذكر تكرار رسول الله صلى الله عليه وسلم قوله هذا ، فقبلوا الهدية ثم قالوا : أين صاحبكم هذا يستغفر له رسول الله صلى الله عليه وسلم . فقام رجل آدم صَرَب^(٣) طويل عليه حُلَّة له قد كان تهيأ فيها للمقتل حتى جلس بين يدي رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال له : ما اسمك ؟ فقال : أنا مُحَلِّم بن جَثَامَة فرفع رسول الله صلى الله عليه وسلم يديه ثم قال : اللهم لا تنفر لحلم بن جَثَامَة . ثلاثاً فقام يتلقى دمه بفضل رداءه قال : فأما نحن فنقول فيما بيننا إنا نرجو أن يكون رسول الله صلى الله عليه وسلم قد استغفر له وأما ما ظهر من رسول الله فهذا .

(١) سورة النساء ٩٤ . (٢) ابن هشام : من الحرقة ٣ .

(٣) الضرب : القليل الاحم .

وذكر سالم أبو القنبر أنه حدث أن عبيدة بن حصن وقبسا لم يقولوا الهدية حتى خلا بهم الأقرع بن حابس وقال : يا معشر قيس مدتهم رسول الله فتبلا يستصالح به الناس ، أقامتم أن يأمركم رسول الله فيأمنكم الله بلمنته أو أن يعصب عليكم فيعصب الله عليكم بنفسه ؟ والله الذي نفس الأقرع بيده أقسمته إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم فأيصنعن فيه ما أراد أولآء بن محمد بن رجلا من بني تميم يشهدون بالله أقتل صاحبكم كاذبا ماصلى قط ولا طأن دمه . يقولوا الهدية .

وفى حديث عن الحسن البصري قال : والله ما سمكت بحاتم بن خنثامة إلا سبما حتى مات فلفظته الأرض والذي نفس الحسن بيده ، ثم عادوا له فلفظته ، ثم عادوا له فلفظته فلأعاب قومه عمدوا إلى صدين^(١) فسلطوه بينهما ثم رضموا عليه الحجارة حتى واروه فبلغ رسول الله صلى الله عليه وسلم شأنه فقال : والله إن الأرض انطأق على من هو شر منه ، ولكن الله أراد أن يعظكم في حرث ما بينكم ، أأراكم منه .

اغزوة ابن أبي حذرر إلى النابة ا

وغازوة ابن أبي حذرر الأسلى أيضا النابة . قال : تزوجت امرأة من قومي فجئت رسول الله صلى الله عليه وسلم استخبره على نسكاحي فقال : وكم أصدقت ؟ قلت : مائتي درهم قال : سيعان الله الو لستم تأخذون الدرهم من بطن واحد منكم ، والله ما عدى ما أعيتك به . قال : فلبت أياما وأقبل رجل من بني جشم بن معاوية يقال له رفاعة بن قيس أو قيس بن رفاعة في بطن عظيم من بني جشم حتى ينزل بقومه ومن معه بالنابة يريد أن يجمع قبسا على حرب

(١) الصد : بالفتح ويضم : الجمل .

رسول الله صلى الله عليه وسلم وكان ذا اسم في جُشم وشرف ، فدعاني رسول الله صلى الله عليه وسلم ورجلين معي من المسلمين فقال: اخرجوا إلى هذا الرجل حتى تأتوا منه بخبر وعلم قال : وقدّم لنا شارفاً^(١) مجنّاء فحمل عليها أحدنا ، فوالله ما قامت به ضعفاً حتى دعمها الرجال من خلفها بأيديهم حتى استقلت وما كادت ثم قال : تبالغوا عليها واعتقبوها .

قال : فخرجنا ومعنا سلاحنا من اللّيل والسيوف حتى إذا جئنا قريباً من الحاضر عُشَيْشِيَّة^(٢) مع غروب الشمس كنت في ناحية . وأسرت صاحبي فكمتنا في ناحية أخرى من حاضر القوم وقلت لهما : إذا سمعناي قد كبرت وشدت في ناحية للمسكر فكبراً وشُدّاً معي . فوالله إنا لكذلك ننتظر غرة للقوم أو أن نصيب منهم شيئاً وقد غشينا الليل حتى ذهبت فجمة العشاء وكان لهم راع سرح في ذلك البلد فأبطلنا عليهم حتى تخوفوا عليه ، فقام صاحبهم ذلك فأخذ سيفه فجعله في عنقه ثم قال : والله لأنبعن أثر راعيها هذا ولقد أصابه شر . فقال نفر من معه : والله لا تذهب أنت نحن نكفيك . قال : والله لا يذهب إلا أنا . قالوا : فبعن منك . قال : والله لا يبعني أحد منكم . وخرج حتى مرّ بي فلما أمكنني نفخته بسهم فوضعت في فؤاده فوالله ما نكلم . ووثبت إليه فاحتزّزت رأسه وشدت في ناحية للمسكر وكبرت وشد صاحباي وكبراً فوالله ما كان إلا الانجاء من فيه ، عندك ، عندك ، بكل ماقدروا عليه من نسايتهم وأبنائهم وماخف معهم من أموالهم واستقنا إبلا عظيمة وغنا كثيراً فجئنا بها إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم وجئت برأسه معي فأعانتني رسول صلى الله عليه وسلم من تلك الإبل بثلاثة عشر بغير أني صدّاق لجمعت إلى أهلي .

(١) الشارف : الناقة المسنة . والمجنّاء : المهزولة .

(٢) عشيبة : تصغير عشة . على غير قياس .

إغزوة عبد الرحمن بن عوف إلى دومة الجندل

وإغزوة توجه فيها عبد الرحمن بن عوف . قال عطاء بن أبي رباح : سمعت رجلاً من أهل البصرة يسأل عبد الله بن عمر عن إرسال للإمامة من حلف الرجل إذا اعتم فقال عبد الله : سأخبرك إن شاء الله عن ذلك بعلم . ثم ذكر مجازاً شاهده من رسول الله صلى الله عليه وسلم^(١) أم فيه عبد الرحمن ابن عوف أن يتجهز أسيرة بمشقه عابها . قال : وأصبح وقد اعتم الإمامة من كرايس^(٢) سود فأدناه رسول الله صلى الله عليه وسلم منه ثم تقصها ثم عمه وأرسل من خلفه أربع أصابع أو نحوها من ذلك . ثم قال : هكذا يابن عوف فاعتم فإنه أخشن وأغرف . ثم أم بلالاً أن يدهم إليه اللواء ، فدفنه إليه لحمد الله وأتى عليه وصلى على ربه . ثم قال : « حده يابن عوف ، تغزوا جميعاً في سبيل الله فقاتلوا من كفر بالله لا تغلوا ولا تغدروا ولا تقتلوا ولا تغتلبوا ولا تغتلبوا ولا تغتلبوا ، فهذا عهد الله وسيرة نبيه فيكم » فأخذ عبد الرحمن بن عوف اللواء . قال ابن هشام : فخرج إلى دومة الجندل .

إسيرة أبي عبيدة إلى سيف البحر

وبعث رسول الله صلى الله عليه وسلم سرية إلى سيف البحر عليهم أبو عبيدة بن الجراح وزودهم جراباً من تمر ليجعل بقوتهم إياه حتى صار إلى أن يمد له لم يجدوا حتى كان بمطى كل رجل منهم كل يوم تمره فقسوها يوماً فنقصت تمره عن رجل فوجد فقتلها ذلك اليوم

(١) انظر تفصيل ذلك المماس (ابن هشام ٤ / ٢٨٠) (ط المجلد الأول) .

(٢) كرايس : جمع كرايس وهو الثوب من القطن الأبيض .

قال بعضهم : فلما جهدنا الجوعُ أخرج الله لنا دابة من البحر فأصبتها من لحمها وودّكها وأقنا عليها عشرين ليلة حتى سمينا وأخذ أميرنا ضلعاً من أضلاعها فوضعا على طريقه ثم أمر أجسم بعير معنا فحمل عليه أجسم رجل منا فجلس عليه فخرج من تحتها وما مسّت رأسه فلما قدمنا على رسول الله صلى الله عليه وسلم أخبرناه خبرها وسألناه عن أكلنا إياها فقال : رزق رزقكموه الله .

[بعث عمرو بن أمية إلى أبي سفيان بن حرب]

وبعث رسول الله صلى الله عليه وسلم عمرو بن أمية الضمري بعد مقتل خبيب وأصحابه إلى مكة وأمره أن يقتل أبا سفيان بن حرب وبعث معه جبار بن صخر الأنصاري ، فخرجا حتى قدما مكة وحسبا جليلهما بشعب من شعاب يأحجج^(١) ثم دخلا مكة ليلاً فقال جبار لعمرو : لو أنا طُفْنَا بالبيت وصليّا ركعتين ؟ فقال عمرو : إن القوم إذا تمشّوا جلسوا بأفئدتهم فقال : كلاً إن شاء الله . قال عمرو : فطُفْنَا بالبيت ثم خرجنا نريد أبا سفيان فوالله إنا لنمشي بمكة إذ نظر إلى رجل من أهل مكة فعرفني فقال : عمرو بن أمية والله إن قدِمها إلا لشر . فقلت لصاحبي : للنّجاء . فخرجنا نشقّد حتى أضمدنا في جبل وخرجوا في طلبها حتى إذا علّونا الجبل يئسوا منا فرجعنا فدخلنا كهفاً في الجبل فبقيتا وقد أخذنا حجارةً فرضّناها دوننا . فلما أصبحنا غدا رجل من قريش يقود فرسأله ويختلي^(٢) عليها ففشيديا ونحن في الغار فقلت : إن رأنا صاح بنا فأخذنا فقتلنا . قال : ومعى خنجر قد أعددت لأبي سفيان ،

(١) يأحجج : موضع بمكة .

(٢) ابن هشام . ويغلي عليها . والمراد : يجمع لها الخلق ، وهو الرطب من النبات .

فأخرج إليه فأضربه على ثديه وصاح صيحةً أسمع أهل مكة ، وأرجع فأدخل مكانى . وجاءه الناس يشتدون وهو بأحر رمق فقالوا : من ضربك ؟ فقال عمرو بن أمية . وغلبه الموت فأت مكانه ولم يذال على مكاننا فاحتملوه . فقلت لصاحي لما أمسينا : اللّجاء .

فخرجنا ليلاً من مكة نريد المدينة فررنا بالحرس وهم يمشون جيفة خبيب بن عدى فقال أحدهم : والله ما رأيت كالأيلة أشبه بمشية عمرو ابن أمية ، لولا أنه بالمدينة لقلت هو عمرو بن أمية . فلما ساذى عمرو الخشب^(١) شدّ عليها فاحتملها وخرج هو وصاحبه شدّاً وخرجوا وراءه حتى أتى جرفاً يأجج^(٢) فرمى بالخشب في الجرف فغيبه الله عنهم فلم يقدروا عليه .

قال عمرو بن أمية : وقلت لصاحي : اللّجاء حتى أتى بغيرك فتقدم عليه فإني شاغل عنك القوم وكان الأنصارى لا رجولة^(٣) له . قال : ومضيت حتى أخرج على صجّان^(٤) ثم آويت إلى جبل فأدخل كهفاً ، وبقيت أنا فيه دخل على شيخ من بني الدّيل أعور في غنّيمة فقال : من الرجل ؟ فقلت : من بنى بكر من أنت ؟ قال . من بنى بكر . قلت : مرحباً فاضطجع ثم رفع عقيرته فقال :

(١) أى الخشب إلى صابوا عليها خبيب بن عدى حين قتله . انظر : مقدمي قصة أصحاب الرجيع . ص ١٣٤ من هذا الجزء .
(٢) ابن هشام : حتى أتى جرفاً بهم من جبل يأجج .
(٣) أى لا يقوى على المشي على رجليه .
(٤) صجّان : جبل قرب مكة .

ولست بمسلم ما دمتُ حياً ولا دانٍ لدين المسلمين

فقلت في نفسي : ستعلم . فأملهته حتى إذا نام أخذت قوسي فجعلت سبيلها^(١) في عينه للصبيحة ثم تحاملتُ عليه حتى بلغتُ الأعظم . ثم خرجت الفجاء^(٢) حتى جئتُ العرج^(٣) ثم سلكت ركوبة^(٤) حتى إذا هبطت النقيع^(٥) إذا رجلان من قريش من المشركين كانت قريش بعثتهما عينا إلى المدينة ينظران ويتحسسان فقلت : استأسرا . فأيا فأرى أحدهما بسهم فأقتله واستأسر الآخر فأوثقته رباطا وقدمت به للمدينة .

* * *

[سرية زيد بن حارثة إلى مدين]

وسرية زيد بن حارثة إلى مدين فأصاب سبيًا من أهل ميفاء وهي السواحل وفيها جُماعٌ من الناس فبيعوا ففرق بينهم يعني بين الأمهات والأولاد ، فخرج رسول الله صلى الله عليه وسلم وهم يبيكون فقال : ما لهم ؟ فقيل : يا رسول الله فرق بينهم . فقال : لا تبيعوهم إلا جميعاً .

وغزوة سالم بن عُمَيْر أبا عَفْكَ أحد بني عمرو بن عوف وكان نجماً

(١) سبيل القوس : ما عطف من طرفيها .

(٢) أي خرج هاربا .

(٣) منزل بطريق مكة .

(٤) ركوبة : ناقة بين الحرمين .

(٥) النقيع : موضع ببلاد مزينة .

— ٤٣٢ —

بِقَاتِهِ حِينَ قَتَلَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ الْحَارِثَ بْنَ سُوَيْدٍ
صَامَتَ فَقَالَ :

أَقْدَ عِشْتُ دَهْرًا وَمَا إِنْ أَرَى
مَنْ النَّاسِ دَارًا وَلَا مَجْمَعًا
أَبْرًا عَمُودًا وَأَوْقَى لِمَنْ
بِعَاقِبَةٍ فِيهِمْ إِذَا مَا دَعَا
مِنْ أَوْلَادِ قَبِيلَةٍ^(١) فِي جَهَنَّمَ
نَهْدُ الْجَبْرِالِ وَلَمْ تَنْتَضِعَا
فَصَدَّعَهُمْ رَاحِكَةً جَاهِدًا
حَلَالًا حَرَامًا لَتَنِي مِمَّا
فَلَوْ أَنَّ مَالِي صَدَقْتُمْ
أَوْ أَلَّاكَ تَابِعْتُمْ نَبِيًّا

فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : مَنْ لِي بِهِذَا الْخَبِيثُ أَفْعَاجٍ
سَالِمُ بْنُ عَمْرِو بْنِ عَمْرِو بْنِ عَوْفٍ ، وَهُوَ أَحَدُ الْبَكَاثِينِ فَقَتَلَهُ
فَقَالَتْ أَمَامَةُ الْمُرَيْدِيَّةُ فِي ذَلِكَ .

تَكْذَبُ دِينَ اللَّهِ وَالْمَرْءَ أَحَدًا
لَتَمْرِي الَّذِي أَمَّاكَ بِئْسَ الَّذِي يُشْنِي^(٢)

(١) أَوْلَادُ قَبِيلَةٍ : الْأَوْسُ وَالْمُزَرِجُ .

(٢) أَمَّاكَ : مَنَّا . مِنَ الْأُمِّيَّةِ .

— ٤٣٣ —

حَبَاكَ حَنِيفٌ آخَرَ اللَّيْلِ طَعْمَةً
أَبَا عَقَّكَ خُذْهَا عَلَى كِبَرِ السِّنِّ

[غزوة عمير بن عدى إلى عصماء بنت مروان]

وغزوة عمير بن عدى الخطمي وهو الذي يدعى للقاري عصماء بنت
مروان من بني أمية بن زيد ، وكانت تحت رجل من بني خَطْمَةَ يقال
له يزيد بن زيد ، فلما قُتِلَ أَبُو عَقَّكَ نَافَقَتْ فَقَالَتْ تَعِيبَ الْإِسْلَامَ وَأَهْلَهُ
وَتَوَثَّبَ الْأَنْصَارُ فِي اتِّبَاعِهِمْ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ :

أَطْعَمَ أَنَاوِيٌّ مِنْ غَيْرِكُمْ
فَلَا مِنْ مُرَادٍ وَلَا مَذْهَجٍ
تُرْجُونَهُ بَعْدَ قَتْلِ الرَّءُوسِ
كَمَا يُرْتَجَى مَرَقُ الْمَضْجَعِ
أَلَا أَنِفَ يَبْتَغِي غِرَّةً
فَيَقْطَعُ مِنْ أَمَلِ الرَّمِيحِ

فَلَمَّا بَلَغَ ذَلِكَ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ : أَلَا أُحَدِّثُكُمْ
مِنْ ابْنَةِ مَرْوَانَ ؟ فَسَمِعَ ذَلِكَ مِنْ قَوْلِهِ عَمِيرُ بْنُ عَدِيٍّ فَلَمَّا أَمْسَى مِنْ تِلْكَ
الَّيْلَةِ سَمِعَهَا عَلَيْهَا فِي بَيْتِهَا فَقَتَلَهَا ثُمَّ أَصْبَحَ مَعَ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ
فَقَالَ : يَا رَسُولَ اللَّهِ إِنِّي قَدْ قَتَلْتُهَا . فَقَالَ : نَهَرْتَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ يَا عَمِيرُ .
فَقَالَ : هَلْ عَلَى شَيْءٍ مِنْ شَأْنِهَا يَا رَسُولَ اللَّهِ ؟ فَقَالَ : لَا يَنْتَظِعُ
فِيهَا كَمِزَانٌ .

فرجع عبيد إلى قومه وبنو خطمة يومئذ أشير فوجههم في شأن بنت مروان ولها بنون خمسة رجال . فقال : يا بني خطمة أنا قتلت بنت مروان فسيكيدوني جميعاً ثم لا تنظرون . فذلك اليوم أول ما عز الإسلام في دار بني خطمة وكان يستخفى بالإسلامه فيهم من أسلم . ويومئذ أسلم رجال منهم ثم رأوا من عز الإسلام .

[أسير ثمامة بن أثال]

والسيرة التي أسرت ثمامة بن أثال الخنفي سيد أهل البجامة ، وذلك أن خيلاً لرسول الله صلى الله عليه وسلم خرجت فأخذت رجلاً من بني حنيفة لا يشعرون من هو حتى أتوا به رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال : أتدرون من أخذتم ؟ هذا ثمامة بن أثال الخنفي فأحببوا إسلامه . ورجع رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى أهله . فقال : اجمعوا ما كان عندكم من طعام فابعثوا به إليه وأمر بلقيته^(١) أن يُغذى عليه بها ويراح . فجعل لا يقع من ثمامة مؤقماً ، ويأتيه رسول الله صلى الله عليه وسلم فيقول : أسلم يا ثمامة وفي رواية : ما تقول يا ثمامة ؟ فيقول : يا محمد إن تقتل تقتل ذا دم وإن نقتم نقتم على شاكر ، وإن تُرد الفدية فسل نعط منه ما شئت .

فكث ما شاء الله أن يكث ثم قال النبي صلى الله عليه وسلم يوماً : أطلقوا ثمامة فلما أطلقوه خرج حتى أتى البقيع فقطع فأحسن طموره ثم أقبل فبأبغ النبي صلى الله عليه وسلم على الإسلام . فلما أسرى جاءوه بما كانوا يأتونه به من الطعام فلم ينل منه إلا قليلاً ، وبالقعدة فلم يصب من حلابها

(١) القصة : الباقية لها في .

إلا يسيراً ، فمحبب المسلمون من ذلك فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم :
 « مِمَّ تَعْبُونَ مِنْ رَجُلٍ أَكَلَ أَوَّلَ النَّهَارِ فِي مَعَى كَافِرٍ وَأَكَلَ آخِرَ النَّهَارِ
 فِي مَعَى مُسْلِمٍ ، إِنْ الْكَافِرُ يَأْكُلُ فِي سَبْعَةِ أَمْعَاءَ وَإِنْ الْمُسْلِمُ يَأْكُلُ فِي
 مَعَى وَاحِدٍ » .

وقال ثمامة حين أسلم لرسول الله صلى الله عليه وسلم : لقد كان وجهك
 أبغضَ الوجوه إليّ فأصبح وهو أحب الوجوه إليّ ، ولقد كان دينك
 أبغضَ الدِّينِ إليّ فأصبح وهو أحب الأديان إليّ ، ولقد كان بلدك أبغضَ
 البلاد إليّ فأصبح وهو أحب البلاد إليّ . ثم قال : يا رسول الله إنَّ خيلاً
 أخذتني وأنا أريد للعمرة فأذن لي يا رسول الله . فأذن له فخرج
 ممتعراً فلما قدِم مكة قالوا : صباأت يا ثمامة . قال لا ولكني اتبعت خير الدِّينِ
 دين محمد ، ولا والله لا تصل إليكم حَبَّةٌ من البِطامة حتى يأذن فيها رسول
 الله صلى الله عليه وسلم . ثم خرج إلى البِطامة فدعاهم أن يحملوا إلى مكة
 شيئاً ، فكتبوا إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم : إنا نأمر بصلوة الرحم
 وإنك قد قطعت أرحامنا . فكتب إليه رسول الله صلى الله عليه وسلم أن
 خل بين قومي وبين ميرتهم . ففعل .

ويقال إنه لما كان ببطن مكة في عمرته أجي فسكان أول من دخل
 مكة يابّي ، فأحدثه قريش فقالوا : لقد اجترأت علينا . وهُمُّوا بقتله ثم
 حلوه لمسكان حاجتهم إليه وإلى الله فقال بعض بني حنيفة :

ومنا الذي أجي بمكة مُعلنًا

برغم أبي سفيان في الأشهر الحرم

السرية علقمة بن مجز

وبعث علقمة بن مجز الدجلى لما قتل وقاص بن مجز أخوه يوم
 ذى قرد وسأل رسول الله صلى الله عليه وسلم أن يبعثه في آثار القوم
 ليذكر ثأره فيهم ، فبعثه في نفر من المسلمين . قال أبو سعيد الخدري :
 وأنا فيهم ، حتى إذا بلغنا رأس غزانا أو كنا ببعض الطريق أدب
 الطائفة من الجيوش واستعمل عليهم عبد الله بن جده السهمي وكانت فيه
 دهاء ، فلما كان ببعض الطريق أوقد ناراً ثم قال للقوم : أليس لي عليكم
 السمع والطاعة ؟ قالوا : بلى قال : فما أمركم بشيء إلا فعاتموه ؟ قالوا :
 نعم . قال : فإني أعزم عليكم بحق وطاعتي إلا توابتم في هذه النار
 فقام بعض القوم يحتجز حتى ظن أنهم وثبون فيها . فقال لهم : احلوا
 فإنما كنت أضحك معكم فذكر ذلك لرسول الله صلى الله عليه وسلم فقال :
 من أمركم منهم عصبية فلا تطيعوه .

ويقال إن علقمة بن مجز رجيع هو وأصحابه ولم يلقى أيدا .

السرية أنس بن جابر

وبعث أنس بن جابر ، وذلك أن نفرا من قيس كبة من تميم قدموا
 على رسول الله صلى الله عليه وسلم فاستقوا أو المدينة وطلبوا^(١) وكانت
 لرسول الله صلى الله عليه وسلم إقاح ترعى ناحية الجلاء برعاها عبد له يقال

(١) طلبوا : نبوا . و ابن هشام . طبعوا . أي أسألوهم مرس الطحال .

له بَسَار كان رسول الله صلى الله عليه وسلم أصابه في غزوة بني محارب. وبني ثعلبة ، فقال لهم رسول الله صلى الله عليه وسلم : لو خرجتم إلى الأَقاح فشربتم من ألبانها وأبوالها فخرجوا إليها فلما صحوا وانطوت بطونهم عُسْكَاً عَدُوا على راعي رسول الله صلى الله عليه وسلم فذبحوه وغرزوا للشوك في عينيه واستاقوا الأَقاح فبعث رسول الله صلى الله عليه وسلم في آثارهم كرزاً فلحقهم ، فأتى بهم رسول الله صلى الله عليه وسلم مَرَجُهُ من غزوة ذى قَرْد فقطع أيديهم وسمل أعينهم وألقوا بهم في الحرة يستسقون فلا يُسْقون حتى ماتوا .

[غزوة على بن أبي طالب إلى اليمن]

وغزوة على بن أبي طالب اليمن غزاها مرتين . وقال أبو عمر اللديني: ^(١) بعث رسول الله صلى الله عليه وسلم على بن أبي طالب إلى اليمن وبعث خالد بن الوليد في جسد آخر وقال : إن التقيتما فالأمير على بن أبي طالب .

[بعث أسامة بن زيد إلى فلسطين]

ثم بعث رسول الله صلى الله عليه وسلم أسامة بن زيد بن حارثة إلى الشام وأمره أن يوطئ الخيل تخوم البلقاء والداروم من أرض فلسطين ، وهو آخر بعث أمر به رسول الله صلى الله عليه وسلم . فتجهز الناس وأوعب

مع أسامة المهاجرون الأولون ، فبينما الناس على ذلك ابتدئ رسول الله صلى الله عليه وسلم بشكوه لذي قبيصة الله فيه إلى ما أراد من رحمة وكرامته ، فلم ينفذ بعث أسامة إلا بعد وفاته صلوات الله عليه ورحمته وسيأتي ذكر ذلك مستوفى إن شاء الله .

فهمه منازي رسول الله صلى الله عليه وسلم وموئنه وسراياه التي أعز الله بها الدين ودوخ بها الكافرين ، وشده أزره فيها بمن احتازه أصحابه وانصرته من الأنصار والمهاجرين ، رضى الله عنهم أجمعين ، وتلك أيام الله التي يحبها التذكّر والتذكير ، ويتأكد شكر الله على ما بشرته منه المقادير .

وقال حسان بن ثابت بمدد أيام الأنصار مع رسول الله صلى الله عليه وسلم وبذل مواطنهم معه في أيام سزوه وتروى لابنه عبد الرحمن :

السن خير مددك كلاماً نقداً

وممشياً إن هم غموا وإن خصلوا

قومٌ هم شهم ———— دوا بذرا بأجمعهم

مع لرسول فما آله^(١) وما حبلها

(١) آله : نصروا . و . وى . آله .

— ٤٣٩ —

وبابَعُوهُ فلم يَفْكُثْ بِهِ أَحَدٌ
 مِنْهُمْ وَلَمْ يَكْ فِي أَيْمَانِهِمْ دَخْلٌ
 وَيَوْمَ صَبَّحَهُمْ فِي الشَّعْبِ مِنْ أَحَدٍ
 ضَرْبٌ رَصِيحٌ كَحَرْبِ الْفَارِ مُشْتَعِلٌ
 وَيَوْمَ ذِي قَرْدٍ يَوْمَ اسْتَقْنَارِ بِهِمْ
 عَلَى الْجِيَادِ فَا خَامُوا^(١) وَمَا تَنَكَّلُوا
 وَذَا الْمَشِيرَةِ جَاسُوا بِهَا بِخَيْلِهِمْ
 مَعَ الرَّسُولِ عَلَيْهَا الْبَيْضُ وَالْأَسَلُ
 وَيَوْمَ وَدَّانِ أَجَلُوا أَهْلَهُ رَقَصًا
 بِالْخَيْلِ حَتَّى نَهَانَا الْحَزْنُ وَالْجَبَلُ
 وَابِلَةٌ طَلَبُوا فِيهَا عَدُوَّهُمْ
 اللَّهُ وَاللَّهُ يُجْزِيهِمْ بِمَا عَمَلُوا
 وَغَزْوَةً يَوْمَ تَجَدَّدَ نَمِ كَانَ لَهُمْ
 مَعَ الرَّسُولِ بِهَا الْأَسْلَابُ وَالْفَقْلُ
 وَابِلَةٌ بِحَدِيدٍ جَالِدُوا مَعَهُ
 فِيهَا يَمْلِكُهُمْ بِالْحَرْبِ إِذْ نَهَلُوا
 وَغَزْوَةَ الْقَاعِ فَرَفَقَا الْمَسْدُودُ بِهِ
 كَمَا تَفَرَّقَ دُونَ الْمَشْرَبِ الرَّسَلُ^(٢)

(١) خَامُوا : جَبَنُوا .

(٢) الرسل : القطيع من الإبل والغنم .

— ٤٤٠ —

ويومَ تَوَيْعَ كانوا أهلَ بيته
 على الجِلادِ فَأَسَوْهُ وما عَدُّوا
 وغزوةَ الفُتُوحِ كانوا في سريته
 مُرًّا بَطِينِ فما طَاشُوا وما عَجِلُوا
 ويومَ خَيْبَرَ كانوا في كَتِيبته
 يَمْشُونَ كَلِمَهم مُسْتَبِلٌ بَطْلٌ
 مَالِيبِضٍ تَرْمِشُ في الأَبْجَانِ عَارِيَةً
 تَدْرُجُ في الضَرْبِ أَحْيَاءًا وَتَعْتَدِلُ
 ويومَ سَارِ رَسُولِ اللَّهِ نُحُفَسِيًّا
 إِلَى نَهْـوَكٍ وَهم دَائِمَةُ الْأَوَّلِ
 وَسَاحَةُ الْحَرْبِ إِنْ حَرِبَ بَدَتْ لَهُمْ
 حَقٌّ بَدَأَ لَهُمُ الْإِقْبَالُ فَالْقَفْلُ^(١)
 أَوَّلُكَ الْقَوْمُ أَنْصَارُ اللَّهِ وَهم
 قَوْمِي أَصِيرُ إِلَيْهِمْ حَيْثُ اتَّصَلُ
 مَا نُوا كِرَامًا وَلَمْ تُفْسِكْ عَمُودُهُمْ
 وَقَتْلَهُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ إِذْ قَتَلُوا

* * *

وقال حسان أَيْضًا :
 كَمَا مَلُوكُ النَّاسِ قَبْلَ مُحَمَّدٍ
 فَلَا أُنَى الْإِسْلَامِ كَانَ إِذَا الْفَضْلُ

(١) ابن ميثاق : والفضل .

وأكرمنا الله الذي ليس غيره
 إلهٌ بأيامٍ مضتْ ماله شَكْلُ
 بصرِ الإلهِ والرسولِ ودينه
 والبسائه اسماً مضى ماله مِثْلُ
 أولئك قومي خيرُ قومٍ بأشْرَمِ
 فما كان من خيرٍ^(١) فقومي له أهلُ
 يُرَبُّونَ بالمعروفِ معروفٍ من مضى
 وليس عليهم دون معروفهم قهْلُ
 إذا اختبطوا لم يُفْعَشُوا في نَدِيَّهم
 وليس على سؤَالهم عِندمِ بخلُ
 وإن حاربوا أو سألوا لم يشبَّهوا
 فخرهم حَزَنُ^(٢) وسلمهم سَهْلُ
 وجارمُ موفٍ بعلياء بيته
 له مائتوي فيها للكرامة والهدْلُ
 وحاملهم موفٍ بكل حمالة
 نَحْمَلُ لا غرم عليه ولا خذلُ
 وقائلهم بالحق إن قال قائلُ
 وحلمهم عَوْدُ وحكمهم عَدْلُ

(١) ابن هشام : فاعد من خير .

(٢) ابن هشام : فخرهم حتف .

— ٤٤٢ —

ومنا أمير المسلمين حياته
ومن غماته من جنابه الرشيد

* * *

وقال حسان أيضاً من قصيدة له أولها :
قومي أوائك إن تسألني
كبراً إذا الضيف يوماً ألم
عظام القوم دور الأبرار
يكتبون فيها المين الشيم
يواسون جارهم في الغي
ويخفون مولاهم إن ظلم
فكانوا ملوكاً بأرضهم
يبدون غضباً بأمر شيم^(١)
ملوكاً على الناس لم يملكو
من الدهر يوماً كحل القسم^(٢)
ملوكاً إذا غشوا في البسلا
د لا يشكون واسكني قدماً
وأبدا بساداتهم والبراء
وأولادهم فيهم تقاسم

(١) ابن هشام : يبدون غضباً .

(٢) أي إلا فمة قصيدة تحلة القسم .

- ٤٤٣ -

ورثنا مساكنهم بدم
وكفا ملوكا بها لم نرم^(١)
فلما اتانا الرسول الرشيد
دُ بالحق والدور بعد للظلم
فنشهد أنك عبدُ الإله
أرسلت نورا بدين قيم
فإنا وأولادنا جنة
نقيمك وفي مالنا فاحكم
فنحن أولئك إن كذبوك
فناد ناد ولا نخشع
وناد بما كنت أخفيته
ناد جهارا ولا تكتم
فسار الفؤاد بأسياهم
إليه يظنون أن يُخترم
فقدنا إليهم بأسيافنا
نجالد عنه بقاء الأمم
بكل صهيل له مية
رقيق الذباب عضوض خديم

— ٤٤٤ —

إذا ما يصادف ضمّ العظا
 م لم ينب عنها ولم ينقلب
 فذلك ما ورثتنا القرو
 م مجداً تليداً وعزاً اشم
 إذا مرّ اسلّ كفى اسله
 وغادر اسلاً إذا ما انقسم
 فما إن من الناس إلاّ اذا
 عليه وإن حاس^(١) فصل للامم

والى هنا ينتهى الجزء الثانى من كتاب «الاكتفاء فى معازى رسول
 الله والثلاثة الخلفاء» لاسكلامى وبتلوّه الجزء الثالث وأوله : «ذآر الوفود
 على رسول الله صلى الله عليه وسلم» .

فهرس الموضوعات

الصفحة	الموضوع	الصفحة	الموضوع
٥٧	إسلام أبي العاص	٣	شروع رسول الله صلى الله عليه
٥٩	أمر أبي عزة		وسلم في حرب الشرنيين
٦١	إسلام عمير بن وهب	٣	غزوة ودان
٦٥	ما نزل في بدر من القرآن	٣	سرية عبيدة بن الحارث
٦٥	من شهد بدرا من المسلمين	٧	غزوة بواط
٦٦	الشهداء	٨	» العشيرة
٦٦	قتلى للشرنيين	١٤	» بدر الكبرى
٧٧	غزوة بني سليم	١٤	رؤيا عائكة
٧٧	» السويق	١٧	خروج قريش
٧٨	» ذي أمر	١٧	خروج الرسول والمسلمين
٧٩	أمر بني قينقاع	١٩	الرسول يستشير أصحابه
٨١	سرية زيد بن حارثة	٢٢	الذين تخلفوا من قريش
٨٢	مقتل كعب بن الأشرف	٢٣	نزول المسلمين ببدر
٨٧	غزوة أحد	٢٤	نزول قريش ببدر
٨٨	الرسول يشاور أصحابه	٢٧	المبارزة
٨٨	خروج الرسول والمسلمين	٣٠	هزيمة الكفار
٩٠	الرسول يعي جيشه	٣٥	اللائكة تقاتل مع المؤمنين
٩١	تعبئة قريش	٣٦	مصرع أبي جهل
٩١	أمر أبي عامر	٣٩	في القلب
٩١	القتال	٤٢	الذين ظلموا أنفسهم
٩٣	استشهاد حمزة	٤٣	قسمة الغنائم
١٠٣	خبر غريق	٤٣	بشير النصر
١٠٨	حزن الرسول على حمزة	٤٤	رجوع الرسول إلى المدينة
١١٠	دفن الشهداء	٥٠	قريش تبكي قتلاها

الصفحة	الموضوع	الصفحة	الموضوع
١٩١	منازل من الشعر في غزوة الخندق	١١١	رجوع الرسول إلى المدينة
١٩٨	مقاتل سلام بن أبي الحقيق	١١١	بكاء الشهداء
	دار إسلام لمرو بن العاص	١١٢	غزوة حمراء الأسد
٢٠١	وخالد بن الوليد رضى الله عنه	١١٦	ما نزل من القرآن في أحد
٢٠٦	عروة بن الحبان	١٢٣	ما قبل من الشعر في أحد
٢٠٦	غارة عبيدة بن حصن		غدر عضل والفسارة بأصحاب
٢١٦	غزوة بني المصطلق	١٣٤	رسول الله صلى الله عليه وسلم
٢١٦	من ليد المناقير	١٤٢	غزوة بدر معونه
٢٢١	حبر الوليد بن عتبة	١٤٦	ذكر غزوة بني النضير
٢٢٣	حدث الإمك	١٥٢	غزوة ذات الرقاع
٢٣٣	غزوة الخديبية	١٥٤	هبة حمل حابر
٢٣٤	رسول مريض	١٥٥	غزوة بدر لاءعد
٢٣٧	رسول الله صلى الله عليه وسلم	١٥٨	غزوة الخندق
٢٣٨	رسول الرضا ان	١٥٩	حفر الخندق
٢٣٨	الصالح	١٦٠	معجزات للرسول
٢٤٢	رسول الله صلى الله عليه وسلم	١٦٣	نقض بني قريظة العهد
٢٤٦	أبو أيوب	١٦٩	إصابة سعد بن معاذ
٢٥٠	الهاجرات بعد الخديبة	١٧١	شجاعة صفية بنت عبد المطلب
٢٥١	غزوة حبر	١٧٢	حالة سعد بن معاذ
٢٥٤	تحريم الطوارق الأهلة	١٧٦	عروة بن مطية
٢٥٦	المنزلة	١٧٧	الحصار
٢٥٨	علي بن محمد	١٨١	حكم سعد بن معاذ
٢٥٩	استسلام يهود	١٨٤	وصف الربيع بن ماطا
٢٥٩	سهم اليهود	١٨٦	سنة العائيم
٢٦١	غزوة وادي القلعة	١٨٧	منازل في غزوة الخندق
٢٦٢	خروج النساء	١٨٧	وفد سعد بن معاذ
٢٦٣	الشهداء	١٩٠	شهداء المسلمين في الخندق

الصفحة	الموضوع	الصفحة	الموضوع
٣٣١	شجاعة أم سليم	٢٦٤	أمر الحجاج بن علاط
٣٣٣	هزيمة المشركين	٢٦٨	تقسيم الغنائم
٣٣٥	غزوة أوطاس	٢٦٩	قدوم المهاجرين إلى الحبشة
٣٣٧	أخت الرسول من الرضاعة	٢٧٠	اليهود في خيبر
٣٣٧	ما نزل من القرآن	٢٧٢	عمرة القضاء وهي غزوة الأمن
٣٣٨	الشهداء	٢٧٣	زواج الرسول بميمونة بنت الحارث
٣٣٨	ما قيل من الشعر	٢٧٥	غزوة مؤتة من أرض الشام
٣٤٨	غزوة الطائف	٢٨٢	رجوع الجيش
٣٥٤	قدوم وفد هوازن	٢٨٣	ما قيل من الشعر في مؤتة
٣٥٨	قسم الغنائم	٢٨٧	غزوة الفتح
٣٦١	ذو الحويصرة	٢٩٠	تجهز المسلمين
٣٦١	الأنصار والغنائم	٢٩١	أمر حاطب
٣٦٤	عمرة الجمرانة	٢٩٢	إسلام أبي سفيان بن الحارث
٣٦٥	إسلام كعب بن زهير	٢٩٣	إسلام أبي سفيان بن حرب
٣٧٣	إسلام عبد الله بن الزبير	٢٩٧	الرسول يدخل مكة
٣٧٦	غزوة تبوك	٣٠٠	الذين أهدر النبي دماءهم
٣٧٦	المنافقون	٣٠٤	أمان رسول الله
٣٧٩	أمر أبي خيثمة	٣٠٦	الرسول يدخل البيت
٣٨٥	مصالحة أهل أيلة	٣٠٨	من معجزات الرسول
٣٨٥	سرية خالد إلى أكيذر	٣٠٩	الرسول والأنصار
٣٨٦	رجوع الرسول عن تبوك	٣٠٩	حرمة مكة
٣٨٨	مسجد الضرار	٣١١	ما قيل من الشعر
٣٨٩	التخلفون	٣١٧	سرية خالد بن الوليد ومواقع فيها
٣٩٨	ذكر إسلام ثقيف	٣٢١	هدم العزى
٤٠٣	رواية موسى بن عقبة	٣٢٢	غزوة حنين
	ذكر حج أبي بكر الصديق	٣٢٧	المنهزمون
٤٠٩	بالباس سنة تسع	٣٢٩	نداء النصر

الصفحة	الموضوع	الصفحة	الموضوع
	غزوة عبد الرحمن بن عوف إلى	٤١٠	عدد غزوات الرسول
٤٢٨	الجنادل	٤١١	سرايا رسول الله
٤٢٩	بعث عمرو بن أمية إلى أبي-لميان		غزوة غالب بن عبد الله إلى
٤٣١	سرية زيد بن حارثة إلى مدين	٤١٢	السكديد
	غزوة عمير بن عدى إلى عصباء	٤١٧	غزوة عبد الله بن رواحة
٤٣٣	بنت مروان		غزوة عبد الله بن أنيس إلى خالد
٤٣٤	أثر مائة بن أنال	٤١٧	ابن سليمان
٤٣٦	سرية علقمة بن مجرد		غزوة غالب بن عبد الله إلى بني مرة
٤٣٦	سرية كرز بن حابر	٤٢١	غزوة ذات السلاسل
٤٢٧	غزوة علي بن أبي طالب إلى اليمن	٤٢٤	غزوة ابن أبي حدرد
	بعث أسامة بن زيد إلى	٤٢٦	غزوة ابن أبي حدرد إلى العابة
٤٣٧	المسطين		

ملاحظة: - ونقص بعض الأخطاء المطبعية اليسيرة في الضبط ، مما لا يخفى على القارئ

رقم إيداع دار المكتب

١٩٧٠ لسنة ٦٦٢٢

